جمهورية العراق

ديوان الوقف السني

كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

قسم أصول الدين / الدراسات العليا



شرح مقاصد المقاصد

للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجي العثماني الشافعي المتوفى سنة : (٩٤٧ هـ) .

من مبحث السمعيات إلى نهاية المخطوط

دراسة وتحقيق

أطروحة تقدم بها الطالب

حارث عبدالله محمد

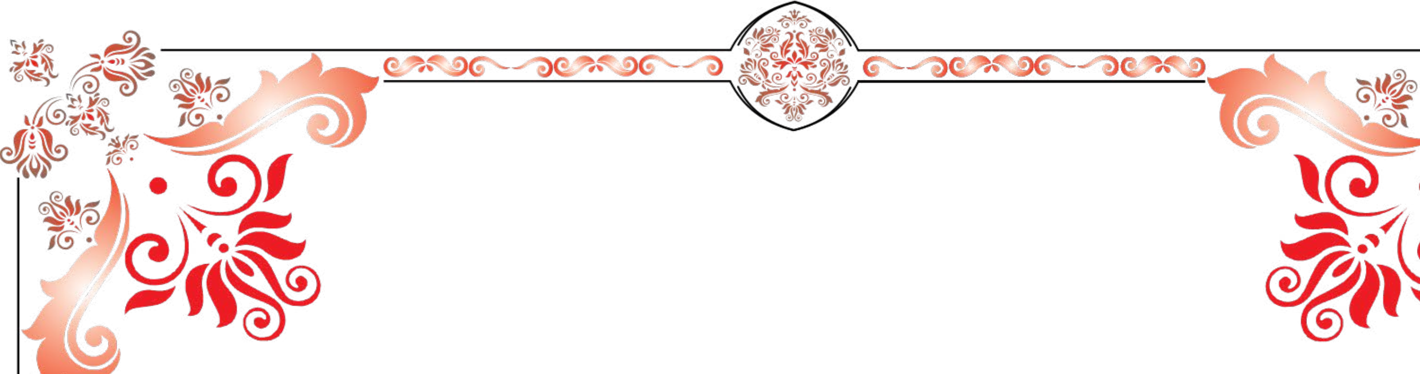
إلى مجلس كلية الإمام كلية الأعظم رحمه الله الجامعة

وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين تخصص / عقيدة

بأشراف : أ . م . د . مشتاق عماد عبد العزيز

٢٠٢١ .... ١٤٤٢




﴿وَلِلَّهِ غَيْـبُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ
السَّـاعَةِ إِلَّا كَلَمْـحِ الْبَصَـرِ أَوْ هُـوَ أَقْـرَبُ
إِنَّ اللهَ عَلَـى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيـرٌ﴾

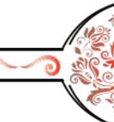
[النحل: ٧٧]




الاهداء

إلى الذي أرسله رحمة للعالمين سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » .

إلى والدي العزيزين « حفظهما الله تعالى » .



شكر وعرفان

أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساعدي في اتمام هذا البحث .
وشكري لكلية الإمام الأعظم ولجميع كادرها من أساتذة وموظفين وطلاب .
والشكر موصول للاستاذ المساعد لدكتور مشتاق عماد عبدالعزيز الذي أشرف عليَّ في كتابة هذا البحث .
وأسأل الله الكريم العظيم أن يجزيهم خير الجزاء .




قائمة المحتويات

ٱلمقدمة

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ ، ٱلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ ، وَٱلْبَطْشِ ٱلشَّدِيدِ ٱلْهَادِي صَفْوَةَ ٱلْعَبِيدِ إِلَى ٱلْمَنْهَجِ ٱلرَّشِيدِ ، وَٱلْمَسْلَكِ ٱلسَّدِيدِ ، ٱلْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ بِحِرَاسَةِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ ظُلَمَاتِ ٱلتَّشْكِيكِ وَٱلتَّرْدِيدِ ، ٱلسَّالِكِ بِهِمْ إِلَىٰ ٱتِّبَاعِ رَسُولِهِ ٱلْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱقْتِفَاءِ آثَارِ صَحْبِهِ ٱلْأَكْرَمِينَ ٱلْمُكْرَمِينَ بِٱلتَّأْيِيدِ وَٱلتَّسْدِيدِ ، ٱلْمُتَجَلِّي لَهُمْ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ ٱلَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .

وَبَعْدُ :

فَقَدْ جَاءَتِ ٱلْأَدْيَانُ ٱلسَّمَاوِيَّةُ لِتُنْقِذَ ٱلْعَقْلَ ٱلْإِنْسَانِيَّ مِنْ مَهَاوِي ٱلضَّلَالَةِ وَدَيَاجِيرِ ٱلظَّلَامِ ، وَجَاءَ ٱلْإِسْلَامُ خَاتِمَةَ ٱلشَّرَائِعِ ، دِيناً فِيهِ صَلَاحُ ٱلنُّفُوسِ ، وَرَاحَةُ ٱلْقُلُوبِ ، وَٱنْتِظَامُ ٱلْعَالَمِ لِذَلِكَ تكَفَّلَ بِبَيَانِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُنَظِّمَ حَيَاةَ ٱلْإِنْسَانِ مِنْ جَوَانِبِهَا ٱلثَّلَاثَةِ :

١. ٱلْأُصُولِ ٱلِاعْتِقَادِيَّةِ .

٢. ٱلْمَبَادِئِ ٱلْأَخْلَاقِيَّةِ .

٣. ٱلْأَحْكَامِ ٱلْعَمَلِيَّةِ .

وَبِذَلِكَ يَكُونُ ٱلْإِسْلَامُ بِعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ شَمِلَ جَمِيعَ مَنَاحِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَٱلْأُخْرَوِيَّةِ .

وَمَوْضُوعُ ٱلْكِتَابِ هَذَا هُوَ ٱلْجَانِبُ ٱلْأَوَّلُ - عِلْمُ ٱلْعَقَائِدِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ - ٱلَّذِي يُعْنَىٰ بِدِرَاسَةِ ٱلْإِلَهِيَّاتِ ، وَٱلنُّبُوَّاتِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ .

وَإِذَا تَوَقَّفَ ٱلنَّاظِرُ عِنْدَ « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » لِلْإِمَامِ ٱلتَّفْتَازَانِيِّ ، ٱلَّذِي لَمْ يَخْرُجْ عَنْ رَأْيِ ٱلْإِمَامِ أَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلْأَشْعَرِيِّ ، وَأَبِي مَنْصُورٍ ٱلْمَاتُرِيدِيِّ « رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَىٰ » .

فَإِنَّنَا نَجِدُ كِتَابَ « مَقَاصِدِ ٱلطَّالِبِينَ » قَدِ ٱشْتَهَرَ فِي عِلْمِ ٱلْعَقَائِدِ شُهْرَةً وَاسِعَةً ، وَذَاعَ صِيتُهُ حَتَّىٰ عَكَفَ ٱلْعُلَمَاءُ عَلَىٰ شَرْحِهِ ، وَوُضِعَتِ ٱلْحَوَاشِي وَٱلتَّقْرِيرَاتُ عَلَىٰ شُرُوحِهِ ؛ لِمَا وَجَدُوا فِيهِ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَحَبْكِ ٱلْعِبَارَةِ وَٱلْجَمْعِ وَٱلِاخْتِصَارِ ، إِضَافَةً لِرَغْبَتِهِمْ فِي زِيَادَةِ إِيضَاحِ مَا أُبْهِمَ مِنْهُ ، وَتَفْصِيلاً لِمَا أُجْمِلَ فِيهِ ، وَبَيَاناً لِمَا أُشْكِلَ فَهْمُهُ مِنْ نُصُوصِهِ .

وَمِنَ ٱلَّذِينَ تَصَدَّوْا لِـ « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » شَمْسُ ٱلدِّينِ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلدَّلْجِيُّ (ٱلْمُتَوَفَىٰ سَنَةَ : (٩٤٧ هـ) ، حَيْثُ ٱخْتَصَرَ « مَقَاصِدَ ٱلطَّالِبِينَ » ثُمَّ قَامَ بِشَرْحِهِ شَرْحاً وَافِياً عَجِيبَ ٱلسَّبْكِ وَدَقِيقَ ٱلْعِبَارَةِ أَسْمَاهُ : « شَرْحَ مَقَاصِدِ ٱلْمَقَاصِدِ » .

فَكَانَ هَـذَا هُـوَ مَـكَانُ ٱخْتِيَـارِي لِهَـذِهِ ٱلدِّرَاسَـةِ فَجَـاءَتْ تَحْـتَ عُنْـوَانِ : « شَـرْحُ مَقَاصِـدِ ٱلْمَقَاصِـدِ » لِلْإِمَـامِ ٱلدَّلْجِيّ ، لِتَحْقِيقِهَـا وَدِرَاسَـتِهَا لِمَـا فِيهَـا مِـنْ فَائِـدَةٍ عَظِيمَـةٍ وَمَنَافِـعَ مُتَعَـدِّدَةٍ .

وَمِمَّـا دَفَعَنِـي إِلَـى ٱخْتِيَـارِ هَـذِهِ ٱلدِّرَاسَـةِ فِـي عِلْـمِ ٱلْـكَلَامِ ؛ ٱلْوَاقِـعُ ٱلْأَلِيـمُ ٱلَّـذِي يَعِيشُـهُ ٱلْمُسْـلِمُونَ ٱلْيَـوْمَ مِـنْ تَعـرُّضٍ لِأَشَـدِ مُوْجَـاتِ ٱلْكُفْـرِ وَٱلْإِلْحَـادِ وَٱلزَّنْدَقَـةِ مِـنْ أَعْـدَاءِ ٱلْإِسْـلَامِ وَٱلْمُنْحَرِفِيـنَ عَـنْ مَنْهَـجِ ٱللهِ ، وَعُـزُوفُ كَثِيـرٍ مَـنْ طَلَبَـةِ ٱلْعِلْـمِ عَنْـهُ ، فَبَعْـدَ ٱلِاسْـتِعَانَةِ بِٱللهِ تَعَالَـىٰ وَٱلتَّـوَكُّلِ عَلَيْـهِ كَانَ هَـذَا ٱخْتِيَـارِي فِـي أُطْرُوحَتِـي .

وَأَمَّـا سَـبَبُ ٱخْتِيَـارِي لِلتَّحْقِيـقِ دُونَ ٱلتَّأْلِيـفِ .. فَـإِنَّ كَثِيـراً مِـنْ كُتُـبِ ٱلْعُلَمَـاءِ ٱلسَّـابِقِينَ لَا تَـزَالُ حَبِيسَـةً فِـي مَكْتَبَـاتِ ٱلْمَخْطُوطَـاتِ وَٱلْمَرَاكِـزِ ٱلْعِلْمِيَّـةِ ، وَهِـي تَطْلُـبُ مَـنْ يَقُـومُ بِإِخْرَاجِهَـا إِلَـى ٱلنُّـورِ ، وَإِنْ كُنْـتُ لَسْـتُ مِـنْ أَهْـلِ هَـذَا ٱلشَّـأْنِ قَصَـدْتُ ٱلتَّشَـبُّهَ بِهِـمْ لِأَفُـوزَ بِصُحْبَتِهِـمْ فِـي ٱلْجِنَـانِ بِٱلْفَضْـلِ وَٱلْإِنْعَـامِ وَٱلْإِحْسَـانِ مِـنَ ٱلْمَوْلَـى ٱلْكَرِيـمِ ٱلرَّحْمَـنِ بِجَـاهِ سَـيِّدِ وَلَـدِ عَدْنَـانِ صَلَّـى ٱللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ، فَحَاوَلْـتُ أَنْ أَكْتُـبَ عَلَيْـهِ تَعْلِيقَـاتٍ تُوضِـحُ بَعْـضَ غَوَامِضِـهِ ـ وَإِنْ كُنْـتُ لَسْـتُ أَهْـلاً لِذَلِـكَ ـ وَٱبْتَعَدْتُ عَـنِ ٱلْإِطَالَـةِ وَٱلْإِمْـلَالِ ، مُتَجَافِيـاً ٱلْإِطْنَابَ وَٱلْإِخْلَالَ .

خطة ٱلدراسة :

ومِنْ هنا فقدْ جاءتِ ٱلأطروحة على قِسمينِ :

ٱلقسم ٱلأول : ٱلدراسي ويتضمنُ فصلين :

ٱلفصل ٱلأول وفيه مبحثان :

ٱلمبحثُ ٱلأولُ : حياةُ ٱلإمامِ ٱلتفتازاني .

وتضمنَ ٱلمبحثُ ٱلثاني : حياة ٱلدلجي .

أمّا ٱلفصل ٱلثاني : ففيه مبحثان :

تضمـن ٱلمبحـثُ ٱلأول : دراسـة ٱلكتـاب ، اسـم ٱلمخطـوط ونسبته لمؤلفـه ، ومنهجـه فـي كتابـه ، ووصـف ٱلنسـخ ٱلخطيـة، ونمـاذج مـن ٱلمخطـوط، ومصـادره فـي كتابـه.

وبيّـنَ ٱلمبحـثُ ٱلثانـي: منهجـي فـي ٱلتحقيـقِ ، ببيـانِ مـا يتعلـقُ بمقارنـةِ ٱلنسـخِ ، ومـا يتعلـقُ بٱلمنهـجِ ٱلعـامِ.

أما ٱلقسمُ ٱلثاني : فهو ٱلنصُ ٱلمحققُ .

ثـم ختمـتُ ٱلاطروحـةَ بوضـعِ فهـارسَ تفصيليـةٍ للآيـاتِ ٱلقرآنيـةِ ،وٱلأحاديـثِ ٱلنبويـةِ ٱلشـريفةِ ، وٱلآثـارِ ، وٱلأعـلامِ ، وٱلفـرقِ وٱلمذاهـبِ ، وٱلبلـدانِ وٱلأماكـنِ ، وٱلأبيـاتِ ٱلشـعريةِ ، وٱلمصادرِ وٱلمراجـعِ ، وملخصِ

ٱلرسآلـةِ بٱللغـةِ ٱلانكليزيـةِ.

أخيـرا وليَـس آخـرا : فإنـي لا أدّعـي ٱلكمـال فـي عملـي هـذا ـ أسـتغفرُ ٱلله ـ ولكنـي بذلـتُ فيـه مـا أمكننـي ، فمـا وُجِـدَ فيـهِ مـن صـوابٍ فمـنَ ٱللهِ وحسـنِ توفيقِـهِ وإعانتِـهِ وفضلِـهِ ، ومـا وُجِـدَ فيـهِ مـن خطـأٍ أو زلـلٍ أو نقـصٍ فمـنْ نفسـي، ومـنَ ٱلشـيطانِ . وأسـأله تعالـى أن يكـون هـذا الكتـاب نافعـاً لمـا فيـه الخيـر لهـذه الأمـة ، وأن يجـد فيـه الباحثـون والدارسـون للعقيـدة خاصـة مـادة تنفعهـم .

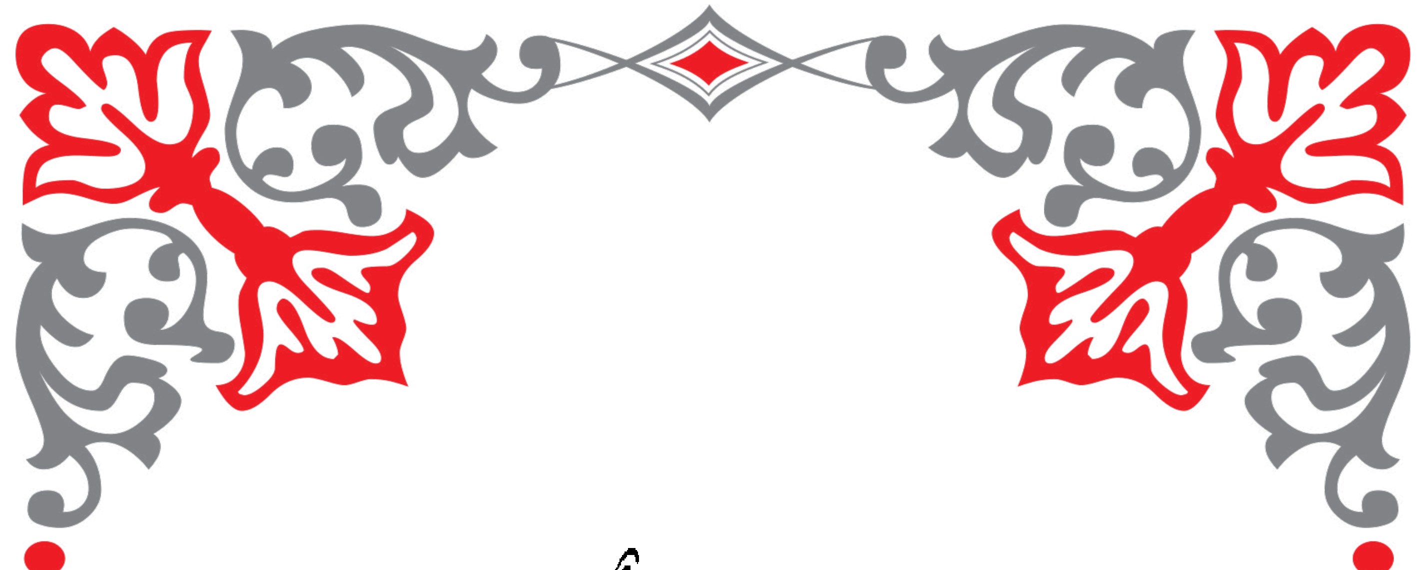
وختامـاً أشـكر لأسـتاذي الفاضـل الدكتـور مشـتاق عبـد العزيـز الـذي قبـل الإشـراف علـى رسـالتي ، ومـا أفادنـي مـن ملاحظاتـه وتوجيهاتـه القيمـة ، التـي كان لهـا الأثـر الكبيـر فـي هـذه الرسـالة ، كمـا أشـكر لـكل مـن قـدّم لـي خدمـة ، أو أعارنـي مصـدراً ، جزاهـم الله عنـا كل خيـر ، { رَبَّنَـا لَا تُؤَاخِذْنَـا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَـا } [البقـرة ٢٨٦] .

ٱللهَ أسأل أنْ يجعـلَ عملـي هـذا خالصـا لوجهِـهِ ٱلكريـمِ ، وأنْ يجعلَـهُ فـي ميـزانِ حسـناتي ، وأنْ ينفعَنَـا وينفـعَ بنـا ، وأنْ يغفـرَ لنـا خطايانـا مـا ظهـرَ منهـا ومـا بطـنَ إنـهُ نِعـمَ ٱلمولـى ونِعـمَ ٱلنصيـرُ ، وآخـرُ دعوانـا أنِ ٱلحمـدُ للهِ ربِّ ٱلعالميـنَ .



القسم الاول

القسم الدراسي



تَعرِيفٌ

بِالإِمَامِ سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ

الفصل الأول

المبحث الأول : حياة الإمام التفتازاني رحمه اللّٰه تعالى .
وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: اسمه ، وكنيته ، ولقبه

المطلب الثاني : مولده و نسبته

المطلب الثالث : اهم مصنفاته واثاره العلمية

المطلب الرابع : شيوخه وتلاميذه

المطلب الخامس : مكانته العلمية واقوال العلماء فيه ووفاته
.

الفصل الأول

المبحث الأول : حياة الإمام التفتازاني رحمه الله تعالى.

المطلب الأول: اسمه ، وكنيته ، ولقبه

أولاً : اسمه :

هو الإمام سعد الدين مسعود بن عمر القاضي فخر الدين بن عبد الله التفتازاني ، هذا بإتفاق أكثر المؤرخين والمترجمين[١] ، ما عدا ابن حجر[٢] فقد ذكره مرتين :

الأولى : في تراجم من اسمه محمود ، فقال : (محمود بن عمر بن عبد الله الفارسي الشيخ تاج الدين التفتازاني)[٣]، ولم يذكر شيئاً آخر عنه .

والأخرى : في تراجم من اسمه مسعود ، فقال : (مسعود بن عمر التفتازاني العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص ، وشرح العقائد في أصول الدين ، وشرح الشمسية في المنطق)[٤]

فالترجمة الأولى من قبيل السهو أو الوهم ، أو أريد به شخص آخر ؛ إذ لقب التفتازانيّ لم يمتزْ به عالمنا الجليل وحده ، وإنما اشترك معه غيره ، فقد ذكر صاحب « معجم المؤلفين » : أن غير المترجم له قد اشتهر بهذا اللقب مثل : والتفتازاني الحفيد يحيى بن محمد[٥] ، والتفتازاني

---

(١) ينظر : « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » : (٢٢٨٥) ، و « طبقات المفسرين » : (٣١٩٢) ، و « ديوان الإسلام » : (٣٢٤) ، و « الأعلام » : (٢١٩٧) ، و « معجم المؤلفين » : (١٢ ٢٢٨) .

(٢) هو أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد الكناني ، شهاب الدين ، ابن حجر العسقلاني ، من أكابر علماء الأمة ، أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، توفي سنة : (٨٥٢هـ) . ينظر : « كشف الظنون » : (١١٧٠) ، و « الأعلام » : (١١٧٧-١٧٨) .

(٣) ينظر : « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » : (٦٩١) .

(٤) المصدر السابق : (٦١١٢).

(٥) قطب الدين يحيى بن محمد بن مسعود بن عمر التفتازاني ، الهروي ، الحنفي ، الشهير بالحفيد ، والملقب بشيخ الإسلام ، مفسر ، توفي سنة : (٨٨٧ هـ) . ينظر : « كشف الظنون » : (٦ ٥٢٩) ، و « معجم المؤلفين » : (١٣ ٢٢٨) .

الفرضي[1] حسن بن محمد ، والتفتازاني الغنيمي[2] محمد بن عبد الرحمن .

ثانياً : كنيته :

لم تذكر كتب التراجم كنية للإمام سعد الدين التفتازاني عدا الإمام الشوكاني[3] فقد ذكر في كتابه « البدر الطالع » على أنَّه يُكنى بأبي سعيد[4].

ثالثاً: لقبه:

يُطلق عليه أحياناً سعد الدين والملة[5] أو السعد خصوصاً[6] ؛ كما أنَّه لُقب بسعد الحق والدين ، وبسيف الدين ، وسلطان العلماء الكبار ، وحافظ الدين[7].

---

(١) حسن بن محمد التفتازاني عالم ، فرضي ، أديب مشارك في بعض العلوم ، ولد في حدود سنة : (١٠٧٠ هـ) ، من آثاره : « نظم السراجبة » وشرحها وتوفي بمكة سنة : (١١٣٧ هـ) . ينظر : « معجم المؤلفين » : (٣ ٢٧٧).

(٢) محمد الغنيمي التفتازاني ، أديب ، من مشايخ المتصوفة بمصر . ولد في خطة (الغنيمية) التابعة لمدينة الزقازيق سنة : (١٨٩٣م) توفي في القاهرة سنة : (١٩٣٦م) . ينظر : « الأعلام » : (٦ ٢٨٨) ، و « معجم المؤلفين » : (١٠ ١٤٧) .

(٣) **الشوكاني** : أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، عالم ، فقيه ، مفسر ، أصولي ، متكلم ، توفي سنة : (١٢٥٠هـ) . ينظر : « الأعلام » : (٦٢٩٨) ، و « معجم المؤلفين » : (١١٥٣) .

(٤) ينظر : « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » : (٢ ٣٠٣ - ٣٠٤) .

(٥) أشتهر بهذا اللقب دون غيره من علماء عصره ؛ كونه انتهت إليه رئاسة الحنفية بزمانه ، والشريعة والعقيدة . ينظر : « شذرات الذهب » : (٨ ٥٤٩) ، و « معجم المؤلفين » : (١٢ ٢٢٨) .

(٦) يُذكر أنَّ تيمورلنك جمع بينه وبين السيد الشّريف الجرجاني، فأمر التّيمور بتقديم السّيد على السّعد ، وقال : لو فرضنا أنكما سيّان في الفضل فله شرف النّسب ، فأطلق عليه السعد . ينظر : « شذرات الذهب » : (٨ ٥٤٩) .

(٧) ينظر : « البدر الطالع » : (٢ ٣٠٣) ، و « الضوء اللامع » : (٢١٩٦) .

المطلب الثاني

مولده و نسبته :

أوَّلًا : مولده :

ولد الإمام سعد الدين في تفتازان ، وهذا باتفاق كل من ترجم له[1].

أمَّا ولادته .. فقد اختلفوا فيها ، فمنهم من ذكر أنّ ولادته كانت في سنة : (٧١٢ هـ) [2].

وذهب آخرون : إلى أنَّ مولده كان سنة : (٧٢٢ هـ) [3]، وهذا هو الراجح – والله تعالى أعلم – لما نقل صاحب مفتاح السعادة عن الشرواني[4]، وهو تلميذ للتفتازاني قوله : (لقد زرت مرقده المقدَّس بسرخس ، فوجدت مكتوباً على صندوق مرقده من جانب القدم : ولد عليه الرحمة والرضوان في صفر سنة : (٧٢٢ هـ)) [5].

ثانيًا : نسبته :

يظهر من اسمه أنّ نسبته إلى قرية تفتازان ، وهي قرية تابعة لنَسا ، من أعمال خرسان ، وخراسان بلاد واسعة ، تشتمل على أمّات من البلاد منها نيسابور ، هراة ومرو، وغيرها[6].

ونَسَا : اسم بلد ، وسبب تسميتها بهذا الأسم ؛ أنَّ المسلمين لمّا وردوا خراسان قصدوها ، فبلغ أهلها فهربوا ، ولم يتخلف عنها غير النساء ، فلما دخلها المسلمون لم يروا بها رجلاً ، فقالوا : هؤلاء نساء

---

(١) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٦ ١١٢) ، و « بغية الوعاة » : (٢ ٢٨٥) .

(٢) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٦ ١١٢) ، و « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » : (٢ ٢٨٥) .

(٣) ينظر : « البدر الطالع » : (٢ ٣٠٣) ، و « التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول » : (ص : ٤٦٤).

(٤) هو شمس الدين محمد بن إبراهيم الشرواني الشافعي ، الأستاذ العلامة ، أحد أفراد الدهر في علوم المعقولات ، توفي سنة : (٨٧٣ هـ) . ينظر : « نظم العقيان في أعيان الأعيان » : (ص : ١٣٥).

(٥) ينظر : « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » : (١١٩١) .

(٦) ينظر : « معجم البلدان » : (٣٣٥) ، « ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » : (١٢٦٦) .

والنساء لايقاتلن ، فتركوا ومضوا فسُمّوا بذلك نسا ، وإليها ينسب صاحب السنن النسائي[1].

وأحياناً يُنسب إلى أكثر من مدينة ، أو إلى مذهب شيوخه ؛ أي: التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني[2].

المطلب الثالث

أهم مصنفاته وآثاره العلمية :

يُعدّ الإمام التفتازاني صاحب تصانيف متعددة في مختلف العلوم ؛ وذلك لمدى سعة علمه ، ورسوخ قدمه ، ونبوغه في ميادين العلم والمعرفة ، حتى عُدَّ من أعلامها العالية ، وبيارقها التي يُشار إليها بالبنان فَعَلَمٌ من هذه الأعلام حتماً ترك جواهرَ ودرراً ما يظل مدى الزمان مفخرة له وللمسلمين جميعاً ، وله مصنفات شتى في أنواع علوم متعددة منها :

أوّلاً : مؤلفاته في التفسير :

- « حاشية على الكشاف » : للزمخشريّ[3]:

يقال : إنه فرغ منه في ثامن من ربيع الثاني سنة : (٧٨٩هـ) بظاهر سمرقند[4]، منه مخطوطات في برلين (رقم : ٧٩٣) ، وفي المتحف البريطاني برقم : (٣) وهو تعليقات على شرح الزمخشري[5].

---

(١) **النَّسَائِيُّ** : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، الكبير ، القاضي الإمام شيخ الإسلام ، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين. ولد سنة : (٢١٥هـ) توفي سنة : (٣٠٣ هـ) . ينظر : « تذكرة الحفاظ » : (٢ ١٩٤)، و « طبقات الحفاظ » : (١ ٣٠٦) ، و « معجم البلدان »: (٤٢٥٨) .

(٢) ينظر : « طبقات المفسرين » : (ص : ٣٠١) ، و « الأعلام » : (١٢٧٠) .

(٣) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٤٧٨) ، و « البدر الطالع » : (٢ ٣٠٣) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٣) .

(٤) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٦ » .

(٥) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٥ ١٢٠) .

• « كشف الأسرار وعدة الأبرار » : ذكره حاجي خليفة[1]، وهو تفسير للقرآن الكريم ، وصفه باللغة الفارسية ، وله نسخة مخطوطة في مكتبة يكي جامع (رقم : ٤٣)[2].

ثانيًا : مؤلفاته في علم الحديث :

• « الأربعون في الحديث » .

• « شرح الأربعين في الحديث » [3]: وقد جمع فيه بين الآراء العلمية والإشارات الروحية .

ثالثًا : مؤلفاته في علم الكلام :

• « شرح المقاصد » : سماه التفتازاني : « مقاصد الطالبين في علم أصول الدين » وهو مؤلف من ستة مقاصد : المقصد الأول : في المبادئ ، والمقصد الثاني : في الأمور العامة ، والمقصد الثالث : في الأعراض ، والمقصد الرابع : في الجواهر ، والمقصد الخامس : في الإلهيات ، والمقصد السادس : في السمعيات .[4]

• « شرح العقائد النسفية » : للشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن النسفيِّ (٥٣٧هـ) . [5]

• « شرح كتاب العضدية » : للشيخ عضد الدين الايجي شيخ التفتازاني ، شرحها التفتازاني .[6]

رابعًا : مؤلفاته في الفقه وأصول الفقه :

• « الفتاوى الحنفية » [7].

• « شرح على فرائض السجاوندي » ، يقال لها الفرائض السراجية[8].

---

(١) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٤٨٧) .

(٢) ينظر : « هدية العارفين » : (٢٤٣٠) .

(٣) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) ، و « كشف الظنون » : (١ ٨٤٧) .

(٤) ينظر : « شرح المقاصد » : (١ ٤) وما بعدها.

(٥) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٤) .

(٦) ينظر : « روضات الجنات » : (٤ ٣٤) ، و« بغية الوعاة » : (٢ ٢٨٥) .

(٧) ينظر : « روضات الجنات » : (٤ ٣٦) .

(٨) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٢٤٨) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) .

• « المفتاح » في الفقه الشافعي[1]، قال الشوكاني : فرغ من « شرح المفتاح » في شوال سنة: (٧٨٩هـ) بسمرقند ، وقيل : أنهاه في (٧٧٢هـ) في سرخس ، وقيل : في (٧٨٢هـ) ، وله نسخة في برلين (آلورات ــ ٤٦٠٤)[2].

• « اختصار شرح تلخيص الجامع الكبير »[3]، قال الخونساري : إنه فرغ من « شرح تلخيص الجامع الكبير » عام : (٧٨٥هـ) بكابل ، وفيه مخطوط في مكتبة يكي جامع برقم : (٤٢) وطبعت في دلهي عام: (١٨٧٠م)[4].

• « شرح خطبة الهداية »[5].

• « التلويح في كشف حقائق التنقيح » [6].

• « شرح لشرح المختصر على كتاب منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل » ، أتمه في خوارزم في ذي الحجة عام : (٧٧٠هـ) ، وقد طبعت هذه النسخة في بولاق عام : (١٣١٦هـ ــ ١٣١٩هـ)، ومع هذا الشرح مخطوطات محفوظة في برلين برقم: (٤٣٧٦)[7].

خامسًا : مؤلفاته في علم فقه اللغة والنحو والصرف والبلاغة :

• « النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ » ، وقد طبع مقتطفات من هذا الشرح في لندن عام : (١٧٧٢م) ، وطبع في القاهرة عام : (١٢٨٧هـ)[8].

---

(١) ينظر : « البدر الطالع » : (٢ ٣٠٣) .
(٢) ينظر : « شذرات الذهب » : (٦ ٣٠٩) ، و « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٤) .
(٣) ينظر : « كشف الظنون » : (١ ٤٧٢) .
(٤) ينظر : « شذرات الذهب » : (٦ ٣١٩) ، و « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٥) .
(٥) ينظر : « شرح العقيدة النسفية » : (ص : ٤٧) .
(٦) ينظر : « شذرات الذهب » : (٦ ٣٢٠) ، و « كشف الظنون » : (١ ٢٩٦) و « ومفتاح السعادة » : (١ ٢٠٧) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) .
(٧) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٨٥٣) ، و « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٢) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٣٠) .
(٨) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٦) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٣٠) .

• « ترجمة نثرية باللغة التركية » لديوان سعدي المعروف بالبستان ، قام بترجمته عام : (٧٥٥هـ)[١].

• « شرح التصريف » : للعزي ، أتمه في فريوق ، وقيل : كان عمره ستة عشر عامًا عندما ألفه [٢].

• « الإرشاد » ، أو « إرشاد الهادي » ، ألفه سنة : (٧٧٨هـ) بخوارزم لولده المكرم ، وقيل : أتمه في (٧٧٤هـ) [٣].

• « الإصباح في شرح ديباجة المصباح » في النحو[٤].

• « تركيب الجليل » في النحو[٥].

• « قوانين الصرف »[٦].

• « شرح العوامل » له مخطوطة في مكتبة أوقاف نينوى تحت رقم : (٩٠٠٩)[٧].

• « الشرح المطول » [٨].

• « مختصر المعاني » ، أتمه عام : (٧٥٦هـ) .[٩].

• « شرح على كتاب المفتاح » ، أتمه في سمرقند في شوال عام : (٧٨٧هـ) أو (٧٨٩هـ) منه مخطوطات في متحف الإسكوريال في إسبانيا (٢٦) ، والمكتب الهندي برقم : (٨٤٧ ــ ٨٤٨) ،

---

(١) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٦) .
(٢) ينظر : « مفتاح السعادة » : (١ ٢٠٦) ، و « شرح التصريف » : (ص : ٢) .
(٣) ينظر : « كشف الظنون » : (١ ٦٧) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) .
(٤) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) .
(٥) ينظر : « مفتاح السعادة » : (١ ٢٠٦) .
(٦) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٤٢٩) .
(٧) ينظر : « فهرس مخطوطات نينوى » : (٨ ٨٢) .
(٨) ينظر : « مفتاح السعادة » : (١ ٢٠٦) .
(٩) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٧٢٢) ، و « بغية الوعاة » : (٢ ٢٨٥) ، و « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٢) .

وليدن برقم : (٢٩٨)[١].

سادسًا: مؤلفاته في علم المنطق:

- « شرح الرسالة الشمسية » ، أتمه في جام في جمادي الآخرة عام : (٧٥٢هـ) ، طبع في لكنهو عام : (١٣٢٦هـ _ ١٩٠٥م)[٢].
- « تهذيب المنطق والكلام » ، أتمَّها في رجب عام : (٧٨٤هـ) .[٣].

المطلب الرابع

شيوخه وتلاميذه :

أولاً : شيوخه :

علمنا مما سبق أن التفتازانيَّ كان مجداً في طلب العلم ، فقد كان يطلبه من مشايخ عصره ، ولعل إصراره وجديته في طلب العلم بنية خالصة هو السبب في إكرام الله تعالى له برؤية النبي ﷺ والفتح عليه[٤]، ومن هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين تتلمذ عليهم :

١ . **عضد الدين الايجي** : هو عضد الدين عبد الرحمن بن ركن الدين عبد الغفار البكري الشيانكاري ، فقيه ، شافعي ، متكلم ، أشعري[٥]، أختلفوا في ولادته لكن الأرجح أنه ولد في عام : (٦٨٠هـ)[٦].

٢ . **ضياء الدين عبدالله بن سعدالله بن محمد بن عثمان القزويني** : يعرف بقاضي القرم العفيفي الشافعي ، أحد العلماء الأجلاء ، ما كان متقدمًا في العلم ، وكانت له حلقة يجمع بها الطلاب ، حتى

---

(١) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٧٦٣) .

(٢) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٢ – ٣٤٣) .

(٣) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٣٤٣) ، و « البدر الطالع » : (٢ ٣٠٣) .

(٤) لعل الرؤية التي رآها وتشرفه بمقابلة سيد الأنام ﷺ ؛ لدليل واضح على عشقه للنبي ﷺ وصدق نيته ، وصفاء قلبه ، ومدى زهده في الدنيا . ينظر : « فيض القدير » : (٦ ١٣٣) ، و « شذرات الذهب » : (٦ ٣٢١) .

(٥) ينظر : « طبقات الشافعية » : (٦ ١٠٨) .

(٦) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٥ ٢٧٨) .

أن التفتازاني قرأ عليه وسمع منه[1]، وتوفي في الثالث من ذي الحجة من عام: (٧٨٠هـ) بالقاهرة [2].

٣ . **قطب الدين محمد بن محمد الرازي** : وقيل : محمود بن محمد الرازي المعروف بالقطب التحتاني ، وسمي بالتحتاني تمييزاً له من آخر ساكن فوقه[3] ، وهو إمام بارز في المعقولات ، اشتهر اسمه وذاع صيته ، إمام عارف بالتفسير والمعاني والبيان ، مشاركًا في النحو يتوقد ذكاءً[4].

٤ . **نسيم الدين أبو عبدالله** : محمد بن سعيد بن مسعود بن محمد بن علي النيسابوري ، ثم الكارزوني الفقيه الشافعي ، قال التفتازاني في شرح الأربعين : (أخبرني الشيخ الولي العارف ، أستاذ المحدثين ، عفيف الملة والدين ، محمد بن سعيد الكارزوني سماعًا عليه وإجازة ...)[5] .

قيل عنه : كان حسن التعليم ، غاية في الورع والتقوى ، وأنتفع به جماعة من أهل مكة وأخرون ، توفي في عام : (٨٠١هـ)[6].

٥ . **أحمد بن عبد الوهاب القوصي** : سعد الدين أحمد بن عبد الوهاب بن داود بن علي القوصي ، ولد في قوص جنوب الصعيد ، رحل إلى القاهرة ثم الشام ثم العراق ، وذهب إلى خراسان ، وأخذ التفتازاني عنه كما نص على ذلك ، حيث قال : (أخبرني أحمد بن السيد عبد الوهاب المصري المحمدي سماعًا عليه) [7]، ثم بقي الشيخ مقيمًا في شيراز إلى أن مات في ربيع الآخر سنة : (٨٠٣ هـ)[8].

٦ . **أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السهناني** : يلقب بعلاء الدين وركن الدين ، ولد في ذي الحجة سنة : (٦٥٩هـ) ، وتفقه وطلب العلم والحديث ، وقد حج مرارًا ، وكان إمامًا كثير التلاوة ، وكان مليح الشكل ، حسن الخلق ، كثير البر ، له مصنفات تزيد على الثلاثة مائة مصنف ، أهمها : «

---

(١) ينظر : « شذرات الذهب » : (٣ ٢٦٦) .
(٢) ينظر : « شذرات الذهب » : (٣ ٢٦٦) ، و « النجوم الزاهرة » : (١١ ١٩٣) ، و « الدرر الكامنة » : (٢ ٣٠٩) .
(٣) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٤ ٣٣٩) ، و « طبقات الشافعية » : (ص : ٣٢٢ ٣٢٣) .
(٤) ينظر : « طبقات الشافعية » : (٦ ٣١) ، و « أبجد العلوم » : (٣ ١٠٦) .
(٥) ينظر : « شرح الأحاديث الأربعين » : (ص : ٦) .
(٦) ينظر : « شذرات الذهب » : (٤ ١١ – ١٢) .
(٧) ينظر : « شرح الأربعين » : (ص : ٥) ، و « شذرات الذهب » : (٤ ٢٥) .
(٨) ينظر : « شذرات الذهب » : (٤ ٢٥) .

مدارج المعارج » ، توفي سنة : (٧٣٦هـ)[1].

وقد أشار التفتازاني إلى أنه أخذ عن السمعاني في قوله في مقدمة كتابه « المطول » : إنه راجع في الشرح الفضلاء ، فقال : محمد معز الدين : وهم علاء الدين السمعاني ، وناصر الدين الترمذي ، وبهاء الدين الحلواني[2].

ثانيًا : تلاميذه :

لا شَكَّ أن عالماً مثل التفتازاني قد ذاع صيته في الآفاق ، وعدّ من أكابر العلماء أن يتسابق طلبة العلم لكي ينهلوا من معين علمه ، وينتظموا في حلقته ، ومن أشهر هؤلاء الطلبة :

١ . **حسام الدين بن علي بن محمد الأَيْبِوَرْدي** : حسام الدين بن علي بن محمد الأيبوردي (بفتح الهمزة والواو، وسكون التحتية ، وكسر الباء ، وسكون الراء)، ولد سنة : (٧٦١هـ) بأيبورد بلدة بخراسان ، لازم التفتازاني ملازمة جيدة ، ثم رحل إلى بغداد سنة : (٧٨٣هـ) وقرأ بها على الشهاب الكردي الحاوي في الفقه ، والغاية القصوى ، ولازم فيها الشمس الكرماني[3].

٢ . **حميد الشيرازي** : هو برهان الدين حيدر بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الخوافي ، تلميذ التفتازاني المعروف بالصدر الهروي ولد سنة : (٧٨٠هـ) ، من تصانيفه : « الإيضاح في شرح إيضاح المعاني » ، و « حاشية على الكشاف » ، و « شرح فرائض السراجية » ، و « شرح المواقف في علم الكلام »[4].

قال عنه السيوطي : كان علامة بالمعاني والبيان والعربية وأخذ عن التفتازاني[5].

ويقول عنه السخاوي : برهان الدين مدرسة القزارية بشيراز[6].

---

(١) ينظر : « الدرر الكامنة » : (١ ٢٥) ، و « المطول » : (ص : ٤) ، و « شذرات الذهب » : (٣ ١٢٥) .

(٢) ينظر : « المطول » : (ص : ٤) ، و : « كشف الظنون » : (٢ ١٧٦٣) .

(٣) ينظر : « الضوء اللامع » : (٣ ١٠٩) وما بعدها.

(٤) ينظر : « مفتاح السعادة » : (١ ٢١١) ، و « أبجد العلوم » : (٣ ٥٨) ، و « هدية العارفين » : (١ ٣٤١) .

(٥) ينظر : « شذرات الذهب » : (٧ ١٤٥) .

(٦) ينظر : « الضوء اللامع » : (٣ ١٦٩) .

٣ . **علاء الدين الرومي** : هو علاء الدين أبو الحسن علي بن مصلح الدين ، موسى بن إبراهيم الرومي الحنفي الشيخ العلامة ، ولد سنة : (٧٥٦هـ) ، وكان فقيهًا بارعًا مفننًا في علوم شتى ، تخرج على الشريف والسعد التفتازاني ، وحضر أبحاثهما بحضرة تيمور[١] وغيره فكان يحفظ تلك الأسئلة والأجوبة المفحمة ويتقنها[٢].

٤ . **علاء الدين البخاري** : محمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي العلامة ، علامة الوقت ، قال ابن حجر : ولد سنة : (٧٧٩هـ) ، أخذ الأدبيات والعقليات عن التفتازاني ، رحل في طلب العلم إلى الأقطار والأمصار ، ثم رحل إلى الشام وتوفي فيها سنة : (٨٤٠هـ)[٣].

٥ . **يوسف الحلاج** : يوسف الجمال الحلاج الهروي الشافعي ، والد الشمس محمد الماضي ممن أخذ عن التفتازاني ، وشرح الحاوي متوسطًا ، وانتفع به الفضلاء.

يصفه تلميذه التقي الحسني بقوله : ممن تشد له الرحال ، ويعول عليه في كشف المقال والحال ، زبدة الأفاضل الماهرين ، الماجد الهمام جمال الدنيا والدين[٤].

٦ . **فتح الله الشرواني** : فتح الله بن عبدالله الشرواني الرومي الحنفي ، أخذ عن التفتازاني العلوم العقلية والشرعية ، من تصانيفه : « شرح كتاب إرشاد الهادي » في النحو ، توفي سنة : (٨٥٧ هـ)[٥].

٧ . **محمد السرائي** : هو يوسف بن الحسن بن محمود السرائي ، وكان ممن أخذ عن التفتازاني وغيره[٦].

٨ . **شهاب الدين محمد** :عبد الرحمن بن أحمد المشهور بنور الدين الجامي ، حيث أنتقل إلى هراة

---

(١) **تيمورلنك** : أحد القادة العسكريين، اشتهر بالعنف والتخريب ، ولد سنة (١٣٣٦م) بالقرب من سمرقند ، ومات فيها سنة (١٤٠٥م) بينما كان ينوي غزو الصين . ينظر : « تاريخ الدولة العلية » : (ص : ٩٠) .

(٢) ينظر : « شذرات الذهب » : (٧ ٢٤١) .

(٣) ينظر : « شذرات الذهب » : (٧ ١٤١) ، و « النجوم الزاهرة » : (١٥ ٢١٥) .

(٤) ينظر : « الضوء اللامع » : (١٠ ٣٣٩) .

(٥) ينظر : « كشف الظنون » : (١ ٦٧) ، و « مفتاح السعادة » : (١ ٢٠٦) .

(٦) ينظر : « الضوء اللامع » : (١٠ ٣١٠) .

وأقام في المدرسة النظامية[1][2].

٩. **الشمس الكريمي** : هو محمد بن فضل الله بن المجد أحمد الشمس الكريمي ، نسبة لبعض مشايخ خوارزم ، وقيل : لأبيه كريم الدين الخوارزمي المولد ، البخاري المنشأ ، السمرقندي المسكن ، الحنفي ويعرف في بلاده بالخطيبي ، وبين المصريين بالكريمي ، ولد سنة : (٧٧٣هـ) بخوارزم ، ثم انتقل به أبوه إلى بخارى فقرأ بها القرآن ، وأخذ النحو عن المولى عبد الرحمن ، وكان يحضر عند التفتازاني ويأخذ منه[3].

١٠ . **لطف الله السمرقندي** : ذكره الإمام السخاوي في ترجمة الإمام إبراهيم بن علي الشهاوي حيث قال : وقد أخذ المعاني والبيان والمنطق وأصول الدين عن لطف الله السمرقندي ، تلميذ سعد الدين التفتازاني .

وقد ترجم له السخاوي أيضًا في الأسماء التي تبدأ باللام والطاء فقال: لطف الله السمرقندي أحد تلامذة التفتازاني[4].

وبعد :

فهذه مجموعة من العمالقة ممن تتلمذوا على سعد الدين التفتازاني ، حيث جلسوا بين يديه ، وتلقوا منه العلم مشافهة ، واستمعوا إلى حديثه ، وألوان معرفته ، مما يشهد له بأنه بحر زاخر في ميدان العلم ، وأنه جامع لأنواع من العلوم من معقولها ومنقولها فرحمة الله عليه ، كان مدرسة غنية بالمعرفة ، ثرية بالعطاء ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

---

(١) **المدرسة النظامية** : أنشأها الوزير نظام الملك المتوفى سنة : (٤٨٥ هـ) ببغداد عام : (٤٥٩هـ) في ذي القعدة وهي أول مدرسة بنيت في الإِسلام . ينظر : « البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان » : (١٢٩١) ، و « العبر في خبر من غبر » : (٣ ٢٤٦) .

(٢) ينظر : « الفوائد » : (٧٤ – ٧٥) .

(٣) ينظر : « الضوء اللامع » : (٤ ٢٩٣) .

(٤) ينظر : « الضوء اللامع » : (١ ٨٦) .

المطلب الخامس

أشهر العلماء المعاصرين له ، ومكانته العلمية وأقوال العلماء فيه ، ووفاته:

أولاً : أشهر العلماء المعاصرين له :

ابن القيم الجوزية(٦٩١هـ - ٧٥١هـ) : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرير الزرعي ، ثم الدمشقي شمس الدين ، أبو عبدالله ، الفقيه الأصولي ، المفسر ، النحوي العارف ، تفقه في المذهب الحنفي ، ولازم الشيخ ابن تيمية ، وأخذ عنه ، وكان دقيق الاستنباط ، عارفًا بالتفسير ، صنف تصانيف كثيرة في أنواع من العلوم [١].

بهاء الدين السبكي(٧٠٧هـ - ٧٧٧هـ) : أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي الشافعي ، كان عالمًا كبيرًا وفقيهًا ، وتفقه على إمام الشافعية نجم الدين بن رفعة ، توفي سنة : (٧٧٧هـ) ، ودفن في سفح قاسيون[٢].

أكمل الدين البايرتي: هو أكمل الدين محمد بن شمس الدين بن كمال الدين بن محمود بن أحمد الرومي البايرتي الحنفي ، ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة ، واشتغل بالعلم ، ورحل إلى حلب ، وأقام بها مدة ، ثم قدم القاهرة بعد سنة أربعين ودرس عند العلماء فيها. [٣].

شمس الدين الكرماني (٧١٧هـ - ٧٨٦هـ) : الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن عبد الكريم الكرماني الشافعي ، نزيل بغداد ، اشتغل بالعلم عن والده ، ثم طاف بالبلاد ودخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم استوطن بغداد ، كان متواضعًا بارًا بأهل العلم.[٤].

الإمام العلامة ابن رجب الحنبلي(٧٣٦هـ- ٧٩٥هـ) : هو الإمام العلامة الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب أبو الحسن البغدادي ، ثم الدمشقي زين الدين أبو الفرج ، الشهير بابن رجب

---

(١) ينظر : « المقصد الارشد » : (ص : ٧٣٨) ، و « الدرر الكامنة » : (٤ ٢١) .

(٢) ينظر : « شذرات الذهب » : (٦ ٣٥٣ - ٣٥٤) ، و « الدرر الكامنة » : (٤ ١٠٩ - ١١٠) .

(٣) ينظر : « طبقات الفقهاء » : (ص : ١٢٧) ، و « شذرات الذهب » : (٦ ٢٩٢) .

(٤) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٥ ٧٧) ، و « شذرات الذهب » : (٦ ٢٩٤) .

الحنبلي ، ولد سنة : (٧٣٦هـ) في بغداد ، وتوفي في سنة : (٧٩٥هـ)[١].

ابن مفلح الدمشقي الشافعي (٧٣٩هـ- ٧٨٩هـ) : هو الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء الياسوفي الدمشقي الشافعي ، سمع كثيرًا ، واشتغل بالفنون ، وحدث وأفاد ، أوذي في فتنة الفقهاء القائمين على الملك الظاهر ، فسجن حتى مات في السجن ، كان أمّارًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، صنف تصنيفًا حسنًا في منع الخروج على الأمراء ، وصار في أخر حياته يسلك مسلك الاجتهاد ، ويصرّح بتخطئة الكبار[٢].

بدر الدين الزركشي (٧٤٥هـ- ٧٩٤هـ) : محمد بن بهادر بن عبدالله بدر الدين الزركشي أبو عبدالله ، ولد في مصر ، وكان أبوه من الأتراك مملوكًا لبعض الأكابر ، فتعلم في صغره صناعة الزركش[٣]، كان أديبًا فاضلاً ، ومحدثًا ، وفقيهًا ، منقطعًا إلى الاشتغال بالعلم لا يسأل عنه بشيء ، توفي في رجب سنة : (٧٩٤هـ) .[٤].

ثانياً : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه :

شيخ أطبقت شهرته على الآفاق ، وتخطت السدود والحدود ؛ وذلك تجده بعد تجوالك في روضة التفتازاني ، وتنظر وتتمعن إلى زهرات حقول علمه ، ومعرفته الواسعة ، فإنك سَتَشُمَ أريج مصنفاته وعطرها ، ومؤلفاته التي كانت تشمل اللغة ، والتفسير ، والكلام ، والفقه وأصوله ، والشعر وغيره.

وقد عرف ابنُ خلدون فضل التفتازاني ، واطلع على مصنفاته في علم البيان والكلام ، وأصول الفقه ، ووصفه بانه من عظماء هراة ، وأشاد بمكانته في العلوم العقلية ، وذلك حيث قال : (ولقد وقفت بمصر على تآليف في المعقول متعددة لرجل من عظماء هراة ، من بلاد خراسان ، يشتهر بسعد الدين التفتازاني ، منها في علم الكلام ، وأصول الفقه ، والبيان ، تشهد بأن له ملكة راسخة في هذه العلوم ، وفي أثنائها ما يدل له على أن له اطلاعاً على العلوم الحكمية وتضلعاً بها وقدماً عالية في سائر

---

(١) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٢ ٤٢٨- ٤٢٩) ، و « شذرات الذهب » : (٦ ٣٣٩) .

(٢) ينظر : الدرر الكامنة لأبن حجر: ٢ ٢٦١-٢٦٤, وشذرات الذهب لأبن العماد: ٦ ٣٠٧.

(٣) **الزركش** : الحرير المنسوج بالذهب ، أو الثوب المُذهَّب ، أو الثوب تطرز حواشيه بخيوط الذهب . ينظر : « معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي » : (١ ٨٧) ، و « المعجم العربي لأسماء الملابس » : (١ ٢٠) .

(٤) ينظر : « شذرات الذهب » : (٧ ٤٩ » ، و « النجوم الزاهرة » : (١٢ ١٣٤) .

الفنون العقلية)[١].

وإذا انتقلنا إلى ابن حجر العسقلاني وهو من هو في علم الرجال ، فإنه يصفه بأنه لم يخلف مثله ، قال : (كان من أعاظم علماء العربية ، وأفاضل محققيهم المتبحرين ، ومصنفاته الجمة تدل على عظم عقله ، وجودة فهمه ، ووفور علمه ، ومتانة رأيه ، واستقامة سليقته ، وكثرة إحاطته ، وحسن تصرفه ، وتمامية فضله ، وكونه علّامة من العلماء ، ومحققًا في فنون شتى مع أن الجامعية والتحقيق قلما يجتمعان في رجل واحد ، وله غير ذلك من التصانيف في أنواع العلوم الذي تنافس الأئمة في تحصيلها والاعتناء بها ، وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم)[٢].

فلذلك رأى ابن حجر العسقلاني في التفتازاني رجلاً يختلف عن كثير من الرجال في سلامة عقله ، وإصابة رأيه ، فهو لا يكتب في علم من العلوم ، ولا يقتصر على فن من الفنون ، ولكنه يتناول العلوم الشرعية ، واللغوية ، ويتبحر في كل فرع من فروعها ، وفي كل فن من فنونها.

وفي العصر الحديث تقول عنه دائرة المعارف الإسلامية : (التفتازانى سعد الدين مسعود بن عمر حجة مشهور في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة والكلام والفقه وغيرها من العلوم، وله كتب مدرسية كثيرة ما زالت تُعلم في مدارس المشرق)[٣].

هذا هو الإمام التفتازاني في عيون العلماء ، وفي عقول الأدباء والمؤرخين ، فرحمه الله ورضي عنه بما قدم وخدم للعلم وطلبته ، ونفع العلماء والناس بما قدمه من خير للإسلام والمسلمين.

---

(١) ينظر : « مقدمة ابن خلدون » : (١ ٢٩٢) .

(٢) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٦ ١١٢) .

(٣) ينظر : « دائرة المعارف الإسلامية » : (٨ ٢٢٩٩) .

ثالثًا : وفاته :

اختلف المترجمون في وفاته ، فمنهم من ذكر أنَّه توفي سنة : (٧٩١هـ) الموافق : (١٣٨٩م)[١].

ومنهم من ذهب إلى أنَّه توفي في يوم الإثنين من سنة : (٧٩٢هـ) بسمرقند ، ونقل إلى سرخس ودفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى[٢].

وقد ذكرت تواريخ أخرى لوفاته بأنَّه : توفي في (٢٢) محرم سنة : (٧٩٣هـ)[٣].

والراجح في وفاته والله تعالى أعلم بأنَّه توفي في سنة : (٧٩٢هـ) ؛ وذلك لذكر الزمان والمكان الذي توفي فيه بالتفصيل .

وقيل في سبب موته : أنَّ تيمورلنك جمع بينه وبين السيد الشريف ، فأمر بتقديم السيد الشريف على السعد ، وقال : لو فرضنا أنكما سيان في الفضل فله شرف النسب ، فحزن حزناً شديداً ، فما لبث حتى مات[٤].

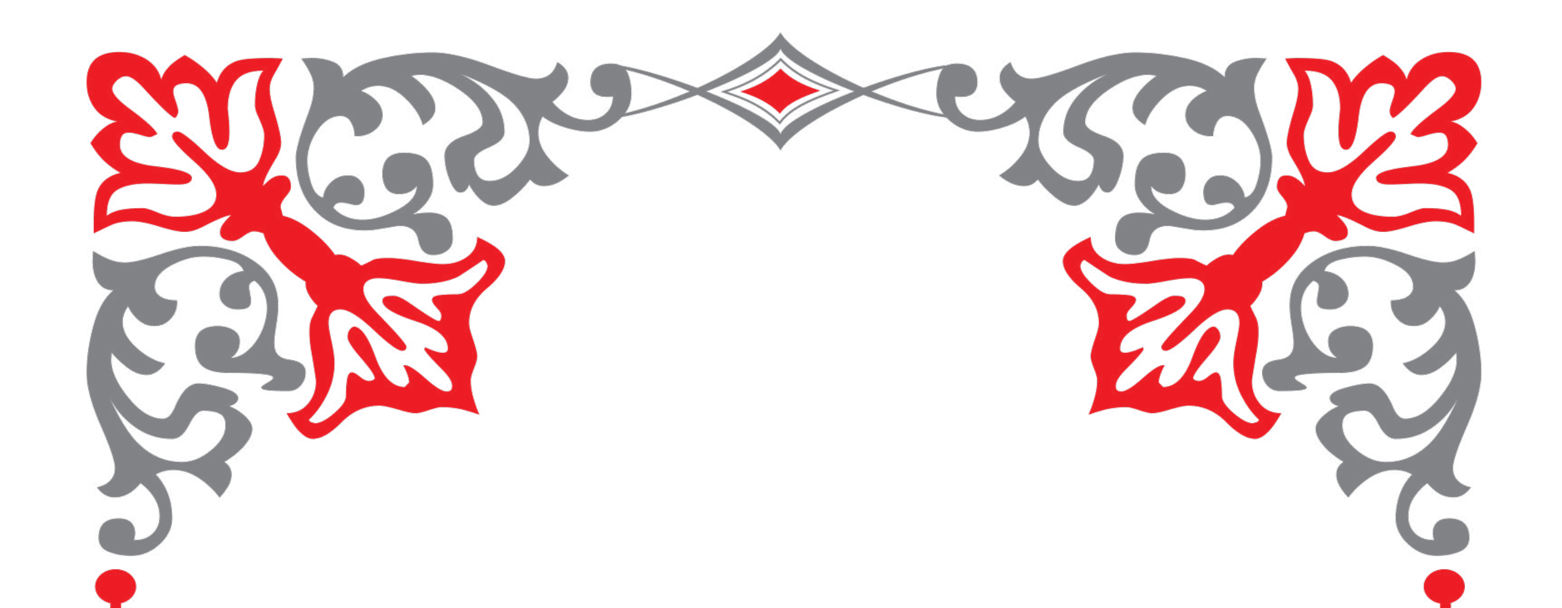
---

(١) ينظر : « الدرر الكامنة » : (٦١١٣) ، و « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » : (١٦٧٤) ، و « الأعلام » : (٢٨٥) .

(٢) ينظر : « البدر الطالع » : (٢٣٠٤) ، و « الدرر الكامنة » : (٦١١٢) ، و « طبقات المفسرين » : (ص : ٣٠١) ، و « الأعلام » : (٢١٩٧) .

(٣) ينظر : « تاريخ الخلفاء » : (٢٢٨٥) ، و « معجم المفسرين » : (١١١٣) .

(٤) ينظر : « شذرات الذهب » : (٦٣٢٠) .



تَعۡرِيفٌ

بِٱلۡإِمَامِ شَمۡسِ ٱلدِّينِ ٱلدَّلۡجِيِّ

رحمه الله

الفصل الأول

المبحث الثاني : حياة الإمام الدلجي رحمه اللّه تعالى .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: حياته الشخصية

المطلب الثاني : حياته العلمية

المطلب الثالث : الحالة السياسية والاجتماعية في عصره .

المبحث الثاني

حياة الدلجي الشخصية والعلمية

المطلب الأول

حياته الشخصية

أَوَّلاً : ٱسْمُهُ :

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ٱلدَّلْجِيُّ ٱلْعُثْمَانِيُّ ٱلشَّافِعِيُّ (١).

ثَانِياً : نَسَبُهُ :

يُنْسَبُ إِلَىٰ دَلْجَةَ : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَسُكُونِ ثَانِيهِ ، وَجِيمٍ ، وَدَلْجَةُ قَرْيَةٌ (٢) بِصَعِيدِ مِصْرَ مِنْ غَرْبِيِّ ٱلنِّيلِ فِي ٱلْجَبَلِ ، بَعِيدَةٌ عَنِ ٱلشَّاطِئِ (٣).

ثَالِثاً : كُنْيَتُهُ :

لِلدَّلْجِيِّ كُنْيَتَانِ هُمَا : أَبُو ٱلْفَضْلِ ، وَأَبُو عَبْدِ ٱللهِ (٤).

رَابِعاً : لَقَبُهُ :

يُلَقَّبُ بِشَمْسِ ٱلدِّينِ ، وَبِٱلدَّلْجِيِّ (٥).

---

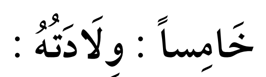
(١) ينظر : « شذرات الذهب » : (١٠٣٨٦) ، و « الضوء اللامع » : (٩ ٢٠٠) ، و « الكواكب السائرة » : (٢ ٦) ، و « ديوان الإسلام » : (٢ ٢٧٧).

(٢) قرية دلجا إحدى قرى صعيد مصر التابع لمحافظة المنيا ، وهي تبعد عن القاهرة حوالي (٣٥٠ كم) ، يحدها من الجانب الشرقي بحر يوسف ومن الجانب الغربي الطريق الصحراوي . ينظر : « معجم البلدان » : (١١٤٨) .

(٣) ينظر : « معجم البلدان » : (٢٤٦٠) ، و « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » : (٢ ٥٣١) .

(٤) ينظر : « معجم المؤلفين » : (٨٢٢٩) ، و « الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة » : (١ ٢١٨) .

(٥) ينظر : « الكواكب » : (٢٦) ، و « الحطة في ذكر الصحاح الستة » : (١ ١٩١) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٢٣٧) .



خَامِساً : وِلَادَتُهُ :

وُلِدَ سَنَةَ سِتِينَ وَ ثَمَانِ مِائَةٍ تَقْرِيباً بِدَلْجَةَ ، (٨٦٠ هـ - ١٤٥٦م)[١].

ٱلْمَطْلَبُ ٱلثَّانِي

حَيَاتُهُ ٱلْعِلْمِيَّةُ

أَوَّلاً : طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ :

حَفِظَ ٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ بِمَدِينَةِ دَلْجَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ ٱلْقَاهِرَةَ ، وَدَرَسَ فِي ٱلْأَزْهَرِ ، فَقَرَأَ « ٱلتَّنْبِيهَ » وَهُوَ مِنْ كُتُبِ ٱلشَّافِعِيَّةِ ٱلْمُهِمَّةِ لِلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ ٱلْفَقِيهِ ٱلشِّيرَازِيّ ، ٱلشَّافِعِيّ ٱلْمُتَوَفَىٰ سَنَةَ : (٤٧٢ هـ)[٢]، وَهُوَ أَحَدُ ٱلْكُتُبِ ٱلْخَمْسَةِ ٱلْمَشْهُورَةِ بَيْنَ ٱلشَّافِعِيَّةِ ؛ كَمَا ذَكَرَ ٱلنَّوَوِيُّ فِي « تَهْذِيبِهِ »[٣].

وَدَرَسَ وَتَرَعْرَعَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ حَتَّىٰ أَخَذَ يُسَافِرُ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلشَّرْعِيّ ، وَيَدْرُسُ عَلَىٰ يَدِ ٱلْعُلَمَاءِ رَغْمَ أَنَّهُ وُلِدَ يَتِيماً ، وَعَاشَ فَقِيراً ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ ، وَبَقِيَ فِيهَا أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ ، وَأَخَذَ عَنْ عُلَمَائِهَا.

ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ حَلَبَ إِلَىٰ دِمَشْقَ وَبَقِيَ ثَلَاثِينَ سَنَةً[٤] فَأَصْبَحَ نَابِغَةً فِي ٱلْحَدِيثِ ، وَٱللُّغَةِ ، وَٱلْفِقْهِ ، وَٱلْبَلَاغَةِ ، وَٱلْأَدَبِ ، وَغَيْرِهَا.

ثم سافر من الشام إِلَىٰ مكة المكرمة وسكن فيها ، وأخذ يؤلف ويختصر كتاب « المنهاج »[٥]، ولما

(١) ينظر : « الضوء اللامع » : (٩ ٢٠٠) ، و « الأعلام » : (٥٦٧) ، وَ « شذرات الذهب » : (١٠ ٣٨٦) .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري ، ويلقب جمال الدين ولد سنة : (٣٩٣ هـ) ، في بلدة فيروز آباد - بكسر الفاء أو فتحها - ، توفي سنة : (٤١٣هـ) . ينظر : « طبقات الفقهاء للشيرازي » : (١١) .

(٣) ينظر « تهذيب الأسماء واللغات » : (١ ١٧٤) .

(٤) ينظر : « معجم المؤلفين » : (١١٢٦٥) ، و « الخطط التوفيقية » : (١١ ٤٨) .

(٥) كتاب : « المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج » أختصره الإمام الدلجي « رحمه الله تعالى » . ينظر : « كشف الظنون » : (١ ٥٥٥) .

اشتد الغلاء بمكة توجه بحرًا للشام وسافر إِلَىٰ بلاد الروم[1] والتقى بسلطانها بايزيد خان[2]، ووحج من بلاد الشام وعاد إِلَىٰ مصر ودرس عَلَىٰ يديه الكثير من طلاب العلم حتى توفي بالقاهرة [3].

ثانيًا : أبرز شيوخه :

دَرَسَ عَلَىٰ يد الكثير من العلماء والقضاة ، وخصوصاً في سفره بين الدول حيث زاد من علمه وتنوعت شيوخه بين الامصار عن طريق رحلاته العلمية في ربوع الأرض ، وطلب العلم في مصر والشام ومكة المكرمة عدّة شيوخ فقد نهل منهم أكثر العلوم النقلية والعقلية ، وكانوا شيوخ عصره وكان حريصًا عَلَىٰ ملازمتهم والأخذ من علومهم ، منهم :

١ . **البرهان البقاعي** : هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، ابو الحسن برهان الدين ، مؤرخ أديب ، ولد سنة : (٨٠٩ هـ) ، أصله من البقاع في سوريا ، وسكن دمشق ورحل إِلَىٰ بيت المقدس والقاهرة[4]، قرأ محمد الدلجي عليه صحيح مسلم وغيره .

٢. **ملا زاده** : هو أحمد بن عثمان الشهير بملا زاده الحرخي السمرقندي الخطابي الشافعي ، دخل بلاد العرب وكان فقيهًا عارفًا بالقراءات ، وأخذ الدلجي عنه أصول الفقه ، وقرأ في المنطق وبعض المطول عَلَىٰ ملا زاده ، وتوفي بحدود سنة : (٩٠٠ هـ) [5].

٣ . **الزين خطاب بن عمر** :هو خطاب بن عمر بن خطاب الدنجيهي الأزهري الشافعي ، أخذ عنه الدلجي في دمشق الفقه ودرس عَلَىٰ يديه سنتين[6].

٤. **الإمام المحدث شمس الدين السخاوي** : محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، شمس الدين

---

(١) بلاد الروم قديما يشير الى بلاد تركيا في هذا الزمان .

(٢) السلطان الأعظم بايزيد خان الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني ، ثامن السلاطين العثمانيين ، عاش بين عامي (٨٥١ هـ – ٩١٦ هـ) ، و توفي سنة : (٩١٨هـ) . ينظر : « شذرات الذهب » : (٨ ٨٥ – ٨٦) ، و « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : (١١٧٩) .

(٣) ينظر : « الضوء اللامع » : (١١ ٤٨ – ٤٩) ، و « الكواكب السائرة » : (٢ ٧) .

(٤) ينظر : « الضوء اللامع » : (٤ ٣٩٧) .

(٥) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١١٤٥) ، و « هدية العارفين » : (١ ١٥٦) .

(٦) ينظر : « الضوء اللامع » : (٣ ١٨١) ، و « كشف الظنون » : (١ ٤٩٩) .

السخاوي ، مؤرخ ، حجة ، وعالم بالحديث ، والتفسير ، والأدب ، أصله من سخا من قرى مصر ، ومولده في القاهرة سنة : (٨٣١ هـ) ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة : (٩٠٢ هـ)[١].

٥. **أبو بكر بن عبدالله بن عبدالرحمن** : أبو الصدق تقي الدين بن القاضي عجلون الزرعي الدمشقي ولد سنة : (٨٤١ هـ) فقيه ، انتهت اليه رئاسة الشافعية في عصره، مولده ووفاته بدمشق ، كان شديد الإنكار عَلَىٰ ما يخالف ظاهر الشرع من أعمال الدراويش ، توفي سنة: (٩٢٨هـ)[٢].

٦. **المحب البصروي** : هو محمد بن خليل المحب البصروي الدمشقي أحد أعيان شافعيتها ، مات قريباً من سنة تسع وثمانين عن بضع وستين، ودفن بمقابر باب التوتة عند أبيه وأقاربه. وهو ممن تقدم في النحو ، والفرائض ، والحساب ، والعروض ، مع الفقه ، والمشاركة في غيرها ، درس عليه محمد الدلجي اللغة والعروض بل قرأ عليه بعض شرحه عَلَىٰ « الإرشاد » ومصنفه في الفرائض وشرحه بكمالهما[٣].

٧ . **الحافظ برهان الدين الناجي** : إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر ، برهان الدين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشافعيّ الناجي واعظ ، عارف بالحديث توفي بدمشق .[٤].

٨ . **قاضي ٱلقضاة قطب ٱلدين ٱلخيضِري** :[٥]. الحافظ قطب الدين محمد بن محمد بن عبد ٱلله بن خيضر ، بكسر الضاد ، الخيضِري الزبيدي الدمشقي الشافعي ، الحافظ قطب ٱلدين ، ولد سنة (٨٢١هـ) وتوفي سنة : (٨٩٤هـ)[٦].

ثالثاً : أهم تلاميذه :

ممّا لا ريب فيه أن ٱلشمس الدلجي « رحمه الله » خلّفَ أثرًا كبيرًا من الآثار العلمية منها تلاميذ نهلوا عنه العلم ، ورغم ترحاله في انحاء البلاد الاسلامية ، وكثرة تردده عَلَىٰ علمائها ، وقد درس ودرّس

---

(١) ينظر : « الأعلام » : (٦ ١٩٤ - ١٩٥) ، و « شذرات الذهب » : (٨ ٢٦٧) ، و « الضوء اللامع » : (٤ ٣٩٧) .
(٢) ينظر : « الكواكب السائرة » : (١١١٣) ، و « النور السافر » : (ص : ٨١) ، و « شذرات الذهب » : (٨٣٩) .
(٣) ينظر : « الضوء اللامع » : (٧ ٢٣٧) .
(٤) ينظر : « شذرات الذهب » (٧ ٣٦٥) ، و « الضوء اللامع » : (١ ١٦٦) ، و « الأعلام » : (١ ٦٥) .
(٥) المصدر السابق : (٨ ٢٦٧) .
(٦) ينظر : « نظم العقيان في أعيان الأعيان » : (١١٦٢) .

في هذه البلدان عَلَىٰ يديه الكثير من طلاب العلم الذين أصبح لهم شأن عظيم ومكانةٌ كريمةٌ ، من هؤلاء :

١ . **علي بن علي الشيخ النسفي** : هو الإمام العلامة ، الفقيه النبيه الفهامة ، نور الدين النسفي ، المصري ، ثم الدمشقي الشافعي ، توفي سنة : (٩٧٨ هـ)(١).

٢. **النجم الغيطي** : نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي الأسكندري الشافعي ، حافظ العصر من المتأخرين ، ودرس عَلَىٰ يدي محمد الدلجي (٢)، وأخذ عنه القرآن العظيم ، له مؤلفات منها : المعراج المشهور(٣)، والقول القويم في إقطاع تميم(٤)، توفي سنة : (٩٨٤هـ)(٥).

٣.محمد بن عمر : الملقب شمس الدين بن سراج الدين بن سراج الدين الحانوتي المصري الفقيه الحنفي كان رأس المذهب في عصره بالقاهرة يرجع اليه أمر الفتوى والرئاسة ، وكان فقيهًا واسع المحفوظ ، له الفتاوى المشهورة وهي في مجلد كبير مرغوبة يعتمدها الفقهاء في زمانه ، ولادته ليلة الجمعة التاسع عشر من صفر سنة : (٩٢٨هـ) ، وتوفى بالقاهرة عام (١٠١٠هـ)(٦).

٤. **المشرقي** : محمد بن محمد علي الشيخ العلامة المعمر المسند الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الغزي، الأزهري ، الشافعي المعروف بابن المشرقي ميلاده بغزة في أوائل صفر سنة : (٩٠٠هـ) ، وتوفي سنة (٩٨٠هـ)(٧).

٥. أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري : شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو العباس ، فقيه باحث مصري ، مولده في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر واليها نسبته صاحب التصانيف ، و توفي سنة : (**٩٧٣هـ**) (٨) .

(١) ينظر : « الكواكب السائرة » : (١ ٤٥٢) ، و « شذرات الذهب » : (٨ ٤٢١) .

(٢) ينظر : « فهرس الفهارس » : (٢ ٦٦٨) .

(٣) ينظر : « هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » : (٢ ٢٥٣) .

(٤) ينظر : « إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون » : (٤ ٢٥١) .

(٥) ينظر: ديوان الإسلام شمس الدين أبو المعالي الغزي: ٣ ٣٩٦.

(٦) ينظر : « خلاصة الأثر » : (٤٧٦) .

(٧) ينظر : « البدر الطالع » : (١١٠٩) ، و « معجم المؤلفين » : (٢١٥٢) ، و « الأعلام » : (١٢٢٣) .

(٨) ينظر : « البدر الطالع » : (١١٠٩) ، و « معجم المؤلفين » : (٢١٥٢) ، و « الأعلام » : (١٢٢٣) .

٦. **علي بن محمد بن عز الدين بن محمد الصغير بن عز الدين بن محمد الكبير بن خليل** ، أقضى القضاة علاء الدين الحاضري ، توفي في شوال (٩٣٧هـ)[١].

٧ . **الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي** : رحل إِلَىٰ مصر وأقام في البرقوقية من صحراء مصر وتوفي بها(٩٤٢ هـ) كان عالمًا متفننًا في العلوم ، والف في السيرة النبوية التي جمعها من كتب كثيرة ، وأقبل الناس عَلَىٰ كتابتها ، ومشى فيها عَلَىٰ أنموذج لم يسبقه اليه أحد وهو « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد »[٢].

٨ . **السنفي** : علي بن علي الشيخ الإمام العلامة ، الفقيه النبيه الفهامة ، نور الدين السنفي بتقديم السين ، المصري ، ثم الدمشقي الشافعي ، ولد بمصر سنة : (٩٠١هـ) ، وأخذ الفقه وغيره عن العلامة شمس الدين الدلجي ، وكانت وفاته سنة : (٩٧٨هـ) رحمه الله تعاِلَىٰ [٣].

رابعاً : مؤلفاته :

تبحّرَ الدلجي « رحمه الله » بالعلوم الشرعية تدريسًا وتاليفًا ، فاشتهرت تاليفه ، ممّا يدل عَلَىٰ إبداعه وتنوع معارفه وحدة ذكائه ، فهو يعد طاقة علمية ؛ لمساهمته الفعالة بإثراء المكتبات الإسلامية بمؤلَّفات في فنون كثيرة ، ترك الدلجي إرثًا من مؤلفاته التي هي عصارة دراسته عَلَىٰ علماء عصره من علماء مصر والشام ، التي امتدت لعقود في جميع الفنون من أصول وفروع ، وفرائض ، وحديث ، وفقه ، ولغة ، وعروض ، ومنطق ، و منها لم يتح أن يصبه النور أو لم يجد له اثراً سوى ذكر اسم المؤلف نذكر منها :

١ . « الاصطفا لبيان معاني الشفا » ويختص في السيرة .[٤]

---

(١) ينظر : « الكواكب السائرة » : (٢٢٠٠) .

(٢) ينظر : « الأعلام » : (٧١٥٥) .

(٣) ينظر : « الكواكب السائرة » : (٣ ١٧٣) .

(٤) مكان وجوده خزانة التراث فهرس مخطوطات : (٥٢ ٥٦١) ، برقم : (٥١٦٦٠) ، و مخطوطات مكتبة : نورعثمانيه – تركيا عدد النسخ ثلاثة : (٣٨٨ – ٣٤٧) ، (٤١٠ – ٢٧٦) ، وهناك نسخ أخرى في دار النشر مكتبة ولي الدين افندي و الجامعة الإسلامية . ينظر : « الأعلام » : (٧ ٥٦) ، و « ديوان الإسلام » : (١ ١١٦) ، تم تحقيقه من قِبل مجموعة من الطلاب ؛ كأطروحة دكتوراه .

٢ . « غاية الإرادات من تحقيق عصام الاستعارات » ويختص في البلاغة .[١]

٣ . « حاشية عَلَىٰ شرح الرسالة السمرقنديه » ما زال مخطوطاً [٢].

٤ . « رفع حاجب العيون الغامزة عن كنوز الرامزة في علم العروض » ، فرغ من تاليفه : في عشر ربيع الأول ، سنة : (٨٨٩هـ)[٣].

٥ . « شرح الأربعين »[٤] في علم الحديث [٥].

٦ . تعليق عَلَىٰ شرح إيساغوجي[٦].

٧ . « شرح مقاصد المقاصد » ، وهي في علم الكلام[٧] الذي نحن بصدد تحقيقه .

٨ . « دره النحس عن أهل المكس » [٨] في الفقه الشافعي[٩].

٩ . « اللوامع اللهجة بأسرار المنفرجة » ، فرغ من وضعه سنة : (٨٩٤هـ) ، بمكة المشرفة ، حُقِقَ و

---

(١) مكتبة المسجد النبوي للدلجي ، وكذلك التسلسل ، (٢٨٤٧١) متخصص بالبلاغة : (٣٠ ٩٢) ، وخزانة التراث - فهرس مخطوطات : (١٠٧ ٨٥٣) ، و « إيضاح المكنون » : (٤ ١٣٧) .

(٢) ينظر : « الأعلام » : (٧ ٥٧) .

(٣) مكان وجودها خزانة التراث - فهرس مخطوطات : (٤ ٩٦٨) ، و « كشف الظنون » : (١ ٨٣٠) ، و « معجم المؤلفين » : (١١ ١٩٦) .

(٤) ينظر : « فهرس الأزهرية » ، ملتقى أهل الحديث ، سنة ١٤٢٧ هـ، الموافق ٢٥ ٨ ٢٠٠٦م .

(٥) حُقِقتْ كرسالة ماجستير في كلية الإمام الأعظم قسم أصول الدين تخصص حديث من قِبل الطالب : عدنان ياسين ، من أهالي البصرة.

(٦) ينظر : « خزانة التراث » - فهرس مخطوطات : (٦٤ ٧٣٣) ، برقم : (٦٥١٧٦) ، و « مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث » برقم : (٨,١ ٢٢) التصنيف : منطق .

(٧) ينظر : « الكواكب السائرة : (٢ ٧) ، و « الأعلام » : (٧ ٥٧) ، و « هدية العارفين » : (٢ ٢٣٧) ، و « خزانة التراث » - فهرس مخطوطات : (١٠٥ ٦٩٨) .وقد اشترك في تحقيق هذا الكتاب أربعة طلاب ثلاثة منهم في كلية الامام الاعظم والرابع في السوادان : أبو بكر قحطان جاسم كلية الامام الاعظم ، وبعده الطالب محمد عاشق ، والطالب علي ماجد كلية الامام الاعظم ، واخرهم القسم الذي بين ايدينا .

(٨) المكوس : : جمع مكس : وهي المكالمة في النقص من الثمن ، ومنه مكس الظلمة وهو ما ينقصونه من أموال الناس ويأخذونه منهم . والمكس: هو الجباية . ينظر : « تهذيب الأسماء واللغات » : (٣١٤١) ، و « مختار الصحاح » : (١٢٦٣) .

(٩) مخطوط في الفقه الشافعي ، مكان وجوده : المانيا ، مكتبة الدولة ، برقم : (٥٦٢١) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٢٣٧) .

طبع[1] .

١٠ . « حواشي عَلَىٰ شرح التبريزي عَلَىٰ رسالة الآداب العضدية »[2].

١١ . « حاشية عَلَىٰ شرح عصام الدين عَلَىٰ رسالة الاستعارة » في البلاغة[3].

١٢ . « جنان الدوائي في حروف المعاني » في العلم البلاغة والبيان[4].

١٣ . « جنة إبكار الأفكار » في المنطق[5].

١٤ . « فتح الكريم المنجي بشرح رسالة الدلجي » في علم مصطلح حديث[6].

١٥ . « طريق السالك عَلَىٰ زبدة المناسك »[7].

١٦ . « حاشية عَلَىٰ شرح الملا حنفي » عَلَىٰ آداب البحث[8].

١٧ . « حاشية الدلجى عَلَىٰ المطلع » لشيخ الإسلام عَلَىٰ إيساغوجى[9].

---

(١) حققها الدكتور محمد عبد السلام سوسي ، جامعة المرقب الخمس ليبيا.

(٢) ما زال مخطوطاً ، مكان ووجوده في جمهورية مصر ، المكتبة المركزية بمسجد السيدة زينب برقم : (٣٨٩٧) تاريخ نشره : (١٣٠٢هـ) ، تصنيف : آداب البحث والمناظرة .

(٣) مخطوط ، مكان وجوده : السعودية الجامعة الإسلامية ، برقم : (٦٥٩٢) اسم الناسخ : أحمد بن عبده بن عبدالله الظاهري ، عدد أوراقها : (٦٩) .

(٤) ينظر : « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » : (٣٣٦٩) ، و « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » : (١٨٣٠) .

(٥) ينظر : « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » : (٣٣٦٩) ، و « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » : (١٨٣٠) .

(٦) ينظر : « سلك الدرر » : (٤٢٤٨) ، و « هدية العارفين » : (٥ ٥٦٨) ، و « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب » : (١ ٣) .

(٧) ينظر : « سلك الدرر » : (٤٢٤٨) ، و « هدية العارفين » : (٥ ٥٦٨) .

(٨) ينظر : « فهرس الأزهرية » مخطوط برقم : (٣٠٦٣٣٧) و (٣٠٦٣٣٨) و (٣٣١٩٤٥) مكتوب في اداب البحث ملتقى أهل الحديث ، وهو كامل حتى غرة شعبان من سنة : (١٤٢٧ هـ) ، الموافق : (٢٥ ٨ ٢٠٠٦ م) ، و « خزانة التراث » – فهرس مخطوطات : (٤٤ ٥٢) ، و « المكتبة الحسينية » في المغرب برقم : (٢ ٦٣٨٥) .

(٩) ينظر : « فهرس الأزهرية » برقم : (٣٠٧٢٩٠) و (٣٢١٦٩٤) و (٣٣٥٦٠٩) و (٣٣٧٣٥٩) و (٣٣٧٥١٤) و (٣٤١٨٢٤) و (٣٤٢٤٨٠) مخطوط في المكتبة الازهريه : (١٤١٤٦) من ملتقى أهل الحديث ، وهو كامل حتى غرة شعبان من سنة : (١٤٢٧ هـ) ، الموافق : (٢٥ ٨ ٢٠٠٦ م) : (١ ٣١٤) .

١٨ . « شرح الجامع الصحيح للبخاري » . حيث ذكر اسم الدلجي وشرحه لجامع الصحيح البخاري ذكر الكتاب قطعة منه [١].

١٩ . « شرح المقدمة الجزرية » [٢].

٢٠ . « شرح المنهاج » للنووي في الفروع[٣].

٢١ . « شرح الأمالي » لابن بشران [٤].

٢٢ . « شرح المنفرجه » [٥] .

٢٣ . « المنح السنية في الفقر والبلية »[٦] .

خامساً : أقوال العلماء فيه :

الدلجي شخصية جامعة للعلوم ، حيث كان له أثر كبير بين العلماء ، وقد قال فيه ابن حجر الهيتمي : (قد أعطيَ في العلوم الشرعية والعقلية من متانة التصنيف وقوة السبك ما لم يعط أحد من أهل زمانه) [٧].

ويقول عنه أيضًا :

(صنف في فن الفقه تصانيف تضاهي تصانيف السعد التفتازاني وغيره من بلاغته وحسن سبكه وجودة تراكيبها) [٨].

---

(١) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٢٣٧) ، و « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » : (١ ١١١) .
(٢) ينظر : « هدية العارفين » : (٢ ٢٣٧) .
(٣) المصدر السابق : (٢ ٢٣٧) .
(٤) ينظر : « خزانة التراث » ، وهي مخطوط في أدب البحث والمناظرة (ف ١٤١١٢- ٩٩) .
(٥) ينظر : « خزانة التراث » - فهرس مخطوطات برقم : (١٠٩٩٨٨) الفن : آدعية وأذكار ، الفن : تصوف : (١٠٩ ٤٧٤) ، و « المكتبه الأزهريه » ، رقم الحفظ : (٧٥٨ مجاميع حليم ٣٤٨٠٥) ما زال مخطوطاً .
(٦) مخطوط في الأخلاق والآداب والوعظ والتصوف ، مكان وجوده الجزائر ، مكتبات الجزائر، برقم : (٤٧٤٣٥) عدد أوراقها : (٣١) .
(٧) ينظر : « الفتاوى الحديثية » : (١ ٢٦٧) .
(٨) المصدر السابق: ١ ٣٩.

وقد نعته نجم الدين الغزي[١] بـ الشيخ الإمام العلامة [٢] وكذا قال مثله ابن العماد الحنبلي[٣].

وقال السخاوي : (ذُكر لي أنه اختصر المنهاج [٤]، وله نظم في الشعر ، وسمع مني وعليّ أشياء وكان يتأسف عَلَىٰ عدم تحصيل تصانيفي لمزيد فاقته ، ولمّا اشتدّ الغلاء بمكة توجه في أثناء سنة : (٨٩٩هـ) بحرًا إمّا للشام ، أو لمصر ، أو لهما أنجح ، وسافر إِلَىٰ بلاد الأناضول (الترك) ، واجتمع بالسلطان بايزيد الثاني ، ثم عاد إِلَىٰ القاهرة ، فأقام بها حلقات العلم ، ومازال طلاب العلم ينهلون من غزارة علمه وبحر معرفته حتى توفي في القاهرة[٥].

سادساً : وفاته :

ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه توفي بالقاهرة « رحمه الله تعالَىٰ » سنة : (٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م) ، ولم يذكر في أي شهر ، وقيل : تسع وأربعين وتسعمائة ، وقيل : سنة خمسين وتسعمائة [٦].

سابعًا : مذهبه الكلامي والفقهي :

أما مذهبه الكلامي .. فله اتجاه كلامي أَشعري ، يصرح بِهِ عندما ينتصر لمذهبه يقول : (عند أئمتنا الأشعرية) وقد أَلف كتابه عَلَىٰ أُصولِ إمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري « رحمه الله تعالَىٰ » .

وأَمَّا مذهبُ الفقهي .. فقد أَجمعَ المؤرخون وكل من ترجم له عَلَىٰ أَنَّ الإمام الدلجي « رحمه الله »

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغَزّي العامري القرشي الدمشقيّ ، أبو المكارم ، نجم الدين ، مؤرخ ، باحث أديب ، ولد سنة : (٩٧٧هـ - ١٥٧٠م) مولده ووفاته في دمشق ، توفي سنة : (١٠٦١ هـ) .

(٢) ينظر : « عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب » عَلى ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه : « الترغيب والترهيب » : (١٦٥) .

(٣) ينظر : « شذرات الذهب » : (٨٢٧٠) .

(٤) ينظر : « الضوء اللامع » : (٩٢٠١) .

(٥) ينظر : « الضوء اللامع » : (٩٢٠١) ، و « الكواكب السائرة » : (٢ ٦) ، و « ديوان الاسلام » : (٢٢٧٧) ، و « الاعلام» : (٧٥٧) .

(٦) ينظر : « الكواكب السائرة » : (٢ ٦) ، و « شذرات الذهب » : (٢٦٧٨) ، و « الرسالة المستطرفة » : (١ ٢١٥) ، و « الأعلام » : (٧ ٥٦) ، و « ديوان الإسلام » : (٢ ٢٧٧) .

كانَ في الفقهِ عَلَىٰ مذهب الإمام الشافعي ولم يختلف في ذلك احد[1].

ثامنًا : الحالة العلمية في عصره :

عند النظر في الحالة العلمية لعصر الدلجي « رحمه الله » نلاحظ ما يأتي :

١- سقوط بغداد عَلَىٰ أيدي التتار سنة : (٦٥٦هـ) وما تبع ذلك من إتلاف الكتب وتنكيل العلماء، ودمار التراث الفكري الإسلامي ممّا دفع من نجا منهم أن يتوجهوا بأنظارهم إِلَىٰ مصر وحكامها ، بعدَ أن انتقلت الخلافة الإسلامية اليها ، فحملَ المماليك عَلَىٰ عاتقهم حماية الإسلام والمسلمين ، والذود عنهم ، فانطلقت هجرة العلماء إِلَىٰ القاهرة وبيت المقدس حيث الأمن من التتار وتدميرهم ، والفرنجة وغزوهم وغيرها من الأسباب التي دفعت بالعلماء أن يتمركزوا في القاهرة وبلاد الشام[2].

٢- نقل الخلافة العباسية إِلَىٰ مصر وهجرة كثير من العلماء من غير المصريين إليها ، مِمَّا جعلها عامرة بالعلم والعلماء.

٣- سقوط الأندلس في أيدي الفرنجة ، مِمَّا حملَ كثيرٌ من العلماء عَلَىٰ الهجرة إِلَىٰ القاهرة.

٤- تمركز السلطة والوظائف العليا في أيدي المماليك، دفع همّة أهل مصر والشام لغرض منافسة المماليك والوصول إِلَىٰ الوظائف العليا التي كانت محصورة عليهم .

٥- تشجيع بعض سلاطين المماليك للعلم والعلماء ، فقد انغمر بعض سلاطين المماليك مع المتعلمين في مجالس العلم والحديث ، وتحملوا السنة بأسانيدها الصحيحة ، حتى أصبح منهم من الحفاظ يتلقى عنه الطلبة الحديث ويسمع منه الصحيح .

٦- وجود الجامع الأزهر في مصر ، والمسجد الأقصى في الشام ، وكثرة الأوقاف التي وقفها أصحابها عَلَىٰ طلبة العلم ، فكان منهم من يخص الأوقاف للنفقة عَلَىٰ طلاب الشافعية ، ومن يخص الأوقاف

---

(١) ينظر : « شذرات الذهب » : (١٠٣٨٦) ، و « الضوء اللامع » : (٩ ٢٠٠) ، و « الكواكب السائرة » : (٢ ٦) ، و « ديوان الإسلام » : (٢ ٢٧٧) .

(٢) ينظر : « بحث القي في ندوة نظمها المجلس الأعلى للفنون بالاشتراك مع الجمعية التاريخية المصرية » ، ونشر في جريدة المساء ، العدد : (٧١٤٦) ، الخميس (٢٥ مارس ١٩٧٨) ، (دراسة تاريخية) د .عبدالمنعم الماجد ، ٣ .

عَلَىٰ طلاب الحنفية أو الحنابلة أو المالكية.

٧- تعاظم حضارة مصر وكثرة عمرانها ، مثلما قال المؤرخ ابن خلدون في مقدمته : (ونحن لهذا العهد نرى أنَّ العلم والتعليم إنّما هو بالقاهرة من بلاد مصر لمَا أنَّ عمرانها مستبحرٌ ، وحضارتها مستحكمة منذ الاف السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم)[١].

ولم يبخل المماليك عَلَىٰ العلماء بوضعهم في مكانهم اللائق بهم في مجال التقدير والمهابة، والاحترام ، والإجلال من ناحية، وفي مجال بذل العطاء ، وتقديم المال الوافر من ناحية أخرى ، مِمَّا جعل الكثير من طلبة العلم يتنافسون ويتواصلون بالجدِّ والاجتهاد للوصول إِلَىٰ المكانة المرمُوقة ، وثم جاء سلاطين الخلافة العثمانية وكان من أبرزهم السلطان سليمان القانوني[٢]، فكانت فترة حكمه أعظم عصر ، ومرحلة في الخلافة العثمانية ، فقد قضى عَلَىٰ الفتن ، وثبت الأمر وخضعت الدول والإمارات له ، فكان هذا سببًا في تطور وازدهار العلم وكثرة طالبيه في مصر والشام ، وكانت الدولة العلية ، قد أنشأت المدارس والزوايا وبناء المساجد مما أسهم في صدور المؤلفات وكثرة حلقات العلم[٣].

ونستطيع ان نلاحظ ذلك عن طريق نصّ لابن خلدون حيث يقول : (اعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام ، واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم ، وتفنّنوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا عَلَىٰ المتقدمين وفاتوا المتأخرين ، ولما تناقص عمرانها وابذعر[٤] سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إِلَىٰ غيرها من أمصار الإسلام ، ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر ؛ لعمرانها المستبحر وحضارتها

(١) ينظر : « ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر » : (١ ٥٤٨) .

(٢) سليمان خان الأول بن سليم خان ، ولد سنة : (١٤٩٤م) بطرابزون ، عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانون، وثاني من حمل لقب أمير المؤمنين من ال عثمان . ينظر : « الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية » : (ص : ٢٦٤) ، و « مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ » : (١ ٦٠) .

(٣) ينظر : « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : (١٢٨٠) .

(٤) أي: تفرقوا . ينظر : « لسان العرب » : (٤٥١) .

المستحكمة منذ عقود من الزمن فاستحكمت فيها الصنائع وتفنّنت ومن جملتها تعليم العلم)[١].

فضلًا عن ما سبق نلحظ أن المماليك قد قاموا بنشر العلوم ، وبناء المدارس مثل قيام السلطان برقوق[٢] ببناء المدرسة البرقوقية بين القصرين ، التي قيل عنها أنه لم يتقدم بناء مثلها ، وكان يُدرَّس فيها المذاهب الأربعة والقراءات والتفسير والحديث ، ومثل قيام الأشرف برسباي[٣] ببناء المدرسة الأشرفية وغيرها من الآثار الجميلة[٤].

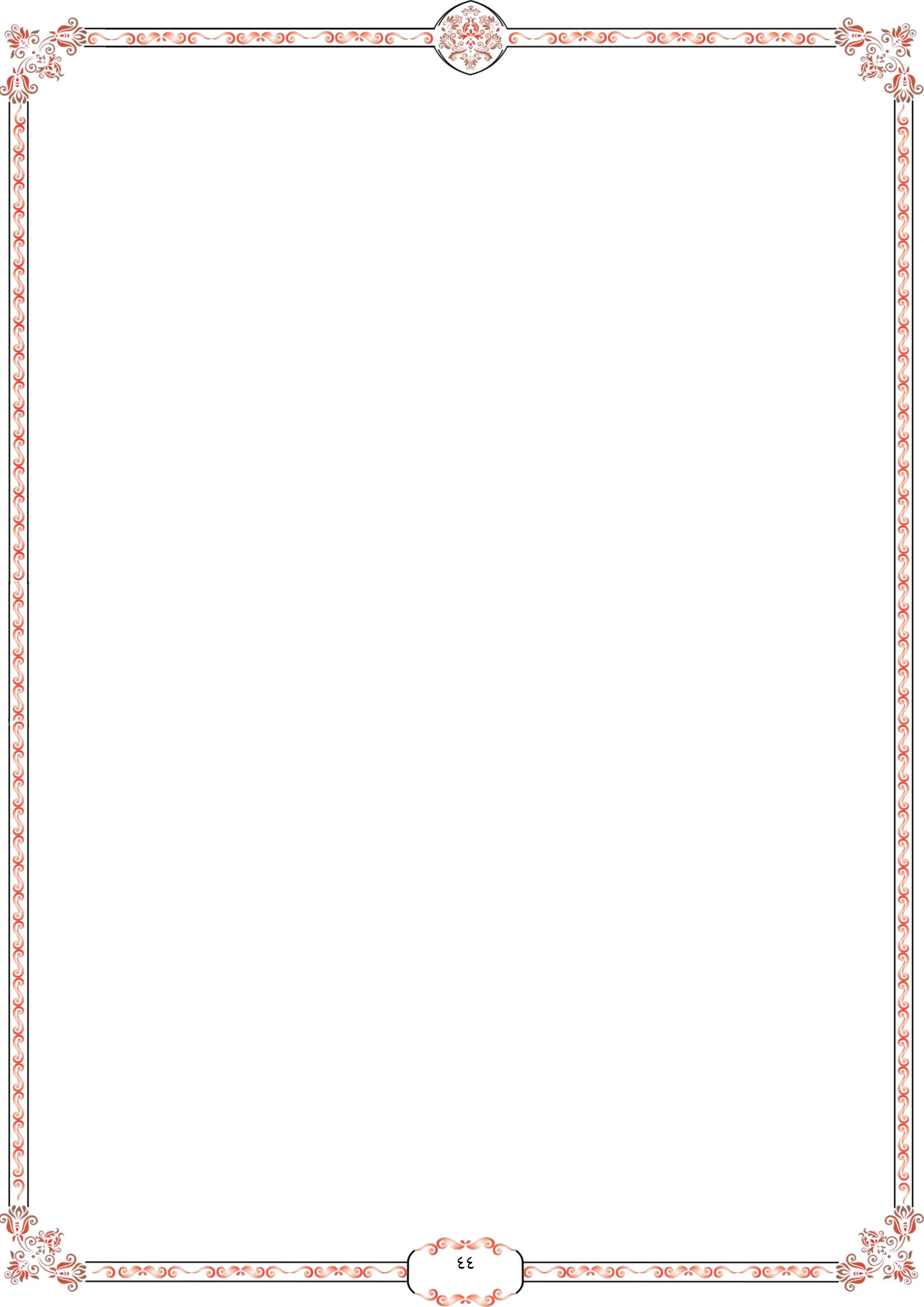
---

(١) ينظر : « تاريخ ابن خلدون » : (١٥٤٨) .

(٢) **برقوق** : الملك الظاهر العثماني ، كان اسمه : الطنبغا ، فسماه أستاذه يلبغا الكبير : برقوقا لنتوء في عينه ، فغلب عليه الاسم الثاني . ينظر : « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر » : (٦ ٣٦٠- ٣٦١) .

(٣) **برسباي** : الظاهري السلطان الملك الأشرف أبو النصر ، وهو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين المماليك ولي سلطنة مصر سنة : (٨٢٥هـ) وفتح مدينة قبرص وأنشأ بمصر مدرسة وجامعاً بسرياقوس توفي سنة : (٨٤١هـ) . ينظر : « ديوان الإسلام » : (١ ٣٠٢) .

(٤) ينظر : « شذرات الذهب » : (٤٢٤٠) و (٣٢٩٩) ، و « انباء الغمر » : (١٢٢٥) .



الفصل الثاني

المبحث الأول

دراسة الكتاب وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسم المخطوط ونسبته لمؤلفه

المطلب الثاني : منهج العمل في الكتاب .

المطلب الثالث : وصف النسخ الخطية .

الفصل الثاني

المبحث الأول

دراسة الكتاب

المطلب الأول : اسم المخطوط ونسبته لمؤلفه

« شرح مقاصد المقاصد » هذا هو اسم الكتاب ، للإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجيُّ العثماني الشافعي المتوفى سنة : (٩٤٧ هـ) ونسبته إليه من أول وهلة في بداية كتابه بعد قوله :

وبعد :

فهذا شرح لكتابنا « مقاصد المقاصد » قد تكفل بإبراز مخدرات أستاره بأشرف عبارة ، وإخراج مخبئات أسراره بألطف إشارة ، لتجلي على الأذهان متبرجات في زينة أوضح بيان ، متبخترات في هيئة أفصح تبيان ، آخذاً بعضها بيد بعض متخاصره ، ناظراً بعضها إلى بعض متناصره ، مع تحرير سبك ابراز مسائله بيان الأفكار ، وتقرير نظم لآلئ دلائله بنان الأنظار ، بعبارات رشيقة تتجافى جنوب ألفاظها عن مضاجع الإشكال ، وإشارات أنيقة تتحاشى أهلة معانيها أن تطلع في معرض الابتذال، وتوضيحات تسفر بها وجوه بدور تدقيقاته، وتلويحات تشرق بها وجنات تحقيقاته ، لا يعقلها إلا العالمون، وما يجحد بها إلا المعاندون، واللهَ تعالى أسأل أن ييسر لي إتمامه، وأن يختم بالخير اختتامه ، إنه جواد كريم ، وبعباده رؤوف رحيم[1].

وقد ذكر صحة نسبة الكتاب للإمام شمس الدين الدلجي غيره ، مثل : حاجي خليفة « كشف الظنون » [2]، و « خزانة التراث » فهرس مخطوطات ، و « مركز الملك فيصل » [3].

---

(١) ينظر : « شرح مقاصد المقاصد » : (بداية المخطوط) .

(٢) ينظر : « كشف الظنون » : (٢ ١٧٨٠) .

(٣) ينظر : « خزانة التراث » فهرس مخطوطات : (١٠٥ ٦٩٨) .



المطلب الثاني

منهج المؤلف في الكتاب

اتبع الإمام الدلجي منهجاً علمياً متزناً في شرحه ، وإذا دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على سعة علمه واعتداله ووسطيته ، وقد اعتمد في كتابه على العلوم المختلفة والفنون المتنوعة.

ومن أبرز ملامح منهجه في كتابه ما يأتي :

أولاً : نقل الآراء والمسائل العقائدية بأمانة ، وكان كثيراً ما يعزو هذه الآراء لأصحابها والمسائل لمواطنها فلا يجد القارئ والمتأمل صعوبة بالرجوع إليها ودراستها.

ثانياً : عرض المسائل العقائدية عرضاً سلساً مقروناً بالأدلة النقلية والعقلية دون تعصب أو غلو أو مجافاة للحق وهو منهج العلماء العارفين ، ومما يحسب له تنوعه في طرق العرض فلا تجد له طريقة بعينها فهو يوضح الكلام بما يزيل عنه الغموض سواء كان الكلام الذي يعلق عليه كلمة واحدة أم أكثر ؛ لذا نراه تارة يعلق بإيجاز غير مخلٍّ ، وتارة أخرى يميل إلى الاطناب والتفريع للإحاطة بالموضوع والإلمام به ، وكان يكثر من عرض آراء الإمام أبي الحسن الأشعري « رحمه الله تعالى » قياساً لغيره من المتكلمين مع مناقشة الفرق الآخرى بعرض أدلتها والرد عليها في أغلب المواضع.

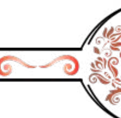
ثالثاً : استشهاده بالنصوص القرآنية بذكر النص المكون من أكثر من آية أحياناً وبالنص المكون من آية واحدة أو جزء من الآية حيناً آخر.

رابعاً : الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، وعلى اختلاف درجة صحة الحديث ، وموطن وروده.

خامساً : التعرض للآراء الفقهية بتجرد رغم كونه شافعيَّ المذهب ، وعرض الأدلة والحجج ما احتاج إلى ذلك في عرضه للمسألة ودراستها.

سادسا : كان يكثر من المصطلحات اللغوية ، والعقائدية ، والفلسفية ، والمنطقية ، وغيرها مما يحتاجه النص الذي تناوله في شرحه ، مما أعطى للكتاب قوة في الاحتجاج ، والرد على الخصوم .

سابعاً : التعرض لكثير من الأعلام بالترجمة لهم أحياناً ، وبالإحالة للمصادر أحياناً أخر مما يسهل على القارئ الرجوع والتثبت .



ثامناً : استعمل مجموعة من الرموز لغرض الاختصار ولكل رمز دلالته الخاصة وهي كما يأتي :

ت	الرمز	المعنى
١	بط	باطل
٢	ح	حينئذ
٣	فح	فحينئذ
٤	فلا نم	فلا نسلم
٥	المط	المطلوب
٦	مط	مطلوب
٧	بالمط	بالمطلوب
٨	المح	المحال
٩	مح	محال
١٠	مم	معلوم

المطلب الثالث

وصف النسخ الخطية

أولاً : النسخ الخطية المعتمدة في الدراسة :

اعتمدت في تحقيق قسم السمعيات من كتاب « شرح مقاصد المقاصد » من بداية مبحث السمعيات : (ص ١٨١) إلى نهاية المخطوط ، وحصلت على نسختين بعون الله وهي على النحو الأتي :

النسخة الأولى (الأم) ورمزت لها بـ (أ) :

- اسم المخطوط : « شرح مقاصد المقاصد » .
- مكان وجودها : تركيا ، اسطنبول بمكتبة راغب باشا كما مختوم عليها .
- التصنيف : عقائد .
- اسم المؤلف : الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجي العثماني الشافعي .
- اسم الناسخ : غير مذكور .
- عدد اللوحات : (٢٥١) لوحة ، وكل لوحة صفحتان .
- عدد الأسطر : (٢٣) سطراً في كل صفحة .
- عدد الكلمات : (١٠ – ١٣) كلمة في كل سطر تقريباً .
- رقم المخطوط : (٧٩٧).
- لون المداد : المتن مؤشر باللون الأحمر والمحتوى باللون أسود .
- نوع التجليد : صناعي .
- تاريخ النسخ : ورد في الورقة الأخيرة من المخطوط أنه انتهى من نسخها في يوم الاثنين الموافق التاسع من محرم الحرام سنة : (٩١٧هـ) .
- نوع الخط : نسخ جيد قديم .

النسخة الثانية : ورمزت لها بالرمز (ب) :

- اسم المخطوط : « شرح مقاصد المقاصد » .

- مكان وجودها : في الجمهورية التونسية ، دار الكتب الوطنية التونسية ؛ كما مكتوب على غلافها .

- التصنيف : عقائد .

- اسم المؤلف : الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجي العثماني الشافعي .

- اسم الناسخ : أحمد بن عبد العزيز الرواسي السمبلاسي .

- عدد الأوراق : (١٥٦) ورقة وهي ضمن مجموع.

- عدد الأسطر : (٣٢) سطراً في كل صفحة .

- عدد الكلمات : حوالي (٣٢) كلمة في كل سطر .

- لون المداد : العنوان أحمر والمحتوى أسود.

- نوع التجليد : صناعي .

- تاريخ النسخ : في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة : (١١٤٥ هـ) كما هو مذكور في المخطوط .

- نوع الخط : نسخة جيدة خطها (مغربي) .

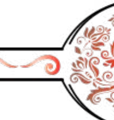
المبحث الثاني

منهجي في التحقيق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ما يتعلق بمقارنة النسخ .

المطلب الثاني : المنهج العام .



المبحث الثاني

منهجي في التحقيق

المطلب الأول

ما يتعلق بمقارنة النسخ

١- اعتمدت نسخة (تركيا المسماة – أ –) أصلاً في نسخي لهذا الكتاب وذلك ؛ لكونها الأم وهي بخط واضح ، وأقدم النسخ المعتمدة لدينا في التحقيق فقد كتبت سنة : (٩١٧هـ) ، أي في حياة المؤلف، إضافة إلى خلوها من التصحيف والتحريف تقريباً، وقلة السقط والزيادات في الجمل والكلمات، فإن أخلت هذه النسخة بلفظ أو عبارة عمدت إلى النسخة الآخرى وصححت منها.

٢- رمزت للنسخة الأولى بـ (أ) وللنسخة الثانية بـ (ب).

٣- إذا كانت الزيادة في النسخة الأخرى أتمَّ للمعنى أو أدق في التعبير أثبتها وأشير إلى ذلك في الهامش.

٤- إذا كانت الكلمة في النسخة الأم خالية من الإعجام قمت بإعجامها على ما هو موجود في النسخة الأخرى أو إلى أقرب وجه يحتمله اللفظ أو بما تصح به العبارة .



المطلب الثاني

ما يتعلق بالمنهج العام :

١. أثبت الآيات القرآنية الواردة في الكتاب برسم المصحف مع نسبتها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش .

٢. خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في الكتاب أو ورد جزء منها فيه من كتب الحديث المعتبرة من مضانها فابتدئ في الصحيحين ، فإن لم أجد ففي السنن ، فإن لم أجد فمن المسانيد ، فإن لم أجد فمن كتب الأحاديث والتخريج الباقية ، وأذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث ، وإن ورد الحديث في الصحيحين أكتفيت بهما عن غيرهما ، وذكرت اسم صاحب الكتاب ووضعت اسم الكتاب بين أقواس صغيرة .

٣. أعتمدت قواعد الإملاء العربي في إثبات الهمزات .

٤. لم أذكر بطاقة الكتاب إنما أذكر اسم الكتاب فقط أكتفاءً مع الجزء والصفحة ، وأرجئ ذكرها في قائمة المصادر.

٥. إذا تكرر عنوان المصدر لمؤلف آخر أذكر اسم المؤلف دفعاً للتشابه .

٦. عزوت الأبيات الشعرية إلى قائليها مع ضبطها وإتمامها إن احتيج إلى ذلك مع تخريجها من دواوين أصحابها إن وجدت فيها أو من كتب الأدب والمجموعات الشعرية عند عدم وجودها في الدواوين .

٧. وثقت المصادر التي استقى منها المؤلف مادته ، فإن لم أعثر على النص من الكتاب المذكور وثقت من غيره ما أمكن ذلك ، فإن لم أقف عليه تركت النص من غير توثيق .

٨. عرَّفت بالأعلام ، والفرق ، والمذاهب ، والبلدان عند ذكرهم للمرة الأولى ، وأكتفي بالإشارة فيما عدا ذلك ، و أستثنيتُ من تعريف الأعلام الخلفاء الراشدين ، والصحابة المشهورين ؛ كالعشرة المبشرة ، وأمهات المؤمنين ، وأئمة المذاهب الأربعة .

٩. عرَّفت بالألفاظ ، والمصطلحات العقائدية ، والفلسفية ، وغيرها مما يحتاج إلى تعريف وبيان من الكتب المتخصصة في كل باب منها دون إطالة أو إيجاز مخلين .

١٠. عرَّفت بالمدن والأماكن الواردة في الكتاب .

١١. جعلت القوسين المزهرين للايات القرانية ﴿ ﴾ و (( )) لحصر حديث النبي ﷺ.

١٢. وضعت الكلام بين أقواس التنصيص المقتبسة من المؤلف نصاً ومن غير تصرف ، وأكتب (ينظر) إن لم يكن النص موافقاً لنص المؤلف .

١٣. رقمتُ اللوحات لسهولة العودة إليها ، وجعلت الترقيم بين معكوفين ، هكذا /١ ١٨٩ / .

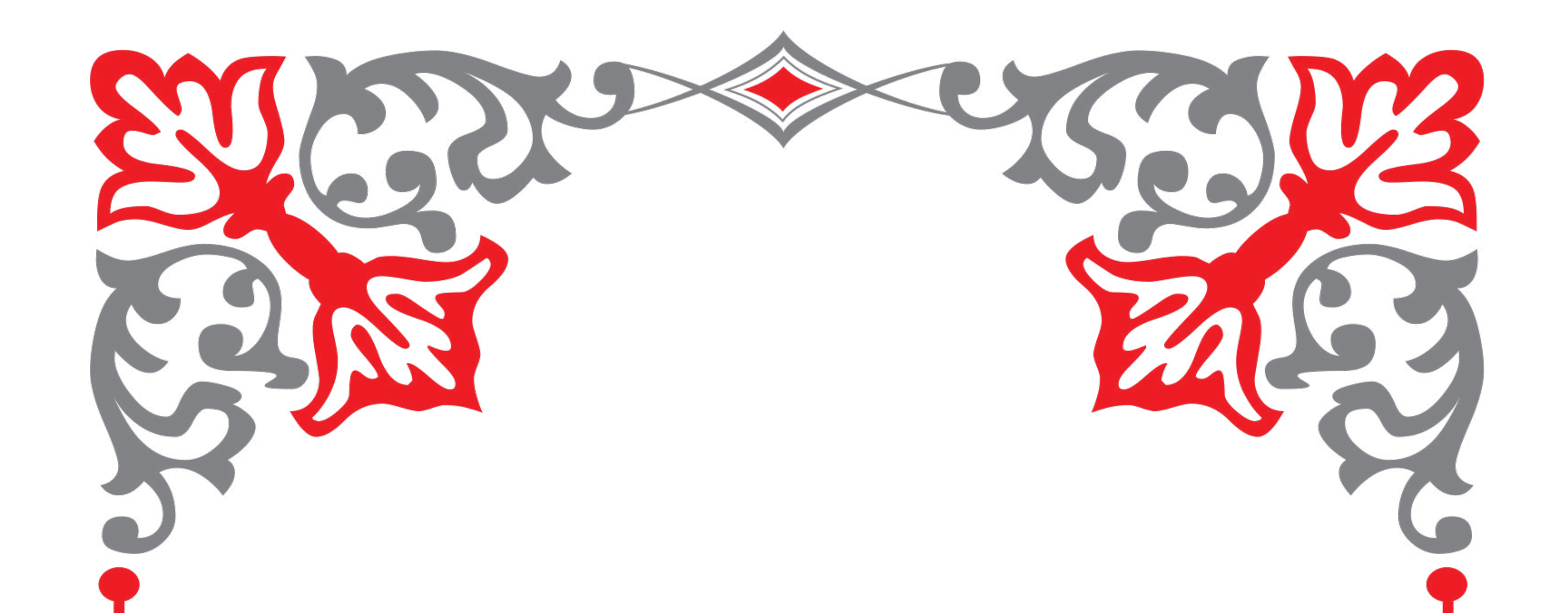
١٤. أضفت ألفاظ التعلية ، والصلاة على النبي محمد ﷺ ، والترضي عن الصحابة ﷺ ، في حال عدم ورودها في المخطوط وضفت العناوين وجعلتها بين معقوفتين .

١٥. بذلت ما في وسعي لإخراج النص إخراجاً علمياً دقيقاً من حيث التشكيل ، والترقيم ، والفواصل ، والأقواس بأنواعها .

قمت بعمل فهرسة عامة للكتاب التي شملت :

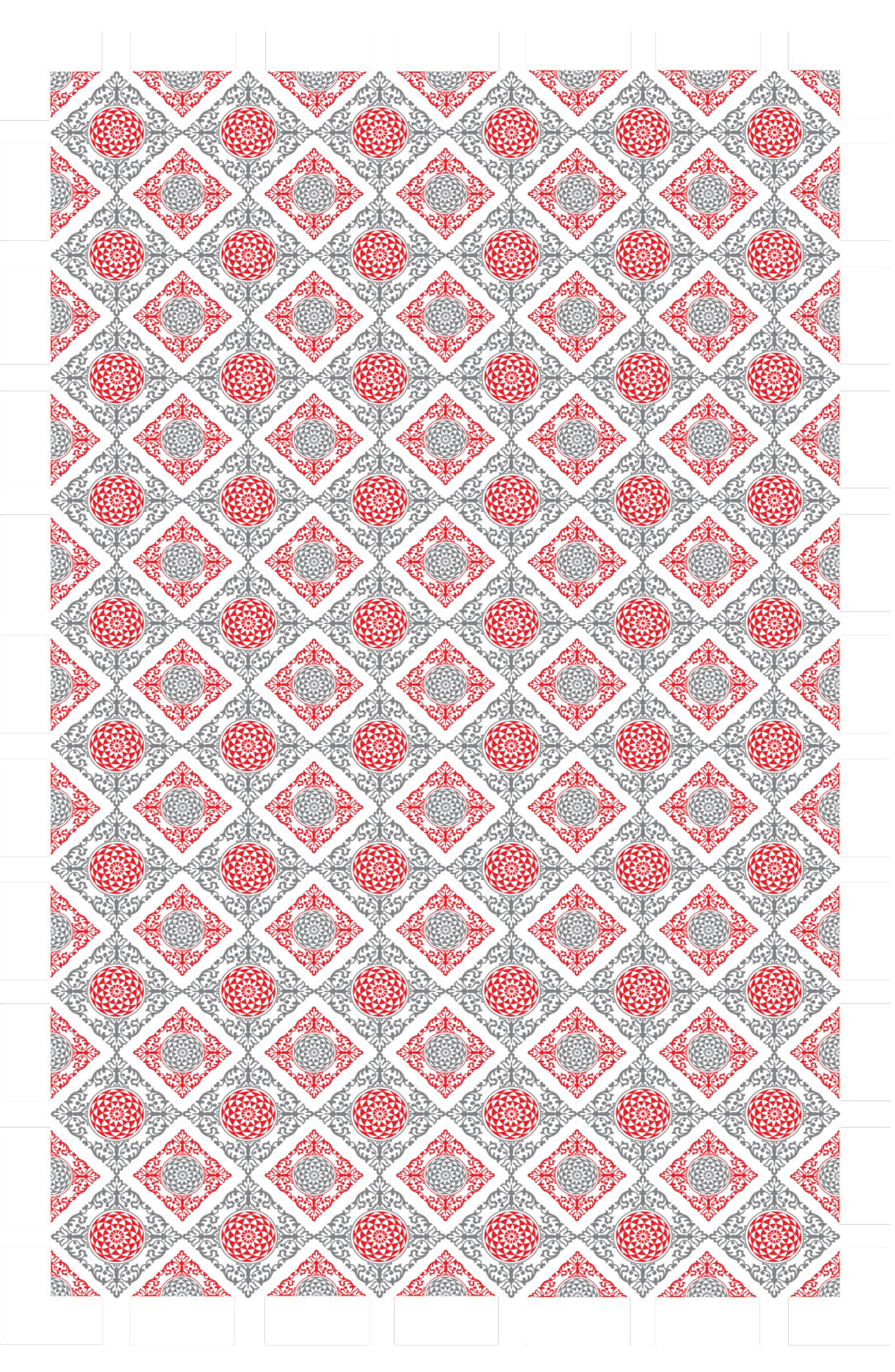
• فهرست الآيات القرآنية ذكرت فيها الايات حسب ورودها في الكتاب .

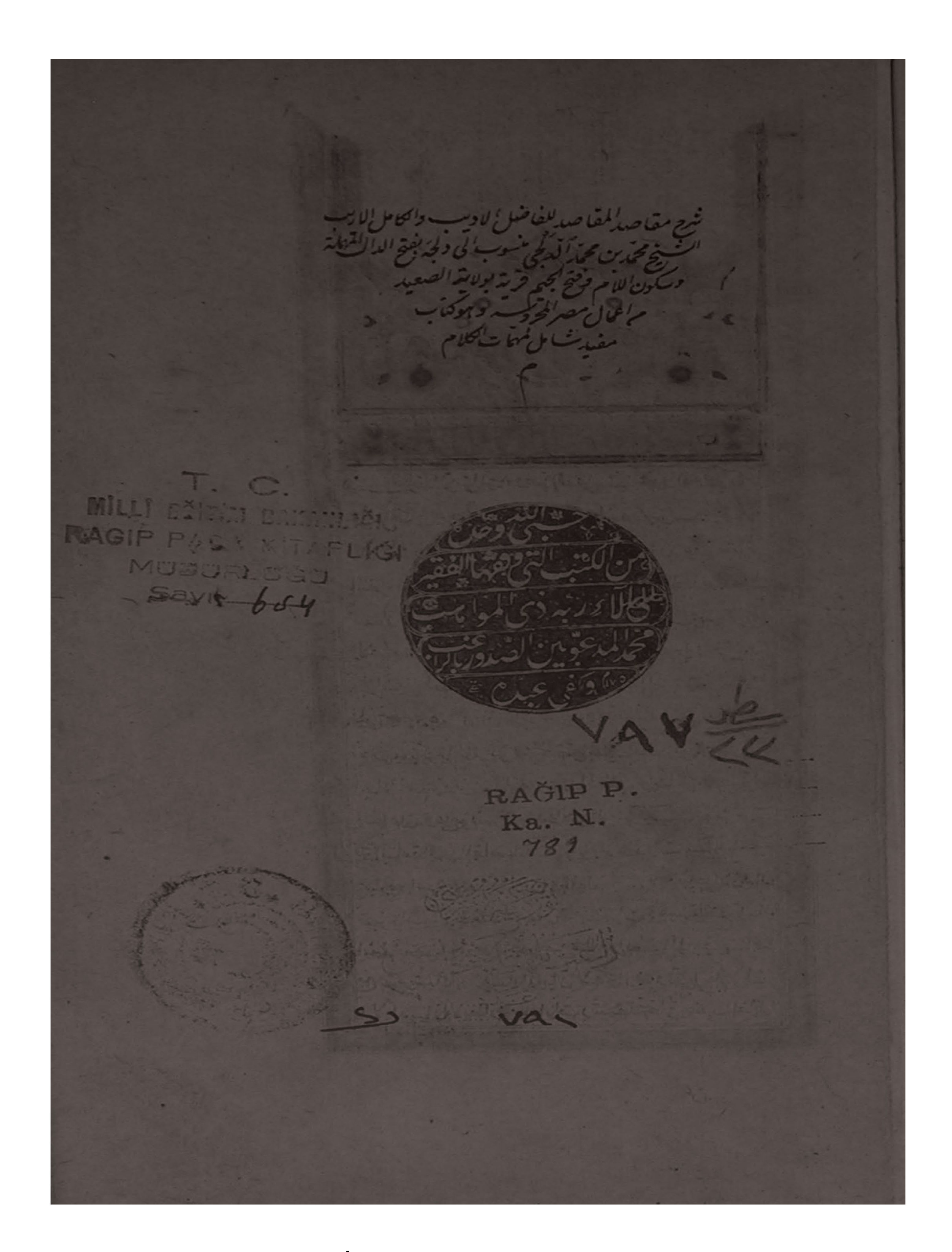
• فهرست الحديث النبوي الشريف والآثار. • فهرست الأعلام .• فهرست الفرق والمذاهب .• فهرست البلدان والأماكن .• فهرست الأبيات الشعرية .• فهرست المصادر والمراجع .



صُوَرُ

ٱلْمَخْطُوطَاتِ ٱلْمُسْتَعَانِ بِهَا





شرح مقاصد المقاصد للفاضل الاديب والكامل الاريب
الشيخ محمد بن محمد الدلجي منسوب الى دلجة بفتح الدال المهملة
وسكون اللام وفتح الجيم قرية بولاية الصعيد
من اعمال مصر المحروسة وهو كتاب
مفيد شامل لمهمات الكلام

صورة الغلاف من النسخة (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
حمداً لمن تهللت وجوه الاعيان على وحدانية وجوب وجوده
وتلألأت وجنات الامكان على اثار قدرته وجوده ❁ استاثر
بالبقاء والقدم ❁ واذاق ما سواه مرارة الفناء والعدم ❁ له
الملك والتدبير ❁ واليه الحكم والتقدير ❁ لا يجب عليه شيء
ولا عنه ولا يدرك لذاته كنه ❁ ارسل رسلاً مبشرين ومنذرين
بمعجزات قاطعة ❁ وايات ساطعة ❁ فاقاموا الحجة ❁ واناروا
المحجة ❁ ودعوا الى تنزيهه وتوحيده وتعظيمه وتمجيده ❁ ثم
ختمهم باكرم الخلايق ❁ المختص باشرف الخلايق ❁ حبيب الله
ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ❁ صلى الله
وسلم عليه وعلى من نصر دينه وانتمى اليه وبعد فهذا شرح
لكتابنا مقاصد المقاصد قد تكفل بابراز مخدرات استاره باشرف
عباره واخراج مخبآت اسراره بالطف اشاره ❁ تنجلي على الاذهان
متبرجات في زينة اوضح بيان ❁ متبخترات في هيئة افصح تبيان
اخذاً بعضها بيد بعض متخاصره ❁ ناظراً بعضها الى بعض متناصره
مع تحرير يسبك ابريز مسائله ببيان الافكار ❁ وتقرير نظم لآلئ
دلائله ببنان الانظار ❁ بعبارات رشيقة تتجافى جنوب الفاظها

عن

صورة البداية من النسخة (أ)

ادراك ما غاب والعقل بما يعقل العالم اي يحبسه ويمنعه وتوقف
امام الحرمين وجوز الغزالي الصفة مما يدل على معنى زايد على الذات دون
الاسم مما يدل على نفس الذات لان فيه نوع تصرف لم يرد به اذن
شرعي وما اشتهر به التوقيف منها اي من اسمائه تعالى تسعة وتسعون
فيما رواه الشيخان ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا
من احصاها دخل الجنة ولم يعينها وقد عينها الترمذي وغيره وورد
التوقيف بغيرها في الكتاب والسنة كالبادي والكافي والدايم والنصير
والنور والمبين والصادق والمحيط والقديم والقريب والفاطر
والعلام والمليك والمدبر والرفيع وذي الطول وذي المعارج و
ذي الفضل والخلاق والمولى والغالب والناصر وشديد العقاب وقابل
التوب وغافر الذنب ومولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل ومخرج
الحي من الميت ومخرج الميت من الحي والسيد والحنان والمنان ورمضان
وشاع في عبارات العلما المريد والمتكلم والشيء والموجود والذات
والازلي والصانع والواجب وورد ان له تعالى اسما استاثر بها
في علم الغيب عنده ولم يعلمها احدا من خلقه ومع ذلك فلا تنحصر فيما
ذكر لقضا اعتبار السلوب والاضافات بتكثرها جدا حتى قيل بعدم
تناهيها بعدم تناهي الاضافات والاعتبارات مقصد السمعيات
اي الامور التي يتوقف عليها السمع كالنبوة والتي تتوقف على السمع
كالمعاد واسباب السعادة والشقاوة من الايمان والطاعة والكفر
والمعصية منها اي من السمعيات النبوة وهي كون الانسان مبعوثا
من الحق الى الخلق فان كان النبي ماخوذا من النباوة وهي الرفعة لشرف
شانه وعلو مكانه او من النبي بمعنى الطريق لكونه وسيلة اليه تعالى
فالنبوة على الاصل بلا همز كالابوة او من النبا اي الخبر لانبائه عن الله تعالى

السمعيات

صورة بداية العمل من النسخة (أ)

فيحفرون كل يوم السد حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال كبيرهم

ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله تعالى كما كان حتى اذا بلغت مدتهم

حفروا حتى كادوا يرون شعاعها قال كبيرهم ارجعوا فستحفرونه غدا

ان شاء الله تعالى فيعودون وهو كهيئته فيحفرونه ويخرجون مقدمتهم

بالشام وساقتهم بخراسان فيشربون المياه وتتحصن الناس منهم

في حصونهم ولا يقدرون على اتيان مكة والمدينة وبيت المقدس

فيرسل الله تعالى عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون جميعا

فيرسل طيرا تلقيهم في البحر ويرسل مطرا يغسل الارض

وفي الحديث ان ياجوج وماجوج يسلط الله

عليهم النغف فياخذ في رقابهم هذا

وعلى لفظ الخير ختمنا ختم الله تعالى

لنا بالخير وعصمنا من اتباع الهوى

ووفقنا لسلوك طريق

الهدى انه ولي التوفيق

والهادي الى سواء

الطريق

تم المتن

وقد اتفق يوم الاثنين تاسع المحرم مفتتح سنة سبع عشرة وتسعمائة

ختم الله تعالى بالبركات خاتمتها كما فتح بالخيرات فاتحتها فراغ ما نظمته البنان

من الكلام ورقمته سنان الاقلام مما يسفر عن معان تهللت وجوهها بالبشائر

وتلألأت ثغورها ولا تلألؤ الصباح وركبت له مطايا العزم واقتحمت

له موارد الحزم وتركت في بغيته لذيذ الكرى وعند الصباح يحمد

القوم السرى فلله تعالى الحمد على ما اولى من نعمة الجسام والصلوة والسلام

على نبيه محمد واله وصحبه الكرام

صورة النهاية من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

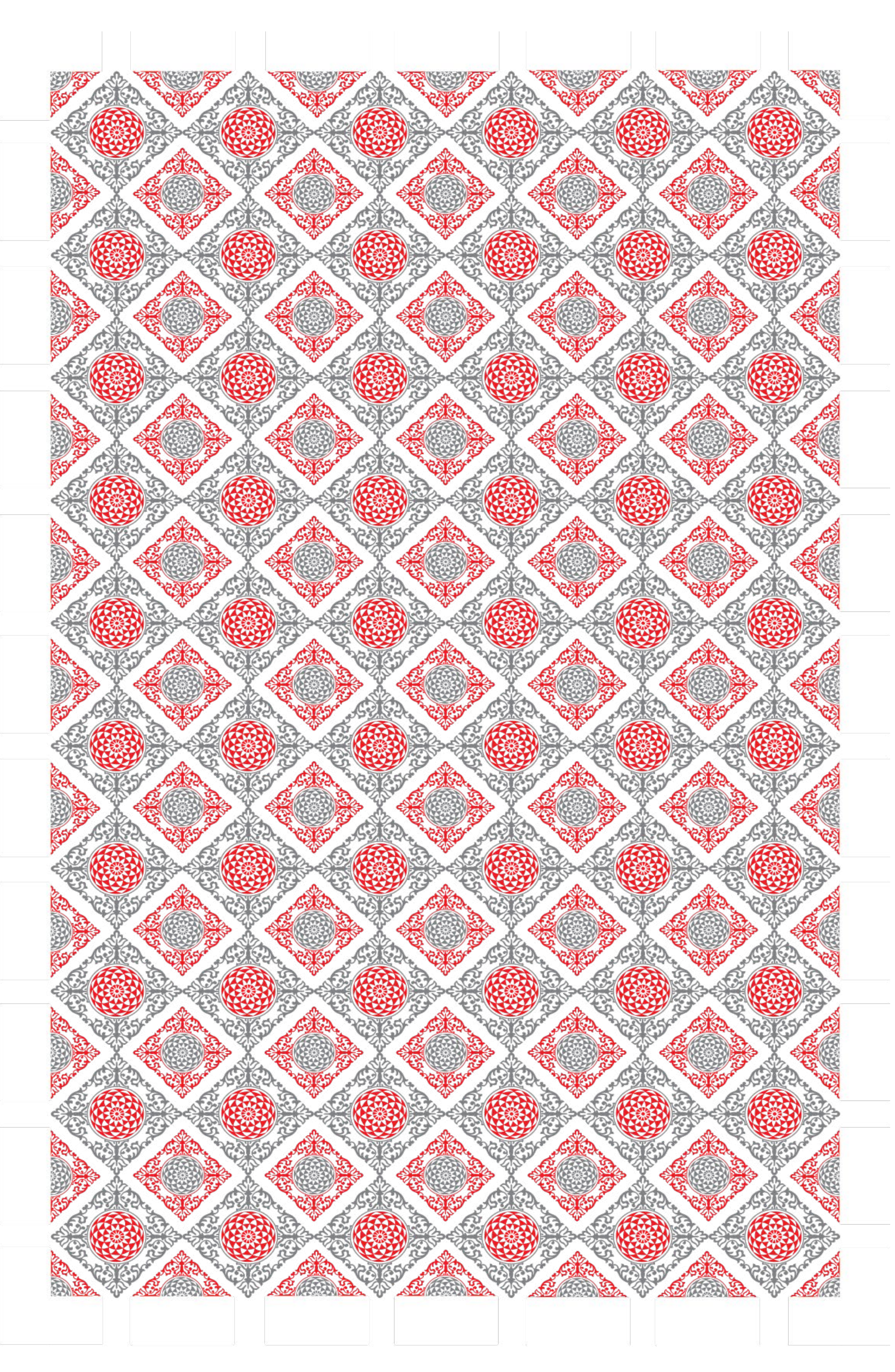
صورة البداية من النسخة (ب)

صورة بداية العمل من النسخة (ب)

صورة النهاية من النسخة (ب)

القسم الثاني

النص المحقق



[مقصد السمعيات]

أَي : ٱلْأَمُورُ ٱلَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا ٱلسَّمْعُ ؛ كَٱلنُّبُوَّةِ ، وَٱلَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَى ٱلسَّمْعِ ؛ كَٱلْمَعَادِ ، وَأَسْبَابِ ٱلسَّعَادَةِ وَٱلشَّقَاوَةِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلطَّاعَةِ ، وَٱلْكُفْرِ ، وَٱلْمَعْصِيَةِ [١].

(**مِنْهَا**) ؛ أَيْ : مِنَ ٱلسَّمْعِيَاتِ (**ٱلنُّبُوَّةُ**) : وَهِيَ كَوْنُ ٱلْإِنْسَانِ مَبْعُوثاً مِنَ ٱلْحَقِّ إِلَى ٱلْخَلْقِ .

فَإِنْ كَانَ ٱلنَّبِيُّ مَأْخُوذاً مِنَ ٱلنَّبَاوَةِ ، وَهِيَ : ٱلرِّفْعَةُ ؛ لِشَرَفِ شَأْنِهِ وَعُلُوِّ مَكَانِهِ ، أَوْ مِنَ ٱلنَّبِيءِ ؛ بِمَعْنَى : ٱلطَّرِيقِ [٢] ؛ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَيْهِ تعَالَىٰ . . فَٱلنُّبُوَّةُ عَلَى ٱلْأَصْلِ بِلَا هَمْزٍ ؛ كَٱلْأُبُوَّةِ .

أَوْ مِنَ ٱلنَّبَأِ ؛ أَيِ : ٱلْخَبَرِ ؛ لِإِنْبَائِهِ عَنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ / ب ١٧٩ / . . فَعَلَىٰ قَلْبِ ٱلْهَمْزَةِ واواً ، ثُمَّ ٱلْإِدْغَامِ ؛ كَٱلْمُرُوَّةِ [٣].

(**ٱلنَّبِيُّ** [٤]: **مَنْ بُعِثَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ لِتَبْلِيغِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ**) مِنَ ٱلْأَحْكَامِ ، (**وَقَدْ يُخَصُّ ٱلرَّسُولُ بِمَنْ لَهُ شَرِيعَةٌ وَكِتَابٌ**) فَيَكُونُ أَخصَّ مِنَ ٱلنَّبِيِّ [٥].

وَعُورِضَ : بِمَا وَرَدَ مُخْبَراً بِزِيَادَةِ عَدَدِ ٱلرُّسُلِ عَلَىٰ عَدَدِ ٱلْكُتُبِ [٦] ، **فَقِيلَ** : هُوَ مَنْ لَهُ كِتَابٌ ، أَوْ نَسْخٌ لِبَعْضِ أَحْكَامِ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ ، وَٱلنَّبِيُّ قَدْ يَخْلُو عَنْ ذَٰلِكَ ؛ كَـ : يُوشَعَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

---

(١) ينظر : « شرح المواقف » (٨ ٢٤١) .

(٢) ينظر : « القاموس المحيط » : (ص : ٥٣) قال : (والنَّبِيء : الطريقُ الواضِحُ) .

(٣) ينظر : « مقاييس اللغة » : (٥ ٣٨٥) ، و « لسان العرب » : (١٥ ٣٠٢) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) اختلف في تعريف النبيّ والرسول على قولين : الأول : النبيُّ : إنسان أوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا ، وإن أُمر بتبليغه فهو نبي رسول ؛ أي : النبي أعمُّ من الرسول ، فبينهما العموم والخصوص المطلق ؛ أي : كل رسول نبي ولا عكس .
الثاني : أنهما بمعنى واحد ، وهذا ظاهر كلام الدلجي ، تبعا للاصل . ينظر : « شرح المقاصد » (٥ ٥) و « حاشية الباجوري على الجوهرة » : (ص : ٣٣) .

(٦) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ « رضي الله عنه » في « صحيح ابن حبان » : كتاب البر والاحسان ، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، (٣٦١) ، (٢ ٧٧) قال قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا .
إسناده ضعيف جدا ، لان إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى بن يحيى الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب ، كما في « الجرح والتعديل » : (٢٤١٢، ٣٤١) وقال الذهبي : متروك ، وكذبه أبو زرعة ، كما في « ميزان الاعتدال » : (٣٧١ و٨٧٣٤).

وَمِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ [١] مَنْ زَعَمَ أَنَّ ٱلرَّسُولَ : هُوَ صَاحِبُ ٱلْوَحْيِ بِوَاسِطَةِ ٱلْمَلَكِ ، وَٱلنَّبِيَّ : هُوَ ٱلْمُخْبِرُ عَنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِكِتَابٍ ، أَوْ إِلْهَامٍ ، أَوْ تَنْبِيهٍ فِي ٱلْمَنَامِ [٢] .

(**وَٱلْبِعْثَةُ : لَطْفٌ وَرَحْمَةٌ**) وَفَضْلٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، تَتَضَمَّنُ مَصَالِحَ وَحِكَماً لَا تُحْصَىٰ .

(**كَمُعَاضَدَةِ ٱلْعَقْلِ**) وَمُعَاوَنَتِهِ فِيمَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَتِهِ ؛ كَوُجُودِهِ تَعَالَىٰ ، وَعِلْمِهِ ، وَقُدْرَتِهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [٣] .

(**وَإِفَادَتِهِ ٱلْحُكْمَ**) مِنَ ٱلنَّبِيِّ فِيمَا لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَتِهِ ؛ كَٱلرُّؤْيَةِ ، وَ أَحْوَالِ ٱلْمَعَادِ ٱلْجِسْمَانِيِّ .

وَإِزَالَةِ ٱلْخَوْفِ ٱلْحَاصِلِ عِنْدَ ٱلإِتْيَانِ بِٱلْحَسَنَاتِ ؛ لِكَوْنِهِ تَصَرُّفاً فِي مُلْكِهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، وَعِنْدَ تَرْكِهَا ؛ لِكَوْنِهِ تَرْكَ طَاعَةً إِلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْفَوَائِدِ :

مِنْهَا : بَيَانُ حَالِ أَفْعَالٍ تَحْسُنُ تَارَةً ، وَتَقْبُحُ أُخْرَىٰ ، وَلَا يَهْتَدِي [٤] ٱلْعَقْلُ إِلَىٰ مَوَاقِعِهَا.

وَمِنْهَا : بَيَانُ مَنَافِعِ ٱلْأَغْذِيَةِ وَٱلْأَدْوِيَةِ [٥] ، وَمَضَارِهَا ٱلَّتِي لَا تَفِي بِهَا ٱلتَّجْرُبَةُ ؛ إِلَّا بَعْدَ أَدْوَارٍ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْأَخْطَارِ.

---

(١) **المعتزلة** : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة ،شيخهم واصل بن عطاء الغزال ، غلب عليها النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل ، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية ولهم أصول خمسة هي العمدة في أرائهم : الاول : التوحيد ، الثاني : العدل ، الثالث : الوعد والوعيد ، الرابع : المنزلة بين المنزلتين ، الخامس : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ينظر : الملل والنحل : (١ ٤٢ ـ ٤٥) ، الفرق بين الفرق : (ص ١١٨) .

(٢) ينظر : « شرح المقاصد » (٥ / ٦) ، قال الزمخشري في « الكشاف » (٣ ١٦٥) : ((والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء : من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه . والنبي غير الرسول : من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله ، وقال الرازي في « مفاتيح الغيب » (٢٣ ٢٣٦) : ((من الناس من قال: الرسول هو الذي حدث وأرسل، والنبي هو الذي لم يرسل ولكنه ألهم أو رأى في النوم . . . ثم قال : أن من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولا، أو أخبره أحد من الرسال بأنه رسول الله، فهو النبي الذي لا يكون رسولا وهذا هو الأولى ، و ذكر الجرجاني في كتابه « التعريفات » (ص: ٢٣٩) تعريف النبي فقال : ((النبي : من أوحي إليه بملك ، أو أُلهم في قلبه ، أو نبه بالرؤيا الصالحة ، فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة ؛ لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله ..

(٣) سورة النساء : (١٦٥) .

(٤) في (١) (تهتدي) المثبت من (ب) .

(٥) في (ب) (سقطت) .

وَمِنْهَا : تَكْمِيلُ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ بِحَسَبِ ٱسْتِعْدَادَاتِهِمُ ٱلْمُخْتَلِفَةِ فِي ٱلْعِلْمِيَّاتِ وَٱلْعَمَلِيَّاتِ .

وَمِنْهَا : تَعْلِيمُ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلْفَاضِلَةِ ٱلرَّاجِعَةِ إِلَىٰ ٱلْأَشْخَاصِ ، وَٱلسِّيَاسَاتِ ٱلْكَامِلَةِ ٱلْعَائِدَةِ إِلَىٰ ٱلْجَمَاعَاتِ مِنَ ٱلْمَنَازِلِ وَٱلْمُدُنِ .

وَمِنْهَا : ٱلْإِخْبَارُ بِتَفَاصِيلِ ثَوَابِ ٱلْمُطِيعِ وَعِقَابِ ٱلْعَاصِي ؛ تَرْغِيباً فِي ٱلْحَسَنَاتِ وَتَرْهِيباً عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ. وَمِنْ ثُمَّ قَالَ ٱلْمُعْتَزِلَةُ : بِوُجُوبِهَا عَلَيْهِ تَعَالَىٰ[1] ، وَٱلْفَلَاسِفَةُ : بِلُزُومِهَا[2] .

وَحَاصِلُهُ كَمَا فِي : « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » : (إِنَّ ٱلنِّظَامَ ٱلْمُؤَدِي إِلَىٰ صَلَاحِ حَالِ ٱلنَّوْعِ وَمَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ ، لَا يَكْتَمِلُ إِلَّا بِبِعْثَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، فَهُوَ وَاجِبٌ عِنْدَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ ؛ لِكَوْنِهِ لُطْفاً أ ١٨٠ وَصَلَاحاً ، وَعِنْدَ ٱلْفَلَاسِفَةِ ؛[3] لِكَوْنِهِ سَبَباً لِلْخَيْرِ ٱلْعَامِّ ٱلْمُسْتَحِيلِ فِي ٱلْحِكْمَةِ[4] وَٱلْعِنَايَةِ ٱلْأَلِهِيَّةِ ، تَرْكُهُ لِاحْتِيَاجِ ٱلنَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ إِلَىٰ مُؤَيَّدٍ مِنَ عِنْدِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، يَضَعُ لَهُمْ قَانُوناً يُسْعِدُهُمْ فِي ٱلدَّارَيْنِ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِي مَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا مِنْ مُقْتَضِيَاتِ ٱلْحِكْمَةِ ، فَيَسْتَحِيلُ عَدَمُهَا ؛ لِاسْتِحَالَةِ ٱلسَّفَهِ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ ، كَمَا أَنَّ مَا عَلِمَ وُقُوعَهُ يَجِبُ أَنْ يَقَعَ ؛ لِاسْتِحَالَةِ ٱلْجَهْلِ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ ، وَعَوَّلُوا فِيهِ عَلَىٰ ضُرُوبٍ مِنَ ٱلِاسْتِدْلَالِ تَرْجِعُ إِلَىٰ مَا ذُكِرَ ، مِنْ لُزُومِ ٱلسَّفَهِ وَٱلْعَبَثِ ؛ كَمَا فِي خَلْقِ ٱلْأَغْذِيَّةِ وَٱلْأَدْوِيَّةِ ٱلَّتِي لَا تَتَمَيَّزُ عَنِ ٱلسُّمُومِ ٱلْمُهْلِكَةِ ، إِلَّا بِتَجَارُبٍ لَا يَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا ٱلْعُقَلَاءُ ، وَلَا تَفِي بِهَا ٱلْأَعْمَارُ ، وَخَلْقِ ٱلْأَبْدَانِ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا بِدُونِ ٱلْغِذَاءِ إِلَّا ٱلْفَنَاءُ ، وَخَلْقِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْمُفْتَقِرِ فِي بَقَائِهِ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ، وَلَا يَنْتَظِمُ بِدُونِ بَعْثِهِمْ ، وَخَلْقِ ٱلْعَقْلِ ٱلْمَائِلِ إِلَى ٱلْمَحَاسِنِ ، ٱلنَّافِرِ عَنِ ٱلْقَبَائِحِ ، ٱلْجَازِمِ

---

(١) قال القاضي عبد الجبار في « المغني » (١٥ ٢٨) : (يجب على كل حال بعثة الرسل؛ لأنه لا فرق بين أن يحتاج إليها في الشروط التي لا تتم العبادات إلا بها، أو في نفس العبادات) ، وقال الشهرستاني في « نهاية الإقدام في علم الكلام » : (ص ٤١٠) : (و المعتزلة وجماعة من الشيعة إلى القول بوجوب وجود النبوات عقلاً من جهة اللطف) . وقال الباجوري في « حاشيته على الجوهرة » (ص ١٩٨) : (بنى المعتزلة قولهم على قاعدة : وجوب الصلاح والأصلح ، فيقولون : النظام المؤدي إلى صلاح النوع الإنساني ، لا يتم الا ببعثة الرسل ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى) .

(٢) ينظر : « رسائل الحكمة والطبيعيات » : (ص ٨٤) ، قال الباجوري في « حاشيته على الجوهرة » (ص ١٩٨) : (ومبنى كلام الفلاسفة على قاعدة التعليل أو الطبيعة ، فيقولون : يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع ، ويلزم من وجود العالم . . وجود من يصلحه) .

(٣) في (ب) (لازم) والمثبت من نسخة (أ) .

(٤) **الحكمة**: علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية ، فهي علم نظري غير آلي ، والحكمة أيضًا : هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة ، والبلادة التي هي تفريطها . ينظر : « التعريفات » : (ص ٩١) .

بِأَنَّ شَرَفَهُ وَكَمَالَهُ فِي ٱلْعِلْمِ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ ، وَٱلْعَمَلِ بِمُقْتَضَيَاتِهَا مِنَ ٱلِامْتِثَالِ وَٱلِاجْتِنَابِ ، وَهُوَ لَا يَسْتَقِلُّ بِجَمِيعِ ذَلِكَ تَفْصِيلاً ، بَلْ يَفْتَقِرُ إِلَىٰ بَيَانٍ مِمَّنْ أَوْجَدَهَا ، وَدَعَا إِلَى ٱلْإِتْيَانِ بِبَعْضِهَا وَٱلِانْتِهَاءِ عَنْ بَعْضِهَا ، فَخَلَقَهُ مَائِلاً إِلَى ٱلْمَحَاسِنِ نَافِراً عَنِ ٱلْقَبَائِحِ ، بِمَنْزِلَةِ ٱلْخِطَابِ فِي كَوْنِهِ دَلِيلاً عَلَى ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ مِمَّا هُوَ قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ ؛ إِذْ لَا مَعْنَىٰ لَهُمَا سِوَى ٱلدَّعْوَةِ إِلَى ٱلْمُبَاشَرَةِ وَٱلِامْتِنَاعِ .

وَكَمَا فِي جَعْلِ بَعْضِ ٱلْأَفْعَالِ ؛ بِحَيْثُ قَدْ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ .. فَيَجِبُ ، أَوْ يُذَمُّ .. فَيَحْرُمُ ؛ كَٱلصَّوْمِ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيَانٌ مِنَ ٱلشَّارِعِ . . لَكَانَ فِي ذَلِكَ إِبَاحَةُ تَرْكِ ٱلْوَاجِبِ ، وَمُبَاشَرَةِ ٱلْحَرَامِ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ ٱلْحِكْمَةِ ، فَظَهَرَ بِمَا ذُكِرَ : أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ فِي كُلِّ عَصْرٍ نَبِيٌّ أَوْ خَلِيفَةٌ لَهُ فِي إِقَامَةِ ٱلدَّلِيلِ ٱلسَّمْعِيِّ .

وَكَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَى ٱلْمُتَمَسِّكِينَ بِٱلشَّرَائِعِ سُلُوكَ طَرِيقِ ٱلْجَنَّةِ ، وَسَبِيلِ ب ١٨٠ ٱلنَّجَاةِ ، مَعَ ٱشْتِغَالِهِمْ بِٱكْتِسَابِ ٱلْمَعَاشِ ، وَخُلُوِّ أَكْثَرِهِمْ عَنْ صِنَاعَةِ ٱلنَّظَرِ ، وَحَذَاقَةِ ٱلذِّهْنِ ، وَعَلَى ٱلْمُتَشَبِّثِينَ بِأَذْيَالِ ٱلْعَقْلِ مِنَ ٱلْفَلَاسِفَةِ ٱلْعُدُولَ عَنِ ٱلصَّوَابِ ، وَٱلْوُقُوعَ فِي ٱلضَّلَالِ مَعَ رَجَاحَةِ عُقُولِهِمْ ، وَدِقَّةِ أَنْظَارِهِمْ ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْمَعَارِفِ ٱلْإِلَهِيَّةِ وَٱلْعُلُومِ ٱلْيَقِينِيَّةِ .

وَلَا يَعْزُبُ عَنْكَ أَنَّ تَرْوِيجَ هَذَا ٱلْمَقَالِ ؛ تَوْسِيعاً لِمَذْهَبِ ٱلِاعْتِزَالِ ؛ إِذْ لَا يُرِيدُونَ بِٱلْوُجُوبِ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ سِوَىٰ أَنَّ تَرْكَهُ لِقُبْحِهِ مُخِلٌّ بِٱلْحِكْمَةِ ، وَمَظَنَّةٌ لِاسْتِحْقَاقِ ٱلْمَذَمَّةِ ، وَٱلْحَقُّ عِنْدَنَا ـ كَمَا مَرَّ ـ أَنَّهَا لُطْفٌ وَرَحْمَةٌ يَحْسُنُ فِعْلُهَا وَلَا يَقْبُحُ تَرْكُهَا ، عَلَىٰ مَا هُوَ ٱلْحَقُّ فِي سَائِرِ ٱلْأَلْطَافِ ، وَلَيْسَتْ لِاسْتِحْقَاقٍ مِنَ ٱلْمَبْعُوثِ بِٱجْتِمَاعِ أَسْبَابٍ وَشُرُوطٍ فِيهِ ، بَلْ يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ؛ إِذْ هُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) .[1]

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٦ – ٨) . قال في العقائد النسفية : (وفي إرسال الرسل حكمة) .

(وَقَدْ) أَنْكَرَ ٱلْبِعْثَةَ طَوَائِفُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَالَهَا ؛ لِتَوَقُّفِهَا عَلَىٰ عِلْمِ ٱلْمَبْعُوثِ ؛ بِأَنَّ ٱلْبَاعِثَ هُوَ ٱللهُ تَعَالَىٰ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ [١].

قُلْنَا : (**يَعْرِفُهَا**) ؛ أَيِ : ٱلْبِعْثَةَ (**ٱلْمَبْعُوثُ بِنَصْبِ ٱلْأَدِلَّةِ**) مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، (**أَوْ**) خَلْقِ (**عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ**) فِيهِ ؛ إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ ، (وَ) مِنْهُمْ مَنْ جَزَمَ بِعَدَمِ ٱلِاحْتِيَاجِ إِلَيْهَا ؛ كَٱلْبَرَاهِمَةِ مِنَ ٱلْهِنْدِ أَتْبَاعِ بَرْهَامَ [٢]؛ لِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِذَا كَانَ مُوَافِقاً لِلْعَقْلِ حَسَناً عِنْدَهُ . . فَيُعْقَلَ وَيُفْعَلَ ، وَإِنْ لَمْ يَجِئْ بِهِ نَبِيٌّ ، أَوْ مُخَالِفاً لَهُ ، قَبِيحاً عِنْدَهُ . . فَيُرَدَّ وَيُتْرَكَ ، وَإِنْ جَاءَ بِهِ نَبِيٌّ . . فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ [٣].

(**قُلْنَا**) : مَا وَافَقَهُ قَدْ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَتِهِ فَيَدُلُّهُ ٱلنَّبِيُّ عَلَيْهِ السلام ، وَقَدْ يَسْتَقِلُّ فَيُعَاضِدَهُ وَيُؤَكِّدَهُ ، بِمَنْزِلَةِ أَدِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ عَلَىٰ مَدْلُولٍ وَاحِدٍ .

(وَ) مَا يُخَالِفُهُ قَدْ لَا يَكُونُ مَعَ ٱلْجَزْمِ فَيَدْفَعُهُ ٱلنَّبِيُّ ، أَوْ يُرْفَعُ عَنْهُ ٱلِاحْتِمَالُ (وَ) مَا لَا يُدْرِكُ حُسْنَهُ وَلَا قُبْحَهُ ، قَدْ يَكُونُ حَسَناً يَجِبُ فِعْلُهُ ، وَقَبِيحاً يَجِبُ تَرْكُهُ ، هَذَا مَعَ أَنَّ ٱلتَّفْوِيضَ إِلَى ٱلْعُقُولِ مَظِنَّةُ ٱلتَّنَازُعِ ؛ لِتَفَاوُتِهَا ، وَمُفْضٍ إِلَى ٱخْتِلَالِ ٱلنِّظَامِ ، وَأَنَّ فَوَائِدَ ٱلْبِعْثَةِ لَا تَنْحَصِرُ / أ ١٨١ / فِي بَيَانِ حُسْنِ ٱلْأَشْيَاءِ وَقُبْحِهَا .

(مِنْهُمْ) مَنْ لَزِمَ ذَلِكَ مِنْ عَقِيدَتِهِ ؛ كَٱلْفَلَاسِفَةِ ٱلنَّافِينَ لِاخْتِيَارِهِ تَعَالَىٰ ، وَعِلْمِهِ بِٱلْجُزْئِيَّاتِ ، وَظُهُورِ ٱلْمَلَكِ لِلْبَشَرِ ، وَنُزُولِهِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ؛ لِكَوْنِ ٱلتَّكْلِيفِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْعُمْدَةُ فِي بَابِ ٱلْبِعْثَةِ عَبَثاً لَا يَلِيقُ بِٱلْحَكِيمِ ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ لِلْعَبْدِ ، لِكَوْنِهِ مَضَرَّةً نَاجِزَةً ، وَمَشَقَّةً ظَاهِرَةً ، وَلَا لِلْمَعْبُودِ ؛ لِتَعَالِيهِ عَنِ ٱلِاسْتِفَادَةِ وَٱلِانْتِفَاعِ ، (وَ) أَيْضاً مِنْهُ شُغْلٌ لِلْقَلْبِ عَمَّا هُوَ غَايَةٌ لِلْأَعْمَالِ وَنِهَايَةُ ٱلْكَمَالِ ؛ أَعْنِي :

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٨) و « شرح العقائد النسفية » : (ص ٥٤١) و حاشية الكستلي على العقائد النسفية » : (ص ٥٤١) . قال الشهرستانيُّ في « نهاية الإقدام في علم الكلام » (ص ٤١٠) : (صارت البراهمة والصابئة إلى القول باستحالة النبوات عقلاً)قال الباجوريُّ في « حاشيته على الجوهرة » (ص ١٩٨) : (والثاني : أعني من أحاله ؛ كالسمنيةِ والبراهمةِ زعموا : أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم ، لأن العقل يغني عن الرسل ، فإن كان حسنا عند العقل . . فعله ، وإن لم تأت به الرسل ، وإن كان قبيحا عنده . . تركه وإن لم تأت به الرسل ، وإن لم يكن عنده حسنا ولا قبيحا : فإن احتاج إليه .. فعله وإلا تركه) .

(٢) **البراهمة** : اسم يُطلق على أفراد الطبقة العليا ، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين ، عند الهندوس ، إنما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له براهم . ينظر « الملل والنحل » : (٣ ٩٦) .

(٣) وخلاصة قولهم : في العقل كفاية عن البعثة ؛ لأن ما حسنه العقل فحسن ، وما قبحه فقبيح ، وما لم يحكم فيه بشيء يفعله عند الحاجة . ينظر : (حاشية رمضان افندي على شرح العقائد) : (ص : ٥٤٢) .

ٱلِاسْتِغْرَاقَ فِي مَعْرِفَتِهِ ، وَٱلْفَنَاءَ فِي عَظَمَتِهِ .

قُلْنَا : (**مَنَافِعُ ٱلتَّكْلِيفِ أَكْثَرُ مِنْ مَضَارِّهِ**) ؛ لِقِلَّتِهَا جِدّاً بِٱلنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَنَافِعِهِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَٱلْأُخْرَوِيَّةِ ٱلظَّاهِرَةِ لِلْوَاقِفِينَ عَلَىٰ ظَوَاهِرِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ، فَضْلاً عَنِ ٱلْكَاشِفِينَ عَنْ أَسْرَارِهَا ٱلْخَفِيَّةِ ، مَعَ أَنَّ ٱلتَّكْلِيفَ صَرْفُ ٱلْقَلْبِ إِلَىٰ مَا ذَكَرْتُمْ لَا شُغْلُهُ عَنْهُ ؛ كَمَا تَوَهَّمْتُمْ .

(وَ) مِنْهُمْ مَنْ لَزِمَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ؛ كَٱلْمُصِرِّينَ عَلَى ٱلْخَلَاعَةِ ، وَعَدَمِ ٱلْمُبَالَاةِ ، وَنَفْيِ ٱلتَّكَالِيفِ ، وَدَلَالَةِ ٱلْمُعْجِزَةِ ؛ لِتَمَكُّنِهِمْ مِنَ ٱتِّبَاعِ ٱلْهَوَىٰ وَتَرْكِ ٱلطَّاعَةِ [1] .

(**قَالُوا**) : إِنَّا نَجِدُ ٱلشَّرَائِعَ مُشْتَمِلَةً عَلَىٰ أَفْعَالٍ وَهَيْئَاتٍ ، لَا نَشُكُّ [2] فِي أَنَّ ٱلصَّانِعَ ٱلْحَكِيمَ لَا يَعْتَبِرُهَا وَلَا يَأْمُرُ بِهَا ؛ كَمَا نُشَاهِدُ فِي ٱلْحَجِّ وَٱلصَّلَاةِ ، وَكَغَسْلِ بَعْضِ ٱلْأَعْضَاءِ لِخَارِجٍ ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْخَارِجَةِ عَنْ قَانُونِ ٱلْعَقْلِ .

قُلْنَا : هِيَ (**وَإِنْ خَفِيَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ**) أُمُورٌ تَعَبُّدِيَّةٌ ٱعْتَبَرَهَا ٱلشَّارِعُ ؛ ٱبْتِلَاءً لِلْمُكَلَّفِينَ ، وَتَمْرِيناً لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَأْكِيداً لِمَلَكَةِ [3] ٱمْتِثَالِهِمُ ٱلْأَوَامِرَ وَٱلنَّوَاهِي ؛ (كَـ : **هَيْئَاتِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلْحَجِّ**) ، وَلَعَلَّ فِيهَا حِكَماً وَمَصَالِحَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا ٱللهُ تَعَالَىٰ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بَعْضُ خَائِضِي بِحَارِ أَسْرَارِ ٱلشَّرِيعَةِ .

(**وَثُبُوتُهَا**) ؛ أَيِ : ٱلْبِعْثَةِ : (**بِٱلْمُعْجِزَةِ**) : مَأْخُوذٌ مِنَ ٱلْعَجْزِ ٱلْمُقَابِلِ لِلْقُدْرَةِ ، وَحَقِيقَةُ ٱلْإِعْجَازِ : إِثْبَاتُ ٱلْعَجْزِ [4] ؛ ٱسْتُعِيرَ لِإِظْهَارِهِ ثُمَّ أُسْنِدَ مَجَازاً عَقْلِيّاً إِلَىٰ مَا هُوَ سَبَبُهُ [5] ، وَجُعِلَ / ب ١٨١ / ٱسْماً

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٨ – ١٠) .

(٢) في (ب) (يشك) والمثبت هو الصواب .

(٣) **الملكة** : هي صفةٌ راسخة في النفس ، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ، ويقال لتلك الهيئة : كيفية نفسانية ، وتسمى : حالة ما دامت سريعة الزوال ، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكَة ، ينظر « التعريفات » : (ص ٢٢٩) .

(٤) ينظر « تاج العروس » : (١٥ ٢٠٠) .

(٥) **المجاز العقلي** : هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع . الإسناد إلى السبب ، كقوله : (بنى الأمير المدينة) فإنّ الأمير سبب بناء المدينة لا إنّه بناها بنفسه . ينظر « مفتاح العلوم » : (ص ٣٩٣)

لَهُ ، فَٱلتَّاءُ لِلنَّقْلِ مِنَ ٱلْوَصْفِيَّةِ إِلَىٰ ٱلاِسْمِيَّةِ ، أَوْ لِلْمُبَالَغَةِ ؛ كَمَا فِي : « عَلَّامَةٍ »[١] .

(**وَهِيَ**) ؛ أَي : ٱلْمُعْجِزَةُ : (**أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ**) ، فَدَخَلَ ٱلْفِعْلُ ؛ كَٱنْفِجَارِ ٱلْمَاءِ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَصَابِعِ[٢] ، وَعَدَمُ ٱلْفِعْلِ ؛ كَعَدَمِ إِحْرَاقِ ٱلنَّارِ ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى ٱلْفِعْلَ .. جَعَلَ ٱلْعَجْزَ هُنَا كَوْنَ ٱلنَّارِ بَرْداً وَسَلَاماً ، وَ بَقَاءَ ٱلْجِسْمِ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ٱحْتِرَاقٍ . . (**مَقْرُونٌ بِٱلتَّحَدِي**) ، **فَخَرَجَ** : كَرَامَاتُ ٱلْأَوْلِيَاءِ[٣] .

وَٱلْعَلَامَاتُ ٱلَّتِي تَتَقَدَّمُ بِعْثَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ **فَإِنَّهَا** : إِرْهَاصَاتٌ ؛ أَيْ : تَأْسِيسَاتٌ لِقَاعِدَةِ ٱلْبِعْثَةِ[٤] ، **وَخَرَجَ** : ٱتِّخَاذُ ٱلْكَاذِبِ مُعْجِزَةَ مَنْ مَضَىٰ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ حُجَّةً لِنَفْسِهِ ؛ كَأَنْ يَقُولَ : (مُعْجِزَتِي مَا ظَهَرَ مِنِّي فِيمَا مَضَىٰ) .

زَادَ ٱلْإِمَامُ[٥]: مَعَ عَدَمِ ٱلْمُعَارَضَةِ ؛ أَيْ : بِأَنْ لَا يَظْهَرَ مِثْلُهُ مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ ، وَأَمَّا مِنْ نَبِيٍّ آخَرَ . . فَلَا مَانِعَ .

وَبَعْضُهُمْ : وَأَنْ يَكُونَ فِي زَمِنِ ٱلتَّكْلِيفِ ؛ لِيَخْرُجَ مَا يَقَعُ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَعِنْدَ ظُهُورِ أَشْرَاطِ ٱلسَّاعَةِ ، وَٱنْتِهَاءِ ٱلتَّكَالِيفِ مِنَ ٱلْخَوَارِقِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُعْجِزَةٍ ؛ لِكَوْنِهِ زَمَانَ نَقْضِ ٱلْعَادَاتِ ، وَتَغْيِيرِ ٱلرُّسُومِ[٦] .

---

(١) عند نقل الصفة إلى اسم ، يسمى النقل : النقل من الوصفية إلى الاسمية ، مثلما يقال : النقل من الفعلية إلى الاسمية ومن الحرفية ونحو ذلك .

(٢) كما حدث له « صلى الله عليه وسلم » ، أخرج البخاري في « صحيحه» (٣٥٧٢) ، (٤ ١٩٢) ومسلم في « صحيحه » (٢٢٧٩) ، (٤ ١٧٨٣) عن سيدنا أنس « رضي الله عنه » ، قال : (أتي النبي « صلى الله عليه وسلم » بإناء ، وهو بالزوراء ، فوضع يده في الإناء ، « فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم » قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاث مائة ، أو زهاء ثلاث مائة).

(٣) **الكرامة** : هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة . ينظر : « شرح العقائد النسفية » : (ص : ٥٦٨) ، « التعريفات» (ص ١٨٤) و « حاشية الباجوري » (ص ٢٢١) .

(٤) **الإرهاص** : هو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإظلال الغمام له « صلى الله عليه وسلم » قبل البعثة . « حاشية الباجوري » (ص ٢٢١) .

(٥) هو الإمام فخر الدين الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازيّ ، الإمام المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ) من تصانيفه « مفاتيح الغيب » و« معالم أصول الدين » وغيرها ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٨ ٨١) و « الأعلام » : (٦ ٣١٣) ، قال في « المحصل » (ص ٢٠٧) : (مسألة : المعجز : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة) .

(٦) قال أبو المعين النسفيُّ في « التمهيد » (ص ٧٤) : (المعجزة : وحدها على طريقة المتكلمين أنها ظهور أمر بخلاف العادة في دار التكليف ؛ لإظهار صدق مدعي النبوة مع نكول من يتحدى به عن معارضته بمثله ، وإنما قيد بـ « دار التكليف » لأن ما يظهر من الناقض للعادة في دار الآخرة لا يكون معجزة) .

وَقَدَحَ بَعْضُ مُنْكِرِي ٱلنُّبُوَّةِ فِي ٱلْمُعْجِزَةِ ؛ فَإِنَّ تَجْوِيزَ خَوَارِقِ ٱلْعَادَاتِ سَفْسَطَةٌ [١]؛ إِذْ لَوْ جَازَتْ . . لَجَازَ ٱنْقِلَابُ ٱلْجَبَلِ ذَهَباً ، وَٱلْبَحْرِ دُهْناً ، وَمُدَّعِي ٱلنُّبُوَّةِ شَخْصاً آخَرَ ظَهَرَتِ ٱلْمُعْجِزَاتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ مَنْ أَتَىٰ بِٱلْأَحْكَامِ ٱلشَّرْعِيَّةِ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ أَشْخَاصاً مُمَاثِلَةً لِمَنْ ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ بِٱلْمُعْجِزَةِ .

وَبَعْضُهُمْ : بِأَنَّهَا عَلَىٰ تَقْدِيرِ ثُبُوتِهَا لَا تَثْبُتُ عَلَىٰ غَائِبٍ ؛ لِأَنَّ أَقْوَىٰ طُرُقِ نَقْلِهَا ٱلتَّوَاتُرُ [٢]، وَهُوَ لَا يُفِيدُ ٱلْيَقِينَ ؛ لِإِنَّ جَوَازَ ٱلْكَذِبِ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ يُوجِبُ جَوَازَهُ عَلَى ٱلْكُلِّ ؛ لِكَوْنِهِ نَفْسَ ٱلْآحَادِ .

قُلْنَا : خَوَارِقُ ٱلْعَادَاتِ أُمُورٌ مُمْكِنَةٌ فِي نَفْسِهَا مُمْتَنِعَةٌ عَادَةً ؛ بِمَعْنَىٰ : أَنَّ ٱلْعَادَةَ لَمْ تَجْرِ بِوُقُوعِهَا ؛ كَٱنْقِلَابِ ٱلْعَصَا حَيَّةً ، فَحِينَئِذٍ (**إِمْكَانُهَا ضَرُورِيٌّ**) ، وَإِبْدَاعُهَا لَيْسَ بِأَبْعَدَ ، وَأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِ ٱلسَّمَاءِ وَ ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَٱلْجَزْمُ بِعَدَمِ وُقُوعِ بَعْضِهَا ؛ كَٱنْقِلَابِ ٱلْجَبَلِ وَٱلْبَحْرِ . . لَا يُنَافِي ٱلْإِمْكَانَ ٱلذَّاتِيَّ [٣] .

وَ أَيْضاً ٱلْمُتَوَاتِرُ أَحَدُ أَقْسَامِ ٱلضَّرُورِيَّاتِ ، فَٱلْقَدْحُ فِيهَا /أ ١٨٢ / مَعَ ظُهُورِ ٱلِانْدِفَاعِ لَا يَسْتَحِقُّ جَوَاباً.

وَ وَجْهُ دَلَالَتِهَا ؛ أَيِ : دَلَالَةِ ٱلْمُعْجِزَةِ عَلَىٰ صِدْقِ مُدَّعِي ٱلرِّسَالَةِ (**أَنَّهَا**) عِنْدَ ٱلتَّحْقِيقِ ؛ (**كَصَرِيحِ ٱلْقَوْلِ**) مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ : بِأَنَّهُ صَادِقٌ لِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ [٤] مِنْ خَلْقِهِ عَقِبَهَا ٱلْعِلْمَ ٱلضَّرُورِيَّ بِٱلصِّدْقِ .

كَمَنْ قَالَ لِجَمَاعَةٍ : (أَنَا رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ) ، ثُمَّ نَتَقَ جَبَلاً عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ ، وَقَالَ : إِنْ كَذَّبْتُمُونِي وَقَعَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي . . ٱنْصَرَفَ عَنْكُمْ ، فَكُلَّمَا هَمُّوا بِتَصْدِيقِهِ . . بَعُدَ عَنْهُمْ ، أَوْ بِتَكْذِيبِهِ .. قَرُبَ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ضَرُورَةً صِدْقَهُ مَعَ قَضَاءِ ٱلْعَادَةِ بِٱمْتِنَاعِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْكَاذِبِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ [٥] مُمْكِناً عَقْلاً ؛ لِشُمُولِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ لِلْمُمْكِنَاتِ بِأَسْرِهَا ، وَكَمَنْ قَامَ فِي مَجْلِسِ مَلِكٍ بِحَضْرَةِ جَمٍّ غَفِيرٍ (**وَقَالَ : أَنَا رَسُولُ هَذَا ٱلْمَلِكِ**) وَطَالَبُوهُ بِٱلْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَ : (**حُجَّتِي**) أَنْ يُخَالِفَ هَذَا

---

(١) **السفسطة** : قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم .ينظر : « التعريفات » : (ص : ١١٨) .

(٢) **المتواتر** : إذا روى الحديث الصَّحيح عددٌ كثير من الرُّواة تُحيل العادةُ تواطؤهم على الكذب ، **والآحاد** : ما لم يَجْمَعْ شروطَ التواتر . « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » : (ص ٣٧ و ٥٥) .

(٣) **الإمكان الذاتي**: هو ما لا يكون طرفه المخالف واجبا بالذات وإن كان واجبا بالغير. ينظر : « التعريفات » : (ص: ٦٣)

(٤) في (ب) (العادة) .

(٥) في (ب) (سقطت) .

ٱلْمَلِكُ عَادَتَهُ (**وَيَقُومَ عَنْ سَرِيرِهِ ثَلَاثاً ، فَفَعَلَ ؛ فَإِنَّهُ يُفِيدُ عِلْماً ضَرُورِيّاً**) بِصِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ ٱرْتِيَابٍ .

(**عَادِيّاً**) أَيْ : بِطَرِيقِ جَرْيِ ٱلْعَادَةِ ؛ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يَخْلُقُ ٱلْعِلْمَ ٱلضَّرُورِيَّ عَقِبَهَا ، فَخَرْقُهَا إِعْجَازٌ لِلنَّبِيِّ ، وَكَرَامَةٌ لِلْوَلِيِّ ، عَادَةً [1] مُسْتَمِرَّةً فِي كُلِّ عَصْرٍ ، فَلَا يَتَأَتَّىٰ إِنْكَارُهُ .

وَٱلْقَوْلُ بِإِنَّ هَذَا تَمْثِيلٌ وَقِيَاسٌ لِلْغَائِبِ عَلَى ٱلشَّاهِدِ ، وَهُوَ عَلَىٰ تَقْدِيرِ ظُهُورِ ٱلْجَامِعِ ، إِنَّمَا يُعْتَبَرُ فِي ٱلْعَمَلِيَّاتِ ؛ لِإِفَادَةِ ٱلظَّنِّ ، وَقَدِ ٱعْتَبَرْتُمُوهُ بِلَا جَامِعٍ لِإِفَادَةِ ٱلْيَقِينِ فِي ٱلْعِلْمِيَّاتِ ، ٱلَّتِي هِيَ أَسَاسُ ثُبُوتِ ٱلشَّرَائِعِ ، عَلَىٰ أَنَّ حُصُولَ ٱلْعِلْمِ فِيمَا ذَكَرْتُمْ مِنَ ٱلْمِثَالِ : إِنَّمَا هُوَ لِمَا شُوهِدَ مِنْ قَرَائِنِ ٱلْأَحْوَالِ .

قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ : بِأَنَّ ٱلتَّمْثِيلَ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّوْضِيحِ وَٱلتَّقْرِيبِ دُونَ ٱلِاسْتِدْلَالِ ، وَلَا مَدْخَلَ لِمُشَاهَدَةِ ٱلْقَرَائِنِ فِي إِفَادَةِ ٱلْعِلْمِ ٱلضَّرُورِيِّ ؛ لِحُصُولِهِ لِمَنْ غَابَ عَنِ ٱلْمَحَلِّ بِتَوَاتُرِ ٱلْقَضِيَّةِ ، وَلِمَنْ حَضَرَ فِيمَا إِذَا فَرَضْنَا كَوْنَ ٱلْمَلِكِ فِي بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَدُونَهُ حُجُبٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ تَحْرِيكِهَا غَيْرُهُ ، وَجَعَلَ مُدَّعِي ٱلرِّسَالَةِ حُجَّتَهُ إِنْ يُحَرِّكَهَا ٱلْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ . . فَفَعَلَ .

(**وَلَا يَقْدَحُ فِيهِ**) أَيْ : فِي كَوْنِ دَلَالَتِهَا عَلَىٰ ٱلصِّدْقِ وَٱلْجَزْمِ بِرِسَالَتِهِ (**ٱحْتِمَالُ كَوْنِهَا**) أَيْ : كَوْنُ ٱلْمُعْجِزَةِ (**مِنْهُ**) /ب ١٨٢ / ؛ أَيْ : مِنَ ٱلرَّسُولِ لَا مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ (**لِخَاصَّةٍ فِيهِ**) يَقْوَىٰ بِهَا عَلَىٰ فِعْلٍ يَعْجُزُ عَنْهُ غَيْرُهُ (**أَوْ ٱطْلَاعِهِ عَلَىٰ خَاصَّةٍ فِي بَعْضِ ٱلْأَجْسَامِ**) يَتَخِذُهَا مُعْجِزَةً لِنَفْسِهِ (**أَوْ**) عَلَىٰ (**وَضْعٍ فَلَكِيٍّ**) يَسْتَأْثِرُ بِمَعْرِفَتِهِ ؛ إِذَا فَعَلَهُ ترتب [2] عَلَيْهِ أَمْرٌ غَرِيبٌ ، يَعْجُزُ عَنْ مِثْلِهِ غَيْرُهُ .

(**أَوْ**) كَوْنُهُ (**مِنْ مَلَكٍ**) يَظْهَرُ عَلَىٰ يَدِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ غَيْرُهُ (**أَوْ**) كَوْنُهُ (**مِنْ جِنٍّ**) لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ أَفْعَالٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ (**أَوْ**) كَوْنُهُ (**ٱبْتِدَاءَ عَادَةٍ**) أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِجْرَاءَهَا أَوْ تَكْرِيرَهَا عَادَةً لَا تَقَعُ فِي أَزْمِنَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ ؛ كَعَوْدِ ٱلثَّوَابِتِ إِلَىٰ نُقْطَةٍ مُعَيَّنَةٍ .

(**أَوْ**) كَوْنُهُ مِمَّا يُعَارَضُ لَكِنَّهُ (**لَمْ يُعَارَضْ**) ؛ لِمُوَافَقَةٍ مِنَ ٱلْقَوْمِ عَلَىٰ إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، أَوْ تَسَاهُلِهِمْ وَقِلَّةِ مُبَالَاتِهِمْ بِهِ ، أَوِ ٱشْتِغَالِهِمْ بِمَا هُوَ أَهَمُّ (**أَوْ عُورِضَ وَلَمْ يُنْقَلْ**) أَنَّهُ عُورِضَ لِمَانِعٍ مِنْ ذَلِكَ .

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) في (أ) (يرتب) والمثبت من نسخة (ب) .

(**أَوْ**) كَوْنُهُ (**لَا لِغَرَضِ تَصْدِيقِهِ**) لِانْتِفَاءِ ٱلْغَرَضِ فِي أَفْعَالِهِ تَعَالَىٰ ، (**بَلْ**) لِغَرَضٍ آخَرَ كَأَنْ يَكُونَ لُطْفاً بِهِ ، أَوْ إِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ ، أَوْ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ آخَرَ ، أَوْ إِرْهَاصاً لِنَبِيٍّ يَأْتِي ، فَعَدَمُ قَدْحِ هَٰذِهِ ٱلِاحْتِمَالَاتِ ٱلْعَقْلِيَّةِ ؛ (**لِعَدَمِ مُنَافَاتِهَا لِلْعُلُومِ ٱلْعَادِيَّةِ ٱلْقَطْعِيَّةِ**) ضَرُورَةً ، فَنَحْنُ نَقْطَعُ بِحُصُولِ عِلْمِنَا بِصِدْقِهِ عَقِبَ ظُهُورِ مُعْجِزَتِهِ مِنْ غَيْرِ ٱلْتِفَاتٍ إِلَىٰ مَا ذُكِرَ مِنَ ٱلِاحْتِمَالَاتِ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ ؛ كَمَا يَحْصُلُ فِي ٱلْمِثَالِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَإِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ غَشُوماً ، ظَلُوماً ، كَذُوباً ، لَا يُبَالِي بِإِغْوَاءِ رَعِيَّتِهِ وَٱلِاسْتِهْزَاءِ بِرُسُلِهِ .

(**عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَنَا فِيمَا**) حَصَلَ ٱلْجَزْمُ بِكَوْنِهِ خَارِقاً لِلْعَادَةِ ، وَفِيمَا ثَبَتَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ قَطْعاً مَعَ كَوْنِهِمْ أَحَقَّ بِهَا إِنْ أَمْكَنَتْ ؛ لِكَثْرَةِ ٱشْتِغَالِهِمْ بِمَا يُنَاسِبُهَا ، (**وَفَرْطِ ٱهْتِمَامِهِمْ بِهَا**) ، وَتَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ إِلَيْهَا [١] .

(**وَمِنْ**) ثُمَّ كَانَتْ مُعْجِزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسِ مَا غَلَبَ عَلَىٰ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَتَهَالَكُوا عَلَيْهِ ، وَتَفَاخَرُوا بِهِ ؛ كَٱلسِّحْرِ [٢] فِي زَمَنِ مُوسَىٰ ، وَٱلْمُوسِيقَىٰ فِي زَمَنِ دَاوُدَ ، وَٱلْمُلْكِ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ ، وَمِنْ ثُمَّ طَلَبَ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَٱلطِّبِّ فِي زَمَنِ عِيسَىٰ ، وَٱلْفَصَاحَةِ فِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ « صَلَوَاتُ ٱللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ » .

(**وَأَنَّهُ لَا مُؤَثِّرَ** [٣] **فِيهِ**) وَسَائِرِ ٱلْمُمْكِنَاتِ إِلَّا ٱللهُ / أ ١٨٣ / تَعَالَىٰ وَحْدَهُ ، فَٱلْمُعْجِزُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِعْلُهُ تَعَالَىٰ ، لَا فِعْلُ مُدَّعِي ٱلرِّسَالَةِ ؛ كَٱنْقِلَابِ ٱلْعَصَا حَيَّةً [٤] ، وَإِحْيَاءِ ٱلْمَوْتَىٰ [٥] ، وَٱنْشِقَاقِ ٱلْقَمَرِ [٦] ، وَسَلَامِ ٱلْحَجَرِ وَٱلْمَدَرِ [٧] ، مَعَ أَنَّ مُجَرَّدَ ٱلتَّمْكِينِ وَتَرْكَ ٱلدَّفْعِ مِنَ ٱلْقَادِرِ ٱلْمُخْتَارِ . . كَافٍ فِي إِفَادَةِ ٱلْمَطْلُوبِ .

---

(١) قال التفتازانيُّ في « شرح المقاصد » (٥ ١٨) : (أن كلامنا فيما حصل الجزم بأنه خارق للعادة ، وأن المتحدين عجزوا عن معارضته مع كونهم أحق بها إن أمكنت ؛ لكثرة اشتغالهم بما يناسب ذلك ، وكمالهم فيه ، وفرط اهتمامهم بالمعارضة ، وتوفر دواعيهم ولهذا كانت معجزة كل نبي من جنس ما غلب على أهل زمانه وتهالكوا عليه وتفاخروا به) .

(٢) **السحر** : هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأشياء خفية . ينظر « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » (١ ٥٧) .

(٣) في (ب) (يؤثر) .

(٤) قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة الأعراف : (١٠٧)

(٥) قال تعالى : ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ سورة آل عمران : (٤٩) .

(٦) قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ سورة القمر : (١) .

(٧) أخرج مسلم في « صحيحه » (٢٢٧٧) ، (٤ ١٧٨٢) : عن سيدنا جابر بن سمرة « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ((إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن .

(**وَأَنَّ ٱلتَّصْدِيقَ**) مِنْهُ تَعَالَىٰ لَهُ (**لَا يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ كَوْنِهِ غَرَضاً لَهُ**) تَعالَىٰ ؛ لِإِنَّ أَفْعَالَهُ تَعَالَىٰ لَيَسَتْ بِٱلْأَغْرَاض ، إنْ تُرَتَّبَ عَلَيْهِ أَثَارٌ وَغَايَاتٌ ، فَخَلْقُهُ ٱلْمُعْجِز عَلَىٰ يد [1] ٱلْمُدَّعِي لَيْسَ لِغَرِضٍ تَصْدِيقِهِ بَلْ إِنَّهَا دَلَّتْ عَلَىٰ تَصْدِيقٍ مِنْهُ تَعَالَىٰ ، قَائِمٍ بِذَاتِهِ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ جِنْسِ ٱلْعِلْمِ ، أَوِ ٱلْكَلَامِ ، أَوْ غَيْرِهَا .

(**وَأَنَّ ظُهُورَهُ**) أَيِ : ٱلْمُعْجِزِ عَلَىٰ يَدِ ٱلْكَاذِبِ لِأَيِّ غَرَضٍ كَانَ ، (**وَإِنْ جُوِّزَ**) بِنَاءً عَلَىٰ شُمُولِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ سَائِرَ ٱلْمُمْكِنَاتِ . . (**قَطْعِيُّ ٱلِانْتِفَاءِ**) مُمْتَنِعٌ عَادَةً ؛ كَمَا هُوَ حُكْمُ سَائِرِ ٱلْعَادِيَّاتِ ، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ ٱلْقَاضِي [2] : (ٱقْتِرَانُ ٱلْمُعْجِزَةِ بِٱلصِّدْقِ أَحَدُ ٱلْعَادِيَّاتِ ، فَإِذَا جَوَّزْنَا ٱنْحِرَافَهَا عَنْ مَجْرَاهَا . . جَازَ إِخْلَاؤُهَا عَنِ ٱعْتِقَادِ ٱلصِّدْقِ ، وَحِينَئِذٍ يَجُوزُ ظُهُورُهَا عَلَىٰ يَدِ ٱلْكَاذِبِ ، وَأَمَّا بِدُونِ ذَلِكَ .. فَلَا ؛ لِاسْتِحَالَةِ ٱلْعِلْمِ بِصِدْقِهِ) [3].

(**وَلَا رَيْبَ**) لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدْيَانِ (**فِي أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ** « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ») أَرْسَلَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّينِ كُلِّهِ ، إِلَّا ٱلْبَعْضُ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ ؛ لِادْعِائِهِ ٱلرِّسَالَةَ ، وَإِظْهَارِهِ ٱلْمُعْجِزَةَ وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ . . فَهُوَ نَبِيٌّ قَطْعاً ، وَقَدْ تَوَاتَرَ ذَلِكَ ٱتِّفَاقاً حَتَّىٰ صَارَ ؛ كَٱلشَّمْسِ وُضُوحاً وَإِشْرَاقاً .

(**فَأَتَىٰ بِقُرْآنٍ أَعْجَزَ بِفَصَاحَتِهِ**) ، وَعُلُوِّ طَبَقَتِهِ فِي بَلَاغَتِهِ ، وَغَرَابَةِ تَرْكِيبِهِ ، وَجَزَالَتِهِ وَحُسْنِ أُسْلُوبِهِ وَسَلَاسَتِهِ (**ٱلْبُلَغَاءَ**) مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَرْبَاءِ ؛ لِبُلُوغِهِ فِي ذَلِكَ ، وَفِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى ٱلْحَالِ حَدّاً خَرَجَ بِهِ عَنْ طَوْقِ ٱلْبَشَرِ ، وَأَعْجَزَهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ مَعْرِفَةِ ٱلْبُلَغَاءِ بِسَلِيقَتِهِمْ ، وَعُلَمَاءِ ٱلْفِرَقِ بِمَهَارَتِهِمْ أَسَالِيبَ ٱلْبَيَانِ وَتَرَاكِيبَ ٱلْكَلَامِ مِنْ فُنُونِ ٱلْبَلَاغَةِ مِمَّا ٱشْتَمَلَ عَلَىٰ جَمِيعِهِ ٱلْقُرْآنُ ؛ كَإِفَادَةِ ٱلْمَعَانِي

---

(١) في (أ) (أيدي) .والمثبت من (ب)

(٢) إذا ذكر القاضي فالمقصود به : **الباقلاني** : الإمام ، أوحد المتكلمين ، مقدم الأصوليين ، القاضي ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ، انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة توفي سنة (٤٠٣ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء» (١٧ ١٩٠) و « الأعلام للزركلي » (٦ ١٧٦) .

(٣) ينظر : « شرح المواقف » : (٥ ١٨) . قال التفتازانيُّ : (ومنا – أي : الاشاعرة – من قال باستحالته عقلا فالشيخ – ابو الحسن – لإفضائه إلى التعجيز عن إقامة الدلالة على صدق دعوى الرسالة ، والإمام - الرازي - وكثير من المتكلمين لأن الصدق مدلول بها لازم بمنزلة العلم لإتقان الفعل فلو ظهرت من الكاذب لزم كونه صادقا كاذبا وهو محال ، والماتريدية – ظهور المعجزة على يد الكاذب امر محال عقلا ؛ لإن هذا يؤدي إلى وجوب السفه عليه تعالى ومن ثم كانت دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية عندهم – لإيجابه التسوية بين الصادق والكاذب وعدم التفرقة بين النبي والمتنبي وهو سفه لا يليق بالحكيم. ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٨) .

ٱلْكَثِيرَةِ بِأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ /ب ١٨٣ / ، وَأَنْوَاعِ ٱلتَّأْكِيدِ ، وَٱلتَّشْبِيهِ ، وَٱلِاسْتِعَارَةِ ، وَحُسْنِ ٱلْفَوَاتِحِ ، وَٱلْخَوَاتِمِ ، وَٱلْفَوَاصِلِ ، وَٱلتَّقْدِيمِ وَٱلتَّأْخِيرِ ، وَٱلْفَصْلِ وَٱلْوَصْلِ ، وَخُلُوِّهِ عَنْ رَكَاكَةِ ٱللَّفْظِ ، وَٱلشَّاذِّ ٱلْخَارِجِ عَنِ ٱلْقِيَاسِ ، وَٱلشَّاذِّ ٱلنَّافِرِ عَنِ ٱلِاسْتِعْمَالِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِهَا ٱلْغَرِيبَةِ ، وَأَنْوَاعِهَا ٱلْعَجِيبَةِ مِمَّا لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِمَّنْ وَصَلَ ذُرْوَةَ ٱلْبَلَاغَةِ ، وَإِنِ ٱسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ وَطَاقَتَهُ إِلَّا عَلَىٰ نَوْعٍ أَوْ نَوْعَيْنِ مِنْهَا ؛ بِشَهَادَةِ قَوْلِ ٱلآمِدِيِّ[1] : (إِنَّ أَفْصَحَ فَصِيحٍ ، وَأَبْلَغَ بَلِيغٍ فِي ٱلْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ . . غَايَتُهُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِنَوْعٍ مِنْهَا عَلَىٰ وَجْهٍ لَوْ دَامَ غَيْرُهُ فِي كَلَامِهِ لَمَا وَاتَاهُ وَكَانَ فِيهِ مُقَصِّراً ، وَمَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِلُغَةِ ٱلْعَرَبِ ، وَفُنُونِ بَلَاغَتِهَا . . كَانَ أَعْرَفَ بِإِعْجَازِهِ)[2].

وَقَدْ تَحَدَّىٰ ـ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِهِ ـ وَدَعَا إِلَى ٱلْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهُ ـ مَصَاقِعَ ٱلْبُلَغَاءِ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَرْبَاءِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ قَدِيراً (**مَعَ كَثْرَتِهِمْ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَىٰ رَدِّ دَعْوَاهُ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ٱلرِّسَالَةَ وَشُهْرَتِهِمْ بِغَايَةِ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَحَمِيَّةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَهَالُكِهِمْ عَلَىٰ ٱلْمُبَاهَاةِ وَٱلْمُبَارَاةِ ، وَٱلدَّفْعِ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ، وَرُكُوبِهِمُ ٱلشَّطَطَ حَتَّىٰ آثَرُوا ٱلْمُقَارَعَةَ بِٱلسُّيُوفِ عَلَىٰ ٱلْمُعَارَضَةِ بِٱلْحُرُوفِ ؛ لِعَجْزِهِمْ وَلَوْ قَدَرُوا عَلَىٰ مُعَارَضَتِهِ . . لَعَارَضُوا وَلَوْ عَارَضُوا لَنُقِلَ لِتَوَفُّرِ ٱلدَّوَاعِي ، وَعَدَمِ ٱلصَّارِفِ .

وَٱلْعِلْمُ بِذَلِكَ كُلِّهِ قَطْعِيٌّ ؛ كَسَائِرِ ٱلْعَادِيَّاتِ ، وَلَا يَقْدَحُ ٱحْتِمَالُ كَوْنِهِمْ تَرَكُوا مُعَارَضَتَهُ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا ، أَوْ عَارَضُوهُ وَلَمْ يُنْقَلْ لِمَانِعٍ ؛ كَعَدَمِ مُبَالَاتِهِمْ بِهِ ، وَقِلَّةِ ٱلْتِفَاتِهِمْ وَٱشْتِغَالِهِمْ بِمَا هُوَ أَهَمُّ .

(**وَ لَمْ يَطْعَنُوا فِيهِ لِكَمَالِهِ حُسْناً وَفَصَاحَةً**) لِبُعْدِ دَرَجَتِهِ وَعُلُوِّ طَبَقَتِهِ فِيهِمَا ، (**وَ**) لِكَمَالِهِ (**نَظْماً**) أَيْ : تَأْلِيفاً مُتَرَتِّبَ ٱلْمَعَانِي ، مُتَنَاسِقَ ٱلدَّلَالَاتِ عَلَىٰ مَا تَقْتَضِيهِ ٱلْحِكْمَةُ ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ ٱلْقَاهِرِ[3]: (ٱلنَّظْمُ : هُوَ تَوَخِي ٱلْمَعَانِي عَلَىٰ حَسَبِ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلَّتِي يُصَاغُ لَهَا ٱلْكَلَامُ)[4].

(**وَبَلَاغَةً**) /أ ١٨٤ / لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا فِي تَرَاكِيبِهِمْ ، وَلَمْ تَنْزِلْ سَاحَةَ أَسَالِيبِهِمْ ، وَلَمْ تَكُنِ ٱلْمَقَاطِعُ فِيهَا

---

(١) **الآمدي** : المصنف ، فارس الكلام ، سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي أصولي أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها ، وتعلم في بغداد والشام ، وانتقل إلى القاهرة ، له نحو عشرين مصنفا توفي سنة (٦٣١ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » (٢٢ ٣٦٤) و « الأعلام » (٤ ٣٣٢) .

(٢) أبكار الأفكار في أصول الكلام : (٣ ٨) .

(٣) **الجرجاني** : شيخ العربية ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ولد بجرجان وتوفي سنة (٤٧١ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٨ ٤٣١) و « الأعلام » : (٤ ٤٨) .

(٤) دلائل الإعجاز : (١ ٣٦١)

عَلَىٰ مِثْلِ : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وَ : ﴿ يَفْعَلُونَ ﴾ [2] وَٱلْمَطَالِعُ عَلَىٰ مِثْلِ[3] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾[4] ، ﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[5] ، ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [6] .

فَهُمْ[7] (**مَعَ**) كَمَالِ (**حَذَقِهِمْ**) فِي أَسْرَارِ ٱلْكَلَامِ (**وَ**) فَرْطِ (**عَدَاوَتِهِمْ**) لِلإِسْلَامِ لَمْ يَجِدُوا لِلطَّعْنِ فِيهِ مَجَالاً ، وَلَمْ يُورِدُوا لِلْقَدْحِ فِيهِ مَقَالاً (**بَلْ جَعَلُوهُ**) لِرِفْعَةِ بَرَاعَتِهِ غَايَةً لَا تُرَامُ ، وَسُمُوِ جَزَالَتِهِ ؛ نِهَايَةً لَا تُسَامُ ، (**سِحْراً**) كَمَا هُوَ دَيْدَنُ ٱلْمَبْهُوتِ ؛ (**تَعَجُباً مِنْ فَصَاحَتِهِ**) وَلُطْفِ عِبَارَتِهِ (**لَا مِنْ عَدَمِ مُعَارَضَتِهِ**) مَعَ سُهُولَتِهَا فِي نَفْسِهَا ، وَٱعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ خُطَبِ ٱلْخُطَبَاءِ ، وَ شَعْرِ ٱلشُّعَرَاءِ ، وَأَنَّ لَهُ حَلَاوَةً[8] ، وَأَنَّ عَلَيْهِ طُلَاوَةً ، وَأَنَّ أَسَافِلَهُ مُغْدِقَةٌ ، وَأَعَالِيَهُ مُثْمِرَةٌ ، فَآثَرُوا ٱلْمُقَابَلَةَ عَلَىٰ ٱلْمُقَاوَلَةِ ، وَ أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ[9] .

---

(١) سورة البقرة : (٩٦) .
(٢) سورة البقرة : (٧١) .
(٣) في (ب) (سقطت) .
(٤) سورة البقرة : (٢١) .
(٥) سورة الحاقة : (١- ٢) .
(٦) سورة النبأ : (١) .
(٧) في (ب) (سقطت) .
(٨) في (ب) (لحلاوة) .
(٩) أخرج الحاكم في « المستدرك » : (٣٨٧٢) ، (٢ ٥٥٠) أن الوليد بن المغيرة قال: وماذا أقول « فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته » .

(**فَبَطَلَ**) بِكَوْنِ تَعَجُّبِهِمْ إِنَّمَا كَانَ لِمَا ذُكِرَ (**قَوْلُ ٱلصِّرْفَةِ**)[1] ؛ أَيْ : قَوْلُ ٱلنَّظَّامِ[2] ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ، وَٱلْمُرْتَضَىٰ[3] مِنَ ٱلشِّيعَةِ[4]: أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ صَرَفَ هِمَمَهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا.

إِمَّا : بِسَلْبِ قُدْرَتِهِمْ أَوْ دَوَاعِيهِمْ ، أَوِ ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فِي ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ بِمَعْنَىٰ : أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ حَاصِلاً لَهُمْ ، أَوْ كَانَ حَاصِلاً . . فَأَزَالَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ، وَٱخْتَارَهُ ٱلْمُرْتَضَىٰ ؛ أَيْ : كَانَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِنَظْمِهِ ، وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ تَأْلِيفِ كَلَامٍ يُسَاوِيهِ أَوْ يُدَانِيهِ ، وَٱلْمُعْتَادُ أَنَّ مَنْ كَانَا عِنْدَهُ . . يُمْكِنُهُ ٱلْإِتْيَانُ ، فَكَانُوا كُلَّمَا حَاوَلُوا ذَلِكَ أَزَالَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ قُلُوبِهِمْ .

عَلَىٰ أَنَّ (**نَقْصَ بَلَاغَتِهِ**) وَتَرْكَ ٱلِاعْتِنَاءِ بِهَا (**أَدْخَلُ فِيهَا**) ؛ أَيْ : فِي ٱلصِّرْفَةِ ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ أَنْزَلُ فِي ٱلْبَلَاغَةِ ، وَأَدْخَلُ فِي ٱلرَّكَاكَةِ ، كَانَ ٱمْتِنَاعُ ٱلْمُعَارَضَةِ . . أَبْلَغَ فِي خَرْقِ ٱلْعَادَةِ ، وَإِنْ ذُكِرَ ٱلِاجْتِمَاعُ ٱسْتِظْهَاراً بِٱلْغَيْرِ فِي مَقَامِ ٱلتَّحَدِّي فِي : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[5] إِنَّمَا يَحْسُنُ فِيمَا لَا يَكُونُ مَقْدُوراً لِلْبَعْضِ مَعَ تَوَهُّمِ كَوْنِهِ مَقْدُوراً لِلْكُلِّ فَيُقْصَدُ نَفْيُهُ .

---

(١) **الصرفة** : هي صرف همم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليها لكن اختلفوا في كيفية الصرف :
فقال الأستاذ أبو إسحاق منا ؛ أي : الأشاعرة ، والنظَّام من المعتزلة : صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها ، وذلك بأنْ صرَفَ دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها ، خصوصا عند توفر الأسباب الداعية في حقهم ؛ كالتقريع بالعجز والاستنزال عن الرياسات ، والتكليف بالانقياد فهذا الصرف خارقٌ للعادة فيكون معجزاً ، قال **النظَّام** : (الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم) .
وقال المرتضى من الشيعة : بل صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة يعني أن المعارضة والإتيان بمثل القرآن يحتاج إلى علوم يقتدر بها عليها وكانت تلك العلوم حاصلة لهم لكنه تعالى سلبها عنهم فلم يبق لهم قدرة عليها .
ينظر : « شرح المواقف » (٨ ٢١٩) و « مقالات الإسلاميين » : (١ ١٧٩).

(٢) **النظَّام** : إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري ، أبو إسحاق ، شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف ، الضبعي ، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها ، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت « النظامية » نسبة إليه توفي سنة (٢٣١ هـ). ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٥٤١) و « الأعلام » : (١ ٤٣) .

(٣) الشَّرِيف المُرْتَضَى : علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم ، أبو القاسم ، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب : نقيب الطالبيين ، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ، يقول بالاعتزال . مولده ووفاته ببغداد (٤٣٦ هـ) ينظر : « الأعلام » : (٤ ٢٧٨).

(٤) **الشيعة** : هم الذين شايعوا عليا « رضي الله عنه » على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ، إما جليا ، وإما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده . ينظر : « الملل والنحل » : (١ ١٤٦) .

(٥) سورة الإسراء : (٨٨) .

(وَلِاخْبَارِهِ عَنِ ٱلْمُغَيّبَاتِ) مَاضِيَةً ؛ (كَقِصَّةِ مُوسَىٰ) ، وَ يُوسُفَ ، وَ لُوطٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ /ب ١٨٤ / ، وَ صَالِحٍ ، وَهُودٍ ، وَنُوحٍ ، وَغَيْرِهِمْ ؛ كَقِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وَأَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا تَلْقِينٍ مِنْ كِتَابٍ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [1] .

وَمُسْتَقْبَلَةً : فِي ٱلْقُرْآنِ ؛ مِثْلُ : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾[2] ، ﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[3] إِلَىٰ ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[4] ، ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾[5] ، ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[6] ، ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[7] ، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾[8] ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[9] ، ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[10] ، ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[11] .

وَفِي غَيْرِ ٱلْقُرْآنِ ؛ كَقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِعَلِيٍّ « رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ » : ((تُقَاتِلُ بَعْدِي ٱلنَّاكِثِينَ، وَٱلْقَاسِطِينَ ، وَٱلْمَارِقِينَ [12]، وَقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((وَيحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ)) [13]، وَقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((زُوِيَتْ لِيَ ٱلْأَرْضُ مَشَارِقُهَا وَمَغَارِبُهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا رَوَىٰ

---

(١) سورة سيدنا هود : (٤٩) .

(٢) سورة ال عمران : (١٥١) .

(٣) سورة الروم : (١- ٢ -٣) .

(٤) سورة الروم : (٦) .

(٥) سورة الفتح : (٢٠) .

(٦) سورة الفتح : (٢٧) .

(٧) سورة القمر : (٤٥) .

(٨) سورة البقرة : (٢٥) .

(٩) سورة القصص : (٨٥) .

(١٠) سورة الفتح : (١٦) .

(١١) سورة الإسراء : (٨٨) .

(١٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » : (٤٦٧٥) ، (٣ ١٥٠) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري « رضي الله عنه » ، ذكر ابن الملقن في « مختصر تلخيص الذهبي » : (أن اسناده ضعيف) ، (٣ ١٤٩٧) . القاسطين : أي : المائلين عن الحق ، والناكثين ؛ أي : الناقضين للعهد المارقين ؛ أي : الخارجين . ينظر : « العين » : (٥ ٧١ – ٣٥١) و « المعجم الوسيط » : (٢ ٥٦٨) .

(١٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٨١٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

لِي مِنْهَا)) [١]، ((ٱلْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً)) [٢]، ((إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ ، وَ إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَسَتُنْفَقُ كُنُوزُهَمَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ)) [٣]، وَإِخْبَارِهِ بِٱسْتِيلَاءِ ٱلْأَتْرَاكِ [٤].

وَقَدِ ٱقْتَرَنَتْ بِدَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ فَتَمَيَّزَتْ عَنِ ٱلْكَرَامَاتِ ، وَ بِطَهَارَةِ ٱلنَّفْسِ ، وَصَوَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ ، وَتَرْكِ ٱلْمُرَاجَعَةِ إِلَىٰ أَحْوَالِ ٱلْكَوَاكِبِ ، وَٱلنَّظَرِ فِي ٱلآتِهَا فَتَمَيَّزَتْ عَنِ ٱلسَّحْرِ وَٱلْكَهَانَةِ [٥] وَٱلنَّجَامَةِ [٦]، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(**وَلاِظْهَارِهِ خَوَارِقَ**) ٱلْعَادَاتِ إِرْهَاصِيَّةً قَبْلَ دَعْوَةِ ٱلرِّسَالَةِ ، وَتَصْدِيقِيَّةً بَعْدَهَا ، مِنْهَا :

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٨٨٩) عن سيدنا ثوبان « رضي الله عنه » .

(٢) أخرجه ابن حبان « صحيحه » : (٦٩٤٣) ، (١٥ ٣٩٢) و البزار في « مسنده » (٣٨٢٨) (٩ ٢٨٠) عن سيدنا سفينة « رضي الله عنه» قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله » : (قال أحمد بن حنبل : حديث سفينة في الخلافة صحيح ، وإليه أذهب في الخلفاء) (٢ ١١٦٩) .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣١٢٠) ، (٤ ٨٥) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٩١٩) (٤ ٢٢٣٧) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » ، وفي « صحيح البخاري » : ((والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله .

(٤) لعل المقصود باستيلاء الترك هو الحديث الذي أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٢٩٥١) ، (٣٨ ٤٤) عن سيدنا بريدة « رضي الله عنه » قال : كنت جالسا عند النبي « صلى الله عليه وسلم » ، فسمعت النبي « صلى الله عليه وسلم » يقول : « إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه ، صغار الأعين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ، أما السائقة الأولى : فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية : فيهلك بعض ، وينجو بعض ، وأما الثالثة : فيصطلمون كلهم من بقي منهم » قالوا : يا نبي الله ، من هم ؟ قال : « هم الترك » .

(٥) **الكهانة** : إدعاء معرفة الاسرار والمستقبل اعتمادا على أخبار الجان . ينظر : « تاج العروس » (٣٦ ٨١) و « معجم لغة الفقهاء » (ص: ٣٨٥) .

(٦) **علم التّنجيم** : علم يبحث في تأثير حركات النجوم على مجرى الأحداث، ويستخلص منها تنبّؤات مستقبليّة ذات تأثير مزعوم على حياة الناس، وطباعهم . ينظر « معجم اللغة العربية المعاصرة » (٣ ٢١٧٣) و « القاموس الفقهي » : (ص: ٣٤٨) .

مَا هُو فِي ذَاتِهِ ؛ (**كَخَاتَمِ ٱلنُّبُوَّةِ**) مَرْئِيّاً بَيْنَ كَتِفَيْهِ [1]، (**وَوِلَادَتِهِ مَخْتُوناً مَسْرُوراً**) [2] مِمَّا قَدْ تَوَاتَرَ مِنْ أَحْوَالِهِ ، وَكَٱلنُّورِ ٱلَّذِي ٱنْتَقَلَ فِي آبَائِهِ إِلَىٰ أَنْ وُلِدَ[3] ، وَرُؤْيَتِهِ مَنْ وَرَائَهُ كَمَا يَرَىٰ أَمَامَهُ [4]، (**وَ**) مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِصِفَاتِهِ مِنْ (**بُلُوغِهِ غَايَةً فِي كَمَالِ صِفَاتِهِ**) صِدْقاً ، وَأَمَانَةً ، وَعَفَافاً ، وَشَجَاعَةً ، وَفَصَاحَةً ، وَسَمَاحَةً ، وَزُهْداً ، وَتَوَاضُعاً /أ ١٨٥ / لِأَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ ، وَشَفَقَةً عَلَىٰ ٱلْأُمَّةِ ، وَمُصَابَرَةً عَلَىٰ مَتَاعِبِ ٱلرِّسَالَةِ ، وَ مُدَاوَمَةً عَلَىٰ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَنِهَايَةً فِي ٱلْعُلُومِ - عِلْمِيَّةً وَعَمَلِيَّةً -وَٱلْمَعَارِفِ ٱلْإِلَهِيَّةِ ، وَتَمْهِيدَ ٱلْمَصَالِحِ ٱلدِّينِيَّةِ وَٱلدُّنْيَوِيَّةِ .

(**وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ**) فَقَدْ دَعَا لِٱبْنِ عَبَّاسٍ : ((ٱللَّهُمَّ ؛ فَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ ٱلتَّأْوِيلَ)) [5] فَكَانَ حبر [6]

---

(١) أخرج البخاري في « صحيحه » (٣٥٤١) ، (٤ ١٨٦) عن سيدنا السائب بن يزيد « رضي الله عنه » ، قال : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، « فنظرت إلى خاتم بين كتفيه » .

(٢) أخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » : (٦١٤٨) ، (٦ ١٨٨) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ، ولم ير أحد سوأتي » ، وفي « دلائل النبوة » : (١ ١١٤) عن سيدنا ابن عباس عن أبيه سيدنا العباس بن عبد المطلب « رضي الله عنهما » قال : (ولد رسول الله مختوناً مسروراً) أي : مقطوع السرة ، وقد اختلف العلماء في ذلك فمن الحفاظ من صححها ، ومنهم من ضعفها ، ومنهم من رآها من الحسان . قال ابن القيم في « تحفة المودود بأحكام المولود » (ص ٢٠١ ــ ٢٠٦) : (وقد اختلف فيه على أقوال : أحدها : أنه ولد مختونا ، والثاني : أن جبريل ختنه حين شق صدره ، الثالث : أن جده عبد المطلب ختنه على عادة العرب في ختان أولادهم ، ونحن نذكر قائلي هذه الأقوال وحججهم فأما من قال ولد مختونا فاحتجوا بأحاديث ولم يصح منها حديث ، وحديث شق الملك قلبه « صلى الله عليه وسلم » ليس فيه أن جبريل ختنه ، قال ابن العديم : وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبد المطلب ختنه في اليوم السابع قال وهو على ما فيه أشبه بالصواب وأقرب إلى الواقع . بتصرف .

(٣) قال القسطلاني في « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » (١ ٥٦) : (ولما توفى آدم ، كان شيث - عليه الصلاة والسلام - وصيّا على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم : ألايضع هذا النور إلا فى المطهرات من النساء ، ولم تزل هذه الوصية جارية ، تنقل من قرن إلى قرن ، إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله) .

(٤) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٧١٩) ، (١ ١٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، قال : أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بوجهه ، فقال : « أقيموا صفوفكم ، وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري » .

(٥) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » : (٧٠٥٥) ، (١٥ ٥٣١) ، والامام أحمد في « مسنده » (٢٣٩٧) ، (٤ ٢٢٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » المعجم الكبير للطبراني : (١٠٦١٤) ، (١٠ ٢٦٣) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » . وورد في « صحيح البخاري » : بلفظ : ((اللهم ؛ فقهه في الدين)) (١٤٣) ، (١ ٤١) وفي « صحيح مسلم » : بلفظ : ((اللهم ؛ فقهه)) (٢٤٧٧) ، (٤ ١٩٢٧) .

(٦) في (أ) (خير) والمثبت من (ب).

ٱلْأُمَّةِ ، وَ عَلَىٰ عُتْبَةَ ٱبْنِ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ : ((ٱللَّهُمَّ ؛ سَلِطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِكَ)) . . فَٱفْتَرَسَهُ ٱلْأَسَدُ [١] وَعَلَىٰ مُضَرَ : ((اللَّهُمَّ ؛ ٱشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ ، وَٱجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ)) [٢] . . فَحُبِسَ عَنْهُمُ ٱلْمَطَرُ سِنِينَ[٣] .

وَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُمَا ؛ مِثْلُ : (**سُقُوطُ شُرَفِ قُصُورِ ٱلْأَكَاسِرَةِ**) ، وَخُرُورُ (**ٱلْأَوْثَانِ**) سُجْداً [٤] (**لَيْلَةَ وُلِدَ** ، **وَإِظْلَالُ ٱلسَّحَابِ**) لَهُ [٥] أَيْنَ تَوَجَّهَ [٦] ، (**وَٱنْشِقَاقُ ٱلْقَمَرِ**) لَهُ [٧] ، (**وَمَجِيءُ ٱلشَّجَرِ**) إِلَيْهِ [٨] ،

(١) أخرجه البغوي في « شرح السنة » بهذا اللفظ : (٢٦٨٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » : (١٠١٤٦) ، (١٠٣٩١). وفي « دلائل النبوة» (٣٣٨٢) ، والحاكم في « المستدرك » : (٣٩٨٤) (٥٣٩٢) بلفظ : (اللَّهُمَّ ؛ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ .. فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ فَنَزَلَ مَنْزِلاً ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قَالُوا لَهُ : كَلاَّ ، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ فَجَاءَ الأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ) ، وقال : « صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ » . عن سيدنا مسلم بن عمرو « رضي الله عنه » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٨٠٤) ، (١٦٠١) ، ومسلم في « صحيحه » : (٦٧٥) ، (١٤٦٦) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه» .

(٣) وروى مسلم في « صحيحه » : (٢٧٩٨) ، (٢١٥٦٤) « أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى « النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ .. فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ) .

(٤) أورد البيهقي في « دلائل النبوة » (١٢٦١) : « عن مخزوم بن هانئ المخزومي قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ».

(٥) في (ب) (سقطت) .

(٦) أخرج الترمذي في « سننه » (٣٦٢٠) ، (١٩٦) والحاكم في « المستدرك » (٤٢٢٩) ، (٢٦٧٢) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٦٥٤١) ، (٣٢٧٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري « رضي الله عنه » قال في حديث طويل ... « وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل ، قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله » .

(٧) أخرج البخاري في « صحيحه » (٣٦٣٧) ، (٢٠٦٤) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٨٠٠) ، (٢١٥٨٤) واللفظ للبخاري عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، أنه حدثهم : (أن أهل مكة سألوا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أن يريهم آية (فأراهم انشقاق القمر) .

(٨) أخرج الترمذي في « سننه » : (٣٦٢٨) ، (٢٧٦) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٩٥٤) ، (٤٢٤٣) واللفظ للترمذيّ : عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، قال : (جاء أعرابي إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، فقال بمَ أعرف أنك نبي ؟ قال : « إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله ؟ فدعاه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي « صلى الله عليه وسلم » ، ثم قال : « ارجع فعاد » . . فأسلم الأعرابي) ، وقال عنه : هذا حديث حسن غريب صحيح .

(وَتَسْلِيمُ ٱلْحَجَرِ) عَلَيْهِ [١]، (وَ تَسْبِيحُ ٱلْحَصَىٰ) فِي يَدِهِ [٢]، (وَ حَنِينُ ٱلْجِذْعِ) لَمَّا ٱنْتَقَلَ عَنْهُ إِلَىٰ ٱلْمِنْبَرِ [٣]، وَ نَبْعُ ٱلْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ [٤]، وَقَوْلُ ٱلذِّئْبِ لَوَهْبِ بْنِ أَوْسٍ[٥] : (أَتَعْجَبُ مِنْ أَخْذِي ٱلشَّاةَ ! وَمُحَمَّدٌ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ فَلَا يُجِيبُونَهُ) [٦].

(وَيُؤَكِّدُهُ) ؛ أَيْ : يُؤَكِّدُ مَا ذُكِرَ مِمَّا هُوَ ٱلْعُمْدَةُ فِي إِثْبَاتِهِ نُبُوَّتَهُ ، وَإِلْزَامِهِ حُجَّتَهُ عَلَىٰ ٱلْمُعَانِدِ وَ ٱلْمُجَادِلِ ؛ تَتْمِيماً وَ إِرْشَاداً وَتَعْلِيماً (إِظْهَارُهُ دِينَهُ عَلَىٰ ٱلْأَدْيَانِ) مَعَ فَقْرِهِ وَضَعْفِهِ ، (وَقِلَّةِ ٱلْأَعْوَانِ) .. فَصَارَ عَلَىٰ مَرِّ الازمان [٧] وَٱلْأَعْصَارِ ، مُنْبَثّاً فِي ٱلْأَفَاقِ وَٱلْأَقْطَارِ ، شَائِعاً فِي ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ مِنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ لِأَعْدَائِهِ عَلَىٰ مَنْعِ ظُهُورِهِ ، وَإِطْفَاءِ نُورِهِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ ، وَقُوَّةِ شَوْكَتِهِمْ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ ، وَفَرْطِ حَمِيَّتِهِمْ ، بَلْ ظَلَلَ أَرَاءَ أَكَاسِرَتِهِمْ ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَ قَيَاصِرَتِهِمْ ، وَنَكَّسَ أَعْلَامَ جَبَابِرَتِهِمْ ، وَتَلَّ عُرُوشَ دَوْلَتِهِمْ ، وَهَدَّمَ دَعَائِمَ مُلْكِهِمْ مَعَ ضَعْفِهِ أَعْوَاناً وَأَنْصَاراً ، فَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَأْيِيدٍ إِلَهِيٍّ ، وَتَسْدِيدٍ سَمَاوِيٍّ .

---

(١) أخرج مسلم في « صحيحه » : (٢٢٧٧) ، (٤ ١٧٨٢) عن سيدنا جابر بن سمرة « رضي الله عنه » ، قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » .

(٢) أخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٢٤٤) ، (٢ ٥٩) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦ ٦٥) واللفظ للطبراني : عن سيدنا أبي ذر الغفاري « رضي الله عنه » قال : « إني لشاهد عند النبي « صلى الله عليه وسلم » في حلقة ، وفي يده حصى . . فسبحن في يده » .

(٣) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٣٥٨٣) ، (٤ ١٩٥) عن سيدنا ابن عمر « رضي الله عنهما » ، (كان النبي « صلى الله عليه وسلم » يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه) .

(٤) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٢٧٥٣) ، (٤ ١٩٢) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٢٧٩) ، (٤ ١٧٨٣) . عن سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ صَلاَةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، ((فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِم))

(٥) اسمه أُهبان بن أوس الأَسلميّ ، ويُقال : وهبان ، لهُ صُحبَةٌ ، وهُوَ ممن بايع تحت الشجرة ، وصلى القبلتين ، ونزل الكوفة ، ومات بها فِي ولاية المغيرة بْن شعبة ، من قبل معاوية ، ويُقال : إنه مكلم الذئب . ينظر : « تهذيب الكمال » : (٣ ٣٨٤) ، و « الاصابة في تميز الصحابة » : (١ ٢٨٩) .

(٦) أخرج الإمام في « مسنده » : (١١٧٩٢) ، (١٨ ٣١٥) ، والحاكم في « المستدرك » : (٨٤٤٤) ، (٤ ٥١٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » قال : عدا الذئب على شاة . . فأخذها فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، قال : ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقا ساقه الله إليَّ ، فقال : يا عجبي ذئب مقع على ذنبه ، يكلمني كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد « صلى الله عليه وسلم » بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق) قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وقال الذهبي في « التعليق » : على شرط مسلم .

(٧) في (أ) (الزمان) والمثبت من (ب)

(وَمَا ٱجْتَمَعَ فِيهِ وَفِي دِينِهِ مِنْ كَمَالٍ) ، مَمَّا يَجْزِمُ ٱلْعَقْلُ بِأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ إِلَّا لِنَبِيٍّ مِنْ أَخْلَاقٍ رَضِيَّةٍ ، وَ أَوْصَافٍ مَرْضِيَّةٍ ، وَسِمَاتٍ شَرِيفَةٍ ، وَسِيَرٍ حَمِيدَةٍ ، وَمَحَاسِنَ رَاجِعَةٍ إِلَى ٱلنَّفْسِ ، وَٱلْبَدَنِ ، وَٱلنَّسَبِ ، وَٱلْوَطَنِ /ب ١٨٥ / ، وَٱلِاعْتِقَادَاتِ ٱلْحَقَّةِ ، وَٱلْمُعَامَلَاتِ ٱلصَّدِقَةِ ، وَٱلسِّيَاسَاتِ [١] ، وَٱلْآدَابِ ، (وَ) مَنْ عَلِمَ مَا فِيهَا مِنْ دَقَائِقِ ٱلْحِكَمِ . . جَزَمَ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا وَضْعاً إِلَهِيّاً ، وَ وَحْياً سَمَاوِيّاً ، وَٱلْمَبْعُوثُ بِهَا لَيْسَ إِلَّا نَبِيّاً .

بُعِثَ وَ ٱلْفِرَقُ فِي أَوْدِيَةِ ٱلضَّلَالِ ، وَأَنْدِيَةِ ٱلْخَبَالِ ، وَٱنْحِرَافِ ٱلْأَدْيَانِ ، وَٱعْتِكَافٍ عَلَىٰ مَا زَيَّنَ ٱلشَّيْطَانُ ، فَٱلْعَرَبُ عَلَىٰ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ ، وَوَأْدِ ٱلْبَنَاتِ ، وَٱلْفُرْسُ عَلَىٰ تَعْظِيمِ ٱلنَّارِ وَ وَطْءِ ٱلْمَحَارِمِ ، وَ ٱلتُّرْكُ عَلَىٰ تَخْرِيبِ ٱلْبِلَادِ وَتَعْذِيبِ ٱلْعِبَادِ ، وَٱلْهِنْدُ عَلَىٰ ٱلسُّجُودِ لِلْبَقَرِ وَٱلْحَجَرِ ، وَٱلْيَهُودُ عَلَىٰ ٱلْجُحُودِ ، وَ ٱلنَّصَارَىٰ حَيَارَىٰ فِيمَنْ لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ ،[٢] فَكَانُوا أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ مَنْ يُجَدِّدُ أَمْرَ ٱلشَّرْعِ ، وَيَدْعُو إِلَىٰ دِينٍ قَوِيمٍ ، وَ يَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، فَهَلْ ظَهَرَ مَنْ يَصْلُحُ لِإِطْفَاءِ هَـٰذِهِ ٱلْعَظَائِمِ غَيْرُ حَبِيبِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَبِي ٱلْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ؟.

(وَ مَا وَرَدَ بِهِ كُتُبُ ٱلْأَنْبِيَاءِ) « صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ » فِي : « ٱلتَّوْرَاةِ » : (جَاءَ ٱللهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَأَشْرَفَ مِنْ سَاعِيرَ ، وَٱسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ) .

مِمَّا شَهِدَ بِنُبُوَّتِهِ بِإِخْبَارِهِ بِإِنْزَالِهَا عَلَىٰ مُوسَىٰ بِطُورِ سَيْنَاءَ [٣] ، وَٱلْأَنْجِيلُ عَلَىٰ عِيسَىٰ بِسَاعِيرَ ، فَإِنَّهُ كَانَ سَاكِناً بِقَرْيَةٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ نَاصِرَةً [٤]، وَٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّ فَارَانَ فِي طَرِيقِهَا ، بَيْنَهُمَا مِيلَيْنِ وَنِصْفٍ عَلَىٰ يَسَارِ طَرِيقِ ٱلْعِرَاقِ [٥]، وَكَانَ هُوَ ٱلْمُنَزِّلُ .

(بِشَهَادَةِ) مَا فِي « ٱلتَّوْرَاةِ » : (أَنَّ إِسْمَاعِيلَ أَقَامَ بِبَرِّيَّةِ فَارَانَ) أَيْ : بَادِيَةِ ٱلْعَرَبِ ، وَ فِيهَا : أَنَّ ٱللهَ

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) في (ب) (في زمان فترة من الرسل) والصواب هو المثبت.

(٣) **الطّور** : جبل بيت المقدس ، ممتدّ ما بين مصر وأيلة ، سمّى بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وهو الذي نودى منه موسى . ينظر : « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع» : (٣ ٨٩٧) ، و « معجم البلدان » : (٤ ٤٧) .

(٤) **النّاصِرَةُ** : فاعلة من النصر: قرية بينها وبين طبريّة ثلاثة عشر ميلا ، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام ، ومنها اشتقّ اسم النصارى . ينظر : « معجم البلدان » : (٥ ٢٥١) « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع» : (٤ ١٣١٠) .

(٥) **فاران** : بعد الألف راء، وآخره نون، كلمة عبرانية معربة : وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة ، قيل : هو اسم لجبال مكة. ينظر : « معجم البلدان » : (٤ ٢٢٥) .

تَعَالَىٰ قَالَ لِمُوسَىٰ : (إِنِّي مُقِيمٌ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ، وَأُجْرِي قَوْلِي فِي فِيهِ ، يَقُولُ لَهُمْ مَا أَمَرَهُمْ ، وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي لَا يَقْبَلُ قَوْلَ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ بِٱسْمِي فَأَنَا ٱنْتَقِمُ مِنْهُ) وَٱلْمُرَادُ بِبَنِي إِخْوَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . . بَنُوا إِسْمَاعِيلَ . . لا ؛ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مُوسَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ لِعِيسَىٰ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ بَلْ مِنْهُمْ . . فَتَعَيَّنَ مُحَمَّدٌ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَفِيهَا أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : ((إِنَّ هَاجَرَ تَلِدُ وَيَكُونُ وَلَدُهَا مَنْ يَدُهُ /أ ١٨٦ / فَوْقَ ٱلْجَمِيعِ ، وَيَدُ ٱلْجَمِيعِ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِٱلْخُشُوعِ)) .

وَفِي « ٱلْإِنْجِيلِ » : ((أَنَا أَطْلُبُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ يَمْنَحُكُمْ وَيُعْطِيكُمْ فَارَقْلِيطاً ؛ لِيَكُونَ مَعَكُمْ إِلَىٰ ٱلْأَبَدِ ﴾ وَفِيهِ : ((فَأَمَّا فَارَقْلِيطُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ٱلَّذِي يُرْسِلُهُ رَبِّي بِٱسْمِي - أَيْ : بِٱلنُّبُوَّةِ - وَ هُوَ يُعَلِّمُكُمْ وَيَمْنَحُكُمْ جَمِيعَ ٱلْأَشْيَاءِ ، وَهُوَ يُذَكِّرُكُمْ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ ، وَأَنِّي قَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَذَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ تُؤْمِنُوا بِهِ)) وَ مَعْنَىٰ فَارَقْلِيطَ : كَاشِفُ ٱلْخَفِيَّاتِ .

وَفِيهِ : ((أَقُولُ لَكُمْ ٱلآنَ حَقّاً إِنَّ ٱنْطِلَاقِي عَنْكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ، فَإِنْ لَمْ ٱنْطَلِقْ عَنْكُمْ إِلَىٰ رَبِّي لَمْ يَأْتِكُمْ ٱلْفَارَقْلِيطَ ، وَإِنِ ٱنْطَلَقْتُ أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِذَا مَا جَاءَ هُوَ يُفِيدُ أَهْلَ ٱلْعَالَمِ ، وَ يُدِينُهُمْ وَيُوَبِّخُهُمْ وَيُوقِفُهُمْ عَلَىٰ ٱلْخَطِيئَةِ وَٱلْبِرِ)) .

ثُمَّ قَالَ : ((إِذَا جَاءَ رُوحُ ٱلْحَقِّ وَٱلْيَقِينِ يُرْشِدُكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ يُدَبِرُّكُمْ لِجَمِيعِ ٱلْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَتَكَلَّمُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ)) .

وَ فِي « ٱلزَّبُورِ » : ((وَيُقَلِّدُ أَيُّهَا ٱلْجَبَّارُ ٱلسَّيْفَ ، فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ ، وَسِهَامَكَ مَسْنُونَةٌ ، وَٱلْأُمَمُ يَخِرُونَ تَحْتَكَ)) .

قَالَ دَاوُودُ : ((ٱللَّهُمَّ ؛ ٱبْعَثْ جَاعِلَ ٱلسُّنَّةِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ بَشَرٌ يَعْنِي)) : ٱبْعَثْ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم حَتَّىٰ يَعْلَمُوا أَنَّ عِيسَىٰ بَشَرٌ [1].

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَقْدِرُ ٱلْمُخَالِفُ عَلَىٰ إِنْكَارِهِ وَكَتْمِهِ وَصَرْفِهِ إِلَىٰ مَلِكٍ أَوْ نَبِيٍّ آخَرَ .

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٤٢ – ٤٣) .

(**وَمُنْكِرُ نُبُوَّتِهِ**) حَسَداً وَعِناداً وَ بَغْياً . . (**أَحَالَ ٱلنَّسْخَ**) عُموماً ؛ لِاسْتِلْزَامِهِ ٱلْعَبَثَ أَوِٱلْجَهْلَ ، أَوِ ٱلْبَدَاءَ وَذَلِكَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ مُحالٌ ؛ لِأَنَّ ٱلنَّسْخَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِمَصْلَحَةٍ . . فَعَبَثٌ ، أَوْكَانَ وَلَمْ يَعْلَمْهَا عِنْدَ شَرْعِيَّةِ ٱلْمَنْسُوخِ . . فَجَهْلٌ ، أَوْ عَلِمَهَا وَأَهْمَلَهَا أَوَّلاً ثُمَّ دَعَاهَا فَبَدَاءٌ ؛ أَيْ : نَدَمٌ .

(**أَوْ**) يُقَالُ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ فِي شَرْعِيَّةِ ٱلْمُنْسُوخِ مَصْلَحَةٌ لَمْ يَعْلَمْ إِهْمَالَهَا عِنْدَ نَسْخِهَا . . فَجَهْلٌ ، أَوْ عَلِمَهَا فَرَأَىٰ رِعَايَتَهَا أَوَّلاً ثُمَّ أَهْمَلَهَا فَبَدَاءٌ .

(**وَرُدَّ**) بِأَنَّهُ لِمَصْلَحَةٍ [1] تَجَدَدَتْ ، وَحَصَلَ بَعْدَ مَا لَمْ تَكُنْ ، فَإِنَّ ٱلْمَصَالِحَ تَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ ٱلْأَزْمَانِ وَٱلْأَحْوَالِ ؛ كَٱلدَّوَءِ فَإِنَّهُ قَدْ يَصْلُحُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ، وَلِزَيْدٍ دُونَ بَكْرٍ فَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَصْلَحَةُ ثُبُوتَ ٱلْحُكْمِ فِي وَقْتٍ ؛ لِاشْتِمَالِهِ فِيهِ عَلَىٰ مَا تَجِبُ /ب ١٨٦ / رِعَايَتُهُ وَرَفْعُهُ ، وَفِي وَقْتٍ آخَرَ ؛ لِاشْتِمَالِهِ فِيهِ عَلَىٰ مَصْلَحَةٍ أُخْرَىٰ حَادِثَةٍ ؛ بِشَهَادَةِ مَا فِي « ٱلتَّوْرَاةِ » : ((إِنَّ آدَمَ أَمَرَ بِتَزْوِيجِ بَنَاتِهِ مِنْ بَنِيهِ)) ثُمَّ نُسِخَ ٱتِّفَاقاً .

وَبِأَنَّ ٱلْحُكْمَ إِمَّا : مُؤَقَّتٌ ؛ كَصُمْ غَداً ، فَنَفْيُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ نَسْخاً ، أَوْ مُؤَبَّدٌ ؛ كَصُمْ أَبَداً ، فَنَسْخُهُ تَنَاقُضٌ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكِ : ٱلصَّوْمُ وَاجِبٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ ، أَوْ مُرْسَلٌ ، لَا مُؤَقَّتٌ ، وَلَا مُؤَبَّدٌ وَعُلِمَ ٱسْتِمْرَارُهُ أَبَداً فَلَا يَرْتَفِعُ لِلُزُومِ ٱلْجَهْلِ ، أَوْ إِلَىٰ غَايَةٍ فَلَا رَفْعَ بَعْدَهَا ، وَلَا نَسْخٌ .

وَرُدَّ : بِأَنَّهُ مُرْسَلٌ ، وَٱلْمَعْلُومُ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ هُوَ ٱسْتِمْرَارُ ٱلْوُجُوبِ إِلَىٰ غَايَةٍ هِيَ وَقْتُ نَسْخِهِ وَرَفْعِهِ ، وَلَا تَنَاقُضَ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ ٱلْوَاجِبُ مُؤَقَتاً ، أَوْ مُؤَبداً بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ : صَوْمُ ٱلْغَدِ أَوِ ٱلْأَبَدِ وَاجِبٌ حِيناً دُونَ حِينٍ ، وَإِنَّمَا ٱلتَّنَاقُضُ فِي رَفْعِ ٱلْوُجُوبِ بَعْدَ تَأْبِيدِهِ ؛ كَمَا فِي قَوْلِكِ : ٱلْوُجُوبُ ثَابِتٌ أَبَداً ثُمَّ نُسِخَ ، وَلَا نِزَاعَ فِي ٱمْتِنَاعِهِ وَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِقَوْلِهِمُ : ٱلنَّسْخُ يُنَافِي ٱلتَّأْبِيدَ ، وَعَلَىٰ [2] ذَلِكَ يَنْبَنِي ٱمْتِنَاعُ نَسْخِ شَرِيعَتِنَا عَلَىٰ أَنَّ ٱلتَّحْقِيقَ : أَنَّ ٱلنَّسْخَ بِيَانُ ٱنْتِهَاءِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ عَلَىٰ ٱلاطلاق لَا رَفْعِهِ [3] .

وَأَحَالَهُ أَكْثَرُ ٱلْيَهُودِ (**لِدِينِ مُوسَىٰ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**خَاصَّةً**) ؛ إِذْ يَلْزَمُ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِنَسْخِهِ

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) في (ب) (وعليه) والمثبت هو الصواب .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٤٤) ، قال الزرقاني في « مناهل العرفان » (٢ ١٣٨) : (النسخ : وهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ، ومعنى رفع الحكم الشرعي قطع تعلقه بأفعال المكلفين ، لا رفعه هو فإنه أمر واقع ، والواقع لا يرتفع) .

وَهُوَ بَاطِلٌ (**تَمَسَّكاً بِـ : تَمَسَّكُوا بِٱلسَّبْتِ أَبَداً**) ، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ ، وَلَا بُدَّ مِنَ ٱلِاعْتِرَافِ بِصِدْقِهِ ؛ لِكَوْنِهِ نَبِيّاً فَدِينُهُ مُؤَبَّدٌ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ .

(**قُلْنَا**) : تَوَاتُرُهُ مَمْنُوعٌ وَدَعْوَاهُ مُكَابَرَةٌ ، كَيْفَ وَقَدِ ٱشْتَهَرَ أَنَّهُ (**ٱخْتِلَاقٌ**) مِنَ ٱبْنِ ٱلرَّاوَنْدِيّ[1] لِلْيَهُودِ ، وَلَوْ صَحَّ لَمَا ظَهَرَتْ مُعْجِزَةٌ عَلَىٰ يَدِ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ « صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا » وَلَاحْتُجَّ بِهِ عَلَيْهِمَا ثُمَّ نُقِلَ مُتَوَاتِراً ؛ لِتَوَفُّرِ ٱلدَّوَاعِي عَلَىٰ نَقْلِهِ (**أَوْ**) هُوَ عَلَىٰ تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ[2] (**عِبَارَةٌ عَنْ طُولِ ٱلزَّمَانِ**) ؛ إِذْ كَثِيراً مَا يُعَبَّرُ بِهِ عَنْهُ .

قَالُوا : إِنْ كَانَ قَدْ صَرَّحَ بِدَوَامِ دِينِهِ فَيَدُومُ ، أَوْ بِٱنْقِطَاعِهِ بِنَاسِخٍ فَيَلْزَمُ تَوَاتُرُهُ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلَّتِي تَتَوَفَّرُ ٱلدَّوَاعِي عَلَىٰ نَقْلِهَا وَلَمْ تَتَوَاتَرْ[3] ، أَوْ سَكَتَ عَنْهُمَا فَيَلْزَمُ أَنْ لَا يَتَقَرَرَ وَلَا يَتَكَرَرَ إِلَىٰ أَوَانِ نَسْخِهِ .

قُلْنَا : قَدْ صَرَّحَ بِٱنْقِطَاعِهِ[4] بِٱلنَّاسِخِ/ أ ١٨٧ / وَإِنَّمَا لَمْ يَتَوَاتَرْ ؛ لِعَدَمِ تَوَفُّرِ ٱلدَّوَاعِي عَلَىٰ نَقْلِهِ ؛ لِكَوْنِهِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، أَوْ لِقِلَّةِ ٱلنَّاقِلِينَ فِي بَعْضِ ٱلطَّبَقَاتِ ٱلْمُعْتَبَرِ[5] كَثْرَتُهَا فِي ٱلتَّوَاتُرِ ؛ إِذْ لَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْيَهُودِ فِي زَمَانِ بُخْتُنْصُرَ[6] إِلَّا أَقَلَّ قَلِيلٍ لَا يُفِيدُ نَقْلُهُ ٱلتَّوَاتُرَ .[7]

هَذَا وَقَدْ شَهِدَ ٱلنَّصُّ وَٱلْإِجْمَاعُ بِأَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**بُعِثَ كَافَّةً**) ؛ أَيْ : بِعْثَةً جَامِعَةً لِكُلِّ

---

(١) **الرَّاوَنْدي** : أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبو الحسين الراونديّ ، أو ابن الراونديّ ، نسبته إلى « راوند » من قرى أصبهان ، كَانَ من متكلمي الْمُعْتَزِلَة ثمَّ فارقهم وَصَارَ ملحداً زنديقا ، من سكان بغداد ، له نحو ١١٤ كتابا ، منها « فضيحة المعتزلة » و « التاج » و « الزمرد » و غيرها توفي سنة : (٢٩٨ هـ) ينظر : « الوافي بالوفيات » : (٨ / ١٥١) ، و « الأعلام » : (١ / ٢٦٧) .

(٢) قال الشيرازي في « التبصرة في أصول الفقه » (ص ٢٥٤) : (واحتج قوم من اليهود بأن موسى عليه السلام قال لهم شريعتي مؤبدة وهذا يمنع من النسخ ، والجواب : أن هذا كذب منهم فإن موسى « عليه السلام » ما قال لهم هذا ، وإنما لقنهم ذلك ابن الراوندي ، والدليل عليه : أنه لو كان هذا أصلا لكان قد احتج به أحبار اليهود على النبي « صلى الله عليه وسلم » ولما لم يقل هذا أحد من قدمائهم أنه ذكره دل على كذب ابتدعوه) .

(٣) في (ب) (يتواتر) .

(٤) في (ب) (بانفكاكه) .

(٥) في (ب) (المعتبرة) والمثبت الصواب.

(٦) هو أحد الملوك الكلدان الذين حكموا بابل ، وأكبر أبناء نبوبولاسر، ويعتبر نبوخذ نصر أحد أقوى الملوك الذين حكموا بابل وبلاد الرافدين. ينظر : « تاريخ مختصر الدول » : (١ / ٤٣)

(٧) في (ب) (تواترا) .

مُكلَّفٍ جنّاً وَإِنْساً ، وَكَذَا ٱلْمَلائِكَةُ ؛ كَمَا قَالَ ٱلسُّبُكِيُّ[(١)] وَغَيْرُهُ[(٢)] .

وزَعَمَ ٱلْبَيْهَقِيُّ[(٣)] وَٱلْحَلِيمِيُّ[(٤)]: أَنَّهُ لَمْ يُبعثْ إِلَيْهِمْ[(٥)]، وَحكَى ٱلرَّازِيُّ وَٱلنَّسفِيُّ[(٦)] فِي تَفْسِيرِ ٱلْفُرْقَانِ[(٧)] : ٱلإِجْمَاعَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَفِّ ؛ لِأَنَّهَا إِذَا عَمَّتْهُمْ فَقَدْ كَفَّتْهُمْ عَنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ، أَوْ بُعِثَ جَامِعاً لَهُمْ فِي ٱلْإِبْلَاغِ وَٱلْإِنْذَارِ فَهِيَ حَالٌ مِنَ ٱلضَّمِيرِ ، قَال تَعَالَىٰ : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[(٨)] ، ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[(٩)]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[(١٠)]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(١١)] وَذِكْرُ ٱلنَّاسِ فِيهِمَا تَغْلِيبٌ ؛ بِشَهَادَةِ مَا مَرَّ مَعَ حَدِيثِ « مُسْلِمٍ » :

---

(١) **السُّبكيُّ** : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين السبكي ، أبو نصر ، قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث ولد في القاهرة ، وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي بها سنة (٧٧١ هـ) من تصانيفه « طبقات الشافعية الكبرى » و « معيد النعم ومبيد النقم» و « جمع الجوامع» . ينظر : « الوافي بالوفيات » : (١٩ ٢١٠) و « الأعلام » : (٤ ١٨٤) .

(٢) ينظر : « حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع » : (٢ ٤٧٣) وأفاض في هذه المسألةِ السيوطيُّ في « الحاوي للفتاوي » : (٢ ١٦٨) قال : (تزيين الآرائك في إرسال النبي « صلى الله عليه وسلم » إلى الملائك) ثم ذكر الاراء جميعها .

(٣) **البيهقي** : أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ ، أبو بكر البيهقي النيسابوري الخسروجردي ، من ائمة الحديث ، توفي سنة (٤٥٨ هـ) صنف زهاء ألف جزء ، منها « السنن الكبرى » و « السنن الصغرى » و « المعارف » و « الأسماء والصفات » ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٤ ٨) و « الوافي بالوفيات » : (٦ ٢٢٠) .

(٤) **الْحَلِيمِيُّ** : الْحُسَيْن بن الْحسن أَبُو عبد اله الْحُسَيْن بن الْحسن بن مُحَمَّد بن حَلِيم الْفَقِيه الشَّافِعِي الْمَعْرُوف بالحليمي الْجِرْجَانِيّ فقيه شافعيّ، قاض كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، مولده بجرجان ووفاته في بخارى سنة (٤٠٣ هـ) ، له « المنهاج » في شعب الإيمان . ينظر : « الوافي بالوفيات » : (١٢ ٢١٧) و « الأعلام » : (٢ ٢٣٥) .

(٥) قال البيهقي في « شعب الإيمان » : (١ ٣٣٨) (وإنما وقع التحدي عليه للجن والإنس دون الملائكة لأن النبي « صلى الله عليه وسلم » إنما أرسل إلى الجن ، والإنس دون الملائكة) .

(٦) **النَّسَفي** :عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات ، حافظ الدين ، فقيه حنفي ، مفسر ، نسبته إلى (نسف) ببلاد السند ، بين جيحون وسمرقند له مصنفات جليلة ، منها « مدارك التنزيل » و « كنز الدقائق » ينظر : « تاج التراجم » (ص: ١٧٤) ، و « الأعلام » : (٤ ٦٧) .

(٧) قال الرازي في « مفاتيح الغيب» : (٢٤ ٤٢٩) (أن العالم كل ما سوى الله تعالى ويتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة ، لكنا أجمعنا أنه عليه السلام لم يكن رسولا إلى الملائكة فوجب أن يكون رسولا إلى الجن والإنس جميعا) وينظر : « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » : (٢ ٤٢٥).

(٨) سورة الانعام : (١٩) .

(٩) سورة الفرقان : (١) .

(١٠) سورة سبأ : (٢٨) .

(١١) سورة الاعراف : (١٥٨) .

((وَ أُرْسِلْتُ إِلَىٰ ٱلْخَلْقِ كَافَّةً))[1] لَا إِلَى ٱلْعَرَبِ خَاصَّةً كَمَا زَعَمَهُ بَعْضُ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ ؛ تَشَبُّثاً بِأَنَّ ٱلِاحْتِيَاجَ إِلَىٰ ٱلنَّبِيِّ إِنَّمَا كَانَ لِلْعَرَبِ خَاصَّةً دُونَهُمْ .

وَرُدَّ : بِمَا مَرَّ مُؤْذِناً بِٱحْتِيَاجِ جَمِيعِ ٱلْفِرَقِ إِلَىٰ مَنْ يُجَدِّدُ لَهُمْ أَمْرَ ٱلشَّرْعِ خُصُوصاً هُمْ ؛ لِاخْتِلَالِ دِينِهِمْ بِٱلتَّحْرِيفِ وَٱلتَّبْدِيلِ ، وَ أَنْوَاعِ ٱلضَّلَالِ مَعَ زَعْمِهِمْ أَنَّهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

(**وَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، وَلَا نَسْخَ لِدِينِهِ**) ؛ لِأَنَّهُ ٱدَّعَىٰ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً ، وَأَظْهَرَ ٱلْمُعْجِزَةَ عَلَىٰ وُفْقِهِ مَعَ شَهَادَةِ كِتَابِهِ ٱلْمُعْجِزِ بِذَلِكَ : ﴿ **وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾[2]، ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ** ﴾[3] ، ﴿ **لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ** ﴾[4] .

وَمَا فِي ٱلْقُرْآنِ [5]مِنْ كَوْنِ ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ هُدًى لِلنَّاسِ ، لَا يُفِيدُ ٱخْتِصَاصَ هِدَايَةِ ٱلْقُرْآنِ ، وَبِعْثَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِقَوْمِهِ ٱلَّذِينَ هُمُ ٱلْعَرَبُ ؛ لِأَنَّهُمَا إِنَّمَا كَانَا هُدًى لَهُمْ قَبْلَ نُزُولِ ٱلْقُرْآنِ ، أَوْ هُمَا هُدًى لَهُمْ إِلَىٰ ٱلْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَ ٱتِّبَاعِ دِينِهِ ؛ لِبِشَارَتِهِمَا بِبِعْثَتِهِ ، وَإِخْبَارِهِمَا عَنِ ٱلِاهْتِدَاءِ بِمُتَابَعَتِهِ ،/ب ١٨٧/ .

وَنُزُولُ عِيسَىٰ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بَعْدَهُ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ خَاتَمَهُمْ ، وَوَضْعُهُ ٱلْجِزْيَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا ٱلْإِسْلَامَ لَيْسَ نَسْخاً لِدِينِهِ ؛ لِإِخْبَارِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِنُزُولِهِ عَلَىٰ دِينِنَا ، وَ حُكْمُ أَخْذِ ٱلْجِزْيَةِ يَنْتَهِي عِنْدَ [6]نُزُولِهِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، وَلَا نَسْخَ لِدِينِهِ .

(**وَهُوَ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**أَفْضَلُهُمْ**) « صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ » (**وَأُمَّتُهُ خَيْرُ ٱلْأُمَمِ**) ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[7]، ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[8] أَيْ : خِيَاراً ، فَخَيْرِيَّةُ كُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) صحيح مسلم : (٥٢٣) ، (١ ٣٧١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .
(٢) سورة الاحزاب : (٤٠) .
(٣) سورة الفتح : (٢٩) .
(٤) سورة التوبة : (٣٣) .
(٥) في (ب) (سقطت .
(٦) في (ب) (بعد) .
(٧) سورة ال عمران : (١١٠) .
(٨) سورة البقرة : (١٤٣) .

بِحَسَبِ كَمَالِهِمْ فِي دِينِهِمْ ، وَذَلِكَ تَابِعٌ لِكَمَالِ نَبِيِّهِمُ ٱلْمَبْعُوثِ بِهِ إِلَيْهِمْ مَعَ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((أَنَا أَكْرَمُ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلآخِرِينَ عَلَىٰ ٱللهِ))[١] وَأَمَّا قَوْلُهُ : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا فَخْرَ)) [٢]فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَىٰ تَفْضِيلِهِ عَلَىٰ آدَمَ نَصّاً .. فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ ضَرُورَةً ، وَنَحْوُ : ((لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ)) [٣] ، ((لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ)) [٤]، ((وَمَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ٱبْنِ مَتَّىٰ فَقَدْ كَذَبَ)) [٥] .. مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّهُ قَالَهُ تَوَاضُعاً ، أَوْ حِفْظاً لِمَنْصِبِ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَنِ ٱنْتِقَاصِهِمْ بِتَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمْ ، أَوْ قَبْلَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ .

(وَ) أَيُّ ٱلْأَنْبِيَاءِ « صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ » (**بَعْدَهُ**) أَفْضَلُ ؟

قِيلَ : (**آدَمُ**) ؛ لِأَنَّهُ أَبُو ٱلْبَشَرِ (**أَوْ نُوحٌ**) ؛ لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ (**أَوْ إِبْرَاهِيمُ**) ؛ لِزِيَادَةِ ٱطْمِئْنَانِهِ وَتَوَكُّلِهِ ، (**أَوْ مُوسَىٰ**) ؛ لِأَنَّهُ كَلِيمُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَنَجِيُّهُ (**أَوْ عِيسَىٰ**) ؛ لِأَنَّهُ رُوحُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَصَفِيُّهُ .

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٦١٦) ، (٦ ١٥) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، وقال : (هذا حديث غريب) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ : الامام أحمد في « مسنده » : (١٠٩٨٧) ،(١٧ ١٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » و مسلم في « صحيحه » بلفظ : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ (٢٢٧٨) ، (٤ ١٧٨٢) عن سيدنا ابي هريرة « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٣٤١٤) ، (٤ ١٥٩) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٣٧٣) ، (٤ ١٨٤٣) بلفظ : (لا تفضلوا بين أنبياء الله) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٤١١) ، (٣ ١٢٠٣) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٣٧٣) ، (٤ ١٨٤٤) بلفظ : (لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٨٠٥) ، (٦ ١٢٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .



(**وَعَرَجَ** [١] **بِجَسَدِهِ يَقَظَةً**) مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ (**إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ** ؛ **نَصّاً**) فِي ٱلْكِتَابِ [٢]، وَٱلسُّنَّةِ [٣]، وَإِجْمَاعِ ٱلْقَرْنِ ٱلثَّانِي ، وَمَنْ بَعْدَهُ (**فَإِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ ٱسْتِفَاضَةً**) وَشُهْرَةً ؛ لِلأَحَادِيثِ ٱلْوَارِدَةِ بِذَلِكَ ، وَمُنْكِرُهَا مُبْتَدِعٌ (**فَإِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ ، أَوِ ٱلْعَرْشِ ، أَوْ طَرَفِ ٱلْعَالَمِ**) .

(**آحَاداً**) ؛ أَيْ : بِخَبَرِ ٱلْوَاحِدِ ، وَقَدِ ٱشْتَهَرَ أَنَّهُ أَخْبَرَ قُرَيْشاً بِصِفَاتِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ [٤] وَغَيْرِهِ ، وَبِمَا

---

(١) قال الفخر الرازي في « معالم أصول الدين » : (ص ١١٠) : (المسألة الثامنة : القول بالمعراج حق أما : من مكة إلى البيت المقدس فلقوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ وأما : من المسجد الأقصى إلى ما فوق السموات فلقوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الانشقاق : ١٩ والحديث المشهور ، أما : استبعاد صعود شخص من البشر إلى ما فوق السموات فهو بعيد لوجوه شتى **الأول** : أنه كما يبعد في العادة صعود الجسم الثقيل إلى الهواء العالي فكذلك يبعد نزول الجسم الهوائي إلى الأرض ، فلو صح استبعاد صعود محمد « صلى الله عليه وسلم » لصح استبعاد نزول جبريل « عليه السلام » وذلك يوجب إنكار النبوة ، **والثاني** : أنه لما لم يبعد انتقال إبليس في اللحظة الواحدة من المشرق إلى المغرب ، وبالضد فيكف يستبعد ذلك من محمد « صلى الله عليه وسلم » ؟ **الثالث** : أنه قد صح في الهندسة أن الفرس في حال ركضه الشديد في الوقت الذي يرفع يده إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف فرسخ فثبت أن الحركة السريعة إلى هذا الحد ممكنة والله تعالى قادر على جميع الممكنات فكانت الشبهة زائلة) .

قال القسطلاني في « المواهب اللدنية » : (٢ ٤٢٦) : (وقد اختلف العلماء فى الإسراء هل هو إسراء واحد فى ليلة واحدة ؟ يقظة أو مناما ؟ أو إسراآن كل واحد فى ليلة ، مرة بروحه وبدنه يقظة ، ومرة مناما ، أو يقظة بروحه وجسده ؟ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم مناما من المسجد الأقصى إلى العرش ، أو هى أربع إسراآت؟ ... ثم قال (فالحق : أنه إسراء واحد، بروحه وجسده يقظة ، فى القصة كلها ، إلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحيله) قال الرازي في « مفاتيح الغيب » : (٢٠ ٢٩٥) : (قال أهل التحقيق : الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر ، أما القرآن فهو هذه الآية ، وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح ، فوجب أن يكون الإسراء حاصلا لمجموع الجسد والروح) .

(٢) قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء : (١) .

(٣) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٣٨٨٧) ، (٥ ٥٢) عن سيدنا أنس بن مالك ، عن سيدنا مالك بن صعصعة « رضي الله عنهما » ، أن نبي الله « صلى الله عليه وسلم » حدثهم عن ليلة أسري به : « بينما أنا في الحطيم » مضطجعا إذ أتاني آت ....) إلى نهاية الحديث .

(٤) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٣٨٨٦) ، (٥ ٥٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله « رضي الله عنهما » ، أنه سمع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : « لما كذبتني قريش ، قمت في الحجر ، فجلا الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

رَأَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ مِنْ عَجَائِبَ ، أَوْ شَاهَدَ مِنْ أَحْوَالِ ٱلْأَنْبِيَاءِ مِمَّا وَرَدَ بِهِ صِحَاحُ ٱلْأَخْبَارِ ، وَ ذَلِكَ أَمْرٌ مُمْكِنٌ أَخْبَرَ بِهِ ٱلصَّادِقُ لَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وُقُوعِهِ مُحَالٌ .

وَدَلِيلُ إِمْكَانِهِ إِمَّا : تَمَاثُلُ ٱلْأَجْسَامِ فَيَجُوزُ ٱلْخَرْقُ عَلَىٰ ٱلسَّمَاءِ[1] ؛ كَٱلْأَرْضِ ، وَعُرُوجُ ٱلْإِنْسَانِ ؛ كَغَيْرِهِ ، أَوْ عَدَمُ دَلِيلِ ٱلِامْتِنَاعِ .

[مَا يَجِبُ فِي حَقِّ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلرُّسُلِ]

(**وَشُرِطَ**) / أ ١٨٨/ لِلنُّبُوَّةِ (**ذُكُورَةٌ**) ؛ لِأَنَّ ٱلْأُنُوثَةَ صِفَةُ نَقْصٍ ، وَأَمْرُ ٱلرِّسَالَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى ٱلْإِعْلَانِ وَٱلتَّرَدُّدِ إِلَى ٱلْمَجَامِعِ لِلدَّعْوَةِ ، وَ حَالُهُنَّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ ٱلتَّسَتُّرِ وَٱلْقَرَارِ ، (**وَكَمَالُ عَقْلِيٌّ ، وَفِطْنَةٌ ، وَقُوَّةُ رَأْيٍ**) ؛ لِكَوْنِهِ مَرْجِعاً فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ (**وَسَلَامَةٌ مِمَّا يُنَفِّرُ ؛ كَزِنَا ٱلْآبَاءِ ، وَعَهْرِ ٱلْأُمَّهَاتِ**) مِمَّا يُفْضِي إِلَىٰ ذِكْرِهِمْ بِمَا لَا يَلِيقُ مِنْ أَمْرِ ٱلْفُرُوجِ ، (وَ) سَلَامَةٌ مِنْ (**فَضَاضَةٍ وَغِلْظَةٍ**) مِمَّا يُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْكِهِمْ وَٱلِانْفِضَاضِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَعَدَمِ ٱلْمُبَالَاةِ بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[2] (وَ) سَلَامَةٌ مِنْ (**بَرَصٍ وَجُذَامٍ**)[3] ، (وَ) سَلَامَةٌ (**مِمَّا يُخِلُّ بِمُرُوَّةٍ ؛ كَأَكْلٍ بِطَرِيقٍ ، وَحِرْفَةٍ دَنِيئَةٍ**) ؛ كَحِجَامَةٍ[4] مِمَّا تَتَنَافَىٰ فِي مَنْصِبِ ٱلنُّبُوَّةِ ؛ لِاقْتِضَائِهِ غَايَةَ ٱلْإِجْلَالِ ، وَنِهَايَةَ ٱلْكَمَالِ .

وَشُرِطَ (**عِصْمَةٌ مِنْ كُفْرٍ**)[5] قَبْلَ ٱلْبِعْثَةِ وَبَعْدَهَا مِمَّا يُؤَدِّي إِلَىٰ عَدَمِ ٱلِانْقِيَادِ ، وَلَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ ٱلْأَزَارِقَةَ[6] مِنَ ٱلْخَوَارِجِ لَمَّا جَوَّزُوا عَلَيْهِمُ ٱلذَّنْبَ ، وَ كُلُّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ كُفْرٌ . لَزِمَهُمْ تَجْوِيزُهُ عَلَيْهِمْ،

---

(١) قال السعد في « شرح النسفية » : (ص : ٥٦٦) : (والخرق والالتئام على السموات جائز فاجسام كلها متماثلة يصح على احدها كل ما يصح على الاخر) والأجسام كلها متماثلة فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ، ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ، ولا بين المسك والرجيع وإنما تفترق بصفاتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة .ينظر : « حاشية رمضان افندي على النسفية» بتصرف .

(٢) سورة ال عمران : (١٥٩) .

(٣) **البرص** : داء معروف ، وهو بياض يقع في الجسد . **والجذام** : علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها ، وربما انتهى إلى تقطع الأعضاء وسقوطها عن تقرح ، وإنما سمي به لتجذم الأصابع وتقطعها ينظر : « تاج العروس » (١٧ ٤٨٦) (٣١ ٣٨١) .

(٤) **الحِجامة** : بالكسر ، الْمُداواةُ بِالمِحْجَمِ والْمُعالَجَةُ بِهِ ، اِسْتِخْراجُ دَمِ الْمَرِيضِ والمحجم و المحجمة قارورته . ينظر : « مختار الصحاح » : (ص ٦٧) .

(٥) **العِصمةُ** : ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها ، وهي ان لا يخلق الله فيهم ذنبا ينظر : « التعريفات » : (ص١٥٠) .

(٦) **الأزارقة** : فرقة من الخوارج ، اتّبَاع نَافِع بن الازرق الحنفى المكنى بأبى رَاشد ، وهم أكثر الخوارج عددا و أَشد شَوْكَة . ينظر : « الملل والنحل » : (١ ١١٨) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص ٦٢) .

بَلْ خَفِيَ عَنْهُمْ جَوَازُ بِعْثَةِ نَبِيٍّ عَلِمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَكْفُرُ بَعْدَهَا [١].

وَتَجْوِيزُ ٱلشِّيعَةِ : إِظْهَارُهُ تُقْيَةً [٢] حَذَرَ ٱلْهَلَاكِ [٣].. بَاطِلٌ قَطْعاً ؛ لِاقْتِضَائِهِ تَرْكَ تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ وَٱلدَّعْوَةِ ، مَعَ تَكْذِيبِهِ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ فِي زَمِنِ نَمْرُودٍ وَفِرْعَوْنَ مَعَ شِدَّةِ خَوْفِ ٱلْهَلَاكِ .

(**وَ كَذِبٌ**) وَلَوْ نِسْيَاناً وَسَهْواً ؛ لِمُنَافَاتِهِ مُقْتَضَى ٱلْمُعْجِزَةِ مِنَ ٱلصِّدْقِ فِي دَعْوَى ٱلرِّسَالَةِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ ٱلتَّبْلِيغِ ، وَشَرْعِيَّةِ ٱلْأَحْكَامِ ، وَجَوَّزَهُ ٱلْقَاضِي سَهْواً زَعْماً مِنْهُ عَدَمَ دُخُولِهِ فِي ٱلتَّصْدِيقِ ٱلْمَقْصُودِ بِٱلْمُعْجِزَةِ ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَىٰ صِدْقِهِ فِيمَا هُوَ مُتَذَكِّرٌ لَهُ ، وَأَمَّا مَا كَانَ نِسْيَاناً .. فَلَا دَلَالَةَ لَهَا [٤] عَلَىٰ صِدْقِهِ فِيهِ ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَذِبِهِ سَهْواً نَقْضٌ [٥] لِدَلَالَتِهَا [٦] .

(**وَ كَبِيرَةٌ وَ لَوْ سَهْواً**) ؛ لِمُنَافَاتِهَا مَنْصِبَ ٱلنُّبُوَّةِ ؛ لِاقْتِضَائِهِ غَايَةَ ٱلْكَمَالِ .

(**سَمْعاً**) عِصْمَتُهُمْ مُسْتَفَادَةٌ/ ب ١٨٨/ (**عِنْدَنَا**) مِنَ ٱلسَّمْعِ وَٱلْإِجْمَاعِ قَبْلَ ظُهُورِ ٱلْمُخَالِفِ [٧] ، وَ عَقْلاً عِنْدَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ ؛ ذَهَاباً إِلَىٰ أَنَّ صُدُورَهَا عَنْهُمْ يُوجِبُ سُقُوطَ هَيْبَتِهِمْ ، وَٱنْحِطَاطَ رُتْبَتِهِمْ فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى ٱلنُّفْرَةِ مِنْهُمْ ، وَعَدَمِ ٱلِانْقِيَادِ لَهُمْ ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ فَسَادُ ٱلْخَلَائِقِ ، وَهُوَ خِلَافُ

---

(١) ينظر : « شرح المواقف » : (٨ ٢٨٨) و « شرح المقاصد » : (٥ ٥٠).

(٢) **التقية** : أن لا يُظهر الإنسان عقيدته أو نيته الحقيقية كما يضمرها في قلبه وذلك لدليل مقنع ، قال المفيد : (كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا) ينظر : « تصحيح إعتقادات الإمامية » (ص ١٣٧) .

(٣) ينظر : « شرح المواقف » : (٨ ٢٨٩) و « شرح المقاصد » : (٥ ٥٠).
لكن ردَّ :هذا القول بقول احد المحققين منهم وهو الفاضل المقداد بقوله : (و هذا جواز إظهار الكفر تقيّة باطل ، أنّه يفضى الى إخفاء الدين بالكلّية ، لأنّ أولى الزمان بالتقيّة حين إظهار الدعوة ، لأنّ الأكثر من الناس يكون منكرا) . ينظر : « إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين » (ص ٣٠٤) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) في (ب) (له) والصواب المثبت .

(٦) القاضي هو أبو بكر الباقلاني ، ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٥٠) ، قال في «شرح المواقف » : (٨ ٢٨٨) (وجوزه القاضي أبو بكر مصيرا منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة ، فإن المعجزة إنما دلت على صدقه فيما هو متذكر له عامد إليه ، وأما : ما كان من النسيان وفلتات اللسان ، فلا دلالة لها على الصدق فيه ، فلا يلزم من الكذب هناك نقض لدلالته)

(٧) قال في « شرح المواقف » (٨ ٢٨٩) : (والأكثر من المانعين على امتناعه سمعا قال القاضي والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا ؛ إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم عمدا مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين في ذلك ، وقالت المعتزلة بناء على أصولهم الفاسدة في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح يمتنع ذلك عقلا) .

مُقْتَضَى ٱلْفَضْلِ وَٱلْحِكْمَةِ [1].

(**وَصَغِيرَةٌ**) مُنَفِّرَةٌ لِلطِّبَاعِ عَنْهُمْ ؛ كَسَرِقَةِ لُقْمَةٍ ، وَتَطْفِيفٍ بِحَبَّةٍ ، (**وَعَمْدُ غَيْرِهَا**) ؛ أَيْ : غَيْرِ ٱلْمُنَفِّرَةِ ؛ كَنَظْرَةٍ ، وَ هَمٍّ بِمَعْصِيَةٍ ، وَكَلِمَةِ سَفَهٍ بَادِرَةٍ .. لَا سَهْوِهَا ؛ لَكِنْ لَا يُصِرُّونَ وَلَا يُقِرُّونَ بَلْ إِذَا نُبِّهُوا ٱنْتَهُوا عَنْهُ .

(**وَإِلَّا**) يَكُونُوا مَعْصُومِينَ مِمَّا ذُكِرَ . . (**لَزِمَ مَا هُوَ مُنْتَفٍ قَطْعاً ؛ كَحُرْمَةِ ٱتِّبَاعِهِمْ**) فِيمَا أُرْسِلُوا بِهِ مَعَ وُجُوبِهِ إِجْمَاعاً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [2].

(**وَوُجُوبِ زَجْرِهِمْ**) وَتَوْبِيخِهِمْ وَمَنْعِهِمْ ؛ لِعُمُومِ أَدِلَّةِ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ مَعَ ٱنْتِفَائِهِ ؛ لِاسْتِلْزَامِهِ أَذَاهُمُ ٱلْمُحَرَّمَ إِجْمَاعاً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3].

(**وَرَدِّ شَهَادَتِهِمْ**) ؛ لِعُمُومِ : ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ ﴾ [4] وَلِلْإِجْمَاعِ مَعَ ٱنْتِفَائِهِ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ مَنْ رُدَّتْ شَهَادَتُهُ فِي قَلِيلٍ مِنْ مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا ، لَا يَسْتَحِقُّ قَبُولاً فِي أَمْرِ ٱلدِّينِ .

(**وَٱسْتِحْقَاقِهِمُ ٱلْعَذَابَ ، وَٱلذَّمَّ**) ؛ لِعُمُومِ : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [5] ، ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [6] ، ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [7] مَعَ ٱنْتِفَائِهِ وَكَوْنِهِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمُنَفِّرَاتِ ، هَذَا مَا أُوْرِدَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْأَدِلَّةِ فِي كُتُبِ ٱلْإِمَامِ . . أَدِلَّةٌ لِعِصْمَتِهِمْ مِمَّا ذُكِرَ ، وَفِي ثُبُوتِهَا بِهَا نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ دَلَالَتَهَا عَلَىٰ عِصْمَتِهِمْ مِنْ سَهْوِ ٱلْكَبِيرَةِ ، وَعَمْدِ ٱلصَّغِيرَةِ لَيْسَتْ بِقَوِيَّةٍ ؛ إِذِ ٱتِّبَاعُهُمْ إِنَّمَا يَجِبُ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ قَصْداً مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِٱلشَّرِيعَةِ ، وَتَبْلِيغِ ٱلْأَحْكَامِ ، وَرَدّ ٱلشَّهَادَةِ إِنَّمَا يَكُونُ / أ ١٨٩ / بِفِسْقٍ لَا ثُبُوتَ لَهُ مَعَ سَهْوِ كَبِيرَةٍ ، وَعَمْدِ صَغِيرَةٍ بَلْ بِعَمْدِ كَبِيرَةٍ ، أَوْ إِصْرَارٍ عَلَىٰ صَغِيرَةٍ بِلَا إِنَابَةٍ .

---

(١) قال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » (ص ٧٨٠) : (عبارة عن لطف يقع معه الملطوف فهي لا محالة حتّى يكون المرء معه كالمدفوع إلى أن لا يرتكب الكبائر ، ولهذا لا يطلق إلّا على الأنبياء أو من يجري مجراهم) ..

(٢) سورة ال عمران : (٣١) .

(٣) سورة التوبة : (٦١) .

(٤) سورة الحجرات : (٦) .

(٥) سورة الجن : (٢٣) .

(٦) سورة الصف : (٢) .

(٧) سورة البقرة : (٤٤) .

وَوُجُوبُ ٱلزَّجْرِ ، وَٱسْتِحْقَاقُ ٱلْعَذَابِ وَٱلذَّمِّ إِنَّمَا هُوَ بِعَمْدِ كَبِيرَةٍ بِدُونِ إِنَابَةٍ وَرُجُوعٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَتَأَذَّىٰ بِهِ بَلْ يَتَبَهَّجُ بِهِ .

(**وَ مَا وَرَدَ**) فِي ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ وَٱلآثَارِ شَاهِداً (**بِذَنْبِهِمْ**) . . فَٱلْجَوَابُ عَنْهُ إِجْمَالاً .

(**إِمَّا**) : أَنْ يَكُونَ صَدَرَ مِنْهُمْ (**قَبْلَ بِعْثَتِهِمْ**) بِدَعْوَةِ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْحَقِّ ، (**أَوْ**) يَكُونَ قَدْ صَدَرَ مِنْهُمْ (**سَهْواً** ، **أَوْ**) يَكُونَ فِعلُهُ (**تَرْكاً لِلأَوْلَىٰ**)[1] .

وَتَسْمِيَتُهُ ذَنْباً إِنَّمَا هِيَ بِٱلنِّسْبَةِ لِمَكَانَتِهِمْ ، وَرَفِيعِ جَنَابِهِمْ ، وَنِهَايَةِ جَلَالِهِمْ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ حَسَنَاتِ ٱلْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ ٱلْمُقَرَّبِينَ[2]؟

(**وَمِنْ**) ثُمَّ تَابُوا وَٱسْتَغْفَرُوا وَٱعْتَرَفُوا بِكَوْنِهِ ظُلْماً ، فَٱبْتَلَاهُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، وَأَخَذَهُمْ بِهِ ؛ زِيَادَةً فِي رَفِيعِ دَرَجَاتِهِمْ .

فَمَا وَرَدَ مُخْبَراً بِأَنَّ **آدَمَ** عَصَىٰ . . فَغَوَىٰ ، وَأَزَلَّهُ ٱلشَّيْطَانُ ، وَخَالَفَ ٱلنَّهْيَ عَنْ أَكْلِ ٱلشَّجَرَةِ ، وَٱعْتَرَفَ بِظُلْمِ نَفْسِهِ ، وَعُوتِبَ بِقَوْلِهِ : ﴿ **أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[3] وَأُخْرِجَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ثُمَّ تَابَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَٱجْتَبَاهُ .. فَكَانَ قَبْلَ بِعْثَتِهِ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُمَّةٌ فِي ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ صَدَرَ مِنْهُ نِسْيَاناً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا** ﴾[4]، أَوْ سَهْواً ظَنّاً مِنْهُ أَنَّ ٱلْمَنْهِيَّ عَنْهُ شَجَرَةٌ مُعَيَّنَةٌ ، وَقَدْ أَكَلَ مِنْ أُخْرَىٰ مِنْ جِنْسِهَا ، وَإِنَّمَا عُوتِبَ ؛ لِتَرْكِهِ ٱلتَّيَقُّظَ ، وَٱلتَّنَبُّهَ عَلَىٰ إِصْابَةِ ٱلْمُرَادِ .

وَعَنْ نُوحٍ : مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ **إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي** ﴾ مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ** ﴾[5] .. فَتَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِٱلْأَهْلِ . . ٱلْأَهْلُ ٱلصَّالِحُ ، أَوْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ ، أَوْ أَجْنَبِيٌّ مِنْهُ ،

---

(١) **ترك الأولى** : هو عدم فعل أو مخالفة فعل الأولى القيام به من الأمور، ويُعرف أيضًا بأنه ترك ما ترجح فعله على تركه من غير نصٍ صريح بالنهي عن ذلك الترك) ينظر : « البحر المحيط » (١ ٤٠٠) .

(٢) أورده الخطيب في « تاريخ بغداد » : (٥ ٤٥٤) وابن الجوزي في « صفة الصفوة » : (١ ٥٢٩) عن أبي سعيد الخراز ، يقول : « ذنوب المقربين حسنات الأبرار » .

(٣) سورة الأعراف : (٢٢) .

(٤) سورة طه : (١١٥) .

(٥) سورة هود : (٤٥ - ٤٦) .

وَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ لِاخْتِلَاطِهِ[١] بَيْنَهُ [٢] لِمَا رُوِيَ : أَنَّهُ كَانَ رَبِيبَهُ[٣] ، وَٱلْأَجْنَبِيُّ إِنَّمَا يُعَدُّ مِنْ آلِ ٱلنَّبِيِّ إِذَا كَانَ ذَا عَمَلٍ صَالِحٍ .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ : مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ إِلَّا بِثَلَاثِ كَذْبَاتٍ ؛ بِقَوْلِهِ : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[٤] و ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ﴾[٥] / ب ١٨٩ / وَ ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[٦] .

فَٱلْأَوَّلُ : عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْفَرْضِ وَٱلتَّقْدِيرِ ؛ كَمَا يَفْرِضُ ٱلْحُكْمَ ٱلَّذِي قَصَدَ إِبْطَالَهُ فِي بُرْهَانِ ٱلْخُلْفِ[٧] إِرْشَاداً لِلصَّابِئَةِ [٨] ؛ إِذْ حَاصِلُ مَا قَالَهُ : لَوْ كَانَتِ ٱلْكَوَاكِبُ أَرْبَاباً كَمَا زَعَمْتُمْ . . لَزِمَ كَوْنُ ٱلرَّبِّ آفِلاً مُتَغَيّراً ، وَ هُوَ بَاطِلٌ قَطْعاً ، أَوْ عَلَىٰ ٱلِاسْتِفْهَامِ ، أَوْ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي مَقَامِ ٱلنَّظَرِ وَٱلِاسْتِدْلَالِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ .

وَٱلثَّانِي : عَلَى ٱلتَّعْرِيضِ وَٱلِاسْتِهزَاءِ ؛ تَبْكِيتاً لَهُمْ ، وَإِلْزَاماً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا نَظَراً صَحِيحاً .. عَلِمُوا عَجْزَ كَبِيرِهِمْ ، فَلَا يَصْلُحُ إِلَهاً .

وَٱلثَّالِثُ : عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ بِهِ مَرَضُ ٱلْهَمّ وَٱلْحُزْنِ ؛ لِكُفْرِهِمْ عِنَاداً .

وَ عَنْ يَعْقُوبَ : مِنْ إِفْرَاطِهِ فِي مَحَبَّتِهِ يُوسُفَ ، وَحُزْنِهِ ، وَبُكَائِهِ عَلَيْهِ .. فَلَيْسَ بِذَنْبٍ ؛ إِذْ لَا مَعْصِيَةَ

---

(١) في (ب) (لاختلاط) .

(٢) هكذا في النسخ الخطية ولعل الصواب والله اعلم : (لاختلاطه ببنيه).

(٣) قال الألوسي في « روح المعاني » (٦ ٦٥٢) : (وعن علي « كرم الله تعالى وجهه » أنه قرأ : ﴿ ابنها ﴾ على أن ضمير التأنيث لامرأته ، وفي إضافته إليها إشعار بأنه ربيبه ؛ لأن الإضافة إلى الأم مع ذكر الأب خلاف الظاهر، وإن جوزوه ، ووجه بأنه نسب إليها لكونه كافرا مثلها) و ذكر الطبري في « جامع البيان » : (١٩ ٢٧) أن اسم ابن نوح الكافر (يام) ، ويؤيده ايضًا تصريح النبي « صلى الله عليه وسلم » بأسماء أولاد نوح « عليه السلام » المؤمنين الناجين أخرج الإمام أحمد في « مسنده » : (٢٠١١٤) ، (٣٣ ٣٠٣) عن سيدنا سمرة « رضي الله عنه » أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » فلم يذكر بينهم ابنه الكافر (يام) .

(٤) سورة الأنعام : (٧٦) .

(٥) سورة الأنبياء : (٦٣) .

(٦) سورة الصافات : (٨٩) .

(٧) قياس أو برهان الخلف : هو الذي يبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون هو بالحقيقة مركبا من قياس اقتراني وقياس استثنائي . ينظر : « الكليات » : (ص: ٣١٠١) و « جامع العلوم في اصطلاحات الفنون » : (٢ ٦٣) .

(٨) **الصابئة** : مأخوذ من أصل عبري هو (ص ب ع) أي : غطس عرفت به طائفة (المنديا) وهي طائفة يهودية نصرانية في العراق يقومون بالتعميد كالنصارى وقد ترك هؤلاء دين التوحيد وعبدوا النجوم والكواكب وعظموها ، مدعين أن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق .ينظر : « الملل والنحل » : (٢ ٣٦) وما بعدها .

فِي مَيْلِ ٱلنَّفْسِ سِيَّمَا إِلَىٰ مَنْ لَاحَ عَلَيْهِ أَنْوَارُ ٱلْكَمَالِ وَٱلْفَلَاحِ ، وَأَثَارُ ٱلْخَيْرِ وَٱلصَّلَاحِ ، وَلَا فِي بَثِّ ٱلشَّكْوَىٰ وَٱلْحُزْنِ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي مَصَائِبَ كَانَتْ فِي جِهَةِ ٱلْعِبَادِ .

وَعَنْ بَنِيهِ : مِنْ فِعْلِهِمْ بِيُوسُفَ وَكَذِبِهِمْ ، قُلْنَا : لَمْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ .

وَعَنْ يُوسَفَ : مِنْ هَمِّهِ بِٱمْرَأَةِ ٱلْعَزِيزِ ، وَجَعْلِهِ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ، وَرِضَاهُ بِسُجُودِ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ لَهُ .. فَقَبْلَ بِعْثَتِهِ ، أَوِ ٱلْمُرَادُ بِهَمِّهِ بِهَا : مَيْلُ ٱلطَّبْعِ ، وَمُنَازَعَةُ ٱلشَّهْوَةِ مِمَّا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ ٱلتَّكْلِيفِ ، وَلَا يُؤَاخَذُ بِهِ ، بَلْ هُوَ خَلِيقٌ بِٱلثَّنَاءِ وَٱلْأَجْرِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ [1] أَوْ شَارَفَ أَنْ يَهُمَّ بِهَا ؛ كَقَوْلِكَ : قَتَلْتُهُ لَوْ لَمْ أَخَفِ ٱللهَ تَعَالَىٰ [2]، وَمِنْ ثُمَّ لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ زَلَّةٌ ، وَلَا ٱسْتِغْفَارٌ وَتَوْبَةٌ .

وَ جَعْلُ ٱلسِّقَايَةِ فِي رَحْلِ أَخِيهِ مَا كَانَ بِإِذْنِهِ وَرِضَاهُ بَلْ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَنِسْبَةُ ٱلسَّرِقَةِ إِلَىٰ إِخْوَتِهِ .. تَوْرِيَةٌ[3] عَمَّا فَعَلُوا بِيُوسُفَ مِمَّا جَرَىٰ مَجْرَى ٱلسَّرِقَةِ وكانت [4]مِنَ ٱلْمُؤَذِّنِ [5].

وَٱلسَّجْدَةُ : كَانَتْ عِنْدَهُمْ جَارِيَةٌ مَجْرَى ٱلتَّحِيَّةِ وَٱلتَّكْرُمَةِ ؛ كَٱلْقِيَامِ وَٱلْمُصَافَحَةِ ، أَوْ كَانَتْ مُجَرَّدَ

---

(١) سورة سيدنا يوسف : (٢٤) .

(٢) قال البيضاوي في « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » : (٣/ ١٦٠) (والمراد بهمه « عليه السلام » ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري) .

(٣) **التورية** : وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما ، أو هي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره ، مثل أن يقول في الحرب : مات إمامكم ، وهو ينوي به أحدًا من المتقدمين . ينظر : « نهاية الأرب في فنون الأدب » : (٧/ ١٣١) ، و« مفتاح العلوم » : (ص ٤٢٧) ، و« التعريفات » : (ص ٧١) .

(٤) في (أ) (سقطت) والمثبت من (ب) .

(٥) قال الزمخشري في « الكشاف » : (٢/ ٤٩٢) : (لأنّ قوله ﴿ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ ﴾ تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف ، وقيل : كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف) ، وقال القرطبي في « تفسيره » : (٩/ ٢٣١) (وأما نسبة يوسف السرقة إلى إخوته .. فالجواب : أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الجب ، ثم باعوه ، فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل ، فصدق إطلاق ذلك عليهم ، جواب آخر- وهو أنه أراد أيتها العير حالكم حال السراق ، والمعنى : إن شيئا لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا علمه ، جواب آخر- وهو أن ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفصله عنهم إليه، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله، ولا أخبره بنفسه) .

ٱنْحِنَاءٍ لَا وَضْعَ جَبْهَةٍ ، وَٱلْخُرُورُ يَأَبَاهُ ، أَوْ كَانَتْ للهِ تَعَالَىٰ شُكْراً ؛ لِأَجْلِ يُوسُفَ[1] ./ أ ١٩٠/

وَعَنْ مُوسَىٰ : مِنْ قَتْلِهِ ٱلْقُبْطِيَّ ، وَتَوْبَتِهِ مِنْهُ ، وَٱعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ . . فَكَانَ خَطَأً ، أَوْ قَبْلَ بِعْثَتِهِ ، وَإِذْنِهِ لِلسَّحَرَةِ فِي إِظْهَارِ سِحْرِهِمْ[2] . . كَانَ لِغَرَضِ إِظْهَارِ بُطْلَانِهِ ، أَوْ إِظْهَارِ مُعْجِزَتِهِ ؛ إِذْ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .

وَإِلْقَاؤُهُ ٱلْأَلْوَاحَ .. كَانَ دَهَشاً وَتَحَيُّراً وَضَجراً ؛ لِشِدَّةِ غَضَبِهِ للهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ سَمَاعِهِ ٱتِّخَاذَ قَوْمِهِ ٱلْعِجْلَ ، وَأَخْذُهُ بِرَأْسِ أَخِيهِ ، وَجَرُّهُ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ إِيذَاءً لَهُ ، وَهُوَ أَنَابَهُ بَلْ أَدْنَاهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ ؛ لِيُعَلِّمَهُ حَقِيقَةَ ٱلْحَالِ ، وَقَوْلُهُ لِلْخَضِرِ : ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[3] . . كَانَ مِنْ حَيْثُ ٱلظَّاهِرُ ؛ إِذْ مَنْ رَأَىٰ مِثْلَ تِلْكَ ٱلْحَالَةِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَتَهَا . . جَزَمَ بِأَنَّهَا شَيْءٌ مُنْكَرٌ ، أَوْ أَرَادَ عَجَباً ؛ إِذْ[4] مَنْ رَأَىٰ شَيْئاً عَجِيباً يَقُولُ هَذَا شَيْءٌ مُنْكَرٌ ، وَمَا فَعَلَهُ ٱلْخَضِرُ كَانَ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَنْباً .

وَعَنْ دَاوُودَ : فَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ سِوَىٰ أَنَّهُ خَطَبَ ٱمْرَأَةً كَانَ أُوْرِيَا[5] قَدْ خَطَبَهَا . . فَزَوَّجَهَا أَهْلُهَا مِنْهُ دُونَ أُوْرِيَا ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ لَهُ عَنْهَا . . فَتَزَوَّجَهَا حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ عَادَةً لَهُمْ ، فَأَرْسَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ ؛ لِيُنَبِّهَاهُ لِاسْتِغْنَائِهِ بِتِسْعٍ وَتِسْعِينَ ، فَلَمَّا تَنَبَّهَ ٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ[6] .

---

(١) قال الزمخشري في« الكشاف » : (٢ ٥٠٦) : (فإن قلت : كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله ؟ قلت : كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة ، كالقيام ، والمصافحة وتقبيل اليد ، ونحوها مما جرت عليه عادة الناس ، من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير ، وقيل : ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه ، وخرورهم سجداً يأباه ، وقيل : معناه وخرّوا لأجل يوسف سجداً لله شكراً) .

(٢) هو قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ . سورة الشعراء : (٤٣) .

(٣) سورة الكهف : (٧٤) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) قال الانطاكي : (أوريا بضم الهمزة ، وسكون الواو ، وكسر الراء المهملة ، ومثناة تحتية ، ومدة تليها همزة) ينظر : « نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض » (٥ ٤١٣).

(٦) قال الرازي في « مفاتيح الغيب » (٢٦ ٣٨٠) وفي « عصمة الأنبياء » (ص ١١٥ – ١١٧) : (فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير وجوه الأول : أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه ثم خطبها داود فآثره أهلها ، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني: قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب ألبتة، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب، وأما : حصول الميل عقيب النظر فليس أيضا ذنبا ؛ لأن هذا الميل ليس في وسعه ، والثالث : أنه كان أهل زمان داود « عليه السلام » يسأل بعضهم بعضا أن يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة) .

وَمَا وَرَدَ مِنْ كَوْنِهِ ذَا ٱلْأَيْدِ ؛ أَي : ٱلْقُوَّةِ فِي ٱلدِّينِ عَلَىٰ أَدَاءِ ٱلْوَاجِبَاتِ ، وَتَرْكِ ٱلْمُنْكَرَاتِ ، وَأَنَّهُ أَوَّابٌ ؛ أَيْ : رَجَّاعٌ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَأَنَّهُ سَخَّرَ لَهُ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1] وَآتَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ . . فَشُهُودُ صِدْقٍ بِكَرَامَتِهِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَنَزَاهَتِهِ عَمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ ٱلْحَشَوِيَّةُ[2] ، وَإِنَّمَا أَوْرَدَ ٱلْمَلَكَانِ قَضِيَّتَهُمَا عَلَىٰ طَرِيقَةِ[3] ٱلتَّمْثِيلِ وَٱلتَّعْرِيضِ دُونَ ٱلتَّصْرِيحِ ؛ لِكَوْنِهِ أَبْلَغَ فِي ٱلْمُعَاتَبَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ ٱلتَّأَمُّلَ إِذَا أَخَذَ بِهِ إِلَى ٱلشُّعُورِ بِٱلْمُعَرَّضِ بِهِ .. كَانَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِهِ ، وَأَشَدَّ تَمَكُّناً مِنْ قَلْبِهِ مَعَ مُرَاعَاتِهِمَا حُسْنَ ٱلْأَدَبِ بِتَرْكِ ٱلْمُجَاهَرَةِ ، وَقَدْ بَالَغَ فِي تَضَرُّعِهِ وَتَحَزُّنِهِ وَبُكَائِهِ وَٱسْتِغْفَارِهِ ، وَٱسْتِعْظَاماً لِمَا فَرَطَ مِنْهُ نَظَراً إِلَىٰ مَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ ٱلْمَرْتَبَةِ ، وَكَرِيمِ ٱلْمَنْزِلَةِ .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ : مِنِ ٱشْتِغَالِهِ /ب١٩٠/ بِعَرْضِ ٱلصَّافِنَاتِ ٱلْجِيَادِ حَتَّىٰ غَرَبَتِ ٱلشَّمْسُ[4] ، وَفَاتَتْهُ صَلَاةُ ٱلْعَصْرِ ، أَوْ وِرْدٌ كَانَ لَهُ وَقْتُ ٱلْعَشِيِّ . . فَكَانَ نِسْيَاناً وَسَهْواً ، وَعَقْرُ ٱلْجِيَادِ ، وَضَرْبُ أَعْنَاقِهَا .. كَانَ لِإِظْهَارِ ٱلنَّدَمِ ، وَقَصْدِ ٱلتَّقَرُّبِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلتَّصَدُّقِ بِلَحْمِهَا ؛ إِذْ كَانَ أَكْلُهُ جَائِزاً فِي شَرِيعَتِهِ مِنْ أَحَبِّ مَا إِلَيْهِ .

وَمِنْهُمْ مِنْ قَالَ : ٱلْمُرَادُ حُبُّهُ لِلْجِهَادِ ؛ إِعْلَاءً لِكَلِمَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَضَمِيرُ تَوَارَتْ[5] لِلْجِيَادِ ، لَا لِلشَّمْسِ ، وَإِنَّمَا طَفِقَ يَمْسَحُ سُوقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِيَدِهِ حُبّاً لَهَا ؛ لِكَوْنِهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْأَمْوَالِ فِي دَفْعِ أَعْدَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَإِظْهَاراً لِإِصْلَاحِ آلَةِ ٱلْجِهَادِ[6] .

وَٱفْتِتَانِهِ بِإِلْقَاءِ ٱلْجَسَدِ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ فَإِنْ كَانَ مَا رُوِيَ مِنْ : (أَنَّهُ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ . . فَكَانَ يَغْذُوهُ[7] فِي

---

(١) سورة ص : (١٩) .

(٢) الحشوية : بسكون الشين أو فتحها قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا الى التجسيم وغيره ، في وهم من الفرق الضالة قال السبكي : « الإبهاج في شرح المنهاج » (٣ ٩٢٤) : (الحشوية : وهم طائفة ضلوا عن سواء السبيل، وعَمِيَت أبصارهم يُجرون آيات الصفات على ظاهرها) وهم الذين جوزوا الذنب على الانبياء قال في « شرح المواقف » (٨ ٢٨٩) ، و « شرح المقاصد » (٥ ٥٠) أما : الكبائر ؛ أي : صدورها عنهم عمدا فمنعه الجمهور من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية) .

(٣) في (ب) (طريق) .

(٤) المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ ص : ٣١

(٥) في (ب) (سقطت) .

(٦) ينظر : « مفاتيح الغيب » (٢٦ ٣٩٠) .

(٧) قال في « تاج العروس » (٣٩ ١٥٤) : (غذوت الصبي باللبن فاغتذى ، أي : ربيته به) .

ٱلسَّحَابِ حَذَراً مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ٱلشَّيَاطِينُ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ مَيْتاً فَتَنَبَّهَ ، وَأَنَابَ بِتَرْكِهِ ٱلتَّوَكُلَ عَلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ)[1]، وَ أما [2]مَا رُوِيَ مِنْ : أَنَّهُ قَالَ عليه السلام : ((لَأَطُوفَنَّ ٱللَّيْةَ عَلَىٰ سَبْعِينَ ٱمْرَأَةً ، تَأْتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِفَارِسٍ ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : « إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ » ، فَجَاءَتْ وَاحِدَةٌ بِشِقِ وَلَدٍ فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ)) [3] فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَغَايَتُهُ أَنَّهُ تَرْكٌ لِلأَوْلَىٰ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي ٱلتَّحَفُّظِ وَمُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهِ . . تَرْكٌ لِامْتِثَالِ أَمْرِ ٱلتَّوَكُّلِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾[4] ، ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾[5] ، ((ٱعْقِلْهَا وَتَوَكَلْ)) [6]مِنْ حَيْثُ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ مَأْمُورٌ بِٱلْفِرَارِ إِلَىٰ إِسْبَابِ ٱلسَّلَامَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَسْلَمْ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[7] ، ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[8] .

وَمِنْ ثُمَّ قِيلَ[9] :

عَلَىٰ ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ بِمَا فِيهِ نَفْعُهُ . . . وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

وَأَمَّا : مَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ ٱلْخَاتَمِ وَٱلشَّيْطَانِ ، وَعِبَادَةِ ٱلْوَثَنِ فِي بَيْتِهِ .. فَمِنْ مُفْتَرَيَاتِ ٱلْيَهُودِ ،[10] وَلَوْ صَحَّ فَٱتِّخَاذُ ٱلتَّمَاثِيلِ كَانَ جَائِزاً فِي شَرِيعَتِهِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾

---

(١) قال الزمخشري في « الكشاف » (٤ ٩٣) : (أنه ولد له ابن ، فقالت الشياطين : إن عاش لم ننفك من السخرة ، فسبيلنا أن نقتله أو نخبله، فعلم ذلك ، فكان يغذوه في السحابة فما راعه إلا أن ألقى على كرسيه ميتا ، فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه ، فاستغفر ربه وتاب إليه).

(٢) في (أ) (سقطت) والمثبت من (ب).

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٨١٩) ، (٤ ٢٢) ومسلم في « صحيحه » : (١٦٥٤) ، (٣ ١٢٧٥) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٤) سورة الشعراء : (١٤) .

(٥) سورة طه : (٤٥) .

(٦) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٥١٧) ، (٤ ٢٤٩) وابن حبان في « صحيحه » : (٧٣١) ، (٢ ٥١٠) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » . قال الترمذي عنه : (وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ) .

(٧) سورة النساء : (١٠٢) .

(٨) سورة البقرة : (١٩٥) .

(٩) هذا البيت ينسب لأبي ركوة واسمه الوليد قال في « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » (٢ ٦٥٩) (ولأبي ركوة المذكور أشعار كثيرة ، منها قوله : بالسّيف يقرب كلّ أمرٍ ينزح . . . فاطلب به إن كنت ممّن يفلح
وله : على المرء أن يسعى لما فيه نفعه . . . وليس عليه أن يساعده الدهر

(١٠) اوردها الطبري في « تفسيره » (٢ ٤١٤) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » قال : كان الذي أصاب سليمان بن داود ، في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة ، . . . إلى نهاية القصة) .

[1] مِنْ صُورِ ٱلْمَلائِكَةِ وَٱلْأَنْبِياءِ عَلَىٰ مَا ٱعْتَادُوهُ مِنْ عِبَادَاتٍ لِيَرَاهَا ٱلنَّاسُ/ أ ١٩١/ فَيَعْبُدُوا نَحْوَهَا .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ : (عَمِلُوا لَهُ أَسَدَيْنِ أَسْفَلَ كُرْسِيِّهِ ، وَنِسْرَيْنِ فَوْقَهُ ، فَإِذَا صَعَدَ .. بَسَطَ ٱلْأَسَدَانِ لَهُ أَذْرِعَتَهُمَا ، وَإِذَا قَعَدَ . . أَظَلَّهُ ٱلنِّسْرَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا)[2].

(وَ) عِبَادَتُهُ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ ، (وَ) سُؤَالُهُ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَكُنْ حَسَداً مِنْهُ ، وَلَا عَدَمَ إِرَادَةِ ٱلْخَيْرِ لِغَيْرِهِ ، بَلْ طَلَبَهَا لِلْمُعْجِزَةِ عَلَىٰ وُفْقِ مَا غَلَبَ فِي زَمَانِهِ ، وَلَاقَ بِحَالِهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ يَفْتَخِرُونَ بِٱلْمُلْكِ وَٱلْجَاهِ ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بَيْتِ ٱلْمُلْكِ وَٱلنُّبُوَّةِ وَارِثاً لَهُمَا ، أَوْ إِظْهَاراً لِإِمْكَانِ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَعِبَادَتِهِ مَعَ هَذا ٱلْمُلْكِ ٱلْعَظِيمِ .

وَعَنْ يُونُسَ : مِنْ ذَهَابِهِ مُغَاضِباً ، وَظَنِّهِ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَجَعْلِهِ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ . . فَمُغَاضَبَتُهُ إِنَّمَا كَانَتْ عَلَىٰ قَوْمِهِ ؛ لِكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ حَتَّىٰ لَمْ يُطِقْ مَعَهُمْ صَبْراً ، فَغَضَبُهُ كَانَ للهِ تَعَالَىٰ ، لَا عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِذَنْبٍ ، وَلَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ؛ أَيْ : لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْقَدَرِ كَمَا فِي : ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[3] لَا مِنَ ٱلْقُدْرَةِ فَلَا شَكَّ عِنْدَهُ فِيهَا ، وَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ ؛ أَيْ : لِنَفْسِه بِتَرْكِهِ ٱلْأَوْلَىٰ وَٱلْأَفْضَلَ وَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾[4] أَيْ : فِي تَرْكِهِ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ عِنَادِ قَوْمِهِ .

وَعَنْ نَبِيِّنَا : مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[5] ، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[6] ، ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[7] .. فَعَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ تَرْكِهِ ٱلْأَوْلَىٰ وَٱلْأَفْضَلَ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[8] أَيْ : غَيْرَ عَالِمٍ بِمَعَالِمِ ٱلنُّبُوَّةِ وَأَحْكَامِ ٱلشَّرَائِعِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[9] وَبِٱلْجُمْلَةِ فَلَا دَلَالَةَ لِمَا ذُكِرَ عَلَىٰ عِصْيَانِهِ وَمَيْلِهِ عَنْ طَرِيقِ ٱلْحَقِّ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ مَا

---

(١) سورة سبأ : (١٣) .

(٢) أورد هذا الاثر اهل التفاسير كالقرطبي في « تفسيره » : (١٤ ٢٧٢) والزمخشري في « الكشاف » : (٣ ٥٨٢) وغيرهما .

(٣) سورة الفجر : (١٦) .

(٤) سورة القلم : (٤٨) .

(٥) سورة الفتح : (٢) .

(٦) سورة سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » : (١٩) .

(٧) سورة التوبة : (١١٧) .

(٨) سورة الضحى : (٧) .

(٩) سورة الشورى : (٥٢) .

﴿ ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[1] ، ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[2] أَيْ : مَا كَانَ يَثْقُلُكَ وَيَغُمُّكَ مِنْ فَرَطَاتِكَ قَبْلَ بَعْثَتِكَ ، أَوْ مِنْ عَدَمِ عِلْمِكَ بِشَرَائِعِ ٱلْأَحْكَامِ ، أَوْ مِنْ تَهَالُكِكَ وَتَلَهُّفِكَ عَلَىٰ إِسْلَامِ أُولِي ٱلْعِنَادِ : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[3] تَلَطُّفٌ فِي خِطَابِهِ وَعِتَابٌ لَهُ /ب ١٩١ / عَلَىٰ تَرْكِهِ ٱلْأَفْضَلَ ، وَإِرْشَادٌ إِلَى ٱلِاحْتِيَاطِ فِي تَدْبِيرِ ٱلْحَرْبِ [4] وَ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5] عِتَابٌ عَلَىٰ تَرْكِهِ ٱلْأَوْلَى ٱلَّذِي هُوَ عَدَمُ رِضَاهُ بِٱخْتِيَارِ أَصْحَابِ ٱلْفِدَاءِ ، وَكَذَا : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[6] ، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ .[7]

وَمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهُ قَرَأَ بَعْدَ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[8] تِلْكَ ٱلْغَرَانِيقُ[9] ٱلْعُلَىٰ ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ بِذَلِكَ . . فَحَزِنَ وَخَافَ خَوْفاً شَدِيداً فَنَزَلَ تَسْلِيَةً لَهُ ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أَيْ : قَرَأَ ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[10]

---

(١) سورة النجم : (٢) .

(٢) سورة الشرح : (٢) .

(٣) سورة التوبة : (٤٣) .

(٤) في (ب) (الحروب) .

(٥) سورة الانفال : (٦٧ ــ ٦٨) .

(٦) سورة التحريم : (١) .

(٧) سورة عبس : (١ ــ ٢) .

(٨) سورة النجم : (١٩ – ٢٠) .

(٩) **الغرانيق** : جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ، ويقال : غرنيق بضمها وفتح النون وسكون الراء والياء ، ويقال : كقنديل وهي في الأصل الذكور من طير الماء ، طويل العنق ، قيل : هو الكركي ، ويقال للشاب الممتلئ : شبابا وحسنا وبياضا الغِرنَيْقُ والغُرْنُوقُ : طائر أبيض ، والغُرنُوقُ : الرجل الشاب الأبيض الجميل ، وهو الغُرانِق أيضا . ينظر « العين » :(٤ ٤٥٨) ، و « شرح الشفا » للملا علي القاري : (٢ ٢٢٥) .

(١٠) سورة الحج : (٥٢) .

فَكَانَ مِنْ إِلْقَاءِ ٱلشَّيْطَانِ فِي قِرَاءَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » حَتَّى ٱخْتَلَطَ صَوْتُهُ بِصَوْتِهِ [١]، فَظُنَّ أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قَرَأَهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ صَوْتُهُ فِي زَمَنِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾[٢] وَيَوْمَ أُحِدٍ : (أَلَا إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ) [٣].

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[٤] .. عِتَابٌ عَلَىٰ إِخْفَائِهِ عَزِيمَةَ تَزَوُّجِ زَيْنَبَ [٥]بَعْدَ تَطْلِيقِ زَيْدٍ [٦]لَهَا ؛ حَذَراً مِنْ طَعْنِ ٱلْمُنَافِقِينَ أَعْدَاءِ ٱلدِّينِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ إِخْفَاءَهُ

---

(١) أورده الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٣١٦) ، (٩ ٣٤) ، والبزار في « مسنده (٥٠٩٦) ، (١١ ٢٩٦) وقال عنه البزار : (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل عنه يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » : (٧ ٧٢) : (رواه الطبراني مرسلا، وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة) .
وقد أطال الكلام فيها وأوفى الجواب القاضي عياض في « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » : (٢ ١٢٤- ١٢٧) فقال (فصل : وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها : ما روي من أن النبي « صلى الله عليه وسلم » لما قرأ سورة والنجم ... الحديث ، ثم قال : فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته « صلى الله عليه وسلم » ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، إما : من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي « صلى الله عليه وسلم » أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل « عليه السلام » وذلك كله ممتنع في حقه « صلى الله عليه وسلم » ، أو يقول ذلك النبي « صلى الله عليه وسلم » من قبل نفسه عمدا - وذلك كفر - أو سهوا ، وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته « صلى الله عليه وسلم » من جريان الكفر على قلبه ، أو لسانه لا عمدا ولا سهوا ، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ الآية) .
(٢) سورة الأنفال : (٤٨) أورد هذا الأثر البيهقي في « دلائل النبوة » : (٣ ٧٩) .
(٣) أخرج الإمام أحمد في « مسنده » : (٢٦٠٩) ، (٤ ٣٦٨) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » عن معركة أحد (وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق) .
(٤) سورة الأحزاب : (٣٧) .
(٥) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، من أسد خزيمة ، أم المؤمنين ، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام ، كانت زوجة زيد بن حارثة « رضي الله عنه » ، واسمها (برّة) وطلقها زيد « رضي الله عنه » ، فتزوج بها النبي « صلى الله عليه وسلم » وسماها (زينب) وكانت من أجمل النساء ، توفيت سنة (٢٠ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » (٨ ١٥٣) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢ ٢١١)
(٦) زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي ، صحابي ، أختطف في الجاهلية صغيرا ، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي صلّى الله عليه وسلم حين تزوجها ، فتبناه النبيّ - قبل الإسلام - وأعتقه وزوجه بنت عمته ، واستمر الناس يسمونه (زيد بن محمد) حتى نزلت آية (ادعوهم لآبائهم) وهو من أقدم الصحابة إسلاما، توفي سنة (٨ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » (٢ ٤٩٤) ، و « سير أعلام النبلاء » (١ ٢٢٠) .

أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ لَيْسَ بِصَغِيرَةٍ [1] فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ كَبِيرَةً ، فَغَايَتُهُ أَنَّهُ كَانَ تَرْكاً لِلأَوْلَىٰ .

وَأَمَّا نَحْوُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [2] ، ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [3] ، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ، ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [4] ، ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [5] فَٱلْأَمْرُ لَا يَقْتَضِي سَابِقَةَ تَرْكٍ ، وَلَا ٱلنَّهْيُ سَابِقَةَ فِعْلٍ ، وَلَا ٱلشَّرْطُ سَابِقَةَ وُقُوعِ مَضْمُونِهِ ، هَذَا وَلَا قَاطِعَ بِجَوَازِ صَغِيرَةٍ عَلَيْهِمْ فِي مَعْرِضِ ٱلِاجْتِهَادِ .

(**وَٱلْقُرْآنُ**) / أ ١٩٢ / ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [6] قَاضٍ (**بِأَنَّ عَدَدَهُمْ ، لَا يُحْصَرُ فِيمَا جَاءَ بِهِ ٱلْحَدِيثُ**) مِنْ كَوْنِهِ مِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً مِنْهُمْ رُسُلٌ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ ؛ لِأَنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ لَا يُعَارِضُ مُتَوَاتِراً ، فَإِنَّهُ وَإِنِ ٱشْتَمَلَ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلشَّرَائِطِ لَا يُفِيدُ إِلَّا ظَنّاً ، مَعَ كَوْنِهِ مُخَالِفاً لِلْوَاقِعِ ؛ إِذْ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ عَدَدِهِمْ فِيهِ أَقَلَّ مِمَّا ذُكِرَ . . إِثْبَاتُ نُبُوَّةِ مَنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ ، وَمِنْ كَوْنِهِ أَكْثَرَ مِنْهُ . . نَفْيُ نُبُوَّةِ مَنْ هُوَ نَبِيٌّ فَٱلْأَوْلَىٰ أَنْ يُوكَلَ إِلَىٰ عِلْمِهِ تَعَالَىٰ [7] .

(**وَٱلْمَلَائِكَةُ ؛ كَهُمْ**) ؛ أَيْ : كَٱلْأَنْبِيَاءِ فِي أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ ؛ لِعُمُومِ مِثْلِ : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [8] ، ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [9] ، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [10] فَهَذِهِ عُمُومَاتٌ أَعْيَاناً وَأَزْمَاناً أَفَادَتْ ظَنّاً بِأَنَّهُمْ مُبَرَّؤُونَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْمَعَاصِي ، وَلَا قَاطِعَ إِثْبَاتاً وَلَا نَفْياً ، وَأَنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي

---

(١) في (ب) (صغيرة) .

(٢) سورة الأحزاب : (١) .

(٣) سورة الأنعام : (٥٢) .

(٤) سورة سيدنا يونس عليه السلام : (٩٤) .

(٥) سورة الزمر : (٦٥) .

(٦) سورة غافر : (٧٨) .

(٧) قال التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ٦١) : (لكن ذكر بعض العلماء أن الأولى أن لا يقتصر عددهم ؛ لأن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن ، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات ، وههنا حصر عددهم يخالف ظاهر قوله تعالى : ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ .

(٨) سورة التحريم : (٦) .

(٩) سورة الأنبياء : (٢٦ - ٢٨) .

(١٠) سورة الأنبياء : (١٩ - ٢٠) .

عَنِ ٱلْقَطْعِ شَيْئاً ؛ لِعَدَمِ ٱعْتِبَارِهِ فِي ٱلاعْتِقَادِيَّاتِ دُونَ ٱلْعَمَلِيَّاتِ .

(**وَعُورِضَ**) ٱلْقَوْلُ : بِعِصْمَتِهِمْ (**بِأَنَّ إِبْلِيسَ عَصَىٰ**) رَبَّهُ بِتَرْكِهِ ٱلسُّجُودَ ٱلْمَأْمُورَ هُوَ بِهِ مَعَ جُمْلَتِهِمْ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] وَمِنْ ثُمَّ وَبَّخَهُ بِمِثْلِ : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[2] (**وَهُوَ مِنْهُمْ**) ؛ بِشَهَادَةِ ٱسْتِثْنَاءِهِ مِنْهُمْ .

وَعُورِضَ أَيْضاً : (**بِقَدْحِهِمْ فِي آدَمَ ، وَٱسْتِبْعَادِهِمْ جَعْلَهُ خَلِيفَةً**) ؛ بِقَوْلِهِمْ فِي جَوَابِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .. ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [3]وَهُوَ يَشْبَهُ ٱلْإِنْكَارَ ٱسْتِبْعَاداً لِفِعْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ بِمَعْنَىٰ : لَا يَسْتَخْلِفُ مَنْ يَتَصِفُ بِذَلِكَ ، وَنَحْنُ مَعْصُومُونَ أَحِقَّاءُ بِٱلِاسْتِخْلَافِ ، وَغِيبَةً وَٱتِّبَاعاً /ب ١٩٢/لِلظَّنِّ وَرَجْماً بِٱلْغَيْبِ فِيمَا لَا يَلِيقُ ، وَإِعْجَاباً بِأَنْفُسِهِمْ وَتَزْكِيَةً لَهَا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مُخِلٌّ بِٱلْعِصْمَةِ .

(**قُلْنَا**) : لَمْ يَكُنْ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ بَلْ : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [4]وَعُدَّ مِنْهُمْ تَغْلِيباً ؛ إِذْ كَانَ جِنْساً وَاحِداً مَغْمُوراً فِيهِمْ .

وَٱلْقَوْلُ بِأَنَّ مَعْنَىٰ : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ صَارَ مِنْهُمْ ، أَوْ كَانَ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مُسَمَّاةٌ بِٱلْجِنِّ شَأْنُهُمُ ٱلِاسْتِكْبَارُ وَإِنْ كَانَ حَسَناً . . فَخِلَافُ ٱلظَّاهِرِ ؛ إِذِ ٱلْمُتَبَادَرُ مِنْ لَفْظِ ٱلْجِنِّ لَا يَشْمَلُهُ ٱلْمَلَكُ ، وَٱلْغِيبَةُ إِنَّمَا تَكُونُ حَيْثُ ٱلْغَرَضُ إِظْهَارُ مَنْقَصَةِ ٱلْغَيْرِ ، وَٱلتَّزْكِيَةُ إِنَّمَا تَكُونُ حَيْثُ ٱلْغَرَضُ إِظْهَارُ مَنْقَبَةِ ٱلنَّفْسِ ، وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَىٰ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ .

بَلْ غَرَضُهُمْ (**وَقَصْدُهُمْ ، إِنَّمَا كَانَ تَعَجُّباً مِنَ ٱسْتِخْلَافِ**) ٱللهِ تَعَالَىٰ لِعِمَارَةِ ٱلْأَرْضِ وَٱصْلَاحِهَا (**مَنْ لَا يَلِيقُ**) ؛ لِفَسَادِهِ فِيهَا وَسَفْكِهِ ٱلدِّمَاءَ (**مَعَ وُجُودِ لَائِقٍ**) مَعْصُوم ، وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، وَٱسْتِكْشَافاً عَنْ مَا خَفِيَ مِنْ حِكْمَتِهِ ٱلَّتِي بَهَرَتْ تِلْكَ ٱلْمَفَاسِدَ وَأَلْغَتْهَا ، وَٱسْتِخْبَاراً عَمَّا يُزِيحُ شُبْهَتَهُمْ وَيُرِيحُ أَفْئِدَتَهُمْ ، لَا عُجْباً وَمُفَاخَرَةً ، وَلَا ٱعْتِرَاضاً عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَلَا قَدْحاً فِي بَنِي آدَمَ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْغِيبَةِ ؛ فَكَأَنَّهُمْ

---

(١) سورة البقرة : (٣٤) .
(٢) سورة الأعراف : (١٢) .
(٣) سورة البقرة : (٣٠) .
(٤) سورة الكهف : (٥٠) .

عَلِمُوا بِإِخْبَارٍ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَوْ مِنَ ٱللَّوْحِ ٱلْمَحْفُوظِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً ذُو قِوىً ثَلَاثٍ عَلَيْهَا مَدَارُ أَمْرِهِ :

شَهَوِيَّةٌ : رَذِيلَتُهَا ٱلْإِفْرَاطِيَّةُ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْأَرْضِ .

وَغَضَبِيَّةٌ : رَذِيلَتُهَا ٱلْإِفْرَاطِيَّةُ سَفْكُ ٱلدِّمَاءِ .

وَعَقْلِيَّةٌ : تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلطَّاعَةِ [1].

وَنَظَرُوا إِلَيْهَا مُفْرَدَةً فَقَالُوا : مَا ٱلْحِكْمَةُ فِي ٱسْتِخْلَافِهِ ؟ وَهِيَ بِٱعْتِبَارِ ٱلشَّهَوِيَّةِ وَٱلْغَضَبِيَّةِ لَا تَقْتَضِي إِيجَادَهُ فَضْلاً عَنِ ٱسْتِخْلَافِهِ ، وَأَمَّا : بِٱعْتِبَارِ ٱلْعَقْلِيَّةِ .. فَنَحْنُ نَقُومُ بِمَا يُتَوَقَّعُ مِنْهَا سَلِيماً مِنْ مُعَارَضَةِ ٱلْمَفَاسِدِ ، وَذَهَلُوا عَنْ فَضِيلَةِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلْقُوَتَيْنِ إِذَا تَهَذَّبَتِ ٱلنَّفْسُ ، وَصَارَتْ مِطْوَاعَةً لِلْعَقْلِ مُتَمَرِّنَةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ؛ كَٱلْعِفَةِ مَعَ ٱلشَّجَاعَةِ وَمُجَاهَدَةِ ٱلْهَوَىٰ وَٱلْإِنْصَافِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلتَّرْكِيبَ يُفِيدُ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ ٱلْآحَادُ ؛ كَٱلْإِحَاطَةِ بِٱلْجُزْئِيَّاتِ ، وَٱسْتِنْبَاطِ ٱلْأَحْكَامِ / أ ١٩٣ / وَٱلصِّنَاعَاتِ ، وَٱسْتِخْرَاجِ مَنَافِعِ ٱلْكَائِنَاتِ مِنَ ٱلْقُوَّةِ إِلَى ٱلْفِعْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَقْصُودُ ، وَٱلتَّعَجُّبُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ ٱسْتِخْلَافِهِ بِدُونِ حِكَمٍ وَمَصَالِحَ [2].

(وَ) مِنْ ثُمَّ قَالَ رَدّاً عَلِيهِمْ : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [3] إِشَارَةً إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْحِكَمِ وَٱلْمَصَالِحِ إِجْمَالاً ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ ﴾ [4] أَيْ : فِي زَعْمِكُمْ أَنِّي ٱسْتَخْلِفُ مَنْ يَتَّصِفُ بِمَا ذَكَرْتُمْ ، وَأَنَّكُمْ أَحِقَاءُ بِٱلْخِلَافَةِ .. دَلَالَةٌ عَلَىٰ نَفْيِ عِصْمَتِهِمْ بِإِثْبَاتِ كَذِبِهِمْ فِي ٱلْجُمْلَةِ ؛ لِأَنَّ هَذَا ٱلْقَدَرَ مِنَ ٱلْخَطَأِ وَٱلسَّهْوِ لَا يُنَافِي عِصْمَةً وَلَا يُوجِبُ مَعْصِيَةً .

---

(١) للنفس الإنسانية قوى كل واحدة منها تختص بشيء ، فالشهوية منها : وهي القوة التي لا يصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودية الفرج والبطن والحرص على الجماع والأكل ، والغضبية هي منشأ لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بأنواع الأذى ، والعقلية : وهي التي توفق بين القوتين ، قال الرازي في « تفسيره » (٢٠ ٢٦١) : (إنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة : وهي الشهوانية البهيمية ، والغضبية السبعية ، والوهمية الشيطانية ، والعقلية الملكية وهذه القوة الرابعة أعني : العقلية الملكية لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها ؛ لأنها من جواهر الملائكة) .

(٢) ينظر : « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » : (١ ٨٢) .

(٣) سورة البقرة : (٣٠) .

(٤) سورة البقرة : (٣١) .

(**وَأَمَّا تَعْذِيبُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . . فَمُعَاتَبَةٌ**)[1] عَلَىٰ تَعْلِيمِهِمَا لِلنَّاسِ ٱلسِّحْرَ ٱلَّذِي هُوَ مُزَاوَلَةُ نُفُوسٍ خَبِيثَةٍ أَفْعَالاً وَأَقْوَالاً يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ؛ فَأَنَّهُمَا مَلَكَانِ أُنْزِلَا لِتَعْلِيمِهِ ٱبْتِلَاءً مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ لِلنَّاسِ ، وَتَمْيِيزاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمُعْجِزَةِ ؛ كَمَا تُعَاتَبُ ٱلْأَنْبِيَاءُ عَلَىٰ ٱلسَّهْوِ وَتَرْكِ ٱلْأَوْلَىٰ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَكِبَا كَبِيرَةً فَضْلاً عَنْ كُفْرٍ .

وَمَا وَرَدَ : مِنْ أَنَّ ٱلْوَاحِدَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ يَرْتَكِبُ ٱلْكَبِيرَةَ فَيُعَاقَبُ بِٱلْمَسْخِ .. فَمِنْ مُفْتَرَيَاتِ ٱلْيَهُودِ .

(**وَلَمْ يَعْمَلَا بِسِحْرٍ ، وَلَا ٱعْتَقَدَا تَأْثِيرَهُ بَلْ أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا ٱبْتَلَاءً**) مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ لِلنَّاسِ (**فَعَلَّمَاهُ بِتَحْذِيرٍ وَتَنْبِيهٍ**) وَنُصْحٍ فَكَانَا يَعِظَانِ ٱلنَّاسَ وَيُحَذِّرَانِهِمْ ، وَيَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ ٱبْتِلَاءٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِشَهَادَةِ : ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ** ﴾ تَنْبِيهاً وَنُصْحاً ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾أَيِ : ٱبْتِلَاءٌ وَٱخْتِبَارٌ ﴿ **فَلَا تَكْفُرْ** ﴾[2]بِٱعْتِقَادِ جَوَازِهِ وَٱلْعَمَلِ بِهِ عَلَىٰ وَجْهٍ يَكُونُ كُفْراً .

فَمَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ مُعْتَقِداً جَوَازَهُ كَانَ كَافِراً ، وَمَنْ تَجَنَّبَهُ أَوْ تَعَلَّمَهُ لِيَحْذَرَهُ وَلَا يَغْتَرَ بِهِ كَانَ مُؤْمِناً ، وَكَفَاكَ بِٱلْآيَةِ شَاهِداً بِجَوَازِ تَعَلُّمِهِ وَإِنْ مُنِعَ مِنَ ٱتْبَاعِهِ وَٱلْعَمَلِ بِهِ ؛ إِذْ مَا لَا يَجُوزُ ٱتْبَاعُهُ قَدْ لَا يَكُونُ مَحْظُوراً .

---

(١) أصل ذلك هو حديث أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » (٦١٧٨) ، (١٠ ٣١٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦١٨٦) ، (١٤ ٦٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » ، أنه سمع نبي الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : ... وذكر القصة التي نزلا فيها إلى الأرض . . . ثم قال عندما ارتكبا الذنب « فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا » .

(٢) سورة البقرة : (١٠٢) .

(وَٱلْأَكْثَرُ) مِنَّا وَعَلَيْهِ ٱلشِّيعَةُ [1] عَلَىٰ (أَنَّ ٱلْأَتْقِيَاءَ) جَمْعُ تَقِيٍّ بِٱلتَّاءِ وَٱلْقَافِ (مِنْ بَنِي آدَمَ) أَنْبِيَاءَ وَغَيْرِهُمْ (أَفْضَلُ مِنْهُمْ) / ب١٩٣/ خِلَافاً لِلْقَاضِي [2] وَٱلْحَلِيمِيِّ [3]، وَٱلْمُعْتَزِلَةُ [4] كَٱلْفَلَاسِفَةِ . [5]

(وَمِنَّا مَنْ فَضَّلَ خَوَاصَّنَا) وَهُمُ ٱلْأَنْبِيَاءُ (عَلَىٰ خَوَاصِّهِمْ) ؛ كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ (وَهُمْ) ؛ أَيْ : خَوَاصُّهُمْ (عَلَىٰ عَوَامِّنَا) ؛ كَٱلصُّلَحَاءِ (وَهُمْ) ؛ أَيْ : عَوَامُّنَا ٱلصُّلَحَاءُ ؛ كَأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَبَلْ سَائِرِ ٱلصَّحَابَةِ ٱلْكِرَامِ (عَلَىٰ عَوَامِّهِمْ) [6] بِأَنَّ لَنَا عَوَائِقَ عَنِ ٱلطَّاعَةِ عِلْمِيَّةً وَعَمَلِيَّةً ، مِنْ شَهْوَةٍ وَغَضَبٍ ، وَمَوَانِعَ خَارِجَةً وَدَاخِلَةً ، وَحَاجَاتٍ شَاغِلَةً مِمَّا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ .

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ (ٱكْتِسَابَ ٱلْكَمَالِ) بِقَهْرِ ٱلنَّفْسِ وَغَلَبَتِهَا عَلَىٰ مَا يُضَادُّ ٱلْقُوَةَ ٱلْعَاقِلَةَ (وَٱلْمُوَاظَبَةَ عَلَىٰ ٱلطَّاعَةِ مِنَ ٱلشَّوَاغِلِ) .. أَشَقُّ وَأَفْضَلُ وَأَبْلَغُ (وَأَدْخَلُ فِي ٱسْتِحْقَاقِ ٱلثَّوَابِ) وَلَا مَعْنَىٰ لِلْأَفْضَلِيَّةِ سِوَىٰ زِيَادَةِ ٱسْتِحْقَاقِهِ مَعَ ٱلْكَرَامَةِ .

وَبِأَنَّ لَهُمْ عَقْلاً بِلَا شَهْوَةٍ ، وَلِلْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ ، وَلَنَا كِلَيْهِمَا ، فَمَنْ رَجَحَتْ شَهْوَتُهُ عَلَىٰ عَقْلِهِ

---

(١) قال المقداد الحلي في « إرشاد الطالبين غلى نهج المسترشدين » (ص ٣٢١) : (أن الأنبياء أشرف من الملائكة ... ثم بدأ يستدل على قوله ، وبعدها الرد على المعتزلة ومن وافقهم) .

(٢) هو أبو بكر الباقلاني .

(٣) قال الحليمي في « المنهاج في شعب الإيمان » (١ ٣١٥) : (ومما يدل على فضل الملائكة : أن الله تعالى جعل دخولهم على بني آدم في الجنة ، وتسليمهم عليهم من حملة الثواب الذي وعدهم بحسن أعمالهم، فقال : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ فلو كانت الملائكة دونهم لم تكن زيارتهم إياهم نعمة ، يحتاج إلى التوصل إليها إلى ترك الشهوات ، وإجهاد النفس في الصالحات ، فلما كان ذلك لا يوصل إليه إلا بما ذكرنا ، بأن الملائكة أفضل وأرفع قدراً ، وإن زيارتهم للذين يزورونهم زائدة في أقدارهم معلية لرتبهم والله أعلم) .

(٤) لخَص رأي المعتزلة القاضي عبد الجبار في كتابه « تنزيه القران عن المطاعن » (ص ٦٤) : (وقد ثبت بآيات كثيرة أن الملائكة أفضل) . ثم راح يرد على المخالف ويستدل على صواب قوله ، وأشار إلى ذلك الزمخشري في « الكشاف » : (٤ ٧١٢) .

(٥) وقال الإيجي في « المواقف » : (٣ ٤٥٨) : (فقال أكثر أصحابنا الأنبياء أفضل ، وعليه الشيعة وأكثر أهل الملل وقالت المعتزلة ، وأبو عبد الله الحليمي والقاضي أبو بكر منا الملائكة أفضل ، وعليه الفلاسفة) و قال التفتازاني في « شرح المقاصد » (٥ ٦٧) : (فذهب جمهور أصحابنا والشيعة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، خلافا للمعتزلة والقاضي وأبي عبدالله الحليمي منا) ، وكذلك ذكره الشريف في « شرح المواقف » (٨ ٣٠٩) .

(٦) هذا القول ذكره التفتازاني في « شرح المقاصد » (٥ ٦٥) ولكن هذا القول ينسب إلى الماتريدية ، قال القونوي في « حاشيته على البيضاوي » (٣ ٢٧٠) : (واما الملائكة فلأن المذهب عندنا أن خواص بني ادم مالانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وعوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة) وكذلك ذكر هذا القول الباجوري ونسبه للماتريدية في « شرح جوهرة التوحيد » (ص ٢١٨) ..

كَانَ أَدْنَىٰ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[1] وَمَنْ رَجحَ عَقْلُهُ عَلَىٰ شَهْوَتِهِ كَانَ أَعَلَىٰ مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَعُودُ هَذَا إِلَىٰ مَا قَبْلَهُ ، وَتَمَامُ تَقْرِيرِهِ هُوَ أَنَّ ٱلْكَافِرَ قَدْ آثَرَ ٱلنُّقْصَانَ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنَ ٱلْكَمَالِ ، وَكُلُّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَضَلُّ وَأَرْذَلُ مِمَّنْ آثَرَهُ بِدُونِهِ ؛ إِذْ إِيثَارُ شَيْءٍ مَعَ وُجُودِ مُضَادِّهِ وَمُنَافِيهِ أَرْجَحُ وَأَبْلَغُ مِنْ إِيثَارِهِ بِدُونِهِ . فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَنْ آثَرَ ٱلْكَمَالَ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنَ ٱلنُّقْصَانِ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ مِمَّنْ آثَرَهُ بِدُونِهِ .

وَلَا تَمَسُّكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ لِأَنَّ ٱلتَّكْرِيمَ ٱلْمُطْلَقَ لِأَحَدِ ٱلْأَجْنَاسِ وإِنْ أَشْعَرَ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ لَا يُوجِبُ ٱلتَّفْضِيلَ سِيَّمَا مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2] ؛ لِاشْعَارِهِ بِعَدَمِ تَفْضِيلِهِمْ عَلَى ٱلْقَلِيلِ ، وَلَيْسَ غَيْرُ ٱلْمَلَائِكَةِ إِجْمَاعاً ، كَيْفَ وَقَدْ وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[3] .

(وَ) نَقَلاً (بِنَحْوِ) قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾[4] لِأَنَّ ٱلْحَكِيمَ لَا يَأْمُرُ بِسُجُودِ ٱلْأَفْضَلِ لِلْأَدْنَىٰ ، وَإِبَاءُ إِبْلِيسَ وَٱسْتِكْبَارُهُ وَدَعْوَاهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ ؛ لِكَوْنِهِ مِنْ نَارٍ وَهُوَ/ أ ١٩٤ /مِنْ طِينٍ . شُهُودُ صِدْقٍ بِأَنَّ ٱلْمَأْمُورَ بِهِ كَانَ سُجُودَ تَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ ، لَا سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَزِيَادَةٍ ، وَلَا سُجُودَ ٱلْأَعْلَىٰ لِلْأَدْنَىٰ هَضْماً لِنَفْسِهِ وَإِعْظَاماً لِآدَمَ وَرَفْعاً لِمَنْزِلَتِهِ : ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[5] فَأَنْبَأَهُمْ بَعْدَ ٱعْتِرَافِهِمْ بِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِأَسْمَاءِ ٱلْمُسَمَّيَاتِ بِٱسْمِ كُلِّ شَيْءٍ .

وَبِمَا عَلَّمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، وَٱلْمُعَلَّمُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمُتَعَلِّمِ ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَسَوْقُ ٱلْآيَةِ مُخْبِرٌ بِأَنَّ ٱلْغَرَضَ إِظْهَارُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْضَلِيَّتِهِ وَدَفْعِ مَا تَوَهَمُوا فِيهِ مِنْ نَقْصٍ .

(وَمِنْ) ثُمَّ قَالَ : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[6] وَهَمْزَتُهُ إِنْكَارِيَّةٌ دَخَلَتْ حَرْفَ ٱلْجَحْدِ فَأَفَادَتْ إِثْبَاتَ أَوْ تَقْرِيرَ ٱلْمَدْخُولِ لَهُ .

---

(١) سورة الأعراف : (١٧٩) .
(٢) سورة الإسراء : (٧٠) .
(٣) سورة الأنبياء : (٢٦) .
(٤) سورة البقرة : (٣٤) .
(٥) سورة البقرة : (٣٣) .
(٦) سورة البقرة : (٣٣) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وَخُصَّ مِنْهُمْ غَيْرُ ٱلْأَنْبِيَاءِ بِشَهَادَةِ ٱلْإِجْمَاعِ ، فَيَكُونُ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ هُمُ ٱلْأَصْفِيَاءُ (**عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ وَهُمْ مِنْهُمْ**) ؛ أَيْ : وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ؛ إِذْ لَا مُخَصّصَ لَهُمْ مِنْهُمْ وَلَا جِهَةَ لِتَفْسِيرِهِمْ بِٱلْكَثِيرِ مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ .

(**وَمَنْ خَالَفَ**) وَزَعَمَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، **سَمْعاً** :

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ فَإِنَّهُ وَرَدَ فِي مَعْرِضِ ٱلتَّوَاضُعِ ، وَٱلنُّزُولِ عَنْ دَرَجَةِ ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّرَفُّعِ ، وَٱلْبَرَاءَةِ مِنْ دَعْوَى ٱلْإِلَهِيَّةِ وَٱلْمَلَكِيَّةِ ، وَٱدّعَىٰ مَا هُوَ مِنْ كَمَالَاتِ ٱلْبَشَرِ ، وَهُوَ : ٱلنُّبُوَّةُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾[2] ؛ أَيْ : إِلَّا كَرَاهَةَ أَنْ تَكُونَا مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُمْ بِمَرْتَبَةٍ عُلْيَا ، أَنْتُمَا قَاصِرَانِ عَنْهَا ، وَفِي ٱلْأَكْلِ مِنْهَا إِرْتِقَاءٌ إِلَيْهَا .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[3] ؛ لِأَنَّ ٱلْمُعَلِّمَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمُتَعَلِّمِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[4] أَيْ : لَا يَتَرَفَّعُ عِيسَىٰ عَنْ عُبُودِيَّتِي ، وَلَا مَنْ هُوَ أَعَلَىٰ مِنْهُ قَدراً ، وَ أَعْظَمُ خَطَراً بِشَهَادَةِ تَخصِيصِهِمْ بِٱلْقُرْبِ .

قُلْنَا : مَا ذُكِرَ مِنَ ٱلْأَدِلَةِ مُؤَوَّلٌ :

فَٱلْأَوَّلُ : إِنَّمَا / ب ١٩٤ / قَالَهُ لِاسْتِعْجَالِ قُرَيْشٍ تَهَكُماً بِهِ ، وَتَكْذِيباً لَهُ ٱلْعَذَابَ ٱلَّذِي وُعِدُوهُ بِقَوْلِهِ قَبْلَهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[5] أَيْ : أَنَا لَسْتُ بِمَلَكٍ تَكُونُ لِي قُوَةٌ وَقُدْرَةٌ عَلَىٰ إِنْزَالِ ٱلْعَذَابِ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ كَمَا كَانَ لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ قَلَبَ بِأَحَدِ جَنَاحَيْهِ ٱلْمُؤْتَفِكَاتِ[6] ،

---

(١) سورة ال عمران : (٣٣) .

(٢) سورة الأعراف : (٢٠).

(٣) سورة النجم : (٥) .

(٤) سورة النساء : (١٧٢) .

(٥) سورة الانعام : (٤٩) .

(٦) **المؤتفكات** : قوم لوط ، ومدينتهم وزرعهم ، أوحى الله إلى جبريل « عليه السلام » ، فاقتلعها من الأرض ، ربضها ومدينتها ، ثم هوى بها إلى السماء ؛ ثم قلبهم إلى الأرض ، ثم أتبعهم الصخر حجارة . ينظر : « جامع البيان » : (٢٣ ٥٧٦) .

أَوْ عِلْمٌ بِهِ بِإِخْبَارِ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِلَا وَاسِطَةٍ فَهُوَ إِنَّمَا دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْمَلَكَ أَقْوَىٰ وَأَقْدَرُ فَأَيْنَ حَدِيثُ ٱلْأَفْضَلِيَّةِ ٱلَّتِي هِيَ أَكْثَرِيَّةُ ٱلثَّوَابِ ؟.

وَٱلثَّانِي : بِأَنَّهُ تَمْوِيهٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ وَتَخْيِيلٌ أَنَّ مَا رَآهُ مِنْ حُسْنِ صُورَةِ [1] ٱلْمَلَائِكَةِ ، وَعِظَمِ خَلْقِهِمْ ، وَكَمَالِ قَدْرِهِمْ يَحْصُلُ بِأَكْلِ ٱلشَّجَرَةِ وَأَنَّهُ ٱلْكَمَالُ ٱلْحَقِيقِيُّ .

وَٱلثَّالِثُ : بِأَنَّهُ بِطَرِيقِ ٱلتَّبْلِيغِ ، وَإِنَّمَا ٱلتَّعْلِيمُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَإِسْنَادُهُمْ[2] إِلَيْهِمْ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ .

وَٱلرَّابِعُ : بِأَنَّهُ إِنَّمَا سِيقَ رَدّاً لِمَقَالَةِ ٱلنَّصَارَىٰ وَغُلُوِّهِمْ فِي ٱلْمَسِيحِ ، وَٱدِّعَائِهِمْ فِيهِ مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلْبُنُوَّةَ بَلِ ٱلْإِلَهِيَّةَ ، وَٱلتَّرَفُّعُ عَنِ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِكَوْنِهِ رُوحَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وُلِدَ بِلَا أَبٍ ، وَأَبْرَئَ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ[3] ؛ أَيْ : لَا يَتَرَفَّعُ عِيسَىٰ عَنْ كَوْنِهِ عَبْداً لِي ، وَلَا ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ فَوْقَهُ مِنْ جِهَةِ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَبِلَا أَبٍ وَأُمٍّ ، وَلَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَىٰ ٱلْأَفْضَلِيَّةِ ؛ بِمَعْنَىٰ : كَثْرَةِ ٱلثَّوَابِ وَسَائِرِ ٱلْكَمَالَاتِ ، وَلَمْ يَقْصِدْ فِيهِ زِيَادَةً وَرِفْعَةً فِي ٱلْفَضْلِ وَٱلشَّرَفِ وَٱلْكَمَالِ بَلْ فِيمَا هُوَ مَظِنَّةُ ٱلِاسْتِنْكَافِ وَٱلرِّضَا ؛ كَٱلْغَلَبَةِ وَٱلِاسْتِكْبَارِ وَٱلِاسْتِعْلَاءِ فِي ٱلسُّلْطَانِ ، وَقُرْبِ ٱلْمَوَدَةِ فِي ٱلنَّصَارَىٰ .

(**وَٱطِّرَادُ تَقْدِيمِهِمْ لَفْظاً**) لَيْسَ لِكَوْنِ ٱلْمَفْضُولِ لَا يُقَدَّمُ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلِاطِّرَادِ فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ بَلْ (**لِتَقَدُّمِهِمْ فِي ٱلْوُجُودِ**) فَجَعَلَ وُجُودَهُمْ لَفْظاً مُطَابِقاً لِوُجُودِهِمْ حَقِيقَةً ، (**أَوْ**) لِتَقَدُّمِهِمْ (**فِي قُوَّةِ ٱلْإِيمَانِ بِهِمْ**) وَٱلِاهْتِمَامِ بِهِ (**لِخَفَائِهِمْ**) فَهُوَ بِهِمْ أَقْوَىٰ ، وَبِٱلْحَثِّ عَلَيْهِ أَحْرَىٰ فَتَقْدِيمُ ذِكْرِهِمْ أَوْلَىٰ.

(**وَ**) لَهُ أَيْضاً عَقْلاً (**مَا لَهُمْ**) فِي مَبْدَأِ فِطَرِهِمْ مِنْ (**كَمَالٍ عِلْمِيّاً وَعَمَلِيّاً**) بِٱلْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ / أ ١٩٥ /جَهْلٍ وَنَقْصٍ ، وَخُرُوجٍ مِنَ ٱلْقُوَّةِ إِلَى ٱلْفِعْلِ عَلَىٰ ٱلتَّدْرِيجِ ؛ كَمَا لِلْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ فِي مَبْدَأِ فِطْرَتِهِ خَالٍ عَنِ ٱلْكَمَالَاتِ ، وَمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْهَا إِنَّمَا يَكُونُ تَدْرِيجاً وَٱنْتِقَالاً مِنْهَا إِلَيْهِ (**وَقُوَّةٍ عَلَىٰ أَفْعَالٍ عَجِيبَةٍ**) شَاقَّةٍ ؛ كَإِحْدَاثِ ٱلسُّحُبِ وَٱلزَّلَازِلِ ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ بِذَلِكَ فُتُورٌ ؛ لِأَنَّ قُدَرَهُمْ عَلَىٰ تَغْيِيرِ ٱلْأَجْسَامِ وَتَحْرِيكِهَا لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ ٱلْقُوَى ٱلْمِزَاجِيَّةِ [4] حَتَّىٰ يَعْرِضَ لَهَا لُغُوبٌ وَكَلَالٌ بِخِلَافِ ٱلْجِسْمَانِيَّةِ .

---

(١) في (ب) (صور) .

(٢) في النسخ الخطية : (وإسنادهم) ولعل صواب ذلك : (وإسناده) . والله اعلم .

(٣) **الأَكْمَهُ** : هو الذي يولد مطموس العين ، وقد يقال لمن تذهب عينه . ينظر : « المفردات في غريب القرآن » (ص ٧٢٦) . المِزَاج: ما أُسّس عليه البدن من الطبائع .

(٤) **المِزَاج** : ما أُسّس عليه البدن من الطبائع والاحوال الصحية أو المرضية . ينظر : « التعريفات الفقهية » (ص ٢٠٢) .

(**وَإِحَاطَةٍ بِأَسْرَارِ ٱلْغَيْبِ**) حَالاً وَمَاضِياً وَٱسْتِقْبَالاً (**وَسَبْقٍ فِي جَمِيعِ**) أَنْوَاعِ (**ٱلْخَيْرِ، وَتَنَزُّهٍ عَنْ كُلِّ شَرٍّ**) وَقَبِيحٍ وَخُلُقٍ ذَمِيمٍ (**وَتَعَلُّقٍ بِهَيَاكِلَ عُلْوِيَّةٍ**) مُبَرَّأَةٍ مِنَ ٱلْفَسَادِ ، وَهِيَ : ٱلْأَفْلَاكُ وَٱلْكَوَاكِبُ ٱلْمُدَبِّرَةُ لِمَا فِي عَالَمِنَا هَذَا بِٱتِّصَالَاتِهَا وَأَوْضَاعِهَا ، بِخِلَافِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِأَجْسَامٍ سُفْلِيَّةٍ كَائِنَةٍ فَاسِدَةٍ .

(**قُلْنَا**) : هَذَا كُلُّهُ (**مَبْنَاهُ قَوَاعِدُ فَلْسَفِيَّةٌ**) لَا نَقُولُ بِهَا مَعَ أَنَّ كَثْرَةَ ٱلْفَضَائِلِ لَا تُوجِبُ ٱلْأَفْضَلِيَّةَ ، كَيْفَ وَمَرْجِعُهَا كَثْرَةُ ٱلثَّوَابِ وَٱلْكَرَامَةِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَذَلِكَ يَعُودُ إِلَى ٱكْتِسَابِ ٱلطَّاعَاتِ وَٱلْإِخْلَاصِ فِيهَا .

(**وَ**) مَا لَهُمْ (**مِنْ عُلُومٍ كُلِيَّةٍ**) ؛ إِذْ لَا حَوَاسَّ لَهُمْ تَرْتَسِمُ فِيهَا ٱلْمُثُلُ ٱلْجُزْئِيَّةُ (**فِعْلِيَّةٍ**) ؛ لِأَنَّهَا مَبَادِئُ ٱلْحَوَادِثِ فِي عَالَمِ ٱلْكَوْنِ وَٱلْفَسَادِ (**فِطْرِيَّةٍ**) ؛ لِحُصُولِهَا لَهُمْ فِي ٱبْتِدَاءِ فِطَرِهِمْ (**هِيَ أَكْمَلُ وَأَكْثَرُ**) ؛ لِكَوْنِهِمْ رَوْحَانِيِّينَ نَوْرَانِيِّينَ لَا حِجَابَ لَهُمْ عَلَىٰ تَجَلِّي ٱلْأَنْوَارِ ٱلْقُدْسِيَّةِ فِيهِمْ أَبَداً ، مُسْتَغْرِقُونَ فِي مُشَاهَدَةِ ٱلْأَنْوَارِ ٱلرَّبَانِيَّةِ .



[فصل في معنى الولي]

(وَٱلْوَلِيُّ [١]: مَنْ عَرَفَ) ٱللهَ تَعَالَىٰ وَصِفَاتَهُ ، (وَلَزِمَ) طَاعَتَهُ ، وَأَعْرَضَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُجْتَنِباً لَهَا ، وَعَنِ ٱلانْهِمَاكِ فِي ٱللَّذَّاتِ وَٱلشَّهَوَاتِ .

(وَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ تَكْلِيفٌ) وَإِنْ زَعَمَ أَهْلُ ٱلْإِبَاحَةِ وَٱلْإِلْحَادِ أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ ٱلْغَايَةَ فِي ٱلْمَحَبَّةِ ، وَصَفَاءِ ٱلْقَلْبِ ، وَكَمَالِ ٱلْإِخْلَاصِ . . سَقَطَ عَنْهُ ٱلْأَمْرُ وَٱلنَّهْيُ [٢]، وَهُوَ : فَاسِدٌ ، بِشَهَادَةِ عُمُومِ ٱلْخِطَابَاتِ ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ ، مَعَ أَنَّ أَكْمَلَ ٱلنَّاسِ مَحَبَّةً وَإِخْلَاصاً ٱلْأَنْبِيَاءُ ، خُصُوصاً حَبِيبَ ٱللهِ تَعَالَىٰ /ب ١٩٥/ أَبَا ٱلْقَاسِمِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ».

وَٱلتَّكَالِيفُ فِي حَقِّهِمْ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ ، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ عُوتِبُوا بِتَرْكِ ٱلْأَفْضَلِ .

(وَقَدْ) قِيلَ إِنَّ مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ مَنِ ٱسْتَعْفَىٰ منها ، وَسَأَلَهُ إِعْتَاقَهُ مِنْ ظَوَاهِرِ ٱلْعِبَادَاتِ .. فَأَجَابَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ بِسَلْبِ عَقْلِهِ ٱلَّذِي هُوَ مَنَاطُ ٱلتَّكْلِيفِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عُلُوِّ ٱلْمَرْتَبَةِ عَلَىٰ مَا كَانَ هَذَا .

وَ (لَا) يَعْزُبُ عَنْكَ أَنَّ ٱلعَارِفَ لَا يَفْتُرُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَسْأَمُ مِنْ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَسْأَلُ ٱلنُّزُولَ مِنْ أَوْجِ ٱلْكَمَالِ إِلَىٰ حَضِيضِ ٱلنُّقْصَانِ ، وَٱلْهُبُوطَ مِنْ مَعَارِجِ ٱلْمُلْكِ إِلَىٰ مَنَازِلِ ٱلْحَيَوَانِ .

بَلْ وَرُبَّمَا حَصَلَ لَهُ كَمَالُ ٱنْجِذَابٍ إِلَىٰ عَالَمِ ٱلْقُدْسِ ، وَٱسْتِغْرَاقٌ فِي مُلَاحَظَةِ جِهَاتِ ٱلْحَقِّ بِحَيْثُ يَذْهَلُ عَنْ هَذَا ٱلْعَالَمِ ، وَيُخِلُّ بِتَكْلِيفِهِ مِنْ غَيْرِ تَأَثُّمٍ بِهِ ؛ لِكَوْنِهِ فِي حُكْمِ غَيْرِ ٱلْمُكَلَّفِ ؛ كَٱلنَّائِمِ لِعَجْزِهِ

---

(١) وعرفه السعد في « شرح النسفية » : (ص ٥٦٨) : (الولي : هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يكمن ، المواظب على الطاعات ، المتجنب عن المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات) ، و الباجوري في « حاشيته على الجوهرة» : (ص ٢٥٣) : (والأولياء : جمع ولي : وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان ، المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى : أنه لا يرتكب معصية بدون توبة ، وليس المراد أنه لا يقع منه معصية بالكلية ؛ إذ ليس معصوما) .

(٢) قال في « شرح المقاصد » (٥ ٧٧) : (وعن أهل الإباحة والإلحاد أن الولي إذا بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص سقط عنه الأمر والنهي ولم يضره الذنب ولا يدخل النار بارتكاب الكبيرة والكل فاسد بإجماع المسلمين) . ويقول ابو الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » : (١ ٢٢٥) (وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم العبادات) وقال ابن حزم في « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ١٧٠) : (ادعت طائفة من الصوفية : أن أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل ، وقالوا : من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها) .

عَنْ مُرَاعَاةِ ٱلْأَمْرَيْنِ وَمُلَاحَظَةِ ٱلْجَانِبَيْنِ ، فَرُبَّمَا سَأَلَ دَوَامَ تِلْكَ ٱلْحَالَةِ وَعَدَمَ ٱلْعَوْدِ إِلَىٰ عَالَمِ ٱلظَّاهِرِ .

وَهَذَا ٱلذُّهُولُ[1] هُوَ ٱلْجُنُونُ ٱلْمُرَجَّحُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْعُقُولِ ، وَٱلْمُتَصِّفُونَ بِهِ يُسَمَّوْنَ مَجَانِينَ ٱلْعُقَلَاءِ ، وَبِهَذَا ظَهَرَ فَضْلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَى ٱلْأَوْلِيَاءِ ، فَإِنَّهُمْ مَعَ كَوْنِ ٱسْتِغْرَاقِهِمْ أَكْمَلَ ، وَٱنْجِذَابِهِمْ أَشْمَلَ لَا يُخِلُّونَ بِأَدْنَىٰ طَاعَةٍ ، وَلَا يَذْهَلُونَ عَنْ هَذَا ٱلْجَانِبِ ؛ لِبُلُوغِ قُوَاهُمُ ٱلْقُدُسِيَّةِ مِنَ ٱلْكَمَالِ إِلَىٰ حَيْثُ لَا يَشْغَلُهَا شَاغِلٌ عَنْ ذَلِكَ[2] .

(**وَلَا يَبْلُغُ**) ٱلْوَلِيُّ (**دَرَجَةَ نَبِيٍّ**) مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ إِجْمَاعاً[3] ؛ لِمَا خُصَّ بِهِ ، مِمَّا لَيْسَ لِوَلِيٍّ مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ مَعَ مَا لَهُ مِنْ شَرَفِ ٱلوِلَايَةِ ، مَعْصُوماً مِنَ ٱلْمَعَاصِي ، مَأْمُوناً مِنْ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ ، مُشَرَّفاً بِٱلْوَحْيِ وَمُشَاهَدَةِ ٱلْمَلَكِ ، مَبْعُوثاً لِإِصْلَاحِ حَالِ ٱلْعَالَمِ وَنِظَامِ أَمْرِ ٱلْمَعَاشِ وَٱلْمَعَادِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْكَمَالَاتِ .

(**وَلَا وِلَايَتُهُ أَفْضَلُ**) مِنْ نُبُوَّتِهِ ؛ أَيْ : لَيْسَتْ وِلَايَةُ ٱلْوَلِيِّ أَفْضَلَ مِنْ نُبُوَّةِ ٱلنَّبِيِّ ؛ لِإِنْبَاءِ ٱلنُّبُوَّةِ عَنِ ٱلْبِعْثَةِ وَٱلتَّبْلِيغِ عَنِ ٱلْحَقِّ إِلَى ٱلْخَلْقِ ، فَفِيهَا مُلَاحَظَةٌ مِنَ ٱلْجَانِبَيْنِ ، وَلِتَضَمُّنِهَا قُرْبَ ٱلْوِلَايَةِ وَشَرَفَهَا[4] ، فَلَا تَقْتَصِرُ عَنْ مَرْتَبَةِ وِلَايَةِ غَيْرِهِ .

فِي أَنَّ ٱلنَّبِيَّ (**هَلْ وِلَايَتُهُ**) ؛ إِذْ لَا نُبُوَّةَ بِدُونِهَا (**أَفْضَلُ**)/ ١ ١٩٦/مِنْ نُبُوَّتِهِ (**لِإِنْبَائِهَا عَنِ ٱلْقُرْبِ وَٱلِاخْتِصَاصِ**) وَٱلْكَرَامَةِ كَمَا هُوَ شَأْنُ خَوَاصِّ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْمُقَرَّبِينَ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ فِي غَايَةِ ٱلْكَمَالِ بِخِلَافِ وِلَايَةِ غَيْرِهِ .

هَذَا (**وَقَدْ**) قِيلَ لَا يَصِحُّ إِطْلَاقُ أَفْضَلِيَّةِ وِلَايَتِهِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ أَفْضَلَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّ نُبُوَّةَ ٱلتَّشْرِيعِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَصْلَحَةِ ٱلْوَقْتِ ، وَٱلْوِلَايَةُ لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ فَسُلْطَانُهَا قَائِمٌ إِلَىٰ قِيَامِ ٱلسَّاعَةِ ، وَٱلنُّبُوَّةُ قَدْ خُتِمَتْ بِأَبِي ٱلْقَاسِمِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مِنْ حَيْثُ ٱلظَّاهِرُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْإِنْبَاءُ ، دَائِمَةٌ مِنْ حَيْثُ بَاطِنُهَا ٱلَّذِي هُوَ ٱلْوِلَايَةُ ؛ أَعْنِي : ٱلتَّصَرُّفَ فِي ٱلْخَلْقِ بِٱلْحَقِّ ؛ إِذِ ٱلْأَوْلِيَاءُ مِنْ أُمَّتِهِ

---

(١) في (ب) (الظهور) .

(٢) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٧٨) .

(٣) قال الإيجي في « المواقف » : (٣ ٦٣٥) : (والإجماع منعقد قبل ظهور المخالف الثابت على أن الأنبياء أفضل من الأولياء).

(٤) لكن بعضهم فرق وجعل الولاية أفضل من النبوة ، قال التفتازانيُّ في « شرح المقاصد » : (٥ ٧٧) : (وعن بعض الصوفية : أن الولاية أفضل من النبوة ؛ لأنها تنبيء عن القرب والكرامة ؛ كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه ، والنبوة عن الإنباء والتبليغ ؛ كما هو حال من أرسله الملك إلى الرعايا لتبليغ أحكامه ، إلا أن الولي لا يبلغ درجة النبي ؛ لأن النبوة لا تكون بدون الولاية) .

« صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » حَمَلَةُ تَصرُّفٍ فِي وِلَايَتِهِ ، بِهِمْ يُتَصرُّفُ فِي ٱلْخَلْقِ بِٱلْحَقِّ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ عَلَاقَتُهُمُ ٱلْمُتَابَعَةَ ؛ إِذْ لَيْسَ ٱلْوَلِيُّ إِلَّا مُظْهِرُ تَصرُّفِ نَبِيِّهِ [1].

(**أَوْ نُبُوَّتُهُ**) أَفْضَلُ مِنْ وِلَايَتِهِ (**لِإِنْبَائِهَا عَنْ تَوَسُّطِهِ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْخَلْقِ وَٱلْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ**) فِي ٱلدَّارَيْنِ (**مَعَ شَرَفِ مُشَاهَدَةِ ٱلْمَلَكِ**) .

(**وَكَرَامَتُهُ**) ؛ أَيْ : كَرَامَةُ[2] ٱلْوَلِيِّ ٱلَّتِي هِيَ ظُهُورُ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ مِنْ قِبَلِهِ غَيْرِ مُقَارِنٍ لِدَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ (**تُفَارِقُ ٱلْمُعْجِزَةَ بِخُلُوِّهَا عَنْ دَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ**) ؛ إِذْ لَوِ ٱدَّعَاهَا صَارَ عَدُوّاً للهِ لَا يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً بَلْ لَعْنَةً وَإِهَانَةً (**فَلَا يَنْسَدُّ**) بِظُهُورِهَا مِنْهُ مَعَ مُفَارَقَتِهَا لِلْمُعْجِزَةِ بِمَا ذُكِرَ .

(**بَابُ إِثْبَاتِهَا**) ؛ أَيْ : إِثْبَاتُ ٱلنُّبُوَّةِ بِٱلْمُعْجِزَةِ ؛ لِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّهَا تُفِيدُ عِنْدَ مُقَارَنَةِ دَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ تَصْدِيقَ مُدَّعِيهَا قَطْعاً ، (**وَلَا يَلْتَبِسُ بِهِ**) ؛ أَيْ : بِٱلْوَلِيِّ (**نَبِيٌّ**) لِمَا مَرَّ مِنَ ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْمُعْجِزَةِ ، وَلَا تُخِلُّ مُشَارَكَتُهُ لَهُ فِي ظُهُورِ ٱلْخَوَارِقِ بِعِظَمِ قَدْرِ ٱلنَّبِيِّ وَوَقْعِهِ فِي ٱلنُّفُوسِ (**بَلْ تُفِيدُ زِيَادَةَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ**) وَٱلرَّغْبَةِ فِي ٱتِّبَاعِهِ (**بِنَيْلِ أُمَّتِهِ لَهَا بِبَرَكَةِ ٱقْتِدَائِهِمْ بِهِ**) فِي شَرِيعَتِهِ ، وَٱسْتِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ ، بِكَمَالِ مُتَابَعَتِهِ نبيه ٱعْتِقَاداً وَعَمَلاً صَالِحاً .

وَتُفَارِقُ ٱلِاسْتِدْرَاجَ وَمُؤَكِّدَاتِ تَكْذِيبِ ٱلْكَاذِبِ ، وَيُسَمَّىٰ هَذَا إِهَانَةً[3] /ب١٩٦/ ؛ كَمَا وَقَعَ لِمُسيلِمَةَ[4]

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٧٨) .

(٢) **الكرامة** : هي أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي غير مقارن بدعوة النبوة. ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٧٨) ، و« حاشيته على الجوهرة » : (ص ٢٥٣) .

(٣) **الاستدراج** : ما يظهر على يد فاسق أو كافر ، خديعة ومكرا به . الإهانة : وهو ما يظهر على يد الكافر أو الفاسق تكذيبا له . ينظر : « حاشيته على الجوهرة » : (ص ٢٢١) . أخرج الإمام أحمد في « مسنده » مسند أحمد مخرجا (١٧٣١١) ، (٢٨ ٥٤٧) سيدنا عن عقبة بن عامر « رضي الله عنه » ، عن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج » ثم تلا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ .

(٤) **مُسَيْلِمَة الكَذَّاب** : مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة: متنبئ ، من المعمرين ، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة) ، ولد ونشأ باليمامة ، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة ، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة ، في نجد ، وتلقب في الجاهلية بالرحمن ، وعُرف برحمان اليمامة توفي سنة (١٢ هـ) ينظر : « الكامل في التاريخ » : (٢ ٢١٤) ، و « الأعلام » (٧ ٢٢٦) .

أَنَّهُ دَعَا لِأَعْوَرَ أَنْ تَصِيرَ عَيْنُهُ ٱلْعَوْرَاءُ صَحِيحَةً .. فَصَارَتِ ٱلصَّحِيحَةُ عَوْرَاءَ [١]، وَقَدْ تَظْهَرُ ٱلْخَوَارِقُ مِنْ جِهَةِ عَوَامِّ ٱلْمُسْلِمِينَ تَخَلُّصاً لَهُمْ مِنَ ٱلْمِحَنِ وَٱلْمَكَارِهِ وَتُسَمَّىٰ مَعُونَةً [٢] .

وَمِنْ ثُمَّ قَالُوا : ٱلْخَوَارِقُ أَرْبَعٌ : مُعْجِزَةٌ ، وَكَرَامَةٌ ، وَإِعَانَةٌ ، وَإِهَانَةٌ .

(**وَتُفَارِقُ ٱلسِّحْرَ**) ٱلَّذِي هُوَ : أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ (**بِأَنَّهُ**) إِنَّمَا] [٣] يَكُونُ (**مِنْ نَفْسٍ شِرِيرَةٍ**) خَبِيثَةٍ (**بِعَمَلٍ مَخْصُوصٍ يَتَأَتَّىٰ تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ**) [٤] وَيَخْتَصُّ بِبَعْضِ ٱلْأَزْمِنَةِ ، أَوِ ٱلْأَمْكِنَةِ ، أَوِ ٱلشَّرَائِطِ ، وَيُعَارَضُ بِبَذْلِ ٱلْمَجْهُودِ فِي ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، وَرُبَّمَا تَعَلَّقَ صَاحِبُهُ بِٱلْفِسْقِ ، وَٱتَّصَفَ بِٱلرِّجْسِ ظَاهِراً وَبَاطِناً ، وَٱلْخِزْيِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَلَا يَكُونُ بِٱقْتِرَاحِ مُقْتَرِحٍ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ ٱلْمُفَارَقَةِ [٥] .

(**وَٱلْحَاكِمُ بِجَوَازِهِمَا**) ؛ أَيِ : ٱلْكَرَامَةِ وَٱلسِّحْرِ ، هُوَ : (**ٱلْإِمْكَانُ**) [٦] ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا أَمْرٌ مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ لَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وُقُوعِهِ مُحَالٌ لِذَاتِهِ ، وَوُجُودُهُ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ ؛ لِشُمُولِهَا جَمِيعَ [٧] ٱلْمُمْكِنَاتِ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلَا غَرَضَ فِي فِعْلِهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ ٱلْخَالِقُ وَٱلْعَبْدُ كَاسِبٌ .

(وَ) ٱلْحَاكِمُ (**بِوُقُوعِهِمَا ٱلنَّصُّ**) فِي ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ :

أَمَّا : نَصُّ وُقُوعِ ٱلْكَرَامَةِ فِي ٱلْكِتَابِ .. فَـ :كَقِصَّةِ مَرْيَمَ « عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ » [٨] فَإِنَّهَا وَلَدَتْ عِيسَىٰ « عَلَيْهِ

---

(١) ينظر : « شرح الشفا » : (١ ٥٥٥) ، و« بهجة المحافل وبغية الأماثل » : (١ ٧٤) ، و قال السهيلي في « الروض الأنف » : (٧ ٤٦٩) : (ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه) .

(٢) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٧٣) ، و « حاشيته على الجوهرة » : (ص ٢٢١) .

(٣) في (ب) (سقطت) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) قال الرازي في « مفاتيح الغيب » : (٣ ٦١٩) : (اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ، ويتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله) .

(٦) **الممكن** : هو الذي يصح في العقل وجوده وعدمه على السواء ، ولا يوجد الا بمرجح . ينظر : « الكليات» (ص ٨٠٤) ، و« التعريفات » (ص: ٢٣٠) ، و « حاشية الباجوري على السنوسية » (ص ٣٤) .

(٧) في (ب) (لجميع) .

(٨) ما بين المعقوفتين ليست من النص .

ٱلسَّلَامُ » بِلَا ذَكَرٍ ، وَوُجِدَ عِنْدَهَا ٱلرِّزْقُ بِلَا سَبَبٍ [(١)]، وَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا ٱلرُّطَبُ مِنْ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ [(٢)].

وَجَعْلُ هَذِهِ ٱلْكَرَامَاتِ مُعْجِزَاتٌ لِزَكَرِيَّا « عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ » ، أَوْ إِرْهَاصٌ لِعِيسَىٰ « عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ » مِمَّا لَا يَقُولُ بِهِ مُنْصِفٌ ؛ لِفَقْدِ مُقَارَنَتِهَا دَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ .

[وَقِصَّةُ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ ، وَلَبْثِهِمْ سِنِينَ أَحْيَاءَ بِلَا أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَآفَةٍ ، وَلَمْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ إِجْمَاعاً [(٣)(٤)] وَقِصَّةُ آصِفَ [(٥)] وَإِتْيَانُهُ عَرْشَ بَلْقِيسَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ قَبْلَ إِرْتِدَادِ ٱلطَّرْفِ [(٦)] ، وَلَمْ يَكُنْ مُعْجِزَةً لِسُلَيْمَانَ إِذْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَىٰ يَدَيْهِ مُقَارِناً لِدَعْوَى ٱلنُّبُوَّةِ .

وَفِي ٱلسُّنَّةِ : فَمَا تَوَاتَرَ مَعْنَاهُ وَإِنْ كَانَتْ تَفَاصِيلُهُ أَحَاداً مِنْ كَرَامَاتِ ٱلصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ كَرُؤْيَةِ عُمَرَ

---

(١) قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ سورة آل عمران : (٣٧) .

(٢) قال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة مريم : (٢١ - ٢٥) .

(٣) في (ب) (سقطت) .

(٤) وكذلك نقل الإجماع على ذلك الامدي والايجي ، قال الامدي في « غاية المرام في علم الكلام » (ص ٣٣٥) : (مَا جرى من قصَّة أَصْحَاب الْكَهْف ، وأم مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا تمّ لَهما من الْآيَات الغريبة ، والأمور العجيبة الَّتِي لم تجر الْعَادة بِمِثْلِهَا ، وَلم يكُونُوا أَنْبيَاء إِجْمَاعًا) ، وقال الايجي في « المواقف » (٣ ٤٦٥) : (وقصة أصحاب الكهف وهي : أن الله سبحانه وتعالى أبقاهم ثلاثمائة سنة وأزيد نياما أحياء ، بلا آفة ولم يكونوا أنبياء إجماعا) .

(٥) آصف بن برخيا بن شمعيا ، كاتب النبي سليمان بن داود « عليهما السلام » ، وهو ابن خالة سليمان ، وقيل : هو رجل من مؤمني الجان كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم ، وقيل : رجل من بني إسرائيل من علمائهم ينظر : « البداية والنهاية » (٢ ٨٢) .

(٦) قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ سورة النمل : (٤٠) .

عَلَى ٱلْمِنْبَرِ بِٱلْمَدِينَةِ جَيْشَهُ بِنَهَاوَنْدَ[1] فَقَالَ : يَا سَارِيَةُ ٱلْجَبَلَ[2] ، وَسَمَاعِ سَارِيَةَ صَوْتَهُ[3] ، وَشُرْبِ خَالِدِ / أ ١٩٧ / بْنِ ٱلْوَلِيدِ[4] ٱلسُّمَّ فَلَمْ يَضُرَّهُ[5] إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكَادُ يَلْحَقُ بِمُعْجِزَاتِ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

وَلَيْسَ إِنْكَارُهَا مِنْ أَهْلِ ٱلْبِدَعِ بِعَجِيبٍ ؛ إِذْ لَمْ يُشَاهِدُوا ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِ مِنْ رُوَسَائِهِمْ مَعَ ٱجْتِهَادِهِمْ فِي ٱلْعِبَادَاتِ ، وَٱجْتِنَابِ ٱلسَّيِئَاتِ فَوَقَعُوا فِي أَوْلِيَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَهْلِ ٱلْكَرَامَاتِ ، يَأْكُلُونَ لُحُومَهُمْ ، وَيُمَزِّقُونَ أَدِيمَهُمْ ، جَاهِلِينَ كَوْنَ ٱلْأَمْرِ مَبْنِيّاً عَلَىٰ صَفَاءِ ٱلْعَقِيدَةِ ، وَنَقَاءِ ٱلسَّرِيرَةِ ، وَٱقْتِفَاءِ ٱلطَّرِيقَةِ ، وَٱصْطِفَاءِ ٱلْحَقِيقَةِ ، بَلْ ٱلْعَجَبُ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ فُقَهَاءِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ فِيمَا رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ[6] : أَنَّهُ رُؤِيَ بِٱلْبَصْرَةِ وَبِمَكَّةَ يَوْمَ ٱلتَّرْوِيَةِ أَنَّ مَنِ ٱعْتَقَدَ جَوَازَهُ كَفَرَ[7] .

---

(١) **نَهَاوَنْد** : بفتح النون الأولى وتكسر ، والواو مفتوحة ، ونون ساكنة ، ودال مهملة : هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ، قالوا : إنها من بناء نوح، عليه السلام ، واللفظ دل عليه وأصله نوح اوند ؛ أي : نوح وضع وهي في ايران حاليا . ينظر : « معجم البلدان » : (٥ ٣١٣) ، و « اثار البلاد وأخبار العباد » : (ص ٤٧١) .

(٢) هو سارية بْن زنيم بْن عمرو بْن عَبْد اللهِ بن جابر بْن محمية بْن عبد بْن عدي بْن الديل بْن بكر بْن عبد مناة بْن كنانة ، الكناني الدئلي ، صحابي ، من الشعراء ، القادة ، الفاتحين توفي سنة (٣٠ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٣ ٤) ، و « أسد الغابة » : (٢ ٣٨٠) ، و « الأعلام » : (٣ ٦٩) .

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » : (٦ ٣٧٠) ، و أبو نعيم في « دلائل النبوة » : (٥٢٥) ، (ص : ٥٧٩) عن نافع (أن عمر «رضي الله عنه » بعث سرية فاستعمل عليها رجلا يقال له : سارية ، فبينا عمر « رضي الله عنه » يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا ساريةُ الجبلَ يا ساريةُ الجبلَ . . فوجدوا سارية قد انحاز إلى الجبل في تلك الساعة يوم الجمعة وبينهما مسيرة شهر) .

(٤) هو خالد بن الوليد بن بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ سيف الله ، أبو سليمان ، لقب بسيف الله ، الفاتح الكبير ، الصحابيّ ، كان من أشراف قريش في الجاهلية ، أسلم في سنة سبع بعد خيبر ، وقيل قبلها ، وتوفي بحمص من الشام ، وقيل : بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ١٤٠) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٢ ٢١٥) ، و « الأعلام » : (٢ ٣٠٠) .

(٥) أخرجه أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : (٧١٨٦) ، (١٣ ١٤١) ، والإمام أحمد « فضائل الصحابة » : (١٤٧٨) ، (٢ ٨١٥) قال : (نزل خالد بن الوليد الحيرة على بني أم المرازبة ، فقالوا له : احذر السم لا يسقيكه الأعاجم) ، فقال : (إيتوني به فأتي منه بشيء ، فأخذه بيده ثم اقتحمه) وقال : (بسم الله فلم يضره شيئا) .

(٦) **إبراهيم بن أدهم** بن منصور بن يزيد بن جابر أبو إسحاق العجلي ، أحد الأعلام القدوة ، الإمام ، العارف ، سيد الزهاد ، أبو إسحاق العجلي وقيل : التميمي الخراساني ، البلخي ، نزيل الشام توفي سنة (١٦١ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٧ ٣٨٧) ، و « الوافي بالوفيات » : (٥ ٢٠٩)

(٧) ذكر ذلك التفتازاني في شرح المقاصد : (٥ ٧٥) قال ابن عابدين في « الدر المختار » (٣ ٥٥١) : (في لما في العمادية أنه سئل أبو عبد الله الزعفراني عما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية ، ورئي ذلك اليوم بمكة ؟ قال : كان ابن مقاتل يذهب إلى أن اعتقاد ذلك كفر ؛ لأن ذلك ليس من الكرامات بل هو من المعجزات ، وأما : أنا فأستجهله ولا أطلق عليه الكفر) .

وَٱلْإِنْصَافُ مَا قَالَهُ ٱلنَّسَفِيُّ : [1]وَقَدْ سُئِلَ عِمَّا قِيلَ أَنَّ ٱلْكَعْبَةَ كَانَتْ تَزُورُ أَحَدَ ٱلْأَوْلِيَاءِ هَلْ يَجُوزُ ٱلْقَوْلُ بِهِ ؟ .

فَقَالَ : نَقْضُ ٱلْعَادَةِ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْكَرَامَةِ لِأَهْلِ ٱلْوِلَايَةِ . . جَائِزٌ عِنْدَ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ [2].

وَأَمَّا : نَصُّ وُقُوعِ ٱلسِّحْرِ فِي ٱلْكِتَابِ .. فَنَحْوُ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ﴾ [3] فَفِيهِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّهُ ثَابِتٌ حَقِيقَةً لَيْسَ بِمُجَرَدِ إِرَاءَةٍ وَتَمْوِيهٍ ، وَبِأَنَّ ٱلْمُؤَثِّرَ وَٱلْخَالِقَ هُوَ ٱللهُ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ .

وَفِي ٱلسُّنَّةِ : فَمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ [4] سِحْرَ لَبِيدِ بْنِ ٱلْأَعْصَمِ رَسُولَ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[5] ، وَسِحْرَ جَارِيَةٍ عَائِشَةَ [6]، وَقَدْ سُحِرَ ٱبْنُ عُمَرَ حَتَّىٰ تَكَوَّعَتْ يَدُهُ[7] .

---

(١) **النَّسَفي** : عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو حفص، نجم الدين النسفي ، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ ، من فقهاء الحنفية ، الملقب بمفتي الثقلين ، ولد بنسف وإليها نسبته ، وتوفي بسمرقند (٥٣٧ هـ) قيل : له نحو مئة مصنف . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٢٠ ١٢٦) ، و « الأعلام » : (٥ ٦٠) .

(٢) ذكر التفتازاني في « شرح المقاصد » (٥ ٧٥) ونقله عن ابن عابدين في « حاشيته » : (٣ ٥٥١)

(٣) سورة البقرة : (١٠٢) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٥٧٦٦) ، (٧ ١٣٧) ، و مسلم في « صحيحه » : (٢١٨٩) ، (٤ ١٧١٩) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » (قالت : سحر النبي « صلى الله عليه وسلم » حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي ، دعا الله ودعاه ، ثم قال : « أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه » قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « جاءني رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق . . .) .

(٦) قصة الجارية التي سحرت السيدة عائشة « رضي الله عنها » رواها الإمام مالك في « الموطأ » : (٨٤٣) ، (ص ٢٩٩) ، و البيهقي في « السنن الكبرى » (٢١٥٦٢) ، (١٠ ٥٢٧) ، و عبد الرزاق الصنعاني في « مصنفه » (١٨٧٤٩) ، (١٠ ١٨٣) ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، أن عائشة زوج النبي « صلى الله عليه وسلم » ، أعتقت جارية لها ، عن دبر منها ، ثم إنها سحرتها ، واعترفت بذلك ، قالت : (أحببت العتق فأمرت بها عائشة ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يسيء ملكتها) ، قالت : (وابتع بثمنها رقبة فأعتقها ففعل) .

(٧) قصة سحر سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » رواها الإمام أحمد في « مسنده » (٤٨٥٤) ، (٨ ٤٦٢) عن سيدنا ابن عمر « رضي الله عنهما » ، (أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » دفع خيبر إلى أهلها بالشطر ، فلم تزل معهم حياة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كلها ، وحياة أبي بكر ، وحياة عمر ، حتى بعثني عمر لأقاسمهم ، فسحروني فتكوعت يدي فانتزعها عمر منهم) ومعنى كوعت ؛ أي : اعوجت . ينظر : « الصحاح » (٣ ١٢٧٨) .

(**وَأَمَّا**) قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[1] (.. **فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ**) مُجَرَّدُ تَخْيِيلٍ وَتَمْوِيهٍ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي كَوْنِ أَثَرِهِ فِي تِلْكَ ٱلصُّورَةِ تَخْيِيلاً .. دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ (**لَا حَقِيقَةَ لَهُ**) بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ** ﴾[2].

(**وَإِصَابَةُ ٱلْعَيْنِ**) أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ ٱلنُّفُوسِ خَاصَّةً ، إِذَا ٱسْتَحْسَنَ شَيْئاً .. لَحِقَتْهُ آفَةٌ ، فَثُبُوتُهَا (**حَقٌّ**) يَكَادُ يَجْرِي مَجْرَى ٱلْمُشَاهَدَاتِ ٱلَّتِي لَا تَفْتَقِرُ إِلَىٰ حُجَّةٍ ، وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ / ب ١٩٧/ : ((ٱلْعَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ ٱلْقَدَرِ .. سَبَقَتْهُ ٱلْعَيْنُ ، وَإِذَا ٱسْتُغْسِلْتُمْ .. فَٱغْسِلُوا))[3] ؛ أَيْ : يُقَالُ لِلصَّائِبِ بِعَيْنِهِ ٱغْتَسِلْ دَاخِلَةَ إِزَارِكَ مِمَّا يَلِي جِلْدِكَ بِمَاءٍ ، ثُمَّ تَصُبُّ[4] عَلَى ٱلْمُصَابِ .

وَرَوَىٰ أَبُو دَوُادَ : (كَانَ يُؤْمَرُ ٱلْعَائِنُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ ٱلْمُعِينُ)[5].

(**وَقَدْ نَزَلَ**) فِيهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُفَسِّرِينَ : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾[6] أَيْ : قَارَبُوا أَنْ يُصِيبُوكَ بِٱلْعَيْنِ ، إِذْ قَدْ وَرَدَ : ((إِنَّ ٱلْعَيْنَ كَانَتْ فِي بَنِي أَسَدٍ ، فَكَانَ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ يَتَجَوَّعُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَلَا يَمُرُّ بِهِ شَيْءٌ يَقُولُ فِيهِ : لَمْ أَرَ كَٱلْيَوْمِ مِثْلَهُ .. إِلَّا عَانَهُ فَأُرِيدَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ فِي رَسُولِ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمْ أَرَ كَٱلْيَوْمِ رَجُلاً يَعْصِمُهُ ٱللهُ))[7] .

---

(١) سورة طه : (٦٦) .

(٢) سورة البقرة : (١٠٢) .

(٣) صحيح مسلم : (٢١٨٨) ، (٤ ١٧١٩) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، قال الإمام المازريُّ عند شرحه لهذا الحديث في « المعلم بفوائد مسلم » : (١٥٦ ٣) (وأقرب طريقة يسلكها من ينتحل الإسلام منهم أن يقول : غير بعيد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئيّة من العين فتتّصل بالمعيون ، وتتخلّل مسامَّ جسمه فيخلق الباري عزّ وجلّ الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السُّموم عادةً أجراها الله سبحانه وتعالى لا ضرورة وطبيعة ألجأ العقل إليها ، وهكذا مذهب أهل السنّة أن المعيون إنما يَفسد أو يهلك عند نظر العائن بعادة أجرَاها الله سبحانه أن يخلق الضرر عند مقابلة شخص لشخص آخر) .

(٤) في (ب) (تصب) .

(٥) سنن أبي داوود : (٣٨٨٠) ، (٤ ٩) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » بلفظ : (كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ) .

(٦) سورة القلم : (٥١) .

(٧) ينظر : « مفاتيح الغيب » : (٣٠ ٦١٨) ، و « تفسير القرطبي » : (١٨ ٢٥٤) ، و « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » : (٥ ٢٣٨) ، و « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » : (٣ ٥٢٧) وفي النسفي قال : (فأريد بعض العيّانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال : لم أر كاليوم مثله رجلاً فعصمه الله من ذلك) وغيرهم .

(وَتَرَدَّدُوا) ؛ أَيِ : ٱلْقَائِلُونَ بِٱلسِّحْرِ وَٱلْعَيْنِ : (فِي جَوَازِ ٱلرُّقَىٰ) : جَمْعُ رُقْيَةٍ ، لِمَنْ بِهِ دَاءٌ [١] .

(وَ) فِي (تَعْلِيقِ ٱلتَّمَائِمِ) [٢] : جَمْعُ تَمِيمَةٍ ، وَهِيَ : عُوذَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ، مِنْ عُذْتُ بِفُلَانٍ ، وَٱسْتَعَذْتُ بِهِ ، لَجَأْتُ إِلَيْهِ .

وَفِي جَوَازِ (ٱلنَّفْثِ) ، وَهُوَ : شَبِيهٌ بِٱلنَّفْخِ [٣] ، (وَٱلْمَسْحِ) بِٱلْيَدَيْنِ ٱلْبَدَنَ ، فَقِيلَ : لا ، وَقِيلَ : نَعَمْ ، وَٱلْحَقُّ ٱلْجَوَازُ ؛ إِذَا كَانَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْكِتَابِ ، أَوِ ٱلسُّنَّةِ ، أَوْ أَسْمَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَكَفَاكَ شَاهِداً بِجَوَازِ ٱلرُّقَىٰ قَوْلُ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدِ ٱشْتَكَىٰ : ((بِسْمِ ٱللهِ أَرْقِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ ، ٱللهُ يَشْفِيكَ ، بِسْمِ ٱللهِ أَرْقِيكَ)) [٤] ، وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِعِلَاقَةَ - بِٱلْقَافِ - بْنِ صُحَارٍ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ ، وَبِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مُخَفَّفَةٍ - [٥] وَقَدْ قَالَ لَهُ : ((رَقِيتُ مَجْنُوناً بِٱلْفَاتِحَةِ فَأَعْطَانِي مِائَةَ شَاةٍ ، فَقَالَ لِي : هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : خُذْهَا)) [٦] .

وَبِجَوَازِ تَعْلِيقِ ٱلتَّمَائِمِ . . فِعْلُ بَعْضِ ٱلصَّحَابَةِ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ كَعَبْدِٱللهِ بْنِ عَمْرٍو [٧] ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ مَنْ عَقِلَ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنَ ٱلْفَزَعِ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللهِ ٱلتَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ

---

(١) قال التفتازاني في (٥ ٨١) : (ثم للقائلين بالسحر والعين اختلاف في جواز الاستعانة بالرقى والعوذ ، وفي جواز تعليق التمايم وفي جواز النفث والمسح ولكل من الطرفين أخبار وآثار والجواز هو الأرجح والمسألة بالفقهيات أشبه والله علم) .

(٢) **التمائم** : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطلها الإسلام . « النهاية في غريب الحديث والأثر » : (١ ١٩٧) .

(٣) **النفثُ** : أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق ، وقيل : هو التفل بعينه . ينظر : « تاج العروس » : (٥ ٣٧٣) ، و « لسان العرب » : (٢ ١٩٥) .

(٤) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢١٨٦) ، (٤ ١٧١٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٥) علاقة بن صحار التميمي ، السليطي ، البرجمي ، التميمي ، صحابي ينظر : « معرفة الصحابة لأبي نعيم » : (٤ ٢٢٥٤) .

(٦) أخرجه أبو داوود « سننه » بهذا اللفظ : (٣٨٩٦) ، (٤ ١٣) والنسائي في « السنن الكبرى » : (٧٤٩٢) ، (٧ ٧١) والإمام احمد في « مسنده » : (٢١٨٣٥) ، (٣٦ ١٥٥) والحاكم في « المستدرك » : (٢٠٥٥) ، (١ ٧٤٧) بلفظ : ((كُلْ)) وقال عنه : (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) عن سيدنا علاقة بن صحار « رضي الله عنه » .

(٧) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ القرشيّ السّهمي صحابي ، من النساك ، من أهل مكة ، كان يكتب في الجاهلية ، ويحسن السريانية ، وأسلم قبل أبيه توفي (٦٥ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ١٦٥) ، و « الأعلام » : (٤ ١١١) .

ٱلشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ / أ ١٩٨/ مِنْهُمْ .. كَتَبَهَا وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ [١].

وَأَمَّا حَدِيثُ : ((مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ ٱللهُ لَهُ)) [٢] . . فَمَحْمُولٌ عَلَىٰ مَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلْقُرْآنِ أَوْ نَحْوِهِ .

(وَ) بِجَوَازِ ٱلنَّفْثِ وَٱلْمَسْحِ : مَا ثَبَتَ عَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : قَوْلاً وَفِعْلاً ، وَهَٰذِهِ ٱلْمَسَائِلُ بِٱلْفِقْهِيَّاتِ أَشْبَهُ .

---

(١) أخرج الترمذي في « سننه » : (٣٥٢٨) ، (٥ ٤٢٩) عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، قال : ((إذا فزع أحدكم في النوم فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون فإنها لن تضره)) فكان عبد الله بن عمرو، يلقنها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه البيهقي « السنن الكبرى » : (١٩٦٣٤) ، (١٩ ٥٤٧) ، وابن حبان في « صحيحه » : (٦٠٨٦) ، (١٣ ٤٥٠) ، والطبراني في « المعجم الكبير » : (٨٢٠) ، (١٧ ٢٩٧) ، والحاكم في « المستدرك » : (٧٥٠١) ، (٤ ٢٤٠) عن سيدنا عتبة بن عامر « رضي الله عنه » . قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في التلخيص .



[مبحث المعاد]

(**وَمِنْهَا**) ؛ أَيْ : مِنَ ٱلسَّمْعِيَّاتِ : (**ٱلْمَعَادُ**) : مَصْدَرُ عَادَ ؛ كَسُبْحَانَ ٱللهِ وَمَعَاذَ ٱللهِ ؛ أَيْ : أُسَبِّحُهُ سُبْحَاناً ، وَأَعُوذُ بِهِ مَعَاذاً ، أَوْ هُوَ : مَكَانُ ٱلْعَوْدِ وَمَرْجِعُهُ .(١)

وَحَقِيقَةُ ٱلْعَوْدِ : تَوَجُّهُ ٱلشَّيْءِ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ (٢).

وَٱلْمُرَادُ بِهِ هُنَا : ٱلرُّجُوعُ إِلَى ٱلْوُجُودِ بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ ، أَوْ إِلَى ٱجْتِمَاعِ ٱلْأَجْزَاءِ بَعْدَ تَفَرُّقِهَا وَإِلَى ٱلْحَيَاةِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ بِٱلْأَرْوَاحِ إِلَىٰ أَبْدَانِهَا بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا لَهَا .

(**وَأَمَّا**) ٱلْمَعَادُ ٱلرَّوْحَانِيُّ ٱلْمَحْضُ عَلَىٰ مَا يَرَاهُ ٱلْفَلَاسِفَةُ .. فَهُوَ رُجُوعُ ٱلْأَرْوَاحِ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّجَرُّدِ عَنْ عَلَاقَةِ ٱلْبَدَنِ ، وَٱسْتِعْمَالِ ٱلْآلَاتِ ، وَٱلتَّبَرِّي عَمَّا ٱبْتُلِيَتْ بِهِ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ(٣) .

(**ٱلْأَكْثَرُ**) مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ ٱتَّفَقُوا (**عَلَىٰ جَوَازِ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ ؛ إِذْ**) ٱلْأَصْلُ فِيمَا لَا شَاهِدَ بِوُجُوبِهِ وَٱمْتِنَاعِهِ هو ٱلْإِمْكَانُ عَلَىٰ مَا قَالَ ٱلْفَلَاسِفَةُ : كُلَّمَا قَرَعَ سَمْعَكَ مِنَ ٱلْغَرَائِبِ . . فَذَرْهُ فِي بُقْعَةِ ٱلْإِمْكَانِ مَا لَمْ تُدْرِكْ عَنْهُ قَائِمَ ٱلْبُرْهَانِ ، فَمَنْ زَعَمَ عَدَمَ إِعَادَتِهِ فَلْيَأْتِ بِدَلِيلٍ .

وَلِأَنَّ ٱلْمَعَادَ ؛ كَٱلْمُبْتَدَأِ بَلْ عَيْنِهِ إِذْ كَلَامُنَا فِي إِعَادَتِهِ بِعَيْنِهِ (٤) وَيَسْتَحِيلُ كَوْنُ ٱلشَّيْءِ مُمْكِناً فِي وَقْتٍ ، وَمُمْتَنِعاً فِي وَقْتٍ آخَرَ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ : (**ٱلْإِمْكَانَ ذَاتِيٌّ** (٥)، **لَا يَزُولُ وَقْتاً دُونَ وَقْتٍ**) فَلَا يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ ذَاتِهِ ٱبْتِدَاءً أَوْ إِعَادَةً ؛ كَٱلْعَوْدِ ، وَهُوَ : ٱلْوُجُودُ ثَانِياً ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ حَقِيقَتِهِ ٱبْتِدَاءً ، وَإِعَادَةً .

---

(١) ينظر « مختار الصحاح » : (ص ٢٢١) ، و « تاج العروس » : (٨ ٤٣٣) .

(٢) المعَاد: مَصِيْر الشيءِ الذي يرجع إليه. ينظر : « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » : (٧ ٤٨٢٣) .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٨٢) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) **الإمكان الذاتي** : هو ما لا يكون طرفه المخالف واجبا بالذات ، وإن كان واجبا بالغير. « التعريفات » (ص ٣٦) .

فَلَا يَرِدُ مَا قِيلَ : مِنْ أَنَّهُ لِكَوْنِهِ وُجُوداً ثَانِياً أَخصُّ مِنْ مُطْلَقِ ٱلْوُجُودِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِمْكَانِ ٱلْأَعَمِّ . . إِمْكَانُ ٱلْأَخصِّ ، وَلَا مِنِ إِمْتِنَاعِهِ . . إِمْتِنَاعُ ٱلْأَعَمِّ ، فَيَجُوزُ أَنْ [١] يَمْتَنِعَ وُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ ، وَلَا يَمْتَنِعَ وُجُودُهُ مُطْلَقاً .

(**عَلَىٰ أَنَّ**) ٱلْمَعْدُومَ ٱلْمُمْكِنَ .. قَابِلٌ لِلْوُجُودِ /ب ١٩٨/ ضَرُورَةَ ٱسْتِحَالَةِ ٱنْقِلَابِهِ مُمْتَنِعاً ؛ فَإِنَّ (**وُجُودَهُ أَوَّلاً إِنْ لَمْ يُفِدْهُ زِيَادَةَ ٱسْتِعْدَادٍ ؛ لِقَبُولِهِ ٱلْوُجُودَ ثَانِياً فَلأَنْ يَنْقُصَّ**) بِٱلضَّرُورَةِ (**عَمَّا عَلَيْهِ ذَاتُهُ مِنْ قَابِلِيَّتِهِ لَهُ**) ؛ أَيْ : لِلْوُجُودِ (**كُلَّ وَقْتٍ**) ؛ لِحُكْمِ ٱلْبَدِيهَةِ بِأَنَّ قَابِلِيَّةَ ٱلذَّاتِ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ ، لَا تَنْفَكُّ عَنْهَا .

(**وَإِنْ أَفَادَهُ**) وُجُودُهُ ٱلْأَوَّلُ زِيَادَةَ ٱسْتِعْدَادٍ ؛ لِقَبُولِهِ ٱلْوُجُودَ ثَانِياً ؛ كَمَا شَأْنُ سَائِرِ ٱلْقَوَابِلِ بِنَاءً عَلَى ٱكْتِسَابِ مَلَكَةِ ٱلْاتِّصَافِ بِٱلْفِعْلِ [٢] (**فَقَابِلِيَّتُهُ لَهُ**) ؛ أَيْ : لِلْوُجُودِ ثَانِياً (**أَقْرَبُ ، وَإِعَادَتُهُ**) عَلَى ٱلْفَاعِلِ (**أَهْوَنُ**) ؛ لِاسْتِفَادَتِهِ بِوُجُودِهِ ٱلْأَوَّلِ مَلَكَةَ ٱلْاتِّصَافِ بِهِ ، فَيَكُونُ قَبُولُهُ لِلْوُجُودِ ٱلثَّانِي أَسْرَعَ ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا حَقّاً وَمُرَاداً بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [٣] أَيْ : عِنْدَكُمْ ؛ لِأَنَّ ٱلْإِعَادَةَ عِنْدَكُمْ أَسْهَلُ مِنَ ٱلْإِنْشَاءِ فَلِمَ أَنْكَرْتُمُوهَا ؟ أَوْ أَهْوَنُ مِنْ جِهَةِ ٱلْقَابِلِ بِزِيَادَةِ ٱسْتِعْدَادَاتِ ٱلْقَبُولِ لَا مِنْ جِهَةِ ٱلْفَاعِلِ بِزِيَادَةِ شَرَائِطِ ٱلْفَاعِلِيَّةِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ قُدْرَتِهِ ؛ لِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ لَا تَتَفَاوَتُ مَقْدُورَاتُهَا بِٱلْأَهْوَنِيَّةِ بَلْ كُلُّهَا عِنْدَهَا عَلَى ٱلسَّوَاءِ .

(**وَحَمْلُ**) ٱلْإِعَادَةِ (**ٱلَّتِي هِيَ : أَهْوَنُ ، عَلَىٰ إِعَادَةِ ٱلْأَجْزَاءِ**) ، وَمَا تَفَتَّتَ مِنَ ٱلْمَادَةِ ٱلْبَاقِيَةِ ، (**إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ**) مِنَ ٱلصُّوَرِ وَٱلتَّأْلِيفَاتِ (**أَوْلَىٰ**) ، عَلَىٰ مَا يُلَوِّحُ بِهِ : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٤] (**لَا عَلَىٰ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ**) ؛ إِذْ لَمْ يَبْقَ ثَمَّ قَابِلٌ وَلَا مُسْتَعِدٌّ ، فَضْلاً عَنِ ٱلْاسْتِعْدَادِ ٱلْقَائِمِ بِهِ .

(**وَقَالَ مُنْكِرُهَا**) [٥] ؛ أَيْ : إِعَادَةُ ٱلْمَعْدُومِ (**لَا إِشَارَةَ إِلَيْهِ**) حَالَ عَدَمِهِ ؛ إِذْ لَمْ يَبْقَ لَهُ ثُبُوتٌ أَصْلاً ، (**فَلَا حُكْمَ عَلَيْهِ**) بِصِحَّةِ عَوْدِهِ ؛ إِذْ بِٱمْتِنَاعِ ٱلْإِشَارَةِ إِلَيْهِ ٱمْتَنَعَ ٱلْحُكْمُ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ ٱلْحُكْمَ بِثُبُوتِ شَيْءٍ

---

(١) في (ب) (ان يكون) .

(٢) في (ب) (لقبوله الوجود ثانيا كما هو) .

(٣) سورة الروم : (٢٧) .

(٤) سورة يس : (٧٩) .

(٥) الفلاسفة ، والتناسخية ، وبعض الكرامية ، وأبو الحسين البصري .

لِشَيْءٍ . . يَقْتَضِي تَمَيُّزَهُ وَثُبُوتَهُ فِي ٱلْجُمْلَةِ [١] .

وَقَالَ أَيْضاً : (**يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ إِعَادَتِهِ بِعَيْنِهِ**) ؛ أَيْ : بِجَمِيعِ عَوَارِضِهِ (**إِعَادَةُ وَقْتِهِ**) ٱلْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْهَا ، وَٱللَّازِمُ بَاطِلٌ ؛ لِإِفْضَائِهِ إِلَىٰ كَوْنِ ٱلشَّيْءِ مُبْتَدَأً مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مَعَاداً ؛ إِذ لَا مَعْنَىٰ / أ ١٩٩/ لِلْمُبْتَدَأِ إِلَّا ٱلْمَوْجُودَ فِي وَقْتِهِ ٱلْأَوَّلِ ، فَفِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ حَيْثُ صَدَقَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَاحِدٍ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ وَمَعَادٌ ، لِلُزُومِ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مَعَاداً .

(**أَوْ**) مُنِعَ لِكَوْنِهِ مَعَاداً ؛ لِأَنَّ ٱلْمَعَادَ ، هو : ٱلْمَوْجُودُ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلثَّانِي ، وَهَذَا قَدْ وُجِدَ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْأَوَّلِ ، وَدفْعٌ لِلْفَرْقِ وَٱلِامْتِيَازِ بَيْنَ ٱلْمُبْتَدَأِ وَٱلْمَعَادِ ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَاداً إِلَّا مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مُبْتَداً (**فَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِ مُبْتَدأً وَمَعَاداً**) وَإِنْ كَانَ ٱلِامْتِيَازُ بَيْنَهُمَا بِحَسَبِ ٱلْعَقْلِ ضَرُورِيّاً .

(**و**) قَالَ أَيْضاً : يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِهَا بِعَيْنِهِ (**تَخَلُّلُ ٱلْعَدَمِ بَيْنَ ٱلشَّيْءِ وَنَفْسِهِ**) ، وَهُوَ : مُحَالٌ ضَرُورَةَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلتَّخَلُّلِ مِنْ طَرَفَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ لِيُمْكِنَ تَخَلُّلُهُ بَيْنَهُمَا .

(**قُلْنَا**) جَوَاباً عَنِ ٱلْأَوَّلِ : ٱلثُّبُوتُ وَٱلتَّمَيُّزُ (**وَٱلْإِشَارَةُ عَقْلاً .. كَافِيَةٌ**) فِي صِحَّةِ ٱلْحُكْمِ عَلَيْهِ بِٱلْعَوْدِ ؛ إِذْ لَيْسَ ٱلِاتِّصَافُ بِصِحَّةِ ٱلْعَوْدِ ٱلَّتِي هِيَ صِفَةٌ ٱعْتِبَارِيَّةٌ ، هِيَ إِمْكَانُ ٱلْوُجُودِ بَعْدَ زَوَالِهِ مُقْتَضِياً لِلِامْتِيَازِ ، وَٱلْإِشَارَةُ ٱلْخَارِجِيَّةُ وَٱلتَّمَيُّزُ عَيْناً [٢] إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ ٱتِّصَافِهِ بِهَا فِي ٱلْخَارِجِ .

(**وَ**) عَنِ ٱلثَّانِي : لَا يَلْزَمُ فِي إِعَادَتِهِ بِعَيْنِهِ إِلَّا عَوَارِضُهُ ٱلْمُشَخِّصَةُ ٱلْمُعْتَبَرَةُ فِي وُجُودِهِ ٱلْخَارِجِيِّ ، وَلَيْسَ ٱلْوَقْتُ مِنْهَا ضَرُورَةَ كَوْنِ هَذَا ٱلْآنَ هُوَ بِعَيْنِهِ ٱلَّذِي كَانَ بِٱلْأَمْسِ ، وَلَوْ كَانَ ٱلْوَقْتُ مِنْهَا لَكَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ شَخْصاً آخَرَ ، وَهُوَ : بَاطِلٌ قَطْعاً ، وَمَا حَكَمَتْ بِهِ ٱلضَّرُورَةُ مِنَ ٱلتَّغَايُرِ فِي مِثْلِ : أَنَّ ٱلْمَوْجُودَ بِقَيْدِ كَوْنِهِ فِي هَذَا ٱلْوَقْتِ غَيْرُ ٱلْمَوْجُودِ بِقَيْدِ كَوْنِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ ٱلِاعْتِبَارِ دُونَ ٱلْخَارِجِ ، عَلَىٰ أَنَّ تَغَايُرَ ٱلِاعْتِبَارَاتِ وَٱلْإِضَافَاتِ لَا يُنَافِي ٱلْوَحْدَةَ ٱلشَّخْصِيَّةَ .

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٨٧) .

(٢) في (ب) (عنها) .

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِابْنِ سِينَا[1] مَعَ أَحَدِ تَلَامِذَتِهِ مُصِراً عَلَى ٱلتَّغَايُرِ فِي ٱلْخَارِجِ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ ٱلْوَقْتَ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ سِينَا : إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَلَا يَلْزَمُنِي /ب ١٩٩/ ٱلْجَوَابُ ؛ لِأَنِّي غَيْرُ مَنْ يُبَاحِثُكَ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مَنْ يُبَاحِثُنِي . . فَبُهِتَ ، ثُمَّ ٱعْتَرَفَ بِعَدَمِ ٱلتَّغَايُرِ فِي ٱلْوَاقِعِ وَبِعَدَمِ كَوْنِ ٱلْوَقْتِ مِنْهَا ، وَلَوْ سُلِّمَ كَوْنُهُ مِنْهَا فَلَا نَعْلَمُ أَنَّ مَا يُوجَدُ فِي وَقْتِهِ ٱلْأَوَّلِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ[2] إِذَا لَمْ يَكُنْ وَقْتُهُ مُعَاداً مَعَهُ ، أَوْ[3] إِذَا لَمْ يَكُنْ هُوَ مَسْبُوقاً بِحُدُوثٍ[4].

أَمَّا إِذَا كَانَ مُعَاداً مَعَهُ أَوْ مَسْبُوقاً بِهِ .. فَهُوَ : مَعَادٌ لَا مُبْتَدَأٌ ، وَهَذَا مَا يُقَالُ مَأْخُوذاً مِنْهُ (**ٱلْفَرْقُ أَنَّ ٱلْمُبْتَدَأَ**) هُوَ (**مَا وَقَعَ أَوَّلاً**) لا مَا وَقَعَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْأَوَّلِ .

(**وَٱلْمَعَادُ**) هو (**مَا وَقَعَ ثَانِياً**) ، لَا مَا وَقَعَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلثَّانِي (**وَإِنْ**) لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُغَايَرَةٌ بِٱلْمَاهِيَّةِ[5] وَٱلْوُجُودِ ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعَوَارِضِ[6] ، إِذْ كَلَامُنَا فِي إِعَادَتِهِ بِعَيْنِهِ بَلْ بِٱلْأَوَّلِيَّةِ وَٱلثَّانِيَةِ ، وَإِنْ (**كَانَا فِي وَقْتٍ**) وَاحِدٍ لِعَدَمِ مُنَافَاتِهِ لِكَوْنِهِمَا فِيهِ .[7]

(**وَبِهِ**) ؛ أَيْ : وَبِمَا ذُكِرَ مِنِ ٱعْتِبَارِ ٱلتَّغَايُرِ فَرْقاً بَيْنَهُمَا ، بِهِمَا (**يَجُوزُ تَخَلُّلُ ٱلْعَدَمِ**) بَيْنَهُمَا ، وَقَدْ يُعْتَبَرُ تَخَلُّلُهُ بِحَسَبِ وَقْتَيْنِ ، فَإِنَّهُ عِنْدَ ٱلتَّحْقِيقِ يَكُونُ بَيْنَ زَمَانَيْ وُجُودِهِ بِعَيْنِهِ عَلَىٰ أَنَّ وُجُودَهُ سَابِقاً وَلَاحِقاً نَظَراً إِلَى ٱلْوَقْتَيْنِ لَا يُنَافِي ٱتِّحَادَهُ بِٱلشَّخْصِ .

---

(١) **الرَّئيس ابن سِينا** : أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري صاحب التصانيف ، توفي في همذان سنة (٤٢٨ هـ) صنَّف نحو مئة كتاب، بين مطوّل ومختصر. أشهر كتبه (القانون) في الطب (المعاد) رسالة في الحكمة وغيرها ، ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٧ ٥٣١) ، و « الوافي بالوفيات » : (١٢ ٢٤٢) ، و « الأعلام » : (٢ ٢٤١) .
(٢) في (ب) (يلزمه) .
(٣) (ب) (واذا) .
(٤) ينظر : « المواقف » : (٣ ٤٧٢) ، و « شرح المواقف » : (٨ ٣٢٠) .
(٥) **الماهية** : كلمة (ماهية) مصدر صناعي مأخوذ من عبارة ما هو ؟ أو ما هي؟ التي تقال في السؤال عن حقيقة الشيء. ماهية الشيء : ما به الشيء هو هو ، وهي من حيث هي هي ، وتوضيح ذلك بالمثال نقول : إننا عندما نسأل عن حقيقة الانسان بقولنا : ما هو الانسان ؟ نجاب : الانسان : حيوان ناطق ، فعبارة (حيوان ناطق) المقولة في جواب سؤالنا : ما هو الانسان ، هي ماهية الانسان . ينظر : « التعريفات » : (ص ١٩٥) .
(٦) العرض : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع ، أي : محل ، يقوم به ؛ كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به . ينظر : « التعريفات » : (ص ١٤٨) .
(٧) (ب) (لكونه فيها) .

(وَهُوَ) ؛ أَيِ : ٱلْمَعَادُ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلْأَكْثَرُ .. (جِسْمَانِيٌّ) [1]؛ لِأَنَّ ٱلرُّوحَ أَيْضاً عَلَىٰ ٱلْمُعْتَمَدِ جِسْمٌ لَطِيفٌ سَارٍ فِي ٱلْبَدَنِ ؛ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْفَحْمِ ، وَٱلْمَاءِ فِي ٱلْعُودِ ٱلْأَخْضَرِ .

وَقَدْ تَوَاتَرَ ذَلِكَ عَنِ ٱلْأَنْبِيَاءِ « عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ » ، وَٱلْمُفْصِحُ بِهِ مِنْهُمْ غَايَةَ ٱلْإِفْصَاحِ نَبِيُّنَا « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَمِنَ ٱلْأَدْيَانِ دِينُهُ ، وَمِنَ ٱلْكُتُبِ كِتَابُهُ ، بِنُصُوصٍ لَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً ، حَتَّىٰ صَارَ مَعْلُوماً كَوْنُهُ مِنَ ٱلدِّينِ بِٱلضَّرُورَةِ ، فَمَنْ أَوَّلَهَا بِٱلْأُمُورِ ٱلرَّاجِعَةِ إِلَى ٱلنَّفْسِ ٱلنَّاطِقَةِ . . فَقَدْ كَابَرَ مَا هُوَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ ٱلدِّينِ .

فَمِنْهَا : مَا هُوَ لِإِثْبَاتِ نَفْسِ ٱلْإِعَادَةِ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [2] ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [3]، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [4] أَيْ : ثَانِياً إِعَادَةُ مِثْلِ مَا بَدَأْنَاهُ فِي كَوْنِهَا إِيجَاداً بَعْدَ عَدَمٍ ، أَوْ جَمْعاً بَعْدَ تَفْرِيقٍ قَصْداً لِبَيَانِ صِحَّةِ / أ ٢٠٠ / ٱلْإِعَادَةِ وَتَشْبِيهاً [5] لَهَا بِٱلِابْتِدَاءِ فِي تَنَاوُلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ لَهُمَا عَلَى ٱلسَّوَاءِ : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [6]، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [7]، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [8] ، ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [9] ، ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [10] وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ ٱلآيَاتِ .

وَمِنْهَا : مَا هُوَ لِإِزَالَةِ ٱسْتِبْعَادِ إِحْيَاءِ ٱلرُّفَاتِ ٱلرَّمِيمِ وَٱلتُّرَابِ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن

(١) المعاد جسماني فقط وهو قول جمهور المسلمين . ينظر : شرح المقاصد » : (٥ ٨٨) ، و « المواقف » : (٣ ٤٦٨) ، و « شرح المواقف » : (٨ ٣١٦) .
(٢) سورة الأعراف : (٢٩) .
(٣) سورة الأنبياء : (١٠٤) .
(٤) سورة الأنعام : (٩٤) .
(٥) في (ب) (سقطت) .
(٦) سورة ق : (٤٤).
(٧) سورة لقمان : (٢٨) .
(٨) سورة النساء : (٨٧) .
(٩) سورة العنكبوت : (٥٧) .
(١٠) سورة مريم : (٨٥-٨٦) .

يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾[1]، ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ ﴾[2]، ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ﴾ أَيْ : أَحِينَ نَمُوتُ وَنَبْلَىٰ نَرْجِعُ ؟ ﴿ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾[3]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِى خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾[4] إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَزَالَ ٱسْتِبْعَادَهُمْ بِتَذْكِيرِ ٱبْتِدَاءِ ٱلْفِطْرَةِ ، وَٱلتَّنْبِيهِ عَلَىٰ كَمَالِ ٱلْقُدْرَةِ وَذَلِكَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ ٱلدِّينِ ، وَإِنْكَارُهُ . . كُفْرٌ بِيَقِينٍ .

(**وَ أَوْجَبَهُ ٱلْمُعْتَزِلَةُ**) ؛ أَيْ : أَوْجَبُوا عَلَيْهِ تَعَالَىٰ كَوْنَ ٱلْمَعَادِ جِسْمَانِيّاً (**بِإِيجَابِهِمْ**) عَلَيْهِ تَعَالَى (**ٱلثَّوَابَ**) ؛ تَعْظِيماً لِمَنْ أَطَاعَ ، (**وَٱلْعِقَابَ**) ؛ إِهَانَةً لِمَنْ عَصَىٰ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِهِمَا[5] (**وَٱلْعِوَضَ**) ، وَهُوَ : نَفْعٌ خَالٍ عَنْ تَعْظِيمٍ لِمَنِ ٱسْتَحَقَّهُ فِي مُقَابَلَةِ أَلَمٍ وَنَحْوِهِ ، مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِإِعَادَةِ أَعْيَانِهِمْ ، وَمَا لَا يَتِمُّ ٱلْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ ، فَإِعَادَتُهَا وَاجِبَةٌ بِنَاءً عَلَىٰ أَصْلِهِمُ ٱلْفَاسِدِ فِي ٱلْوُجُوبِ عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَفِي كَوْنِ تَرْكِ ٱلْجَزَاءِ ظُلْماً لَا يَصْدُرُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَلَا يَكْفِي ٱلْمَعَادُ ٱلرَّوْحَانِيُّ ؛ لِأَنَّ ٱلطَّائِعَ وَٱلْعَاصِيَ هُوَ هَذِهِ ٱلْجُمْلَةُ ، أَوِ ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْأَصْلِيَّةُ لَا ٱلرُّوحُ وَحْدَهُ فَلَا يَصِلُ ٱلْجَزَاءُ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّهِ إِلَّا بِإِعَادَتِهَا .

وَرُدَّ : بِأَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ ٱلْأَمْرُ بِحَسَبِ ٱلْحَقِيقَةِ فَٱلْمُسْتَحِقُّ ، هُوَ ٱلرُّوحُ ؛ لِأَنَّ مَبْنَى ٱلطَّاعَةِ وَٱلْعِصْيَانِ عَلَى ٱلْإِدْرَكَاتِ وَٱلْإِرَادَاتِ وَٱلْأَفْعَالِ وَٱلْحَرَكَاتِ ، وَهُوَ : ٱلْمَبْدَأُ لِلْكُلِّ / ب٢٠٠ /، أَوْ بِحَسَبِ ٱلظَّاهِرِ .. لَزِمَ أَنْ يُعَادَ جَمِيعُ ٱلْأَجْزَاءِ ٱلْكَائِنَةِ مِنْ أَوَّلِ ٱلتَّكْلِيفِ إِلَى ٱلْمَمَاتِ ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهِ .

(**أَوِ**) ٱلْمَعَادُ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلْإِلَهِيُّونَ مِنَ ٱلْفَلَاسِفَةِ[6] (**رَوْحَانِيٌّ**) فَقَطْ ، وَهُوَ : عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ

---

(١) سورة الإسراء : (٤٩-٥١) .

(٢) سورة يس : (٧٨-٨٩) .

(٣) سورة ق : (٣) .

(٤) سورة سبأ : (٧) .

(٥) بنى المعتزلة رأيهم هذا على قولهم بوجوب الثواب للطائع والعقاب للعاصي تحت الأصل الثالث من أصولهم الخمسة التي هي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم يقولون بالوعد ؛ أي : أن الله يجب ان ينفذ وعده ، وأن الثواب يجب على الله للعبد عن طريق الاستحقاق ، فإذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل ، وكذلك العاصي . ينظر : « شرح الأصول الخمسة » : (ص ٦١٤) ، و « الملل والنحل » : (١ ٨٤) .

(٦) كسقراط أستاذ أفلاطون ، وهو أستاذ أرسطاطاليس هؤلاء نظروا الى الفلسفة بأنها معرفة إلهية.

عَنْ عَوْدِ ٱلنَّفْسِ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّجَرُّدِ وَٱلتَّبَرِّي مِنْ ظُلُمَاتِ تَعَلُّقِهَا بِبَدَنِهَا ، وَٱتِّصَالِهَا بِٱلْعَالَمِ ٱلْعَقْلِيِّ : عَالَمِ ٱلْمُجَرَّدَاتِ .

مُلْتَذَّةٌ بِكَمَالِهَا بِفَضَائِلِهَا ، مُبْتَهِجَةٌ بِإِدْرَاكِهَا ، بَاقِيَةٌ دَائِماً ؛ كَٱلْمُؤْمِنِ عِنْدَنا ، أَوْ مُتَأَلِّمَةٌ بِنُقْصَانِهَا بِرَذَائِلَ ٱجْتَرَحَتْهَا بِمُلَابَسَتِهَا لِبَدَنِهَا ، مُقْتَضِيَةٌ لِمَيْلِ ٱلطَّبِيعَةِ إِلَى ٱلشَّهَوَاتِ تَأَلُّماً عَظِيماً ، مُشْتَاقَةٌ إِلَىٰ مُشْتَهَيَاتِهَا ٱلْمَأْلُوفَةِ لَهَا ٱشْتِيَاقَ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمَهْجُورِ ٱلَّذِي لَهُ رَجَاءُ ٱلْوُصُولِ ؛ لَكِنَّهَا تَزُولُ عَلَى ٱلتَّدْرِيجِ بِطُولِ ٱلْعَهْدِ بِبَدَنِهَا ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا ٱجْتَرَحَتْهَا بِرُكُونِهَا إِلَيْهِ فَيَنْقَطِعُ تَأَلُّمُهَا بِهِ ؛ كَعُقُوبَةِ ٱلْفَاسِقِ : عِنْدَنا .

وَأَمَّا ٱلنُّفُوسُ ٱلسَّاذَجَةُ ٱلَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا سَلَامَةُ ٱلصَّدْرِ ، وَقِلَةِ ٱلِاهْتِمَامِ بِأُمُورِ ٱلدُّنْيَا ، لَا تَأَلُّمَ لَهَا لِعَدَمِ شُعُورِهَا بِٱلْكَمَالَاتِ ، وَٱنْتِفَاءِ ٱشْتِيَاقِهَا إِلَيْهَا ؛ كَغَيْرِ ٱلْمُكَلَّفِ : عِنْدَنَا [1] .

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » (٥ ٨٩) .

(أَوْ هُمَا) ؛ أَيْ : أَوِ ٱلْمَعَادُ عَلَىٰ مَا قَالَهُ ٱلْمَاتُرِيدِيُّ [١] ، وَٱلْغَزَالِيُّ ، وَٱلْحَلِيمِيُّ [٢] : مِنَّا [٣] ، وَٱلْكَعْبِيُّ [٤] ، وَٱلرَّاغِبُ [٥] ، وَمَعْمَرٌ [٦] مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَكْثَرُ مُتَأَخِرِي ٱلْإِمَامِيَّةِ [٧] ؛ كَٱلدَّبُوسِيّ [٨] ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ .. جِسْمَانِيٌّ وَرَوْحَانِيٌّ جَمِيعاً ، ذَهَاباً إِلَىٰ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ بِٱلْحَقِيقَةِ ، هو : ٱلنَّفْسُ ٱلنَّاطِقَةُ ، وَهِيَ : ٱلْمُكَلَّفُ وَٱلْمُطِيعُ ، وَٱلْعَاصِي وَٱلْمُثَابُ ، وَٱلْمُعَاقَبُ .. وَٱلْبَدَنُ ؛ كَٱلْآلَةِ لَهَا [٩] .

وَهِيَ ـ كَمَا مَرَّ ـ بَاقِيَةٌ بَعْدَ فَسَادِهِ بِمُفَارَقَتِهَا لَهُ بِٱنْتِفَاءِ قَابِلِيَتِهِ لِتَصَرُّفَاتِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ حَشْرَ ٱلْخَلَائِقِ . . خَلَقَ لِكُلِّ رُوحٍ بَدَناً تَتَعَلَّقُ بِهِ بَعْدَ عَوْدِ قَابِلِيَتِهِ لِتَصَرُّفَاتِهَا فِيهِ ؛ كَمَا كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَجَمْعاً بَيْنَ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْحِكْمَةِ إِذْ قَدْ دَلَّ ٱلْعَقْلُ عَلَىٰ أَنَّ سَعَادَةَ ٱلْأَرْوَاحِ بِمَعْرِفَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَمَحَبَّتِهِ ، وَسَعَادَةَ ٱلْأَجْسَامِ بِإِدْرَاكِ ٱلْمَحْسُوسَاتِ . [١٠]

---

(١) ينظر : « المسامرة شرح المسايرة » (ص : ٢٢١) .

(٢) ينظر : « المنهاج في شعب الإيمان » : (١ ٣٧٩) .

(٣) ينظر : « إحياء علوم الدين » (٩ ٤٦٨) ، و « شرح المقاصد » (٥ ٨٨) ، و « المواقف » (٣ ٤٧٩) .

(٤) **الكَعْبي** : عبد الله بن أحمد بن محمود ، من بني كعب ، البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى « الكعبية» وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها ، توفي ببلخ سنة : (٣١٩ هـ) . له كتب ، منها « التفسير » و « تأييد مقالة أبي الهذيل » و غيرها . ينظر : « تاريخ بغداد » (١١ ٢٥)و « الأعلام » :(٤ ٦٥) .

(٥) **الرَّاغِبُ** : الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب : أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل (أصبهان) سكن بغداد ، توفي سنة : (٥٠٢ هـ) من كتبه : « محاضرات الأدباء » ، و « الذريعة إلى مكارم الشريعة » ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٨ ١٢٠) ، و « الأعلام » : (٢ ٢٥٥) .

والراغب هذا لم يكن من المعتزلة كما برأه من ذلك السيوطي في « بغية الوعاة » : (٢ ٢٩٧) فقال : (وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي ؛ حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من « القواعد الصغرى » لابن عبد السلام ما نصه : (ذكر الإمام فخر الدين الرازي في « تأسيس التقديس » في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة) ، وقرنه بالغزالي ، قال : وهي فائدة حسنة ، فإن كثيرا من الناس يظنون أنه معتزلي) .

(٦) **معمر بن عبّاد** : أبو المعتمر معمر بن عمرو ، وقيل : معمر بن عباد السلمي ، معتزلي من الغلاة ، من أهل البصرة ، سكن بغداد ، وناظر النظّام ، وتنسب إليه طائفة تعرف بالمعمرية ، توفي سنة : (٢١٥هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٥٤٦) ، و « الأعلام » : (٧ ٢٧٢) .

(٧) ينظر : « أصل الشيعة وأصولها » : (ص : ٢٣٢) .

(٨) **الدَّبُوسي** : عبد الله بن عمربن عيسى، أبو زيد ، الفقيه ، الحنفي ، القاضي أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود ، كان فقيها باحثا ، نسبته إلى دبوسية (بين بخارى وسمرقند). توفي سنة : (٤٣٠ هـ) ينظر : « وفيات الأعيان » : (٣ ٤٨) ، و « الأعلام » : (٤ ١٠٩) . لعل صواب العبارة : (كَٱلدَّبُوسِيّ ، وَأَكْثَرُ مُتَأَخِرِي ٱلْإِمَامِيَّةِ) لان الدبوسي ليس من الامامية .

(٩) ينظر « نهاية العقول » (٤ ١٤٥) .

(١٠) ينظر : « إحياء علوم الدين » (٩ ٤٦٨) ، و « شرح المقاصد » (٥ ٨٨) ، و « المواقف » (٣ ٤٧٩) .

وَجَمْعُ ٱلسَّعَادَتَيْنِ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا غَيْرُ مُمْكِنٍ ؛ إِذِ ٱلْإِنْسَانُ مَعَ ٱسْتِغْرَاقِهِ فِي تَجَلِّي أَنْوَارِ عَالَمِ ٱلْغَيْبِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ ٱللَّذَّاتِ /أ ٢٠١/ ٱلْجِسْمَانِيَّةِ ، وَمَعَ ٱسْتِغْرَاقِهِ فِي ٱسْتِيفَاءِ هَذِهِ ٱللَّذَّاتِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى ٱللَّذَّاتِ ٱلرَّوْحَانِيَّةِ .

وَإِنَّمَا تَعَذَّرَ هَذَا ٱلْجَمْعُ لِضَعْفِ ٱلْأَرْوَاحِ ٱلْبَشَرِيَّةِ فِي هَذَا ٱلْعَالَمِ ، فَإِذَا فَارَقَتْ بِٱلْمَوْتِ وَٱسْتَمَدَّتْ مِنْ عَالَمِ ٱلْقُدْسِ وَٱلطَّهَارَةِ . . كَمُلَتْ وَقَوِيَتْ ، فَإِذَا أُعِيدَتْ إِلَى ٱلْأَبْدَانِ . . صَارَتْ قَوِيَّةً قَادِرَةً عَلَى ٱلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَىٰ مِنْ مَرَاتِبِ ٱلسَّعَادَةِ .

وَقَدْ بَالَغَ ٱلْغَزَالِيُّ فِي تَحْقِيقِ ٱلْمَعَادِ ٱلرَّوْحَانِيِّ ، وَبَيَانِ أَنْوَاعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ ؛ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْأَرْوَاحِ حَتَّىٰ نُسِبَ إِلَىٰ إِنْكَارِ حَشْرِ ٱلْأَجْسَادِ ؛ ٱفْتِرَاءً عَلَيْهِ مَعَ تَصْرِيحِهِ بِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ « ٱلْإِحْيَاءِ » وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ إِنْكَارَهُ كُفْرٌ .[1]

وَٱلْقَوْلُ بِتَجَرُّدِهَا ؛ كَمَا قَالَ ٱلْإِمَامُ [2] لَا يَرْفَعُ وَحْدَهُ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ ٱلدِّينِ ، وَرُبَّمَا أَيَّدَهُ وَبَيَّنَ طَرِيقَ إِثْبَاتِ ٱلْمَعَادِ بِحَيْثُ لَا يَقْدَحُ فِيهِ شِبْهَةُ مُنْكِرٍ ، وَلَيْسَ كُفْراً وَضَلَالاً عَلَىٰ مَا غَلَبَ عَلَى ٱلطِّبَاعِ ٱلْعَامِيَّةِ ؛ لِكَوْنِهِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلتَّنَاسُخِيَّةُ[3] ، وَأَكْثَرُ ٱلنَّصَارَىٰ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلتَّنَاسُخِيَّةَ إِنَّمَا كَفَرُوا بِإِنْكَارِهِمُ ٱلْقِيَامَةَ وَٱلْجَنَّةَ وَٱلنَّارَ ، وَٱلنَّصَارَىٰ بِٱلتَّثْلِيثِ[4] .

قِيلَ : وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم ﴾[5] ، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[6] ،

---

(١) ينظر : « إحياء علوم الدين » (٩ ٤٦٨) ، و « شرح المقاصد » (٥ ٨٨) .

(٢) هو الرازي ، حيث قال : (فإن القول بإثبات هذه النفوس لا يلزم منه رفع أصل من اصول الدين) ، ينظر « نهاية العقول » (٤ ١٤٥) ، و « شرح المقاصد » (٥ ٩٠) .

(٣) **التناسخية** : وهم فرقة من الحلولية يقولون : إن الله عز وجل نور على الأبدان والأماكن ، زعموا : أرواحهم متولدة من الله القديم ، وأن البدن لباس لا روح فيه ، ولا ألم عليه ، ولا لذة له ، وأن الإنسان إذا فعل الخير ومات صار روحه إلى حيوان ناعم ، وهم أصناف صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية وَهَذَانِ الصنفان كَانَا قبل دولة الاسلام ، وصنفان آخران ظهرا فِي دولة الاسلام أَحدهمَا : من جملَة الْقَدَرِيَّة ، وَالْآخر من جملَة الرافضة الغالية . ينظر : « الفرق بين الفرق » : (ص : ٢٥٣) ، و « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » : (ص : ٢٢) .

(٤) يُقصد به الاعتقاد بوجود ثلاثة أقانيم ، ويسمى ذلك الثالوث الأقدس ، يزعم بأن الرب هو في الجوهر واحد ، لكنه ذو أقانيم (أشخاص) ثلاثة ـ تعالى الله عن ونزذلك ـ وهذه الأقانيم هي الأب والابن والروح القدس . ينظر : « تخجيل من حرف التوراة والإنجيل » : (١ ٤٩٣) .

(٥) سورة السجدة : (١٧) .

(٦) سورة يونس : (٢٦) .

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾[1] إِشَارَةٌ إِلَى ٱلْمَعَادِ ٱلرَّوْحَانِيّ .

وَكَذَا مَا وَرَدَ مِنَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي حَالِ أَرْوَاحِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ ٱلشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تُرْفَعُ فِي ٱلْجَنَّةِ ، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ .

فَقَدْ رَوَىٰ « مُسْلِمٌ » : ((أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِٱلْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْقَنَادِيلِ))[2] .

وَفِي « جَامِعِ ٱلتِّرْمِذِيّ » : ((أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تُعَلُّقُ - بِضَمِّ ٱللَّامِ ؛ أَيْ : تَتَنَاوَلُ بِفَمِهَا - مِنْ ثَمَرِ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ شَجَرِهَا))[3] .

وَفِي « مُسْنَدِ أَحْمَدَ » : ((أَنَّ رُوحَ ٱلْكَافِرِ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَلَا يُفْتَحُ لَهَا ، وَأَنَّ رُوحَهُ تُطْرَحُ طَرْحاً))[4] ، مَعَ مَا وَرَدَ / ب ٢٠١/ مَنْ : ((أَنَّ أَرْوَاحَ ٱلْكُفَّارِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ سُودٍ فِي سِجِينَ)) وَإِنْ كَانَتْ ظَوَاهِرُهَا مُشْعِرَةً بِأَنَّ ٱلْأَرْوَاحَ أَجْسَامٌ عَلَىٰ مَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمِينِ[5] : (ٱلْأَظْهَرُ عِنْدَنَا أَنَّ ٱلْأَرْوَاحَ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ مُشَابِكَةٌ لِلأَجْسَامِ ٱلْمَحْسُوسَةِ ، أَجْرَى ٱللهُ تَعَالَىٰ عَادَتَهُ بِٱسْتِمْرَارِ حَيَاةِ ٱلْأَجْسَادِ مَا ٱسْتَمَرَّتْ مُشَابِكَةً ، فَإِذَا فَارَقَتْهَا عَقِبَهَا ٱلْمَوْتُ فِي ٱسْتِمْرَارِ ٱلْعَادَةِ ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِٱلرُّوحِ وَتُرْفَعُ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ فِي ٱلْجَنَّةِ ، وَيُهْبَطُ بِهِ مِنَ ٱلْكَفَرَةِ فِي سِجِينَ ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ ٱلْآثَارُ ، وَٱلْحَيَاةُ عَرَضٌ يَحْيَىٰ بِهِ ٱلْجَوْهَرُ ، وَٱلرُّوحُ أَيْضاً إِنْ قَامَتْ بِهِ ٱلْحَيَاةُ فَهَذَا قَوْلُنَا فِي ٱلرُّوحِ)[6] .

---

(١) سورة التوبة : (٧٢) .

(٢) صحيح مسلم : (١٨٨٧) ، (٣ /١٥٠٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » . من دون لفظ : « أن » .

(٣) سنن الترمذي : (١٦٤١) ، (٣ /٢٢٨) بلفظ : ((إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ)) وقال عنه : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . عن سيدنا كعب بن مالك « رضي الله عنه » .

(٤) مسند الإمام أحمد : (١٨٥٣٤) ، (٣٠ /٤٩٩) عن سيدنا البراء بن عازب « رضي الله عنه » .

(٥) **إِمَام الحَرَمَيْن** : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعيّ ، ولد في جوين وتوفي في مصر سنة : (٤٧٨ هـ) ، له مصنفات كثيرة منها : « غياث الأمم والتياث الظلم » و « العقيدة النظامية » و « البرهان » و « نهاية المطلب » ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٨ /٤٦٨) ، و« الأعلام » : (٤ /١٦٠) .

(٦) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الإعتقاد » : (ص ١٥١-١٥٢) .

(**وَلَيْسَ**) ٱلْمَعَادُ ٱلرَّوْحَانِيُّ (**تَنَاسُخاً ؛ لِأَنَّهُ عَوْدٌ**) فِي ٱلآخِرَةِ لَا فِي ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ [1] مَا زَعَمَهُ ٱلتَّنَاسُخِيَّةِ : (**إِلَىٰ أَجْزَاءٍ أَصْلِيَّةٍ لِبَدَنٍ أَوَّلٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ**) هُوَ ٱلْبَدَنُ ٱلْأَوَّلُ (**بِعَيْنِهِ**) بِأَنْ يَخْلُقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ أَجْزَائِهِ ٱلْمُتَفَرِّقَةِ بَدَناً ، ثُمَّ يُعِيدُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ٱلْمُجَرَّدَةُ ٱلْبَاقِيَةُ بَعْدَ خَرَابِهِ عَلَىٰ مَا يُلَوِّحُ بِهِ : ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾[2] ، ﴿ **أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ** ﴾[3]

وَكَوْنُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ جُرْداً مُرْداً [4]، وَضَرِسِ ٱلْكَافِرِ مِثْلَ أُحُدٍ [5]، وَلَا يَضُرُّنَا كَوْنَهُ غَيْرَ ٱلْبَدَنِ ٱلْأَوَّلِ بِحَسَبِ ٱلشَّخْصِ ، وَلَا ٱمْتِنَاعَ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ بِعَيْنِهِ بِخِلَافِ ٱلتَّنَاسُخِ فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ ؛ لِإِنْكَارِهِمُ ٱلآخِرَةَ وَٱلْجَنَّةَ وَٱلنَّارَ ؛ كَمَا مَرَّ عَوْدٌ فِي ٱلدُّنْيَا لِلْأَرْوَاحِ ٱلنَّاقِصَةِ ٱلَّتِي بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ كَمَالَاتِهَا بِٱلْقُوَّةِ إِلَىٰ أَبْدَانٍ أُخَرَ ، إِنْسَانِيَّةٍ مُنْتَقِلَةٍ مِنْ بَدَنٍ إِلَىٰ بَدَنٍ آخَرَ حَتَّىٰ تَبْلُغَ ٱلنِّهَايَةَ فِيمَا هُوَ كَمَالُهَا مِنْ عُلُومٍ وَأَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ إِلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ قُوتُهَا إِلَى ٱلْفِعْلِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا شَيْءٌ مِنْ كَمَالَاتِهَا ٱلْمُمْكِنَةِ بِٱلْقُوَّةِ فَتَصِيرَ مُجَرَّدَةً عَنِ ٱلْأَبْدَانِ ، مُطَهَّرَةً عَنْ جَمِيعِ ٱلْعَلَائِقِ ٱلْجِسْمَانِيَّةِ ، وَتَتَحَصَّلَ إِلَىٰ عَالَمِ ٱلْقُدْسِ ، وَرُبَّمَا تَنَازَلَتْ قَبْلَ كَمَالِهَا إِلَىٰ أَبْدَانٍ حَيَوَانِيَّةٍ فَتَنْتَقِلَ مِنْ /أ٢٠٢/ بَدَنِ إِنْسَانٍ إِلَىٰ بَدَنِ حَيَوَانٍ يُنَاسِبُهُ فِي ٱلْأَوْصَافِ ؛ كَبَدَنِ ٱلْأَسَدِ لِلشُّجَاعِ ، وَٱلْأَرْنَبِ لِلْجَبَانِ ، ويسمى هَذَا مَسْخاً ، وَرُبَّمَا تَنَازَلَتْ إِلَىٰ أَجْسَامِ ٱلنَّبَاتَاتِ ، وَيُسَمَّىٰ رَسْخاً ، أَوْ إِلَى ٱلْجَمَادَاتِ ؛ كَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْبَسَائِطِ ، وَيُسَمَّىٰ فَسْخاً ، قَالُوا : وَهَذِهِ ٱلتَّنَازُلَاتُ هِيَ : مَرَاتِبُ ٱلْعُقُوبَاتِ ، وَإِلَيْهَا ٱلْإِشَارَةُ بِمَا وَرَدَ مِنْ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ ٱلسَّبْعِ وَهَذَا كُلُّهُ بِنَاءً عَلَىٰ قِدَمِ ٱلنُّفُوسِ وَتَجَرُّدِهَا رَجْماً بِٱلْوَهْمِ .

(**وَصَرْفُ مَا وَرَدَ**) مِنَ ٱلآيَاتِ وَٱلْأَحَادِيثِ نَاطِقاً (**بِٱلْمَعَادِ ٱلْجِسْمَانِيِّ**) ؛ مِثْلُ : ﴿ **أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ**

---

(١) في (ب) (كما) .

(٢) سورة النساء : (٥٦) .

(٣) سورة يس : (٨١) .

(٤) أخرج الترمذي في « سننه » : (٢٥٤٥) ، (٤ ٦٦٣) عن سيدنا معاذ بن جبل « رضي الله عنه » ، أن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : ((يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة)) .

(٥) أخرج الترمذي في « سننه » : (٢٥٧٨) ، (٤ ٢٨٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » ، قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ((ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة)) .

أَن يُحْـِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[1]، ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [2] ، ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[3]، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾[4] ، ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[5] ، ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[6] ، ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [7] وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً وَصَرْفاً (**عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَىٰ بَيَانِ**) ٱلْمَعَادِ (**ٱلرَّوْحَانِيِّ تَمْثِيلاً وَتَصْوِيراً لِأَحْوَالِ سَعَادَةِ ٱلنُّفُوسِ وَشَقَاوَتِهَا**) بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا لِأَبْدَانِهَا عَلَىٰ وَجْهٍ يَفْهَمُهُ ٱلْعَوَامُّ ؛ كَمَا قَالَ ٱلْفَارَابِيُّ [8]وَغَيْرُهُ : (أَنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ بُعِثُوا لِإِرْشَادِ ٱلْخَلَائِقِ إِلَى ٱلْحَقِّ ، وَتَكْمِيلِ نُفُوسِهِمْ بِحَسَبِ ٱلْقُوَّةِ ٱلنَّظَرِيَّةِ وَٱلْعَمَلِيَّةِ ، وَتَبْقِيَةِ ٱلنِّظَامِ ٱلْمُفْضِي إِلَىٰ صَلَاحِهِمْ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً بِٱلْوَعْدِ وَٱلْبِشَارَةِ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ لَذَّةً وَكَمَالاً ، وَٱلْإِنْذَارِ عَمَّا يَعْتَقِدُونَهُ أَلَماً وَنُقْصَاناً ، وَأَكْثَرُهُمْ تَقْصُرُ عُقُولُهُمْ عَنْ فَهْمِ ٱلْكَمَالَاتِ ٱلْحَقِيقِةِ وَٱللَّذَّاتِ ٱلْعَقْلِيَّةِ وَعَمَّا أَلِفُوهُ مِنَ ٱللَّذَّاتِ وَٱلْأَلَامِ ٱلْحِسيَّةِ وَعَرَفُوهُ مِنَ ٱلْكَمَالَاتِ وَٱلنُّقْصَانَاتِ ٱلْبَدَنِيَّةِ فَوَجَبَ عَلَىٰ ٱلْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُخَاطِبُوهُمْ بِمَا هُوَ مِثَالٌ لِلْمَعَادِ ٱلْحَقِيقِيِّ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً لِلْعَوَامِ وَتَتْمِيماً لِحِفْظِ ٱلنِّظَامِ)[9] .

وَذَلِكَ كُلُّهُ (**إِلْحَادٌ**) فِي ٱلدِّينِ ؛ إِذْ بِصَرْفِهَا عَنْ ظَوَاهِرِهَا مِنْ غَيْرِ دَاعٍ إِلَيْهِ مَعَ عَدَمِ تَعَذُّرِ إِرَادَةِ ظَوَاهِرِهَا ، سِيَّمَا عَلَىٰ ٱلْقَوْلِ /ب٢٠٢/ بِكَوْنِ ٱلْمَعَادِ مِثْلَ ٱلْأَوَّلِ لَا عَيْنَهُ مِمَّا يُؤْذِنُ بِنِسْبَةِ ٱلْكَذِبِ إِلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَبْلِيغِهِمْ وَتَضْلِيلِ أَكْثَرِ ٱلْخَلَائِقِ ، وَٱلتَّعَصُّبِ طُولَ ٱلْعُمُرِ ؛ لِإِظْهَارِ ٱلْبَاطِلِ وَإِخْفَاءِ ٱلْحَقِّ .

---

(١) سورة القيامة : (٤٠) .

(٢) سورة العنكبوت : (٥٧) .

(٣) سورة الغاشية : (٢٥-٢٦) .

(٤) سورة طه : (٧٤-٧٥) .

(٥) سورة طه : (١٠٢) .

(٦) سورة طه : (١٢٤) .

(٧) سورة فصلت : (٢١) .

(٨) **الفارابيّ** : محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، أبو نصر ، ويعرف بالمعلم الثاني : أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب ، توفي بدمشق سنة : (٣٣٩ هـ) له نحو مئة كتاب ، منها : « الفصوص » ، و «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها » وغيرها ينظر : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٦٠٣)، و « الأعلام » : (٧ ٢٠) .

(٩) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٩٣) .

(**قَالَ**) فِي « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » : (نَعَمْ ؛ لَوْ قِيلَ : إِنَّ هَذِهِ ٱلظَّوَاهِرَ مَعَ إِرَادَتِهَا مِنَ ٱلْكَلَامِ وَثُبُوتِهَا فِي نَفْسِ ٱلْأَمْرِ مَثَلٌ لِلْمَعَادِ ٱلرَّوْحَانِيِّ ، وَٱللَّذَّاتِ ، وَٱلْآلَامِ ٱلْعَقْلِيَّةِ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ مُحَقِّقُوا عُلَمَاءِ ٱلْأَسْلَامِ لَكَانَ حَقّاً لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلَا ٱعْتِدَادَ بِمَنْ يَنْفِيهِ)[1] .

(**وَنَفَاهُمَا**) ؛ أَيِ : ٱلْمَعَادَيْنِ .. ٱلْإِلَهِيُّونَ مِنَ ٱلْفَلَاسِفَةِ (**مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ**) فِي ٱلْمِلَّةِ وَلَا فِي ٱلْفَلْسَفَةِ ؛ (**لِامْتِنَاعِ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ**) ؛ لِأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ هُوَ : هَذَا ٱلْهَيْكَلُ ٱلْمَحْسُوسُ بِمَا لَهُ مِنْ نَفْسٍ وَمِزَاجٍ وَقُوًى وَأَعْرَاضٍ مِمَّا يَفْنَىٰ مَعَهُ بِٱلْمَوْتِ ، وَزَوَالِ ٱلْحَيَاةِ فَتَمْتَنِعُ إِعَادَتُهُ .

إِمَّا : عَلَىٰ تَقْدِيرِ كَوْنِهَا إِيجَاداً بَعْدَ فَنَاءٍ فَلِمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عَلَىٰ تَقْدِيرِ كَوْنِهَا جَمْعاً وَإِحْيَاءً بَعْدَ تَفْرِيقٍ فَلِلْقَطْعِ بِفَنَاءِ ٱلتَّأْلِيفِ وَٱلْمِزَاجِ وَٱلْحَيَاةِ وَٱلْأَعْرَاضِ وَٱلْهَيْآتِ ؛ (**وَلِإِنَّهُ لَوْ أَكَلَ إِنْسَانٌ إِنْسَاناً فَمَا أَكَلَ**) مِنْ أَجْزَائِهِ وَصَارَ جُزْءاً مِنَ ٱلْآكِلِ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ إِعَادَتِهِ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا ؛ لِاسْتِحَالَةِ أَنْ يَكُونَ جُزْءاً وَاحِداً بِعَيْنِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ فِي شَخْصَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ ؛ لَكِنَّهُ (**إِنْ أُعِيدَ فِي بَدَنِ ٱلآكِلِ أَوْ**) أُعِيدَ فِي بَدَنِ (**ٱلْمَأْكُولِ لَمْ يُعِدِ ٱلْآخَرُ**) بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ فَلَا يَكُونُ مَعَاداً بِعَيْنِهِ فَثَبَتْ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِعَادَةُ جَمِيعِ ٱلْأَبْدَانِ بِأَعْيَانِهَا كَمَا زَعَمْتُم ، وَمَعَ هَذَا يَلْزَمُ (**فِي أَكْلِ كَافِرٍ أَوْ عَكْسِهِ مُؤْمِناً تَنْعِيمُ ٱلْأَجْزَاءِ ٱلْعَاصِيَةِ أَوْ تَعْذِيبُ**) ٱلْأَجْزَاءِ (**ٱلْمُطِيعَةِ**) .

(**قُلْنَا**) :جَوَاباً عَنِ ٱلْأَوَّلِ : ٱمْتِنَاعُهَا ؛ أَيِ : ٱمْتِنَاعُ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ (**مَمْنُوعٌ**) عَلَىٰ مَا مَرَّ ، وَلَوْ سُلِّمَ ، فَٱلْمُرَادُ إِعَادَةُ ٱلْأَجْزَاءِ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَيَاةٍ وَتَأْلِيفٍ وَصُورٍ وَهَيْئَاتٍ ، وَلَا يَضُرُّنَا كَوْنَ ٱلْمَعَادِ مِثْلَ ٱلْمُبْتَدَأِ إِلَّا عَيْنَهُ .

وَعَنِ ٱلثَّانِي : (**ٱلْمَعَادُ**) إِنَّمَا هُوَ : (**أَجْزَاءُ أَوَّلِ ٱلْفِطْرَةِ**) ٱلْأَصْلِيَّةِ ٱلَّتِي هِيَ مَبْدَأُ ٱلْخَلْقِ ٱلْبَاقِيَةُ مِنْ أَوَّلِ ٱلْعُمُرِ إِلَىٰ آخِرِهِ (**لَا**) ٱلْأَجْزَاءُ (**ٱلْغِذَائِيَّةُ**) ٱلْحَاصِلَةُ بِٱلْغِذَاءِ فَإِنَّهَا فَضْلٌ تَتَوَارَدُ عَلَيْهِ / أ ٢٠٣/ وَتَزُولُ عَنْهُ فَلَا تُعَادُ (**فَٱلْمَعَادُ مِنْهُمَا**) ؛ أَيْ : مِنَ ٱلْآكِلِ وَٱلْمَأْكُولِ إِنَّمَا هُوَ ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْأَصْلِيَّةُ ٱلَّتِي هِيَ مَبْدَأُ ٱلْخَلْقِ فِي أَوَّلِ ٱلْفِطْرَةِ مِنْ غَيْرِ لُزُومِ فَسَادٍ ، لَا ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْمَأْكُولَةُ فَإِنَّهَا فَضْلٌ فِي ٱلْآكِلِ لَا تُعَادُ فِيهِ بَلِ ٱلْمَأْكُولُ إِنْ كَانَتْ أَصْلِيَّةً (**وَقَدْ لَا يَجْعَلُهَا ٱللهُ نُطْفَةً وَأَجْزَاءً أَصْلِيَّةً لِبَدَنٍ آخَرَ**) .

(١) شرح المقاصد : (٥ ٩٣) .

وَزَعَمَ ٱلْمُعْتَزِلَةُ : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ ٱلْحَكِيمِ حِفْظُهَا مِنْ ذَلِكَ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ إِيصَالِ ٱلْجَزَاءِ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّهِ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : لَعَلَّهُ تَعَالَىٰ يَحْفَظُهَا مِنَ ٱلتَّفَرُّقِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِعَادَةِ ٱلْجَمْعِ وَٱلتَّأْلِيفِ بَلْ إِنَّمَا يُعَادُ إِلَى ٱلْحَيَاةِ وَٱلصُّوَرِ وَٱلْهَيْئَاتِ[١].

(**وَهُوَ**) أَي : ٱلْمَعَادُ ٱلْجِسْمَانِيُّ ٱخْتَلَفَ ٱلْقَائِلُونَ بِهِ أَهُوَ (**إِيجَادٌ بَعْدَ فَنَاءٍ** ؟) بِمَعْنَىٰ : أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُعْدِمُ ٱلْأَجْزَاءَ ٱلَّتِي مِنْهَا تَأْلِيفُ ٱلْبَدَنِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بِعَيْنِهَا ، (**أَوْ**) هُوَ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلْكَرَّامِيَّةُ[٢] (**جَمْعٌ بَعْدَ تَفْرِيقٍ**) وَٱخْتِلَاطٍ بِغَيْرِهَا ، وَزَوَالِ حَيَاتِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا وَرُطُوبَتِهَا وَلَوْنِهَا ثُمَّ تُعَادُ كَمَا كَانَتْ ؛ لِإِنْكَارِهِمْ إِعَادَةَ ٱلْمَعْدُومِ .

(**وَلِكُلٍّ ظَوَاهِرُ**) نُصُوصٍ تُشْعِرُ بِهِ فَالْأَوَّلِ مِنَ ٱلْكِتَابِ ؛ مِثْلُ : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾[٣] إِذِ ٱلْفَنَاءُ هُوَ : ٱلْعَدَمُ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٤] إِذِ ٱلْمُرَادُ بِهِ ٱنْعِدَامُهُ لَا خُرُوجُهُ عَنْ كَوْنِهِ مُنْتَفَعاً بِهِ ، هُوَ : ﴿ **ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ** ﴾[٥] أَيْ : فِي ٱلْوُجُودِ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ إِلَّا بِٱنْعِدَامِ مَا سِوَاهُ وَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْقِيَامَةِ وِفَاقاً فَيَكُونُ قَبْلَهَا .

وَمِنَ ٱلسُّنَّةِ : ((كُلُّ ٱبْنِ آدَمَ يَفْنَىٰ إِلَّا عَجْبَ ٱلذَّنَبِ)) [٦]، ((كُلُّ ٱبْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ ٱلتُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ ٱلذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ)) [٧]، ((لَيْسَ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ ، إِلَّا عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ : عَجْبٌ ، مِنْهُ يُرَكَّبُ ٱلْخَلْقُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)) [٨] ، ((أَنَّ فِي ٱلْإِنْسَانِ عَظْماً لَا تَأْكُلُهُ ٱلْأَرْضُ أَبَداً ، مِنْهُ يُرَكَّبُ ٱلْخَلْقُ

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٩٥) .

(٢) **الكرَّاميَّة** : هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام ، ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، نسبة إلى مؤسسها وصاحبها الأول محمد بن كرام السجستاني . ينظر : « الملل والنحل » : (١ ١٠٨) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص : ٢٠٢) .

(٣) سورة الرحمن : (٢٦) .

(٤) سورة القصص : (٨٨) .

(٥) سورة الحديد : (٣) .

(٦) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في كتب السنة المعتبرة إلا في كتاب « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » (٤ ١٥٨١) .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٥٥) ، (٤ ٢٢٧١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » . وفيه بدل : ((ومنه يركب)) ، ((وَفِيهِ يُرَكَّبُ)) .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٩٣٥) ، (٦ ١٦٥) ومسلم في « صحيحه » : (٢٩٥٥) ، (٤ ٢٢٧٠) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، قَالُوا : أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ ، مِنْهُ يَنْشَأُ ٱلْخَلْقُ))[1] وَهُوَ: بِعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَجِيمٍ سَاكِنَةٍ فِي أَسْفَلِ ٱلصُّلْبِ عِنْدَ رَأْسِ ٱلْعُصْعُصِ يُشْبِهُهُ فِي مَحَلِّهِ مَحَلَّ أَصْلِ ٱلذَّنَبِ مِنْ ذَوَاتِ ٱلْأَرْبَعِ .

وَأُجِيبَ عَنِ ٱلْأَوَّلِ : بِمَنْعِ كَوْنِ ٱلْفَنَاءِ / ب ٢٠٣/ هُوَ ٱلْعَدَمُ بَعْدَ خُرُوجِ ٱلشَّيْءِ عَنْ صِفَتِهِ ٱلَّتِي يَنْتَفِعُ بِهِ عِنْدَهَا ، أَوِ ٱلْمُرَادُ كُلُّ مَنْ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ . . مَيِّتٌ .

وَعَنِ ٱلثَّانِي : بِأَنَّهُ هَالِكٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ؛ لِكَوْنِهِ مُمْكِناً لَا يَسْتَحِقُّ وُجُوداً إِلَّا بِٱلنَّظَرِ إِلَىٰ عِلَّتِهِ ، أَوِ ٱلْمُرَادُ بِٱلْهَلَاكِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْخُرُوجُ عَنِ ٱلانْتِفَاعِ ٱلْمَقْصُودِ بِهِ ٱللَّائِقِ بِحَالِهِ .

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ[2] : وَلَوْ سُلِّمَ أَنَّ ٱلْفَنَاءَ وَٱلْهَلَاكَ بِمَعْنَى ٱلْعَدَمِ ، فَلَا بُدَّ فِي آيَتَيْهِمَا مِنْ تَأْوِيلٍ ، إِذْ لَوْ حُمِلَتَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِمَا .. لَزِمَ كَوْنُ ٱلْكُلِّ فَانِياً هَالِكاً فِي ٱلْحَالِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَيْسَ ٱلتَّأْوِيلُ بِكَوْنِهِ آيِلاً إِلَىٰ ٱلْعَدَمِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُمْ أَوْلَىٰ مِنْهُ بِكَوْنِهِ قَابِلاً لَهُ .

وَهَذَا مِنْهُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا ٱتَّفَقَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ ٱلْعَرَبِيَّةِ مِنْ كَوْنِ ٱسْمِ ٱلْفَاعِلِ وَنَحْوِهِ مَجَازاً فِي ٱلِاسْتِقْبَالِ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْإِتْصَافِ بِٱلْمَعْنَى ٱلْمُشْتَقِّ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا ٱلْخِلَافُ فِي أَنَّهُ : هَلْ يُشْتَرَطُ بَقَاءُ ذَلِكَ ٱلْمَعْنَىٰ ؟

وَٱعْتُرِضَ « صَاحِبُ ٱلتَّلْخِيصِ » : بِأَنَّ حَمْلَهُ عَلَىٰ ٱلِاسْتِقْبَالِ لَيْسَ تَأْوِيلاً وَصَرْفاً عَنِ ٱلظَّاهِرِ تَوَهُّماً مِنْهُ أَنَّهُ ؛ كَٱلْمُضَارِعِ ، مُشْتَرَكٌ بَيْنَ ٱلْحَالِ وَٱلِاسْتِقْبَالِ .

وَعَنِ ٱلثَّالِثِ : بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مَبْدَأُ كُلِّ مَوْجُودٍ وَغَايَةُ كُلِّ مَقْصُودٍ ، أَوْ هُوَ ٱلْمُتَوَحِّدُ فِي ٱلْإِلَهِيَّةِ ، أَوْ فِي صِفَاتِ ٱلْكَمَالِ ، أَوْ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلآخِرُ بَعْدَ جَمِيعِ ٱلْأَحْيَاءِ ، وَبِٱلْجُمْلَةِ فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ أَنَّهُ آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِ ٱلزَّمَانِ ، لِلِاتِّفَاقِ عَلَىٰ أَبَدِيَّةِ ٱلْجَنَّةِ وَمَنْ فِيهَا .

وَلِلثَّانِي **سَمْعاً** : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3] ، ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى

---

(١) أخرجه ابن حبان « صحيحه » : (٣١٤٠) ، (٤٠٩٧) والحاكم في « المستدرك » : (٨٨٠١) ، (٤ ٦٥١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » . وقال الحاكم عنه : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٢) هو الامام الرازي ، ينظر : « مفاتيح الغيب » : (٢٥ ٢٠ -٢٢) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٠٤) .

(٣) سورة البقرة : (٢٦٠) .

ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾[(١)] ، ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[(٢)] ، ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[(٣)] ، ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾[(٤)] إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشْعِرُ بِٱلتَّفْرِيقِ دُونَ ٱلْإِعْدَامِ ، وَأُجِيبَ بِأَنَّهَا لَا تَنْفِي ٱلْإِعْدَامَ ، وَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ مَعَ كَوْنِهَا مُعَارَضَةً بِمَا مَرَّ مِمَّا يُشْعِرُ بِٱلْإِعْدَامِ وَٱلْفَنَاءِ.

وَعَقْلاً : لَوْ عُدِمَتِ ٱلْأَجْسَادُ لَمْ يَصِلْ جُزْءٌ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّهِ بِشَهَادَةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(٥)] ، ﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[(٦)] وَأَنَّ ٱلْمُعَادَ لَا يَكُونُ هُوَ ٱلْمُبْتَدَأُ بَلْ مِثْلُهُ لِامْتِنَاعِ إِعَادَةِ ٱلْمَعْدُومِ بِعَيْنِهِ .

وَرُدَّ بِٱلْمَنْعِ وَقَدْ مَرَّ بَيَانُ ضَعْفِ أَدِلَّتِهِ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَلَا يَقُومُ عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ بِبَقَاءِ ٱلرُّوحِ وَٱلْأَجْزَاءِ /أ ٢٠٤/ ٱلْأَصْلِيَّةِ وَإِعْدَامِ ٱلْبَوَاقِي ثُمَّ إِيجَادِهَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ ٱلثَّانِي هُوَ ٱلْأَوَّلُ بِعَيْنِهِ بَلْ مُغَايِراً لَهُ فِي صِفَةِ ٱلِابْتِدَاءِ وَٱلْإِعَادَةِ ، إِذْ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ ٱلْعُمْدَةَ فِي ٱسْتِحْقَاقِ ٱلْجَزَاءِ هِيَ ٱلرُّوحُ وَٱلْأَجْزَاءُ ٱلْأَصْلِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَجْزَاءِ ، وَٱلتَّرْكِيبِ ، وَٱلصِّفَاتِ ، وَٱلْهَيْئَاتِ ، وَٱلتَّعْيِينَاتِ ٱلَّتِي تُمَايِزُ ٱلْمِثْلَيْنِ ؛ كَمَا إِذَا جَنَىٰ شَابّاً ، سَمِيناً ، سَلِيمَ ٱلْأَعْضَاءِ ، ثُمَّ ٱقْتُصَّ مِنْهُ هَرِماً ، أَعْجَفَ ، سَاقِطَ ٱلْأَعْضَاءِ ، قِيلَ : ٱلْحِكْمَةُ قَاضِيَةٌ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ يَحْفَظُ ٱلرُّوحَ وَٱلْأَجْزَاءَ ٱلْأَصْلِيَّةَ عَنِ ٱلتَّفَرُّقِ وَٱلِانْحِلَالِ ؛ لِيُعْلَمَ وُصُولُ ٱلْجَزَاءِ إِلَيْهِ .

(**قُلْنَا**) : لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّا لَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ ذَلِكَ عِنْدَ ٱلْإِيصَالِ ، بَلْ قَدْ شَهِدَ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ تَوَصَّلَهُ إِلَيْهِ وَكَفَىٰ بِهِ عَلِيماً.

(**وَلَوْ**) سُلِّمَ فَٱللَّهُ تَعَالَىٰ يَخْلُقُ عِلْماً ضَرُورِيّاً بِهِ ، أَوْ طَرِيقاً جَلِيّاً إِلَيْهِ .

(**أَوْ**) هُوَ ؛ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ(**هُمَا**) ؛ أَيْ : إِيجَادُ مَا عُدِمَ ، ثُمَّ جَمْعُهُ وَإِعَادَتُهُ بِعَيْنِهِ ، وَجَمْعُ مَا تَفَرَّقَ وَتَأْلِيفُهُ لِقَبُولِهِمَا ذَلِكَ ، إِذْ صِحَّةُ قَبُولِ ٱلْقَابِلِ وَفِعْلِ ٱلْفَاعِلِ . . تُوجِبُ صِحَّةَ ٱلْوُقُوعِ وَجَوَازَهُ قَطْعاً .

(**وَتَوَقَّفَ**) فِي كَوْنِ ٱلْمَعَادِ إِيجَاداً بَعْدَ فَنَاءٍ ، أَوْ جَمْعاً بَعْدَ تَفْرِيقٍ ، أَوْ هُمَا ، وَلَمْ يُرَجِّحْ شَيْئاً مِنْهَا

---

(١) سورة البقرة : (٢٥٩) .

(٢) سورة فاطر : (٩) .

(٣) سورة الزخرف : (١١) .

(٤) سورة القارعة : (٤) .

(٥) سورة التوبة : (١٢٠) .

(٦) سورة الكهف : (٣٠) .

(إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ) : إِذْ لَا قَاطِعَ سَمْعِيٌّ بِتَعَيُّنِ أَحَدِهِمَا ، بَلْ مَا وَرَدَ كُلُّهُ دَلَالَتُهُ ظَنِّيَّةٌ فَيَجُوزُ أَنْ يُعْدِمَ ٱلْجَوَاهِرَ ثُمَّ تُعَادُ ، وَأَنْ تَبْقَىٰ بَعْدَ تَغَيُّرِ ٱلْأَجْسَامِ عَلَىٰ أَجْسَامِ ٱلتُّرَابِ ثُمَّ تُجْمَعُ وَيُعَادُ تَرْكِيبُهَا عَلَىٰ مَا عُهِدَ [1].

(وَٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ ٱلآنَ) [2]، خِلَافاً لِأَكْثَرِ ٱلْمُعْتَزِلَةِ[3] ؛ (لِقِصَّةِ آدَمَ) وَحَوَّاءَ ، وَإِسْكَانِهِمَا ٱلْجَنَّةَ ، وَإِخْرَاجِهِمَا مِنْهَا بِأَكْلِهِمَا مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ، وَخَصْفِهِمَا عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِهَا[4] ؛ كَمَا وَرَدَ وَٱنْعَقَدَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ ٱلْأُمَّةِ قَبْلَ وُجُودِ مَنْ خَالَفَ ، وَحَمْلُهَا عَلَىٰ بُسْتَانٍ مِنْ بَسَاتِينِ ٱلدُّنْيَا . . تَلَاعُبٌ وَمُرَاغَمَةٌ لِلْإِجْمَاعِ[5] .

(و) إِذَا ثَبَتَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ٱلآنَ فَكَذَا ٱلنَّارُ ؛ إِذْ لَا قَائِلَ بِخَلْقِهَا دُونَهَا ، بِشَهَادَةِ (ظَاهِرِ نَحْوِ) : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [6]، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [7] ، ﴿ أُعِدَّتْ

---

(١) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الإعتقاد » : (ص ١٤٩-١٥٠) .

(٢) ذكر اتفاق أهل السنة على هذا أبو الحسن الأشعري في « المقالات » (٢ ٣٥٥) ، والآجري في « الشريعة » : (٣ ١٣٤٣) ، وابن حزم في « الفصل ٤٨١ الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ٦٨) .

(٣) يقول القاضي عبد الجبار في كتابه « تنزيه القرآن عن المطاعن » (ص: ٢٠٤) : (وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ ﴾ أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن ؟؟ وذلك بخلاف ما تقولون ، وجوابنا : أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقه الآن ، وذلك بخلاف ما تقولون ، وجوابنا : أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن لفنيت اذا أفنى الله تعالى العالم ، فكان لا يكون أكلُها دائماً فدل ذلك على أنهِ تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها) . وقال في « التفسير الكبير أو المحيط » : (ص : ٢٤٦) . (إن الجنة لم تخلق بعد ، إلا أن الذي نذهب إليه أن جنة الخلد خاصة إنما تخلق بعد الإعادة) ، ويقول الزمخشري في « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل » : (١ ١٠٦) : (فإن قلت : الجنة مخلوقة أم لا ؟ قلت : قد اختلف في ذلك ، والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة) فالزمخشري يذكر أن هذه المسألة من المسائل التي وقع حولها الخلاف، ثم يشير بقوله : (والذي يقول) ليبين أن هذا القول ليس مرضياً عنده ، وأنّه حكاية عن مذهب غيره ، الذين هم أهل السنة .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾سورة الأعراف : (١٨ -٢٢) .

(٥) قال التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٠٨ – ١٠٩) : (على ما نطق به الكتاب والسنة ، وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين ، وحملها على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين).

(٦) سورة النجم : (١٣ – ١٥) .

(٧) سورة ال عمران : (١٢٣) .

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[١]، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، ﴿ وَأُزْلِفَتِ/ ب ٢٠٤/ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾[٣].

وَحَمْلُهُمَا عَلَىٰ ٱلتَّعْبِيرِ عَنِ ٱلْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ ٱلْمَاضِي مُبَالَغَةٌ فِي تَحَقُّقِهِ ؛ مِثْلُ : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾[٤]، ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾[٥]، ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾[٦] خِلَافُ ٱلظَّاهِرِ فَلَا يُعْدَلُ إِلَيْهِ بِدُونِ قَرِينَةٍ .

(**وَخُصَّتَا**) : جَوَابٌ عَنْ قَوْلِ أَبِي هَاشِمٍ [٧]، وَعَبْدِ ٱلْجَبَّارِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ : لَوْ كَانَتَا مَخْلُوقَتَيْنِ ٱلْآنَ لَهَلَكَتَا لِإِنْدِرَاجِهِمَا فِيمَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِٱلْهَلَاكِ : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٨] وَٱللَّازِمُ بَاطِلٌ ؛ بِشَهَادَةِ ٱلْإِجْمَاعِ بِدَوَامِهِمَا مَعَ مَا شَهِدَ بِدَوَامِ أُكُلِ ٱلْجَنَّةِ وَظِلِّهَا [٩].

قُلْنَا : مَخْصُوصَتَانِ (**مِنْ عُمُومِ** : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾) جَمْعاً بَيْنَ ٱلْأَدِلَّةِ ، أَوْ فَمَا شَهِدَ بِهِ ٱلْإِجْمَاعُ مِنْ دَوَامِهِمَا ، هُوَ أَنَّهُ لَا ٱنْقِطَاعَ لِبَقَائِهِمَا ، وَلَا إِنْتِهَاءَ لِوُجُودِهِمَا ، بِحَيْثُ لَا يَفْنَيَانِ ذَاتاً بَلْ صُورَةً ، أَوْ لَا تَفْنَيَانِ زَمَناً يُعْتَدُّ بِهِ ؛ كَمَا فِي دَوَامِ أُكُلِ ٱلْجَنَّةِ بَدَلاً ؛ أَيْ : كُلَّمَا فَنِيَ شَيْءٌ خَلَفَهُ شَيْءٌ بَدَلَهُ ؛ لِأَنَّهُ عَلَىٰ ٱلتَّجَدُّدِ وَٱلِانْقِضَاءِ .

فَعَلَىٰ هَذَا (**فَنَاؤُهُمَا**) ؛ أَيِ : ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ ؛ (**صُورَةً**) بِتَفْرِيقِ أَجْزَائِهِمَا دُونَ إِعْدَامِهِمَا لَا يُنَافِي

---

(١) سورة الحديد : (٢١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٤) .

(٣) سورة الشعراء : (٩٠ – ٩١) .

(٤) سورة الأعراف : (٤٤) .

(٥) سورة النحل : (١) .

(٦) سورة الزمر : (٦٨) .

(٧) . **أبو هاشم الجبائي** : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبّائي ، من أبناء أبان مولى عثمان ، عالم بالكلام ، من كبار المعتزلة ، له آراء انفرد بها ، وتبعته فرقة سميت « البهشمية » نسبة إلى كنيته « أبي هاشم » وله مصنفات منها « الشامل » و « تذكرة العالم » و « العدة » توفي سنة : (٣٢١ هـ) ينظر : « الوافي بالوفيات » : (١٨ ٢٦٤) ، و « الأعلام » : (٤ ٧) .

(٨) سورة القصص : (٨٨) .

(٩) قال القاضي عبد الجبار في « التفسير الكبير أو المحيط » : (ص : ٢٤٦) (هذه الآية تدل على أن الجنة لم تخلق بعد ، لأنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وأن ينقطع أكلها لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ و ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ ، لكن لا ينقطع أكلها ؛ لقوله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ ، فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة .

دَوامُهُما (**ذاتاً**) فتَكُونانِ دائِمَتَيْنِ ذاتاً ، هالِكَتَيْنِ صُورةً ، أَوْ فَفَناؤُهُما لَحْظَةً (**لا يُنافِي دَوامُهُما عُرْفاً**) فلا يُسَمَّىٰ فِيهِ ٱنْقِطاعاً .

(**وَلَمْ يَرِدْ**) كِتاباً وَسُنَّةً (**مَا يُعَيِّنُ مَكَانَهُمَا**) مِنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ ، (**وَٱلْأَكْثَرُ : أَنَّ ٱلْجَنَّةَ**) فَوْقَ ٱلسَّمواتِ (**وَتَحْتَ ٱلْعَرْشِ**) بِشَهادَةِ ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ** ﴾ [١] ، (سقف ٱلجنة عرش ٱلرحمن) [٢].

(**وَٱلنَّارُ تَحْتَ ٱلْأَرَضِينَ**) : بِفَتْحِ ٱلرَّاءِ ، وَشَذَّ إِسْكَانُها ، جَمْعُ أَرْضٍ ، وَجُمِعَتْ جَمْعَ ٱلْعُقَلاءِ خَبَراً ؛ لِنَقْصِهَا بَعْدَ ظُهُورِ عَلامَةِ ٱلتَّأْنِيثِ فِيها[٣] ، هِيَ سَبْعٌ بِشَهادَةِ : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾[٤] ، ((وَمَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ ٱلْأَرْضِ ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)) [٥].

(**وَٱلْحَقُّ : ٱلتَّوَقُّفُ**) وَتَفْوِيضُ / أ ٢٠٥/ عِلْمِ ذٰلِكَ إِلَى ٱلْعَلِيمِ ٱلْخَبِيرِ .

---

(١) سورة النجم : (١٣ – ١٥) .

(٢) أحرجه البخاري في « صحيحه » : (٤ ١٦) ، (٧٩٠ ٢) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » بلفظ : ((إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)) .

(٣) ينظر : « العدة في إعراب العمدة » : (٣ ١١٦) ، و« شمس العلوم » (١ ٢٢٧) قال : (هي الأَرْضُ : وربما جمعت أَرَضِينَ ، بفتح الراء ، وفتحت الراء فرقاً بين جمع ما لا يعقل وجمع من يعقل بالنون).

(٤) سورة الطلاق : (١٢) .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٤٥٣) ، (٣ ١٣٠) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٦١٢) ، (٣ ١٢٣١) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » .



[سؤال القبر ونعيمه]

(**سُؤَالُ ٱلْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ**) وَعَذَابُهُ ؛ أَيْ : هَذَا مَبْحَثُهَا ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ مَجَازاً عَقْلِيّاً ؛ لِأَنَّهُ ظَرْفٌ لَهَا عَلَىٰ طَرِيقِ : ﴿ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾[1] و ﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[2] ؛ أَيْ : سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابُ مَنْ أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَذَابَهُ أَوْ نَعِيمَهُ فِيهِ[3] . (**حَقٌّ**) ، بِٱتِّفَاقِ أَئِمَّةِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَعُزِيَ إِنْكَارُ ذَلِكَ لِلْمُعْتَزِلَةُ .

(**قَالَ**) بَعْضُ مُتَأَخِّرِيهِمْ : حُكِيَ إِنْكَارُهُ عَنْ : ضِرَارٍ[4]، وَإِنَّمَا عُزِيَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بُرَءَآءُ مِنْهُ[5]؛ لِمُخَالَطَةِ ضِرَارٍ إِيَّاهُمْ ، وَتَبِعَهُ مِنْهُمْ سُفَهَاءُ مُعَانِدُونَ لِلْحَقِّ ٱلثَّابِتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((**إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ**) ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ إِذَا ٱنْصَرَفُوا .. (**أَتَاهُ مَلَكَانِ**) فَيُقْعِدَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا ٱلرَّجُلِ ؟ - مُحَمَّدٍ - فَأَمَّا ٱلْمُؤْمِنُ .. فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ ، فَيُقَالُ : ٱنْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَقَدْ أَبْدَلَ ٱللهُ بِهِ مَقْعَدًا فِي ٱلْجَنَّةِ .

---

(١) سورة النساء : (٣٥) .

(٢) سورة سبأ : (٣٣) .

(٣) يسمى هذا طريقة الاتساع في الظرف ، قال الزمخشري في « الكشاف » : (١ ٥٠٨) : (شِقَاقَ بَيْنِهِما أصله : شقاقا بينهما ، فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع ، كقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) وأصله : بل مكر في الليل والنهار ، أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين ، على قولهم : نهارك صائم) .

(٤) ضرار بن عمرو الغطفانيّ ، قاض من كبار المعتزلة ثم تركهم ، شيخ الضرارية ، وصنف نحو ثلاثين كتابا، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة ، توفي سنة : (١٩٠ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٥٤٤) ، و « الأعلام » : (٣ ٢١٥) .

(٥) أما : المعتزلة .. فإنهم على إثباته ؛ كما حكى ذلك عن نفسه وأسلافه القاضي عبدُ الجبار في « شرح الأصول الخمسة » (ص : ٧٣٠) حيث قال : (فصل في عذاب القبر : وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة ، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو ، وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة ، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به) .

وقال ابن حزم في « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ٥٦) : (ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني - أحد شيوخ المعتزلة - إلى إنكار عذاب القبر ، وهو قول من لقينا من الخوارج ، وذهب أهل السنة ، وبشر بن المعتزلة والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به ، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

ونسب أبو الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » : (٢ ٣١٨) (نفي عذاب القبر إلى المعتزلة والخوارج) . ونسب الملطي في « التنبيه والرد على أهل الأهواء » : (ص : ١٢٤) (إلى جهم بن صفوان إنكار عذاب القبر ومنكر ونكير) ، والراجح منها والله اعلم بالنسبة للمعتزلة حكاية القاضي عبد الجبار عن نفسه وأسلافه إذ هو أخبر بذلك وهو أعرف بمذهبه من غيره .

وَأَمَّا : ٱلْكَافِرُ وَٱلْمُنَافِقُ .. فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ ٱلنَّاسُ فِيهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا ٱلثَّقَلَيْنِ)) . [1]

وَأَصْلُ : (تَلَيْتَ) تَلَوْتُ قُلِبَتْ وَاوُهُ يَاءً ؛ لِمُزَاوَجَةِ دَرَيْتَ بِوُقُوعِهِ[2] فِي صُحْبَتِهِ ؛ أَيْ : لَا قَرَأْتَ دُعَاءً عَلَيْهِ [3]، وَرِوَايَةُ ٱلتِّرْمِذِيِّ : ((يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : ٱلْمُنْكَرُ ، وَلِلآخَرِ : ٱلنَّكِيرُ)) [4] وَٱلْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ : ((أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ)) . [5]

وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ : ((**أَنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ**) ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)) ؛ أَيْ : عِنْدَهُمَا ثُمَّ قَالَ ؛ أَيْ : رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((بلى)) ؛ أَيْ : يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ عِنْدَ ٱللهِ : ((أَمَّا أَحَدُهُمَا .. فَكَانَ يَمْشِي بِٱلنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا ٱلآخَرُ .. فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ)) . [6]

وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((**ٱلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ ٱلنَّارِ**)) [7] ، ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ . . عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ /ب ٢٠٥/ فَمِنَ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ فَمِنَ ٱلنَّارِ ، يُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)) [8] إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَوَاتَرَ مَعْنًى ؛ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي آلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ أَيْ : فِي قُبُورِهِمْ قَبْلَ ٱلْقِيَامَةِ ؛

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (١٣٧٤) ، (٢ ٩٨) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٨٧٠) ، (٤ ٢٢٠٠) عن سيدنا انس بن مالك « رضي الله عنه » واللفظ للبخاري .

(٢) في (ب) (لوقوعه) .

(٣) ينظر : « تاج العروس » : (٣٧ ٩١) (٣٧ ٢٥٥) قال : (و في حديث منكر ونكير : (لا دريت ولا تليت) ، هكذا يرويه المحدثون ، وأصله (تلوت) ، وإنما قال : تليت اتباعا لدريت ، قيل : أصله لا تلوت فقلبت للمزاوجة .

(٤) سنن الترمذي : (١٠٧١) ، (٢ ٣٧٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » . وقال عنه : « حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » .

(٥) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في « الأوسط » : (٤٦٢٩) ، (٥ ٤٤) وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » : بلفظ : « فَيُرَدُّ إِلَى مَضْجَعِهِ فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ ، وَنَكِيرٌ » (١ ٦١٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه» وقال عنه : صحيح الإسناد .

(٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢١٨) ، (١ ٥٣) ومسلم في « صحيحه » : (٢٩٢) ، (١ ٢٤٠) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما» .

(٧) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٤٦٠) ، (٤ ٢٢٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » وقال عنه : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ » .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (١٣٧٩) ، (٢ ٩٩) ومسلم في « صحيحه » : (٢٨٦٦) ، (٤ ٢١٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما» .وفيهما بدل : (يبعثه) (يبعثك) .

بِشَهَادَةِ : مَا عُطِف عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] وَفِي قَوْمِ نُوحٍ : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ ﴾ أَيْ : بِٱلطُّوفَانِ : ﴿ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾[2] أَيْ : عُذِّبُوا بِٱلْإِحْرَاقِ بَعْدَ ٱلْإِغْرَاقِ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ ، أَوْ بِنَوْعٍ مِنَ ٱلنِّيرَانِ فِي قُبُورِهِمْ ، بِشَهَادَةِ : ٱلْفَاءِ ، وَقُدِّمَ ٱلظَّرْفُ ؛ تَلْوِيحاً بِأَنَّ إِغْرَاقَهُمْ وَإِدْخَالَهُمْ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاهُمْ ، وَزِيدَتْ : ﴿ ما ﴾ ؛ تَأْكِيداً وَتَفْخِيماً[3].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[4] مِنْ تَوْفِيقٍ وَشَهَادَةٍ وَكَرَامَةٍ وَتَفْضِيلٍ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ بِكَوْنِهِمْ أَحْيَاءً مُقَرَّبِينَ ذَوِي زُلْفَىٰ ؛ مُعَجَّلاً لَهُمْ رِزْقُ ٱلْجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا قَبْلَ دُخُولِهَا ، قَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ . . جَعَلَ ٱللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تدور فِي أَنْهَارِ ٱلْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ[5] ٱلْعَرْشِ))[6] .

(وَ) قَدْ تَمَسَّكَ مُنْكِرُهَا عَقْلاً ؛ بِأَنَّ ٱللَّذَّةَ ، وَٱلْأَلَمَ ، وَٱلسُّؤَالَ ، وَٱلتَّكَلُّمَ لَا يُتَصَوَّرُ بِدُونِ عِلْمٍ وَحَيَاةٍ ، وَلَا حَيَاةَ مَعَ فَسَادِ ٱلْبِنْيَةِ وَٱلْمِزَاجِ .

وَلَوْ سُلِّمَ : فَٱلْمَيِّتُ رُبَّمَا دُفِنَ فِي لَحْدٍ ضَيِّقٍ ، أَوْ صُنْدُوقٍ لَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ جُلُوسٌ ، وَرُبَّمَا أَكَلَهُ سَبُعٌ ، أَوْ طَيْرٌ ، أَوْ غَيْرُهُ[7] ، وَلَا نَرَىٰ حَرَكَةً وَلَا تَكَلُّماً ، وَلَا أَثَرَ لَذَّةٍ أَوْ أَلَمٍ ، فَكَيْفَ تُعْقَلُ حَيَاتُهُ وَسُؤَالُهُ وَجَوَابُهُ وَنَعِيمُهُ فَتَجْوِيزُهَا سَفْسَطَةٌ[8] .

(**قُلْنَا**) : **إِجْمَالاً** : جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُمُ ٱسْتِبْعَادَاتٌ لَا تَنْفِي إِمْكَانَهَا ؛ كَخَوَارِقِ ٱلْعَادَاتِ فَإِنَّهَا مَقْدُورَةٌ للهِ تَعَالَىٰ غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ ، وَقَدْ وَرَدَ بِهَا عَنِ ٱلصَّادِقِ أَخْبَارٌ تَوَاتَرَ مَعْنَاهَا ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ قَبِيلِ

---

(١) سورة غافر : (٤٦) .

(٢) سورة سيدنا نوح « عليه السلام »: (٢٥) .

(٣) ينظر : « الكشاف » : (٤ ٦٢٠) ، و « مفاتيح الغيب » : (٣٠ ٦٥٩) .

(٤) سورة ال عمران : (١٦٩ -١٧٠) .

(٥) في (ب) (اصل) .

(٦) أخرجه أبو داوود في « سننه » : (٢٥٢٠) ، (٣ ١٥٣) والحاكم في « المستدرك » : (٢٤٤٤) ، (٢ ٩٧) والبيهقي في « السنن الكبرى » : (١٨٥٢٠) ، (٩ ٢٧٥) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، و وافقه الذهبي في التعليق .

(٧) في (ب) (او امر من قدرته الرياح وربما راينا مطلوبا او مقتولا او غيره) .

(٨) السَّفسطة : هي قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة . ينظر : « التعريفات » : (ص: ٢٥٥) .

ٱلْآحَادِ . . فَوَجَبَ ٱلتَّصْدِيقُ بِهَا .

وَتَفْصِيلاً : إِنَّمَا يَكُونُ تَجْوِيزُهَا سَفْسَطَةً مَا لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا دَلِيلٌ ، وَلَمْ يُخْبِرْ بِهَا ٱلصَّادِقُ ، فَإِذاً (**لَا يَبْعُدُ** / أ ٢٠٦/ **أَنْ لَا يَرَىٰ نَاظِرُ مَيِّتٍ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ**) مِنْ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِهِ ؛ كَمَنْ نَامَ ، أَوْ أُسْكِتَ ، فَإِنَّهُ سَاكِنٌ ظَاهِراً وَيُدْرِكُ مِنَ ٱلْأَلَمِ وَٱللَّذَّةِ مَا يَحُسُّ بِهِ عِنْدَ إِفَاقَتِهِ وَلَا نَرَاهُ ، وَكَرُؤْيَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » جِبْرِيلَ ، وَسَمَاعِ كُلٍّ مِنْهُمَا كَلَامَ ٱلآخَرِ خِطَاباً وَجَوَاباً ، وَلَا شُعُورَ لِمَنْ عِنْدَهُ بِهِ رُؤْيَةً وَإِدْرَاكاً وَسَمَاعاً ؛ لِأَنَّهَا بِخَلقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَإِذَا لَمْ يَخْلُقْهُ لِأَحَدٍ لَا يَكُونُ لَهُ .

فَإِنْكَارُ سُؤَالِهِمَا ٱلْمَيِّتَ ، وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ لِعَدَمِ رُؤْيَتِهِ . . يُؤْذِنُ بِإِنْكَارِ رُؤْيَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَسَمَاعِ كُلٍّ كَلَامَ ٱلآخَرِ ، وَهُوَ كُفْرٌ .

(**وَ**) لَا يَبْعُدُ أَيْضاً أَنْ (**يُوَسِّعَ ٱللهُ**) تَعَالَىٰ (**لَحْدَهُ**) ، أَوْ صُنْدُوقَهُ بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ ٱلْجُلُوسُ فِيهِ .

(**وَلَا**) نُسَلِّمُ أَنَّهُ لَا حَيَاةَ بِلَا بِنْيَةٍ ؛ إِذْ لَيْسَتْ مَشْرُوطَةً بِهَا ، وَلَوْ سُلِّمَ فَيَجُوزُ (**أَنْ يُبْقِيَ**) ٱللهُ تَعَالَىٰ (**مِمَّنْ أُحْرِقَ**) فَصَارَ رَمَاداً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ ، (**أَوْ أُكِلَ**) وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ فِي حَوَاصِلِ ٱلطُّيُورِ ، وَبُطُونِ ٱلسِّبَاعِ وَغَيْرِهَا مَا يَصْلُحُ بِنْيَةً (**تَقُومُ بِهِ حَيَاةٌ قَدَرَ مَا**) يَفْهَمُ بِهِ ٱلْخَطَابَ ، وَيَرُدُّ ٱلْجَوَابَ .

(**وَيَأْلَمُ وَيَلْتَذُّ**) بِٱتِّفَاقِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ ، وَشَهَادَةِ مَا وَرَدَ مُؤْذِناً بِهِ.

(**وَمَا**) جَوَّزَهُ ٱبْنُ جَرِيرٍ[1] مِنَّا ، وَٱلصَّالِحِيَّةُ[2] مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ مِنْ تَعْذِيبِهِ بِدُونِ حَيَاةٍ[3]، وَمَا قَالَهُ ٱبْنُ ٱلرَّاوَنْدِيِّ[4] مِنْ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ مَيِّتٍ ؛ لِأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَيْسَ ضِدّاً لِلْحَيَاةِ بَلْ آفَةً كُلِّيَّةً مُعْجِزَةً

---

(١) **الطبري** : الإمام ، العلم ، المجتهد ، عالم العصر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، المؤرخ المفسر ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة : (٣١٠ هـ) له مصنفات منها : « أخبار الرسل والملوك » ، و « جامع البيان في تفسير القرآن » ، و « اختلاف الفقهاء» . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٤ ٢٦٧) ، و « الأعلام » : (٦ ٦٩) .

(٢) **الصالحية** : أصحاب صالح بن عمر الصالحي ، جمعوا بين القدر والإرجاء ، وهم من فرق المعتزلة .ينظر : « الملل والنحل » : (١ ١٤٥) .

(٣) ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (٢ ٤١١) ، و « المواقف » : (٥١٩٣) ، و « شرح المقاصد » (٥ ١١٦) ، و « الروح » : (ص : ٥٨) : قال الايجي : (ما ذهب إليه الصالحي من المعتزلة وابن جرير الطبري وطائفة من الكرامية من تجويز ذلك التعذيب على الموتى من غير إحياء فخروج عن المعقول لأن الجماد لا حس له فكيف يتصورتعذيبه) .

(٤) **الرَّاوَنْدي** : أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبو الحسين الراونديّ ، أو ابن الراونديّ ، فيلسوف ، كان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا ، من سكان بغداد ، نسبته إلى (راوند) من قرى أصبهان توفي سنة (٢٩٨ هـ) له نحو ١١٤ كتابا ، منها : « فضيحة المعتزلة» ، و « التاج » ، و « والزمرد » وغيرها . **تنظر** : « الوافي بالوفيات » :(٨ ١٥١) ، و « الأعلام » : (١ ٢٦٧) .

عَنِ ٱلْأَفْعَالِ ٱلإِخْتِيَارِيَّةِ [غَيْرَ] [1] مُنَافِيَةٍ لِلْعِلْمِ . . فَبَاطِلٌ ، لَا يُوَافِقُ أُصُولَ أَهْلِ ٱلْحَقِّ [2].

(**وَمَا جَاءَ ظَاهِرُهُ**) فِي أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِهِ (**إِمَاتَةُ ٱلدُّنْيَا ، وَإِحْيَاءُ ٱلْحَشْرِ**) مِثْلُ : ﴿ **وَكُنتُمْ** ﴾؛ أَيْ : فِي أَطْوَارِ ٱلنُّطَفِ : ﴿ **أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾[3] ، ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾[4] .

(**لَا يَنْفِيهَا**) ؛ أَيْ : حَيَاةَ ٱلْقَبْرِ لِإِمْكَانِ حَمْلِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْإِمَاتَةِ وَٱلْإِحْيَاءِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا يَقَعُ بَعْدَ حَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْإِمَاتَةِ فِيهَا ، ثُمَّ ٱلْإِحْيَاءِ فِي ٱلْقَبْرِ لِلسُّؤَالِ ، ثُمَّ ٱلْإِمَاتَةِ فِيهِ ، ثُمَّ ٱلْإِحْيَاءِ لِلْحَشْرِ ؛ إِذْ لَا دَلَالَةَ لِلْفِعْلِ عَلَىٰ ٱلْمَرَّةِ ، عَلَىٰ أَنَّ ٱلْمُرَادَ .. إِحْيَاءٌ يَعْقُبُهُ مَعْرِفَةٌ ضَرُورِيَّةٌ بِهِ تَعَالَىٰ ، وَٱعْتِرَافٌ بِٱلذُّنُوبِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لِأُنْمُوذَجِ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ ٱتِّفَاقاً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا** ﴾[5] فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ / ب٢٠٦/ بِأَحَدِ ٱلْإِحْيَائَيْنِ .. ٱلْإِحْيَاءَ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ إِذْ لَمْ يَكُونُوا مُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ فِيهَا ، أَوْ لِجَوَازِ أَنْ يُرَادَ بَعْدَ خَلْقِهِمْ فِي أَطْوَارِ ٱلنُّطَفِ : ﴿ **أَمْوَٰتًا** ﴾ إِحْيَاءُ ٱلدُّنْيَا وَإِحْيَاءُ ٱلْقَبْرِ ، أَوْ إِحْيَاءُ ٱلْحَشْرِ ، وَسَكَتَ عَنِ ٱلْآخَرِ ؛ لِخَفَاءِ أَمْرِهِ وَضَعْفِ أَثَرِهِ أَوْ لِظُهُورِهِ مُشَاهَداً مُعَايَناً .

وَأَمَّا : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ ﴾[6] وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَنْ لَا مَوْتَ بَعْدَ مَوْتَةِ ٱلدُّنْيَا ، وَأَنْ لَا حَيَاةَ فِي ٱلْقَبْرِ .. فَلَا يَنْفِيهَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ ٱلْوَاحِدِ لَا يَنْفِي وُجُودَ ثَانٍ وَثَالِثٍ عَلَىٰ أَنَّهُ إِنَّمَا وَرَدَ مُبَالَغَةً [7] فِيهَا ، إِلَّا إِذَا أَمْكَنَ ذَوْقُهُمُ ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ ، أَوْ لَوْ أَمْكَنَ لَكَانَتِ

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) ينظر : « تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام » : (ص : ٢٧٩) ، و « حاشية العطار على جمع الجوامع » : (٢ ٤٨٣) ، و « شرح المقاصد » (٥ ١١٦) .

(٣) سورة البقرة : (٢٨) .

(٤) سورة غافر : (١١) .

(٥) سورة غافر : (١١) .

(٦) سورة الدخان : (٥٦) .

(٧) في (ب) (في امتناع الموت في الجنة وتأكيدا لعدم انقطاع نعيمها به أي لا يذقون فيها) .

ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعاً [1]؛ بِمَعْنَىٰ لَكِنْ ذَاقُوهَا فِي ٱلدُّنْيَا .

وَكَذَا : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[2] لَا يَنْفِيهَا ؛ لِوُرُودِهِ تَمْثِيلاً بِحَالِ[3] ٱلْكَفَرَةِ لِعَدَمِ قَبُولِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ بِحَالِ ٱلْمَوْتَىٰ ، وَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ ٱلْمَيِّتَ نَفْسَهُ لَا يَسْمَعُ .

(**وَفِي كَوْنِهَا**) ؛ أَيْ : حَيَاةُ ٱلْقَبْرِ (**بِإِعَادَةِ ٱلرُّوحِ**) إِلَى ٱلْمَيِّتِ بِٱلْحَالَةِ ٱلَّتِي يُسَمَّىٰ زَوَالُهَا مَوْتاً ، لِلْأَشْعَرِيَّةِ وَٱلْمَاتُرِيدِيَّةِ (**تَرَدُّدٌ**) فَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ تَلَازُمَهُمَا عَقْلاً لَا عَادَةً ، إِذْ قَدْ تُوجَدُ بِدُونِهَا خَرْقاً لِلْعَادَةِ مَعَ ٱتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يَخْلُقُ فِيهِ قُدْرَةً وَلَا فِعْلاً إِخْتِيَارِيّاً ، وَلِهَذَا لَا تُعْرَفُ حَيَاتُهُ ؛ كَمَنْ أَصَابَتْهُ سَكْتَةٌ [4].

وَٱسْتُشْكِلَ بِجَوَابِهِ لِلْمَلَكَيْنِ ، وَلَا إِشْكَالَ ، أَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ فِيهِ حَيَاةً بِلَا رُوحٍ !؟ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ فِيهِ مَا يَكُونُ جَوَاباً بِلَا ٱخْتِيَارٍ ، إِذْ أُمُورُ ٱلْبَرْزَخِ عَلَىٰ خِلَافِ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا.

وَمَا تُوهِّمَ مِنِ ٱمْتِنَاعِهَا بِلَا رُوحٍ . . مَمْنُوعٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْكَامِلَةِ ٱلَّتِي تَكُونُ مَعَهَا ٱلْقُدْرَةُ وَٱلْأَفْعَالُ ٱلِاخْتِيَارِيَّةُ .

وَمِنَ ٱلْمَاتُرِيدِيَّةِ مَنْ قَالَ : هِيَ بِإِعَادَةِ ٱلرُّوحِ بِحَيْثُ يَفْهَمُ ٱلْخِطَابَ وَيَرُدُّ ٱلْجَوَابَ [5]، وَيَأْلَمُ وَيَلْتَذُّ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا صَارَ تُرَاباً تَكُونُ رُوحُهُ مُتَصِلَةً بِتُرَابِهِ فَيَتَأَلَّمَانِ جَمِيعاً ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَائِلاً بِتَجَرُّدِهَا وَجِسْمَانِيَّتِهَا ، أَوْ بِأَنَّهَا جِسْمٌ لَطِيفٌ / أ ٢٠٧/ سَارٍ فِي ٱلْبَدَنِ عَلَىٰ مَا مَرَّ .

---

(١) **الاستثناء المنقطع** : هو ما لم يكن فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه ، قال القرطبي في « تفسيره » : (١٦ ١٥٤) (قوله تعالى : ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أي : لا يذوقون فيها الموت البتة ؛ لأنهم خالدون فيها ، ثم قال : ﴿إلا الموتة الأولى﴾ على الاستثناء المنقطع ، أي : لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا) ، قال الزمخشري في « الكشاف » : (٤ ٢٨٣) : (فإن قلت : كيف استثنيت الموتة الأولى - المذوقة قبل دخول الجنة - من الموت المنفي ذوقه فيها ؟ قلت : أريد أن يقال : لا يذوقون فيها الموت البتة ، فوضع قوله : ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى﴾ موضع ذلك ؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل ، فهو من باب التعليق بالمحال) .

(٢) سورة فاطر : (٢٢) .

(٣) في (ب) (لحال) .

(٤) ينظر : « المسايرة » : (ص : ١٤٨) ، و « المواقف » : (٣ ٥١٦) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١١٧) ، و « شرح المواقف » : (٨ ٣٤٥) .

(٥) هو الكمال بن الهمام قال في « المسايرة » : (ص : ١٤٦) : (فيجب التصديق به ، وغاية ما يقتضى إعادة الحياة إلى الجزء الذي به يفهم الخطاب ، ورد الجواب) .

(وَلَا) يَعْزُبُ عَنْكَ أَنَّ مُرَادَهُ بِٱلتُّرَابِ . . أَجْزَاءُ بَدَنِهِ ٱلصِّغَارُ ، وَأَنَّهُ يَكْفِي ٱتِّصَالُهَا بِقَدَرٍ مِنْهَا يُدْرِكُ بِهِ ٱللَّذَّةَ وَٱلْأَلَمَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَ ٱلتَّصْدِيقَ بِذَلِكَ ، وَتَوَقَّفَ فِي كَيْفِيَّتِهِ مُفَوِّضاً عِلْمَهَا إِلَى ٱلْعَلِيمِ ٱلْخَبِيرِ .

(**وَلَا يُسْئَلُ نَبِيٌّ**) فِي قَبْرِهِ ، وَهُوَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ ٱلنَّفْيِ . . فَيَعُمُّ كُلَّ نَبِيٍّ لِشَرَفِ مَقَامِهِمْ ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِمْ ، وَلِمَا وَرَدَ شَاهِداً : ((بِأَنَّ صَالِحِي ٱلْأُمَّةِ يَأْمَنُ فِتْنَةَ ٱلْقَبْرِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ)) ، فَمَنْ رَابَطَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يَوْماً وَلَيْلَةً ؛ لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ : ((رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ٱلَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ ٱلْفَتَّانَ))[1] .. فَهُمْ « صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلِيهِمْ » أَوْلَىٰ ، مَعَ ٱلْقَطْعِ لَهُمْ بِٱلسَّعَادَةِ ٱلْعُظْمَىٰ ، وَٱلسِّيَادَةِ ٱلْحُسْنَىٰ .

وَلَا يُسْئَلُ أَيْضاً فِيهِ (**شَهِيدٌ**) ؛ لِحَدِيثِ ٱلنَّسَائِيِّ : ((أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا بَالُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا ٱلشَّهِيدَ !؟ فَقَالَ : كَفَىٰ بِبَارِقَةِ ٱلسُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً))[2]

وَلَا يُسْئَلُ أَيْضاً فِيهِ (**طِفْلٌ وَلَوْ**) كَانَ ٱلطِّفْلُ ٱبْناً (**لِكَافِرٍ**) وَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، كَمَا سَيَأْتِي ؛ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ ؛ إِذْ لَا يُعَذِّبُ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَحَداً بِلَا ذَنْبٍ ، وَلِحَدِيثِ : رُؤْيَةِ إِبْرَاهِيمَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لَيْلَةَ ٱلْمِعْرَاجِ وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ ٱلنَّاسِ[3] .

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ ﴾[4] أَيْ : خَلَقَهُمْ قَابِلِينَ لِلْحَقِّ ، مُتَمَكِّنِينَ مِنْ إِدْرَاكِهِ ، غَيْرَ نَابِينَ عَنْهُ ، وَلَوْ تُرِكُوا وَمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ لَعَادَهُمْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ غَوَىٰ مِنْهُمْ فَبِإِغْوَاءِ شَيَاطِينِ ٱلْأَنْسِ وَٱلْجِنِّ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ : ((كُلُّ عِبَادِي خَلَقْتُ حُنَفَاءَ فَٱجْتَالَتْهُمُ ٱلشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي غَيْرِي))[5] ؛ أَيِ : ٱسْتَخَفَّتْهُمْ فَجَالُوا مَعَهُمْ فِي ٱلضَّلَالِ ، وَرُوِيَ بِٱلْحَاءِ ؛ أَيْ : نَقَلَتْهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ

---

(١) صحيح مسلم : (١٩١٣) ، (٣ ١٥٢٠٣) عن سيدنا سلمان الفارسي « رضي الله عنه » . وفيه بدل : (وَمَنْ مَاتَ) ، (وَإِنْ مَاتَ) .

(٢) سنن النسائي : (٢٠٥٣) ، (٤ ٩٩) .

(٣) أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (١٣٨٦) ، (٢ ١٠٠) عن سيدنا سمرة بن جندب « رضي الله عنه » من حديث طويل قال فيه : ((والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم « عليه السلام » ، والصبيان حوله ، فأولاد الناس)) .

(٤) سورة الروم : (٣٠) .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٨٦٥) ، (٤ ٢١٩٧) بلفظ : « وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي » عن سيدنا عياض بن حمار « رضي الله عنه » .

حَالٍ ، وَٱلْمَشْهُورُ بِٱلْجِيمِ ، وَحَدِيثِ : ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ ٱلْفِطْرَةِ فَأبَوَاهُ يُهَوِدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)) [(١)] .

وَقِيلَ : أَطْفَالُ ٱلْكُفَّارِ فِي ٱلنَّارِ ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ حُكْماً ؛ وَلِقَوْلِهِ/ب ٢٠٧/ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُمْ : ((ٱللهُ أَعْلَمُ ؛ إِذْ خَلَقَهُمْ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ)) [(٢)] ، وَذُكِرَ لَهُ أَنَّهُمْ يَبِيتُونَ فَيُصَابُ ذَرَارِيهِمْ وَأَطْفَالَهِمْ ، فَقَالَ : ((هُمْ مِنْهُمْ أَوْ هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ)) [(٣)] .

وَتَوَقَّفَ فِي حُكْمِهِمْ أَبُو حَنِيفَةَ [(٤)] وَغَيْرُهُ ؛ لِتَعَارُضِ ظَاهِرِ مَا وَرَدَ فِيهِمْ وَفَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ حُكْمِهِمْ فِي ٱلآخِرَةِ لَيْسَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ ٱلدِّينِ ، وَلَمْ يَرِدْ بِهِ قَاطِعٌ .

بَلْ نُقِلَ ٱلْأَمْرُ بِٱلْإِمْسَاكِ عَنِ ٱلْكَلَامِ فِي حُكْمِ ٱلْأَطْفَالِ فِي ٱلآخِرَةِ مُطْلَقاً عَنِ ٱلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ [(٥)] ،

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (١٣٨٥) ، (٢ ١٠٠) بهذا اللفظ ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٦٥٨) ، (٤ ٢٠٤٧) بلفظ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ » عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (١٣٨٤) ، (٢ ١٠٠) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٦٥٨) ، (٤ ٢٠٤٨) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٠١٢ – ٣٠١٣) ، (٤ ٦١) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٧٤٥) ، (٣ ١٣٦٤) عن سيدنا الصعب بن جثامة « رضي الله عنه » .

(٤) **أبو حنيفة** : النعمان بن ثابت ، الكوفي ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء توفي في بغداد سنة (١٥٠ هـ) له « مسند » في الحديث و « المخارج » ، « رسالة الفقه الأكبر » ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٦ ٣٩٠) ، و « الأعلام » : (٨ ٣٦) .

(٥) **القاسم بن محمد** : بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد ، القدوة ، الحافظ ، الحجة ، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ولد فيها ، ، وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجا أو معتمرا سنة (١٠٧ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٥ ٥٣) ، « الأعلام » : (٥ ١٨١) .

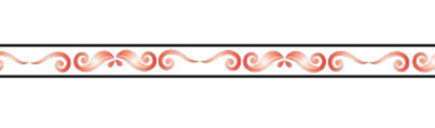
وَعُرْوَةَ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ[1] مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ ٱلسَّبْعَةِ[2] مِنَ ٱلتَّابِعِينَ [3]

---

(١) **عُرْوَة بن الزبير** : بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالما بالدين ، صالحا كريما ، لم يدخل في شئ من الفتن ، وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها توفي سنة : (٩٣هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٤٢١) ، و « الأعلام » : (٤ ٢٢٦) .

(٢) الفقهاء السبعة هم : سعيد بن المسيب (٩٤ هـ) ، عروة بن الزبير(٩٤ هـ) ، أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث (٩٤ هـ) ، عبدالله بن عبدالله بن عتيبة بن مسعود (٩٨ هـ) ، خارجة بن زيد بن ثابت (٩٩ هـ) ، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١٠٧ هـ) ، سليمان بن يسار (١٠٧هـ) .

(٣) قال ابن الهمام في « المسايرة » : (ص : ١٤٩) : (وقد اختلف في سؤال أطفال المشركين وفي دخولهم الجنة أو النار، فتردد فيهم أبو حنيفة وغيره ، وقد وردت فيهم أخبار متعارضة فالسبيل تفويض أمرهم إلى الله – تعالى ، وقال محمد بن الحسن : اعلم أن الله لا يعذب أحدا بلا ذنب) وقال تلميذه ابن أبي شريف في : « المسامرة » (ص : ١٢١ – ١٢٢) : (وقد نقل الأمر بالإمساك عن الكلام في حكمهم في الآخرة مطلقا عن القاسم بن محمد وعروة بن الزبير من رءوس التابعين وغيرهما ، وقد ضعف أبو البركات النسفي روايةَ التوقف عن أبي حنيفة وقال : الرواية الصحيحة عنه أنهم في المشيئة لظاهر الحديث الصحيح : ((الله أعلم بما كانوا عاملين)) وقد حكى فيهم الإمام النووي ثلاثة مذاهب في « شرحه على صحيح مسلم » : (١٦ ٢٠٧) فقال : (وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الأكثرون : هم في النار تبعا لآبائهم ، وتوقفت طائفة فيهم ، والثالث : وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل « صلى الله عليه وسلم » حين رآه النبي « صلى الله عليه وسلم » في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله : وأولاد المشركين قال : وأولاد المشركين) .



[الحساب]

(وَمَا وَرَدَ بِهِ) ٱلسَّمْعُ مِنْ أَحْوَالِ ٱلْقِيَامَةِ ؛ (كَٱلْحِسَابِ) ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] ، [(حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا)[2] مَعَ ٱلْإِجْمَاعِ عَلَىٰ تَسْمِيَةِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ][3] .

(وَأَهْوَالِهِ) :

هَوْلِ ٱلْوُقُوفِ ، قِيلَ : أَلْفُ سَنَةٍ ، أَوْ خَمْسُونَ أَلْفاً ، أَوْ أَكْثَرُ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[4] ، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[5] .

وَهَوْلِ تَطَايُرِ ٱلْكُتُبِ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[6] ، ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[7] .

وَهَوْلِ ٱلْمَسْأَلَةِ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[8] ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[9] .

وَهَوْلِ شَهَادَةِ ٱلْجَوَارِحِ وَغَيْرِهَا ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴾[10] ، ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[11] .

---

(١) سورة غافر : (١٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢١٩٤) قال : يُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، قَالَ : (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا) .

(٣) في (ب) (سقطت) .

(٤) سورة فصلت : (٢٤) .

(٥) سورة النبأ : (٣٨) .

(٦) سورة الإنشقاق : (٧ - ٨) .

(٧) سورة الإسراء : (١٣) .

(٨) سورة الصافات : (٢٤) .

(٩) سورة الحجر : (٩٢) .

(١٠) سورة النور : (٢٤) سورة فصلت : (٢٠) .

(١١) سورة ق : (٢١) .

وَقَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((مَا مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَأْتِي عَلَىٰ ٱبْنِ آدَمَ إِلَّا قَالَ : أَنَا لَيْلٌ جَدِيدٌ ، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ))[1] وَكَذَا قَالَ : ((فِي ٱلْيَوْمِ)) .

وَهَوْلِ تَغَيُّرِ ٱلْأَلْوَانِ : قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[2] ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[3] / أ ٢٠٨ / .

وَهَوْلِ ٱلْمُنَادَاةِ بِٱلسَّعَادَةِ وَٱلشَّقَاوَةِ : قَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((يَكُونُ عِنْدَ كُلِّ كَفَّةِ مِيزَانٍ مَلَكٌ ، فَإِذَا رَجَحَتْ كَفَّةُ ٱلْخَيْرِ نَادَىٰ أَلَا إِنَّ فُلَاناً سَعِدَ سَعَادَةً لَا شَقَاوَةَ بَعْدَهَا أَبَداً ، وَإِذَا رَجَحَتِ ٱلْكَفَّةُ ٱلْأُخْرَىٰ نَادَى ٱلآخَرُ أَلَا إِنَّ فُلَاناً شَقِيَ ٱلْيَوْمَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا))[4] .

---

(١) أخرجه ابو نعيم في « الحلية » : (٢ ٣٠٣) عن معقل بن يسار « رحمه الله » .

(٢) سورة ال عمران : (١٠٦) .

(٣) سورة عبس : (٣٨ – ٤١) .

(٤) أخرجه البزار في « مسنده » : (٦٩٤٢) ، (١٣ ٣٣٠) ، والبيهقي في « البعث والنشور » : (٣٦٩) ، (ص ٢٨٣) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » وقال البوصيري في « إتحاف الخيرة المهرة » : (٨ ١٦١) : رواه الحارث والبزار ، ومدار إسناديهما على صالح المري ، وهو ضعيف .

[الميزان]

(وَٱلْمِيزَانُ) ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾[1] ، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[2] .

وَحَدِيثِ ٱلْبِطَاقَةِ وَٱلسِّجِلَاتِ : [3] ((وَثَقُلَتِ ٱلْبِطَاقَةُ))[4] وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ شَاهِداً بِهَا ؛ (**لِيَعْلَمَ مِقْدَارَ ٱلْعَمَلِ**) صَالِحاً ، أَوْ سَيِّئاً (**وَأَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِهِ**) صَاحِبُهُ إِذْ قَدْ وَرَدَ : (ٱلنَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْراً .. فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَراً .. فَشَرٌ)[5] .

(**عَدْلاً**) مِنْهُ تَعَالَىٰ فِي ٱلْعِقَابِ ، (**وَفَضْلاً**) فِي ٱلْعَفْوِ وَتَضْعِيفِ ٱلثَّوَابِ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَيْضاً (**مَرْتَبَةَ ٱلْكَامِلِ**) زِيَادَةً فِي لَذَّتِهِ وَمَسَرَّتِهِ (**وَ**) مَرْتَبَةَ (**ٱلنَّاقِصِ**) زِيَادَةً فِي حُزْنِهِ وَفَضِيحَتِهِ .

---

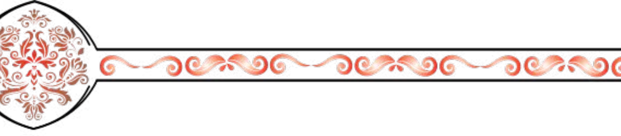
(١) سورة الأعراف : (٨ - ٩) .

(٢) سورة القارعة : (٦ - ٩) .

(٣) في (ب) (فان فيه فوضعت السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات) .

(٤) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٦٣٩) ، (٤ ٣٢١) والإمام أحمد في « مسنده » : (٦٩٩٤) ، (١١ ٥٧٠) والحاكم في « المستدرك » (٩) ، (١ ٤٦) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه » . قال الترمذي : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » .

(٥) ذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » : (ص : ٢٨٢) وقال عنه : (ووقع في كتب النحاة ؛ كشروح الألفية وتوضيحها : (الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر) ، وقد أخرجه ابن جرير في « تفسيره » عن ابن عباس موقوفاً. وفي « أسنى المطالب » :(ص: ٣٠٩) : (النَّاس مجزيون بأعمالهم ، إن خيرا .. فَخير ، وَإِن شرا .. فشر) لَيْسَ بِحَدِيث ، وَقَول النَّحْوِيين : إِنَّه حَدِيث غلط) .



[الحوض]

(وَٱلْحَوْضُ) ؛ بِشَهَادَةِ : ((حَوْضِي مَسِيرُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ ٱللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ ٱلسَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَداً)) رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ(١) .

وَلَهُمَا : ((حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، أَبْيَضُ مِنَ ٱلْوَرَقِ))(٢) .

وَلَهُمَا : ((مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ(٣) وَٱلْمَدِينَةِ))(٤) .

وَلَهُمَا : ((مِثْلُ مَا بَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ))(٥) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ ثَانِيهِ قَرْيَةٌ بِٱلْأَرْدُنِ(٦).

وَلَهُمَا : ((مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ))(٧) ، فَـ ((جَرْبَاءُ)) : بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ ، فَمُوَحَّدَةٍ مِنْ تَحْتُ مَمْدُودَةٍ(٨)، وَ ((أَذْرُحَ)) بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَذَالٍ مُعْجَمَةٍ ، فَرَاءٍ مَضْمُومَةٍ ، فَحَاءٍ مُهْمَلَةٍ(٩): قَرْيَتَانِ بِٱلشَّامِ بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ .

---

(١) صحيح البخاري : (٦٥٧٩) ، (٨ ١١٩) ، صحيح مسلم : (٢٢٩٢) ، (٤ ١٧٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه » .

(٢) صحيح مسلم : (٢٢٩٢) ، (٤ ١٧٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه » .

(٣) **صنعاء** : هي العاصمة السياسية لليمن ، وعاصمة إقليم أزال وواحدة من أقدم المدن المأهولة باستمرار ولها تاريخ من القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل ، تقع في وسط البلاد في منطقة جبلية عالية على جبال السروات ، ترتفع عن سطح البحر ٢٣٠٠ متر . ينظر : « معجم البلدان » : (٣ ٤٢٦) .

(٤) صحيح البخاري : (٦٥٩١) ، (٨ ١٢١) عن سيدنا حارثة بن وهب « رضي الله عنه » ، صحيح مسلم : (٢٣٠٣) ، (٤ ١٨٠١) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٥) صحيح مسلم : (٢٣٠١) ، (٤ ١٧٩٩) عن سيدنا ثوبان « رضي الله عنه » .

(٦) **الأُرْدُنّ** : بالضم ثم السكون ، وضم الدال المهملة ، وتشديد النون ، وعمّان عاصمتها ، و هي دولة عربية تقع في جنوب غرب آسيا ، تتوسط الشرق الأوسط بوقوعها في الجزء الجنوبي من منطقة بلاد الشام ، والشمالي لمنطقة شبه الجزيرة العربية. ينظر :« معجم البلدان (١ ١٤٧) .

(٧) صحيح البخاري : (٦٥٧٧) ، (٨ ١١٩) صحيح مسلم : (٢٢٩٩) ، (٤ ١٧٩٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنه » .

(٨) قرية بالشام ، ينظر : « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع » : (٢ ٣٧٤) .

(٩) ينظر : « معجم البلدان » : (١ ١٢٩) ، « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع » : (١ ١٣٠) .

وَلِمُسْلِمٍ : ((عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ [1])) [2] وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ بِثُبُوتِهِ مُخْتَلِفاً فِي تَقْدِيرِهِ ، وَجُمِعَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ وَصْفَهُ بِذَلِكَ/ ب٢٠٨/ كَانَ لِكُلٍّ بِمَا يُعْرَفُ مِنْ بُعْدِ ٱلْمَسَافَةِ ، أَوْ مُبَالَغَةٍ فِي سَعَتِهِ جِدّاً ، وَلَيْسَ كَحِيَاضِ ٱلدُّنْيَا .

وَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ ٱلْكَوْثَرُ ؛ لِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِماً : ((أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ)) . . فَقَرَأَ : بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ .[3] ثُمَّ قَالَ : ((أَتَدْرُونَ مَا ٱلْكَوْثَرُ !؟ إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضِي تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ)) . [4]

هَذَا إِذَا جُعِلَ ٱلضَمِيرُ عَائِدٌ إِلَى ٱلنَّهْرِ ، قِيلَ : وَٱلظَّاهِرُ عَوْدُهُ إِلَى ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ ، فَهُوَ : ٱلْحَوْضُ ، إِذْ قَدْ رَوَيَا : ((ٱلْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي ٱلْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضِي)) [5] ، وَفِي حَدِيثِ ٱلْمِعْرَاجِ ٱلتَّصْرِيحُ بِهِ [6] ، وَمَعْنَىٰ كَوْنِهِ : ((عليه)) أَنَّهُ يَمُدُّهُ ، وَمَاؤُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ يَشْهَدُ لَهُ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ : ((يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ)) [7] ، وَيَغُتُّ بِمُعْجَمَةٍ مَضْمُومَةٍ ، فَمُثَنَّاةٍ فَوْقِيَّةٍ ، مِنْ غَتَّ[8] ٱلْمَاءُ ؛ أَيْ : جَرَىٰ جَرْياً مُتَتَابِعاً ، لَهُ صَوْتٌ ، أَوْ تَدَفَّقَ تَدَفُّقاً مُتَتَابِعاً [9].

---

(١) **أَيْلَة** : بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . ينظر : « معجم البلدان » : (١ ٢٩٢) ، و « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع » : (١ ٢١٦) .

(٢) صحيح مسلم : (٢٣٠٠) ، (٤ ١٧٩٨) عن سيدنا أبي ذرٍّ الغفاري « رضي الله عنه » .

(٣) سورة الكوثر : (١ – ٣) .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٩٦٦) ، (٦ ١٧٨) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، ومسلم في « صحيحه » : (٤٠٠) ، (١ ٣٠٠) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

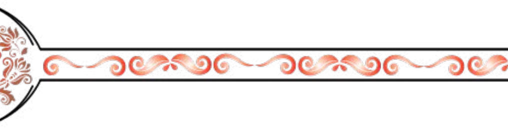
(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه »: (٤٠٠) ، (١ ٣٠٠) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٨٨٧) ، (٥ ٥٢) عن سيدنا انس بن مالك « رضي الله عنه » : (وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان ؛ فنهران في الجنة ، وأما الظاهران ؛ فالنيل والفرات) .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه »: (٢٣٠١) ، (٤ ١٧٩٩) عن سيدنا ثوبان « رضي الله عنه » .

(٨) في النسخة الاصل من غب] وهو تصحيف.

(٩) **غت** : الطَّعَام وَالْكَلَام غتا فسد والميزاب فِي الْحَوْض صب فِيهِ المَاء صبا مُتَتَابِعًا دون انْقِطَاع . ينظر :« المعجم الوسيط » : (٢ ٦٤٤) ، « العين » : (٤ ٣٤٤) .



[الصراط]

(وَٱلصِّرَاطُ) ؛ وَهُوَ : جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ أَدَقُّ مِنَ ٱلشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ ٱلسَّيْفِ ؛ لِحَدِيثِ : ((ثُمَّ يُضْرَبُ ٱلْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ))[1] .

وَلِلْحَاكِمِ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ : ((وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ ٱلْمُوسَىٰ))[2] .

وَلِلطَّبَرَانِيِّ مَوْقُوفاً[3] : ((يُوضَعُ ٱلصِّرَاطُ عَلَىٰ سَوَاءِ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ ٱلسَّيْفِ ٱلْمُرْهَفِ))[4] . وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ بَلَغَنِي[5] : ((أَنَّهُ أَدَقُّ مِنَ ٱلشَّعْرِ ، وَأَحَدُّ مِنَ ٱلسَّيْفِ))[6] وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ رَأْياً .. فَلَهُ حُكْمُ ٱلْمَرْفُوعِ[7] .

(**يَمُرُّ عَلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ**) .. فَتَتَهَافَتُ أَهْلُ ٱلنَّارِ فِيهَا ، وَتَنْجُوا أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[8] فَمُمْكِنَةٌ فِي أَنْفُسِهَا لَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وُقُوعِهَا مُحَالٌ نَطَقَ بِهَا ٱلْقُرْآنُ ، (**وَأَخْبَرَ بِهَا ٱلصَّادِقُ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَٱنْعَقَدَ عَلَيْهَا ٱلْإِجْمَاعُ . . فَوَجَبَ ٱلتَّصْدِيقُ ، (**فَإِنْكَارُهَا عِنَادٌ**) وَضَلَالَةٌ ؛ لِأَنَّهُ رَدٌّ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ صَحِيحِ ٱلْأَخْبَارِ ٱلَّتِي قَدَّمْنَا بَعْضَهَا ، (**أَوَ لَيْسَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٧٤٣٩) ، (٩ ١٢٩٩) و مسلم في « صحيحه »: (١٨٣) ، (١ ١٦٧) واللفظ له ، عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٢) المستدرك على الصحيحين : (٨٨٠١) ، (٥ ٤٩٥) عن سيدنا سلمان « رضي الله عنه » .

(٣) **الْمَوْقُوْف** : وهوَ ما يُروَى عنِ الصحابةِ « رضي الله عنهم » مِنْ أقوالِهِم ، أو أفعالِهِم ونَحْوِها ، فيُوقَفُ عَلَيْهِم ولا يُتَجَاوَزُ بهِ إلى رسولِ اللهِ « صلى الله عليه وسلم -». ينظر : « مقدمة ابن الصلاح » : (ص : ١١٧) .

(٤) المعجم الكبير للطبراني : (٨٩٩٢) ، (٩ ٢٠٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » .

(٥) إن البلاغ في مصطلح الحديث يعني : ما يرويه الراوي من أحاديث وآثار بصيغة بلغني عن فلان أو نحوها كذُكر لي أو رُوينا عن فلان ، دون ذكر الواسطة بينه وبين قائل هذا الأثر أو فاعله .

(٦) صحيح مسلم : (١٨٣) ، (١ ١٦٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٧) **المرفوع** : إما أن ينتهي إلى النبي « صلى الله عليه وسلم » ويقتضي لفظه إما : تصريحا ، أو حكما أن المنقول بذلك الإسناد من قوله صلى الله عليه وسلم ، أو من فعله ، أو من تقريره مثال المرفوع من القول ، حكما لا تصريحا : أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات ما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب ، كالإخبار عن الأمور الماضية : من بدء الخلق ، وأخبار الأنبياء ، أو الآتية : كالملاحم ، والفتن ، وأحوال يوم القيامة ، وكذا الإخبارعما يحصل بفعله ثواب مخصوص ، أو عقاب مخصوص. ينظر : « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » : (ص : ١٣١) .

(٨) سورة مريم : (٧٢) .

مَشْيِهِ فِي ٱلْمَاءِ)/ أ٢٠٩/ وَٱلْهَوَاءِ !؟ (**بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَيْهِ**) ، وَإِنْ خَالَفَ ٱلْعَادَةَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مَنْ أَرَادَ تَعَبٌ ، (**وَإِنْ كَانَ أَدَقَّ مِنَ ٱلشَّعْرِ وَأَحَدَّ مِنَ ٱلسَّيْفِ**) ، وَلَيْسَ هَذَا بِأَعْجَبَ مِنْ مَشْيِ ٱلْكَافِرِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

إِذْ قَدْ وَرَدَ : ((أَنَّ رَجُلاً ، قَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّ ٱلْكَافِرَ يُحْشَرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، كَيْفَ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ !؟ فَقَالَ : ((ٱلَّذِي أَمْشَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِ)) [1] فَيَمُرُّ عَلَيْهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ؛ كَطَرْفِ ٱلْعَيْنِ ، وَكَٱلْبَرْقِ ، وَكَٱلرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ ٱلْخَيْلِ وَٱلرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوشٌ[2] فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

(**فَلَا يُؤَوَّلُ**) ٱلصِّرَاطُ ، وَإِنْ زَعَمَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ ٱلْمُرُورُ عَلَيْهِ ، فَلَوْ أَمْكَنَ فَفِيهِ تَعْذِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا عَذَابَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ[3] .. (**بِطَرِيقِ ٱلْجَنَّةِ**) ٱلْمُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ **سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ** ﴾[4] (**وَ**) لَا يُؤَوَّلُ بِطَرِيقِ (**ٱلنَّارِ**) ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ** ﴾ .[5]

(**أَوِ ٱلْأَدِلَةِ ٱلْوَاضِحَةِ**) ٱلْمُرْشِدَةِ إِلَى ٱلْبُغْيَةِ ، (**أَوِ ٱلْعِبَادَاتِ**) ؛ كَٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ ، أَوِ ٱلْأَعْمَالِ ٱلرَّدِيئَةِ ٱلَّتِي يُؤَاخَذُ بِهَا ؛ كَأَنَّهُ يَمُرُّ عَلَيْهَا[6] وَيَطُولُ ٱلْمُرُورُ بِكَثْرَةِ ٱلسُّؤَالِ عَنْهَا وَيَقْصُرُ بِقِلَّتِهِ .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٧٦٠) ، (٦ ١٠٩٦) و مسلم في « صحيحه »: (٢٨٠٦) ، (٤ ٢١٦١) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

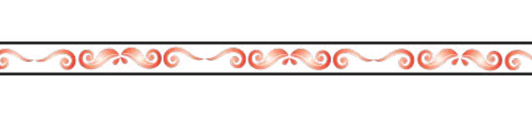
(٢) قال في « تاج العروس » : (١٧ ٣٥٠) : (مكدوش في النار ؛ أي : مدفوع فيها) .

(٣) قال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٣٧) قال : ومن جملة ما يجب الاقرار به واعتقاده ، الصراط ؛ وهو طريق بين الجنة والنار يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه ، ... فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية ، من ذلك - أن يكون الصراط - أدق من الشعر وأحد من السيف ، كما أنكر أن يجوزه المكلفون فيكون من مرّ عليه من أهل الجنة ومن لم يتمكن فهو من أهل النار) والظاهر من كلامه انهم لم ينكروا الصراط وإنما انكروا الكيفية ، ولكن التفتازاني في « شرح المقاصد » نسب له الإنكار فقال : (وأنكره القاضي عبدالجبار وكثير من المعتزلة زعما منهم أنه لا يمكن الحظور عليه) و« المواقف » : (٣ ٥٢٣) ، وقال الجرجاني في « شرح المواقف » : (واعلم : أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم ، يعبر عليه جميع الخلائق المؤمن وغير المؤمن ، وأنكره أكثر المعتزلة وتردد قول الجبائي فيه نفيا وإثباتا .. فنفاه تارة وأثبته أخرى وذهب أبو الهذيل وبشر ابن المعتمر إلى جوازه دون الحكم بوقوعه) .

(٤) سورة سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » : (٥) .

(٥) سورة الصافات : (٢٣) .

(٦) في (ب) (عليه) .



[الوزن]

(وَ) قَادِرٌ (**عَلَىٰ أَنْ يَزِنَ صَحَائِفَ ٱلْأَعْمَالِ**) ؛ كَمَا وَرَدَ : كَيْفَ تُوزَنُ ٱلْأَعْمَالُ !؟ فَقَالَ : كُتُبُهَا هِيَ ٱلَّتِي تُوزَنُ [1] ، (**أَوْ يَجْعَلَهَا**) ؛ أَيْ : حَسَنَاتِ ٱلْأَعْمَالِ (**أَجْسَاماً نَوْارَنِيَّةً** ، وَ) سَيِّئَاتِهَا أَجْسَاماً (**ظُلْمَانِيَّةً**) ، وَهِيَ : مِيزَانٌ وَاحِدَةٌ ، وَإِنَّمَا جُمِعَتْ لِلِاسْتِعْظَامِ ، (**وَقِيلَ**) : لِكُلِّ مُكَلَّفٍ مِيزَانٌ وَٱلْكَبِيرُ وَاحِدٌ إِظْهَاراً لِجَلَالَةِ ٱلْأَمْرِ وَعِظَمِ ٱلْمَقَامِ .

(**فَلَا يُؤَوَّلُ**) ؛ أَيِ : ٱلْمِيزَانُ ، وَإِنْ زَعَمَ ٱلْمُعْتَزِلَةُ : أَنَّ ٱلْأَعْمَالَ أَعْرَاضٌ لَا يُمْكِنُ وَزْنُهَا ؛ إِذْ لَا يُوصَفُ بِثِقَلٍ ، وَلَا خِفَّةٍ (**بِٱلْعَدْلِ**) ٱلثَّابِتِ فِي كُلِّ شَيْءٍ [2] .

وَمَنْ ثَمَّ جَمَعَهَا ، وَإِلَّا فَهِيَ مِيزَانٌ وَاحِدَةٌ [3] ، (**أَوِ ٱلْإِدْرَاكِ**) فَلَا يُقَالُ : مِيزَانُ ٱلْأَلْوَانِ : ٱلْبَصَرُ ، وَٱلْأَصْوَاتُ : ٱلسَّمْعُ ، وَٱلطُّعُومُ : ٱلذَّوْقُ ، وَهَكَذَا لَا يُقَالُ : مِيزَانُ ٱلْمَعْقُولَاتِ : ٱلْعِلْمُ وَٱلْعَقْلُ .

(**ثُمَّ ٱلثَّوَابُ فَضْلٌ**)/ ب ٢٠٩/مِنَ ٱللهِ وَعَدَ بِهِ (**وَٱلْعِقَابُ عَدْلٌ**) مِنْهُ تَعَالَىٰ أَوْعَدَ بِهِ ، (**بِلَا وُجُوبٍ**) لَهُمَا عَلَيْهِ تَعَالَىٰ ؛ لِتَعَالِيهِ عَنْ أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ ؛ بِمَعْنَىٰ : كَوْنِهِ حَقّاً لَازِماً يَقْبُحُ تَرْكُهُ (**إِلَّا أَنَّهُ وَعَدَ**) بِٱلثَّوَابِ فَلَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ ، فَيَفِي بِهِ لِمَنْ وَعَدَهُ بِهِ ٱلْبَتَّةَ ؛ لِأَنَّ خُلْفَهُ نَقْصٌ يَتَعَالَىٰ عَنْهُ .

(**وَأَوْعَدَ**) بِٱلْعِقَابِ .. فَيَجِبُ عِنْدَ ٱلْوَعِيدِيَّةِ ؛ كَبَعْضِ ٱلْمَاتُرِيدِيَّةِ ٱلْوَفَاءُ بِهِ لِعَدَمِ خُلْفِهِ ؛ كَٱلْوَعْدِ ؛ إِذْ خُلْفُهُ عِنْدَهُمْ

---

(١) هو حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٦٣٩) ، (٤ ٣٢١) ، وابن ماجه في « سننه » : (٤٣٠٠) ، (٢ ١٤٣٧) ، وأحمد في « المسند » : (٦٩٩٤) ، (١١ ٥٧٠) وغيرهم .

(٢) اتفق أهل السنة على إثبات الوزن للحسنات والسيئات ، أما الميزان .. فقد نسب الملطي في « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » : (ص : ١١٠) إلى جهم بن صفوان إنكاره ، ونسب الإيجي في « المواقف » : (٣ ٥٢٤) إلى المعتزلة إنكاره ، كما نسب إنكاره ابن حزم في « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ٥٤) إلى قوم ، ونسبه أبو الحسن الأشعري في « المقالات » : (٢ ٣٥٤) إلى أهل البدع وقال : (وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة : أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها ، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات أعظم منها) ، وقد أثبت القاضي عبد الجبار المعتزلي : الإيمان بالميزان في الآخرة فقال في « شرح الأصول الخمسة » (ص : ٧٣٥) : (أما وضع الموازين .. فقد صرح به الله تعالى في محكم كتابه ، ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك وقال : ولم يرد الله تعالى وقال : ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس) فهذا يدل على إثباته للميزان .

(٣) قال الرازي في « مفاتيح الغيب » : (١٤ ٢٠٣) : (قال الزجاج : إنما جمع الله الموازين هاهنا فقال : ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ ولم يقل ميزانه لوجهين : الأول : إن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقولون : خرج فلان إلى مكة على البغال ، والثاني : إن المراد من الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميزان وأراد بالموازين الأعمال الموزونة) ، وقال النسفي في « تفسيره » : (٣ ٧٢) : (وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها) .

.. كَذِبٌ وَتَبْدِيلٌ لِلْقَوْلِ [1].

(وَأُجِيبَ) : بِأَنَّ عَدَمَهُ مَشْرُوطٌ بِعَدَمِ ٱلْعَفْوِ ؛ إِذْ لا يَلْزَمُ مِنْ تَحَقُّقِ ٱلْوَعِيدِ .. وُقُوعُ ٱلْعِقَابِ ، فَضْلاً عَنْ وُجُوبِهِ ؛ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ ٱلْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَنَسٍ « رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ » : ((مَنْ وَعَدَهُ ٱللهُ عَلَىٰ عَمَلٍ ثَوَاباً .. فَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَىٰ عَمَلٍ عِقَاباً .. فَهُوَ بِٱلْخِيَارِ : إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ)) [2] .

لِأَنَّ ٱللَّائِقَ بِٱلْكَرِيمِ إِذَا أَخْبَرَ بِوَعِيدٍ أَنْ يَبْنِيَ أَخْبَارَهُ عَلَىٰ ٱلْمَشِيئَةِ ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ ، فَإِذَا قَالَ مَثَلاً : لَأُعَذِبَنَّ فُلَاناً فَبِتَقْدِيرِهِ إِنْ لَمْ أَعْفُ عَنْهُ ، أَوْ نَحْوَهُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ عَادَاتِ ٱلْكُرَمَاءِ فِي إِيعَادَتِهِمْ .

(وَلَهُ عِنْدَنَا أَنْ يُخْلِفَ) وَعِيدَهُ ؛ لِأَنَّ خُلْفَهُ فَضْلٌ وَكَرَمٌ ، لَا يُعَدُّ نَقْصاً فِي مَجَارِي ٱلْعُقُولِ ، فَيَجُوزُ أَنْ لَا يُعَاقِبَ عَاصِياً ، (وَ) وَافَقَهُمْ [3]عَلَيْهِ مُعْتَزِلَةُ ٱلْبَصْرَةِ وَكَثِيرٌ مِنْ مُعْتَزِلَةِ بَغْدَادَ [4]، هَذَا وَآيَةُ : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ خَاصَّةٌ بِٱلْكُفَّارِ ؛ بِشَهَادَةِ نُزُولِهَا فِيهِمْ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [5]وَلَوْ سُلِّمَ عُمُومُهَا لَهُمْ وَلِمُذْنِبِينَا ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَعْذِيبُ كُلِّ عَاصٍ مِنَّا ، وَإِلَّا لَزِمَ خُلْفُ وَعْدِهِ تَعَالَىٰ وَلَا قَائِلَ بِهِ ؛ لِإِخْبَارِهِ بِأَنَّهُ [6] لَا يُخْلِفُهُ ، وَبِأَنَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَعَفْوُهُ

---

(١) **الوعد** : هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير ، أو دفع ضرر عنه في المستقبل ، **والوعيد** : هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير ، تفويت نفع عنه في المستقبل ، فالوعد والوعيد هو من الاصل الثالث من اصول المعتزلة ، فالوعد عندهم معناه : أن الله يجب أن ينفذ وعده ، وان الثواب يجب على الله للعبد على طريق الاستحقاق ، فإذا خرج العبد من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل . والوعيد هو : إذا خرج المؤمن من الدنيا عن غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق النار مخلدا فيها ، لكن عقابه أخف من عقاب الكافر . ينظر : « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٦١٤) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٢٦) ، و « الملل والنحل » : (١ ٣٩) .

(٢) البعث والنشور : (ص : ٧٧) ، بلفظ : ((من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده الله على عمل عقابا فهو بالخيار إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)) ، والطبراني في : « المعجم الأوسط » : (٨٥١٦) ، (٨ ٢٤٠) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » . والحديث : ضعيف ، أنظر : « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » : (١٠ ٢١١) .

(٣) لعلَّ صواب العبارة ووافقنا

(٤) من أعلام معتزلة البصرة : أبو الهذيل العلاف (٢٣٥ هـ) ، وإبراهيم النظام(٢٣١ هـ) ، وأبو علي الجبائي (٣٠٣ هـ) وغيرهم ، ومن معتزلة بغداد : بشر بن المعتمر – المؤسس– وثمامة بن الأشرس(٢١٣ هـ) ، وأبو الحسين الخياط (٢٩٠ هـ) ، وأبو القاسم البلخي الكعبي (٢١٩ هـ) ينظر : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » (ص : ٣٨ – ٤١) .

(٥) سورة ق : (٢٤ – ٢٩) .

(٦) في (ب) (سقطت) .

لِبَعْضِ عُصَاتِنَا لِعَدَمِ مَشِيئَةِ تَعْذِيبِهِ لَيْسَ مِنَ ٱلتَّبْدِيلِ ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ عَفْوِهِ ؛ كَمَا قَالَ ٱلْبَيْضَاوِيُّ[١] : شَاهِدَةٌ بِتَخْصِيصِ / أ ٢١٠/ ٱلْوَعِيدِ[٢].

(وَبِلَا ٱسْتِحْقَاقٍ) لَهُمَا عَلَيْهِ تَعَالَىٰ لِأَحَدٍ (إِلَّا أَنَّ]) [٣]ٱسْتِحْقَاقُهُمَا إِنَّمَا هُوَ ؛ (بِمَعْنَىٰ : أَنَّ تَرَتُّبَهُمَا) بَعْدَ وُرُودِ ٱلشَّرْعِ (عَلَى ٱلْفِعْلِ) طَاعَةً أَوْ مَعْصِيَةً (وَ) عَلَى (ٱلتَّرْكِ) كَذَلِكَ ، وَإِضَافَتَهُمَا إِلَيْهِمَا (مُلَائِمٌ) فِي (مَجَارِي ٱلْعُقُولِ وَٱلْعَادَاتِ) وَلَا نِزَاعَ فِيهِ ، وَكَفَاكَ شَاهِداً بِهِ مَا وَرَدَ كَثِيراً فِي ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ مَعَ إِجْمَاعِ ٱلسَّلَفِ : أَنَّ فِعْلَ ٱلْوَاجِبِ وَٱلْمَنْدُوبِ يَنْتَهِضُ سَبَباً لِلثَّوَابِ وَتَرْكَ ٱلْوَاجِبِ ، وَفِعْلَ ٱلْحَرَامِ يَكُونُ سَبَباً لِلْعِقَابِ .

وَبَنَوْا أَمْرَ ٱلتَّرْغِيبِ فِي ٱكْتِسَابِ ٱلْحَسَنَاتِ ، وَٱجْتِنَابِ ٱلسَّيِّئَاتِ عَلَىٰ إِفَادَةِ ٱلْفِعْلِ وَٱلتَّرْكِ لَهُمَا .

(إِذْ لَا وَاجِبَ عَلَيْهِ) تَعَالَىٰ مِنْ ثَوَابٍ عَلَىٰ طَاعَةٍ ، وَعِقَابٍ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ ، (وَٱلطَّاعَاتُ وَإِنْ كَثُرَتْ لَا تَفِي بِشُكْرِ بَعْضِ نِعَمِهِ) تَعَالَىٰ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ ٱسْتِحْقَاقُ ٱلْعَبْدِ مِنْهُ تَعَالَىٰ عِوَضاً عَلَيْهَا ، وَلَوِ ٱسْتَحَقَّ بِشُكْرِهِ عِوَضاً لَاسْتَحَقَّ رَبُّنَا عَلَىٰ مَا يُولِيهِ مِنَ ٱلثَّوَابِ عِوَضاً ؛ وَكَذَا ٱلْعَبْدُ عَلَىٰ خِدْمَةِ سَيِّدِهِ ٱلَّذِي يَقُومُ بِمُؤْنَتِهِ وَإِزَالَةِ ضَرَرِهِ ، وَٱلْوَلَدُ عَلَىٰ خِدْمَةِ أَبِيهِ ٱلَّذِي رَبَّاهُ .

(وَلَوِ ٱسْتَحَقَّا) ؛ أَيِ : ٱلثَّوَابَ وَٱلْعِقَابَ لِأَحَدٍ بِطَرِيقِ ٱلْوُجُوبِ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ وَتَرَتُّبِ ٱلْمُسَبَبِ عَلَىٰ سَبَبِهِ ، (لَمْ يَسْقُطَا ، وَلَزِمَ إِثَابَةُ مَنْ عَاشَ) طُولَ عُمُرِهِ مُطِيعاً (مُؤْمِناً ثُمَّ كَفَرَ) آخِرَ حَيَاتِهِ ، أَوْ عِقَابُ مَنْ عَاشَ طُولَ عُمُرِهِ (كَافِراً ثُمَّ آمَنَ) آخِرَ حَيَاتِهِ ؛ تَحْقِيقاً لِلْوُجُوبِ وَٱلِاسْتِحْقَاقِ ، وَٱللَّازِمُ [٤]بَاطِلٌ ٱتِّفَاقاً ، عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ شُرِطَ ٱسْتِحْقَاقُهُمَا بِمَوْتِ ٱلْمُطِيعِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَٱلْعَاصِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ لَمْ يَتَحَقَّقِ ٱلِاسْتِحْقَاقُ ؛ لِفَقْدِ ٱلشَّرْطِ عِنْدَ ٱلْعِلَّةِ وَٱنْقِضَائِهَا عِنْدَ تَحَقُّقِهِ .

---

(١) **البَيْضاوي** : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، أبو سعيد ، أو أبو الخير ، ناصر الدين البيضاوي ، قاض ، مفسر ، علامة ، ولد في المدينة البيضاء وتوفي في شيراز سنة (٦٨٥ هـ) من تصانيفه « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ، و « طوالع الأنوار » وغيرها . ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٨ ١٥٧) ، « الأعلام » : (٤ ١١٠) .

(٢) ينظر : « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » : (٥ ١٤٢) .

(٣) في (ب) (الا ان) .

(٤) **اللازم** : ما يمتنع انفكاكه عن الشيء . تنظر : « التعريفات » : (ص : ١٩٠) .



[خلود أهل الجنة والنار]

(**وَلَا خِلَافَ**) بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي خُلُودِ ٱلْمُؤْمِنِ فِي ٱلْجَنَّةِ أَبَداً لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهُمْ ، وَلَا فِي خُلُودِ (**ٱلْكَافِرِ فِي ٱلنَّارِ**) لَا يَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ أَبَداً سَوَاءٌ ٱلْمُعَانِدُ وَٱلْمُقَصِّرُ ، وَكَذَا مَنْ بَالَغَ فِي ٱلِاجْتِهَادِ فَلَمْ تَلُحْ لَهُ دَلائِلُ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ يَشْرَحِ ٱللهُ تَعَالَىٰ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ؛ خَلَافاً لِلْجَاحِظِ[1] وَٱلْعَنْبَرِيِّ[2] ؛ حَيْثُ زَعَمَا أَنَّهُ / ب٢١٠/ مَعْذُورٌ ، وَعَذَابُهُ مُنْقَطِعٌ ، إِذْ لَا يَلِيقُ بِحُكْمِ ٱلْحَكِيمِ أَنْ يُعَذِّبَهُ مَعَ بَذْلِ مَجْهُودِهِ ، فَلَمْ يَنَلْ مَقْصُودَهُ[3] وَلَمْ يُتَابَعَا عَلَيْهِ ؛ لِكَوْنِهِ خَرْقاً لِلإِجْمَاعِ ، وَتَرْكاً لِعُمُومِ مَا وَرَدَ بِٱلْخُلُودِ فِيهَا مِثْلُ : ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4] ، ﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[5] .

(**دُونَ أَطْفَالِهِمْ**) ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِيهَا بَلْ لَا يَدْخُلُونَهَا لِمَا مَرَّ ، وَلَا يُعَذَّبُ مَنْ لَا جُرْمَ لَهُ : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[6] ، ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7] .

---

(١) **الجاحِظ** : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده في البصرة ووفاته فيها قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه سنة : (٢٥٥ هـ) .. له تصانيف كثيرة . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١١ ٥٢٦) ، و« الأعلام » : (٥ ٧٤) .

(٢) **العَنْبَري** : عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري ، من تميم ، قاض ، من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة توفي سنة : (١٦٨ هـ) ينظر : « الوافي بالوفيات » : (١٩ ٢٤٤) ، و « الأعلام » : (٤ ١٩٢) .

(٣) ذكر الايجي في « المواقف » : (٣ ٥٠٠) قولهما فقال : (قال الجاحظ وعبد الله بن الحسن العنبري : هذا الذي ذكرناه من دوام العذاب إنما هو في حق الكافر المعاند والمقصر ، وأما المبالغ في اجتهاده إذا لم يهتد للإسلام ولم تلح له دلائل الحق .. فمعذور وعذابه منقطع) وكذلك ذكر ذلك عن الجاحظ في : « الملل والنحل » : (١ ٧٥) وذكر ذلك عنهما التفتازاني في : « شرح المقاصد » : (٥ ١٣٤) .

(٤) سورة ق : (٢٧) .

(٥) سورة الرعد : (٣٥) .

(٦) سورة الإسراء : (١٥) .

(٧) سورة يس : (٥٤)

(**خِلَافاً لِلأَكْثَرِ**) مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ؛ إِذْ قَدْ حَكَمُوا بِخُلُودِهِمْ فِيهَا ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ حُكْماً ، وَلِدُخُولِهِمْ فِي عُمُومِ مَا جَاءَ مَعَ قَوْلِ خَدِيجَةَ : (سَأَلَتِ ٱلنَّبِيَّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَنْ أَطْفَالِهِمُ ٱلَّذِينَ مَاتُوا فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ !؟ فَقَالَ : ((هُمْ فِي ٱلنَّارِ)) [١] ، فَهُمْ عِنْدَ مَنْ قَالَ : لَا يُعَذَّبُونَ ؛ كَٱلْمُعْتَزِلَةِ : خَدَمُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ [٢] .

(**وَلَا يُخَلَّدُ فِيهَا**) ؛ أَيْ : فِي ٱلنَّارِ (**ذُو كَبِيرَةٍ .. مَاتَ مُؤْمِناً ، وَلَمْ يَتُبْ لِمَا جَاءَ**) مِنَ ٱلنُّصُوصِ شَاهِداً (**بِخُرُوجِهِ مِنْهَا**) إِذَا دَخَلَهَا مِثْلُ : ﴿ **ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ [٣] ، ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ [٤] ، ((يَخْرُجُ مِنَ ٱلنَّارِ قَوْمٌ قَدِ ٱمْتُحِشُوا وَصَارُوا حِمَماً .. فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ ٱلْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ ٱلسَّيْلِ)) [٥] ، (**وَ**) لِمَا شَاهِدًا عَلَىٰ (**دُخُولِهِ ٱلْجَنَّةَ**) بَعْدَ دُخُولِ ٱلنَّارِ ؛ وَهِيَ : مَسْأَلَةُ ٱنْقِطَاعِ ٱلْعَذَابِ ، أَوْ قَبْلَهُ ؛ وَهِيَ : مَسْأَلَةُ ٱلْعَفْوِ ٱلتَّامِ : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ** ﴾ [٦] ، ﴿ **وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ [٧] ، ﴿ **وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى** ﴾ [٨] ، ((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ)) [٩] ، ((مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً .. دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ ، وَإِنْ زَنَىٰ ، وَإِنْ سَرَقَ)) [١٠] .

(**وَلِأَنَّ مَا ٱسْتَحَقَّهُ مِنْ ثَوَابٍ**) بِإِيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ (**وَعْداً**) عِنْدَنَا ، (**أَوْ عَقْلاً**) عِنْدَكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُعْتَزِلَةُ ؛ لَا

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير» : (٢٧) ، (٢٣ ١٦ ٢٣) عن سيدتنا خديجة « رضي الله عنها » وإسناده ضعيف ، ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ ٢١٨) .

(٢) ينظر : « شرح الاصول الخمسة » : (ص : ٤٧٧) ونسبه في : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ٦٦) إلى قوم فقال : (وقد قال قوم إن الصبيان هم خدم أهل الجنة)

(٣) سورة الأنعام : (١٢٨) .

(٤) سورة ال عمران : (١٨٥) .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٥٦٠) ، (٨ ١١٥) و مسلم في « صحيحه » : (١٨٢) ، (١ ١٦٣)عن سيدتنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٦) سورة الزلزلة : (٧) .

(٧) سورة غافر : (٤٠) .

(٨) سورة النجم : (٣١) .

(٩) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » : (١٦٩) ، (١ ٣٩٢) عن سيدنا أبي ذرٍّ الغفاري « رضي الله عنه » والطبراني في « المعجم الكبير» : (٦٣٤٨) ، (٧ ٤٨٧) عن سيدنا سلمة بن نعيم « رضي الله عنه » و الحاكم في « المستدرك » : (٧٦٣٨) ، (٤ ٢٧٩) عن سيدنا زيد بن سهل « رضي الله عنه » قال عنه الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص .

(١٠) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٧٤٨٧) ، (٩ ١٤٢) ، ومسلم في « صحيحه » : (٩٤) ، (٢ ٦٨٨) عن سيدنا أبي ذرٍّ « رضي الله عنه » .

يَزُولُ بِٱرْتِكَابِهِ كَبِيرَةً ، فَلُزُومُ إِيصَالِهِ إِلَيْهِ (**لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِهِمَا**) ؛ أَيْ : بِخُرُوجِهِ مِنَ ٱلنَّارِ وَدُخُولِهِ ٱلْجَنَّةَ .

(**خِلَافاً لِلْمُعْتَزِلَةِ**)[١] فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا خُلُودَهُ فِيهَا ، وَإِنْ عَاشَ مُؤْمِناً مُطِيعاً مِائَةَ سَنَةٍ ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَنْ تَكُونَ ٱلْكَبِيرَةُ وَاحِدَةً ، أَوْ كَثِيرَةً/ أ ٢١١/ قَبْلَ ٱلطَّاعَةِ ، أَوْ بَعْدَهَا ، أَوْ بَيْنَهُمَا ؛ (**لِعُمُومِ وَعِيدِ ٱلْخُلُودِ**) لِلْكَافِرِ وَغَيْرِهِ فِي مِثْلِ : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[٢] ، ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾[٣] وَعَدَمُ غَيْبَتِهِمْ عَنْهَا . . خُلُودٌ فِيهَا : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾[٤] مِمَّا وَرَدَ لِلْخُلُودِ ، وَنَفْيِ ٱلْخُرُوجِ : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[٥] مِمَّا لَمْ يَرِدْ بِهِ جَمِيعُ ٱلْحُدُودِ بِٱرْتِكَابِ جَمِيعِ ٱلْكَبَائِرِ ؛ لِٱسْتِحَالَتِهِ لِمَا بَيْنَ بَعْضِهَا مِنَ ٱلتَّضَادِّ ؛ كَٱلْيَهُودِيَّةِ وَٱلنَّصْرَانِيَّةِ وَٱلْمَجُوسِيَّةِ[٦] ، فَيُحْمَلُ عَلَىٰ مَوْرِدِ ٱلْآيَةِ مِنْ حُدُودِ ٱلْمَوَارِيثِ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ

---

(١) في هذه المسألة ثلاثة أراء هي لأهل السنة وقد مرَّ في المتن وللخوارج وللمعتزلة :

أَمَّا الخوارج .. فقد ذهبوا إلى كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار ، وأنه يعذب فيها عذاب الكفار ، قال أبو الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » : (١ ٨٤) حاكيا مذهبهم : (وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك ، وأجمعوا : على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات أصحاب نجدة) .

وأما المعتزلة .. فمشهور قولهم في أصحاب الكبائر أنهم ليسوا مؤمنين ولا كفارا ، بل هم بمنزلة بين المنزلتين ، لكنهم مخلدون في النار ؛ كما تقول الخوارج ، غير أنهم قالوا : إن عذابهم ليس كعذاب الكفار ، حكى هذا الرأي الاشعري في اكثر من موضع في « مقالات الإسلاميين » : (١ ١٠٩) (١ ٢١٣) وقال القاضي عبدالجبار في « شرح الأصول الخمسة » (ص : ٦٣٢) : (إن ما يستحقه المرء على الكبيرة من العقاب يحبط ثواب طاعاته) و هذا التعميم من المعتزلة بأن الفاسق عدو لله هو موطن الخلاف ، فالأدلة الشرعية على خلاف قولهم ، وسبب قولهم في هذا أنهم أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، أما أهل السنة .. فإنهم أخذوا بالنصوص كلها واستظهروا الحق من مجموعها فهداهم الله إلى أن مرتكب الكبيرة في الدنيا ليس خارجاً من الإسلام وفي الآخرة أمره إلى الله عز وحل ، ونسب الرازي إلى المعتزلة ذلك فقال في « معالم أصول الدين » : (ص : ١٣١) : (وقالت المعتزلة عذاب الفاسق مؤبد) و أخذ يرد عليهم ويقرر مذهب أهل السنة ، وكذلك ابن حزم في « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٣ ١٣١) ، قال ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » : (ص : ١٥١) : (وقالت المعتزلة : إن صاحب الكبيرة مع إيمانه وطاعاته مائة سنة لا يخرج من النار قط) .

(٢) سورة الجن : (٢٣) .

(٣) سورة الإنفطار : (١٤ – ١٦) .

(٤) سورة السجدة : (٢٠) .

(٥) سورة النساء : (١٤) .

(٦) **المجوس** : هم أتباع الديانة المجوسية ، و هي ملة قديمة تبنّى أصحابها الديانة الزرادشتية ، و يقال عن صاحبها < زرادشت ، قد ولد حوالي سنة ٢٠٠٠ق بأنه نبي و له كتاب اسمه « الأوستا » أي : القانون . ينظر : « تاريخ الفكر الديني الجاهلي » : (ص : ٣٣٣) .

بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[2].

(**وَلِأَنَّهُ لَوْ خَرَجَ ٱلْفَاسِقُ**) مِنَ ٱلنَّارِ .. (**لَخَرَجَ ٱلْكَافِرُ**) أَيْضاً مِنْهَا قِيَاساً عَلَيْهِ (**بِجَامِعِ تَنَاهِيهِمَا**) مَعْصِيَةً .

(**قُلْنَا**) جَوَاباً عَنِ ٱلْأَوَّلِ : بَعْدَ تَسْلِيمِ كَوْنِ هَٰذِهِ ٱلصِّيَغِ ؛ لِعُمُومِ وَعِيدِ ٱلتَّأْيِيدِ لَمْ يَرِدِ ٱلْعُمُومُ بِٱلْآيَةِ ٱلْأُولَىٰ لِلْقَطْعِ بِخُرُوجِ ٱلتَّائِبِ ، وَأَصْحَابِ ٱلصَّغَائِرِ ، وَصَاحِبِ كَبِيرَةٍ غَيْرِ مَنْصُوصَةٍ أَتَىٰ بَعْدَهَا بِطَاعَاتٍ يَرْبُوا ثَوَابُهَا عَلَىٰ عُقُوبَاتِهِ ، فَمُرْتَكِبُ ٱلْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ أَيْضاً ، خَارِجٌ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ ٱلْآيَاتِ وَٱلْأَدِلَّةِ ، وَبِٱلْجُمْلَةِ فَٱلْعَامُّ ٱلْمُخْرَجُ مِنْهُ ٱلْبَعْضُ لَا يُفِيدُ ٱلْقَطْعَ وِفَاقاً ، وَلَوْ سُلِّمَ فَلَا نُسَلِّمُ تَأْبِيدَ ٱلِاسْتِحْقَاقِ بَلْ هُوَ مُغَيّاً بِغَايَةِ رُؤْيَةِ ٱلْوَعِيدِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ ﴾[3] فَغَايَتُهُ ٱلدَّلَالَةُ عَلَىٰ ٱسْتِحْقَاقِ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُؤَبَّدِ لَا عَلَىٰ وُقُوعِهِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمُتَنَازَعُ ؛ لِجَوَازِ خُرُوجِهِ بِٱلْعَفْوِ .

وَلَوْ سُلِّمَ فَقَدْ (**خُصَّ**) مَا جَاء بِعُمُومِ وَعِيدِ ٱلْخُلُودِ (**بِٱلْكُفَّارِ**) إِذْ هُمُ ٱلْمُرَادُ بِٱلْفُجَّارِ بَعْدَ تَسْلِيمِ إِفَادَتِهَا نَفْيَ ٱلْغَيْبَةِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ وَدَلَالَتِهَا عَلَىٰ دَوَامِ عَدَمِ ٱلْغَيْبَةِ ، وَبِٱلَّذِينَ فَسَقُوا . . مَنْ أَنْكَرَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى / ب٢١١/ كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[4] مَعَ مَا فِي دَلَالَتِهَا عَلَىٰ ٱلْخُلُودِ مِنَ ٱلْمُنَاقَشَةِ ؛ لِجَوَازِ ٱلْخُرُوجِ عِنْدَ عَدَمِ إِرَادَتِهِمْ لَهُ بَأْساً ، أَوْ ذُهُولاً ، وَيَحْمِلُ ٱلْحُدُودَ عَلَىٰ حُدُودِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَإِحَاطَةَ ٱلْخَطِيئَةِ عَلَىٰ غَلَبَتِهَا بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ مَعَهَا إِيمَانٌ .

(**وَأُرِيدَ بِهِ مَنِ ٱسْتَحَلَّ**) مُحَرَّماً ؛ كَمَا قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : (مَعْنَىٰ مُتَعَمِّداً : مُسْتَحِلّاً قَتْلَهُ)[5]؛ إِذِ ٱلتَّعَمُّدُ حَقِيقَةً إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مُسْتَحِلٍّ ، أَوْ يُقَالُ ٱلتَّعْلِيقُ بِوَصْفٍ يُشْعِرُ بِٱلْحَيْثِيَّةِ فَتُخَصُّ بِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً لِإِيمَانِهِ ، أَوْ أُرِيدَ بِٱلْخُلُودِ هُنَا وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً فِي ٱلدَّوَامِ .. (**ٱلْمُكْثُ ٱلطَّوِيلُ**) ٱلْمُنْقَطِعُ ، إِذْ كَثِيراً مَا يُسْتَعْمَلُ

---

(١) سورة البقرة : (٨١) .

(٢) سورة النساء : (٩٣) .

(٣) سورة مريم : (٧٥) .

(٤) سورة السجدة : (٢٠) .

(٥) ينظر : « البحر المحيط في التفسير » : (٤/ ٢٧) قال : (﴿ ومن يقتل ﴾ : فيكون خاصا بالكافر ، أو يكون على ما قال ابن عباس قال : معنى متعمدا ؛ أي : مستحلا) .

فِيهِ ؛ كَحَبْسٍ مُخَلَّدٍ ، وَوَقَفٍ مُؤَبَدٍ ، وَمُلْكٍ مُخَلَّدٍ ، عَلَىٰ أَنَّ فِي جَعْلِهِ لِمُطْلَقِ ٱلْمُكْثِ ٱلطَّوِيلِ . . نَفْياً لِلْمَجَازِ وَٱلِاشْتِرَاكِ ، فَهُوَ أَوْلَىٰ وَأَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ دَوَامٍ ؛ كَمَا فِي حَقِّ ٱلْكُفَّارِ ، أَوِ ٱنْقِطَاعٍ ؛ كَمَا فِي حَقِّ ٱلْعُصَاةِ فَلَا مَحْذُورَ فِي إِرَادَتِهِمَا جَمِيعاً ، فَلَا يَكُونُ ٱلتَّأْبِيدُ تَأْكِيداً ، بَلْ تَقْيِيداً .

وَلَوْ سُلِّمَ فَٱلْمُرَادُ : أَنَّهُ تَأْكِيدٌ لِطُولِ ٱلْمُكْثِ ؛ إِذْ قَدْ يُقَالَ : سِجْنٌ مُؤَبَّدٌ ، وَمُلْكٌ مُؤَبَّدٌ .

وَعَنِ ٱلثَّانِي : (**بِأَنَّا لَانُسَلِّمُ عِلِيَّةَ ٱلتَّنَاهِي**) لِلْخُرُوجِ ؛ إِذْ لَيْسَ هُوَ عِلَةٌ لَهُ ، (**وَلَا نُسَلِّمُ تَنَاهِي ٱلْكُفْرِ قَدَراً**) ؛ إِذْ لَيْسَ لَهُ قَدَرٌ مُعَيَّنٌ ، وَإِنْ تَنَاهَىٰ زَمَاناً ، (**وَلَا نُسَلِّمُ صِحَّةَ ٱلْقِيَاسِ مَعَ ٱلنَّصِ فِي ٱلِاعْتِقَادِيَّاتِ**) .

(**وَقَوْمٌ**) مَرَدُوا عَلَى ٱلضَّلَالِ .. أَنْكَرُوا خُلُودَهُمْ فِي ٱلنَّارِ ؛ بِنَاءً عَلَىٰ تَنَاهِي ٱلْقُوَى ٱلْجِسْمَانِيَّةِ وَفَنَاءِ ٱلرُّطُوبَةِ ، ٱلَّتِي هِيَ مَادَةُ ٱلْحَيَاةِ بِٱلْحَرَارَةِ سِيَّمَا حَرَارَةُ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَدَوَامُ ٱلْإِحْرَاقِ مَعَ بَقَاءِ ٱلْحَيَاةِ .. خُرُوجٌ عَنْ قَضَاءِ ٱلْعَقْلِ بِفَنَائِهَا فَلَا خُلُودٌ .

قُلْنَا : هَذِهِ قَوَاعِدُ فَلْسَفِيَّةٌ غَيْرُ مُسَلَّمَةٍ عِنْدَنَا ؛ لِاسْتِنَادِ ٱلْحَوَادِثِ إِلَى ٱلْقَادِرِ ٱلْمُخْتَارِ ، وَلَوْ سُلِّمَ تَنَاهِي ٱلْقُوَىٰ وَزَوَالِ ٱلْحَيَاةِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بَدَلَهَا .. فَيَدُومَ ٱلثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ [1] ، وَمَا قَالَهُ مُقَاتِلٌ [2] وَبَعْضُ ٱلْمُرْجِئَةِ [3] : مِنْ أَنَّ عُصَاةَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَا يُعَذَّبُونَ أَصْلاً ، وَإِنَّمَا ٱلنَّارُ لِلْكَافِرِينَ [4]؛ تَمَسُّكاً بِٱلآيَاتِ ٱلدَّالَّةِ عَلَىٰ ٱخْتِصَاصِ

---

(١) سورة النساء : (٥٦) .

(٢) **مقاتل بن سُلَيْمان** : بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدّث بها ،كان متروك الحديث وتوفي بالبصرة سنة (١٥٠ هـ) من كتبه : « التفسير الكبير » ، و « نوادر التفسير » ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٧ ٢٠١) ، و « الأعلام » : (٧ ٢٨١) .

(٣) **المرجئة** : مأخوذة من الإرجاء ؛ وهو : التأخير والإمهال ، وهم فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام ، وهم اثنتا عشرة فرقة خالفوا رأي الخوارج وكذلك أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقدية ، وقالوا : بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر . ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (١ ١١٤) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص : ١٩٠) ، و « الملل والنحل» : (١ ١٣٩) .

(٤) نقل قولهم هذا أبو الحسن الأشعري في : « مقالات الإسلاميين » : (١ ١٢٧): فقال : (فقال قائلون منهم : الإيمان يحبط عقاب الفسق ؛ لأنه أوزن منه وأن الله لا يعذب موحداً وهذا قول مقاتل بن سليمان) ، و التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٣٥) ، والشهرستاني في : « الملل والنحل » : (١ ١٤٣) صحح ما اتهم به مقاتل من الارجاء فقال : (ويحكى عن مقاتل بن سليمان : ان المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان ، وانه لا يدخل النار مؤمن ، والصحيح من النقل عنه : أن المؤمن العاصي يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها .. فيتألم بذلك على قدر المعصية ، ثم يدخل الجنة ، ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار) .

ٱلْعَذَابِ بِهِمْ مِثْلُ : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [١]، ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ /١ ٢١٢/ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢] فَقَدْ خُصَّ بِعَذَابٍ غَيْرِ مُؤَبَدٍ .

وَتَمَسَّكُهُمْ بِمِثْلِ : ((مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ)) [٣]، ((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ .. دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ ، وَإِنْ زَنَىٰ ، وَإِنْ سَرَقَ)) [٤] .. فَضَعِيفٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى ٱلْخُلُودَ لَا ٱلدُّخُولَ ، وَمَا عُزِيَ لِلْمُعْتَزِلَةِ : مِنْ أَنَّ مُرْتَكِبَ ٱلْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ ، لَا فِي ٱلْجَنَّةِ ، وَلَا فِي ٱلنَّارِ .. فَغَلَطٌ نَشَأَ مِنْ قَوْلِهِمْ : إِنَّ لَهُ مَنْزِلَةً بَيْنَ ٱلْمَنْزِلَتَيْنِ ؛ أَيْ : حَالَةً بَيْنَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْكُفْرِ .

ثُمَّ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ مَنْ آمَنَ بَعْدَ كُفْرِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ ٱلصَّالِحِ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ ؛ كَمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ ، وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ صَالِحاً ، وَآخَرَ سَيِّئاً حَتَّىٰ مَاتَ بَلا تَوْبَةٍ .. فَعِنْدَنَا [٥] ؛ كَمَا مَرَّ مَآلُهُ ٱلْجَنَّةَ ، وَلَوْ بَعْدَ ٱلنَّارِ وَٱسْتِحْقَاقُهُ لِلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ بِٱلْوَعْدِ وَٱلْوَعِيدِ . . ثَابِتٌ بِلَا حُبُوطٍ .

وَٱلْمَشْهُورُ عَنِ ٱلْمُعْتَزِلَةِ تَخْلِيدُهُ فِي ٱلنَّارِ ، وَأَشْكَلَ[٦] عَلَيْهِمْ أَمْرَ إِيمَانِهِ وَطَاعَاتِهِ ، وَمَا ثَبَتَ مِنِ ٱسْتِحْقَاقَاتِهِ كَيْفَ زَالَتْ .. فَذَهَبُوا إِلَىٰ أَنَّهُ مَحْبُوطُ ٱلطَّاعَاتِ ، مَيْلاً مِنْهُمْ إِلَىٰ أَنَّ ٱلسَّيِّئَاتِ يُحْبِطْنَ ٱلْحَسَنَاتِ ، حَتَّىٰ (**زَعَمَ أَكْثَرُهُمْ : إِنَّ كَبِيرَةً وَاحِدَةً تُحْبِطُ جَمِيعَ ٱلطَّاعَاتِ**) وَإِنْ زَادَتْ عَلَىٰ ٱلزَّلَاتِ ، وَفَسَادُهُ ظَاهِرٌ ؛ لِكَوْنِهِ إِلْغَاءً لِثَوَابِهَا مَعَ ٱلْوَعْدِ بِهِ ، وَٱللهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ (**مُخَالِفاً لِلسَّمْعِ**) بِـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٧] ، ﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[٨] (**وَٱلْعَقْلِ**) بِأَنَّهُ لَا يُحْسُنُ مِنَ ٱلْحَكِيمِ ٱلْكَرِيمِ .. إِبْطَالُ ثَوَابِ إِيمَانِ مُؤْمِنٍ ، وَمُدَاوَمَتِهِ عَلَىٰ ٱلطَّاعَاتِ مُدَةَ عُمُرِهِ بِجُرْعَةِ خَمْرٍ ، أَوْ لُقْمَةٍ مِنْ رِبًا ؛ كَمَنْ خَدَمَ كَرِيماً حَقَّ ٱلْخِدْمَةِ مِائَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ بَدَتْ مِنْهُ مُخَالَفَةُ أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ ، أَيَحْسُنُ

---

(١) سورة طه : (٤٨) .

(٢) سورة النحل : (٢٧) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) في (ب) (سقطت) .

(٦) في (ب) (واستشكل) .

(٧) سورة التوبة: (١٢٠) .

(٨) سورة الكهف : (٣٠) .

مِنْهُ رَفْضُ حُقُوقِ [1] تِلْكَ ٱلْخَدَمَاتِ ، وَنَقْضُ عَهْدِ مَا وَعَدَ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ ، وَتَعْذِيبُهُ عَذَابَ مَنْ دَاوَمَ مُدَّةَ حَيَاتِهِ عَلَى ٱلْمُخَالَفَةِ وَٱلْمُعَادَاتِ !؟ عَلَىٰ أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مُحْبِطَةً لِثَوَابِ ٱلطَّاعَةِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرِّدَّةِ ؛ لَكَانَتْ/ ب ٢١٢/ مُنَافِيَةً لِصِحَتِهَا .

(**وَمِنْهُمْ مَنْ**) تَنَبَّهَ لِفَسَادِ هَذَا ٱلرَّأْيِ ؛ كَٱلْجُبَّائِيِّ وَٱبْنِهِ .. فَرَجَعَ عَنِ ٱلتَّمَادِي فِيهِ بَعْضَ ٱلرُّجُوعِ ، (**وَقَالَ**) رِعَايَةً لِكَثْرَةِ ٱلْمُحْبِطِ (**أَيَّ عَمَلٍ**) مِنْ أَعْمَالِ ٱلطَّاعَةِ .. (**زَادَ أَجْراً**) وَأَيَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ ٱلْمَعَاصِي ..(**زَادَ وُزْراً ، لَا عَدَداً ، أَحْبَطَ ٱلْأَقَلَّ**) مِنَ ٱلْأَجْرِ وَٱلْوِزْرِ ، فَلَيْسَ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ عَدَدِ ٱلطَّاعَاتِ وَٱلْمَعَاصِي وَإِنْ زَعَمَهُ فِي « ٱلْمَوَاقِفِ » بَلْ إِلَىٰ مَقَادِيرِ ٱلْأُجُورِ وَٱلْأَوْزَارِ ؛ إِذْ رُبَّ كَبِيرَةٍ يَزِيدُ وِزْرُهَا عَلَىٰ أُجُورِ طَاعَاتٍ كَبِيرَةٍ فَيُحْبِطُهَا :

إِمَّا إِحْبَاطاً (**مَحْضاً**) بِأَنْ يُسْقِطَ ٱلْأَقَلَّ ؛ كَمَا قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْبِطَ مِنَ ٱلْأَكْثَرِ شَيْءٌ فَسُقُوطُ ٱلْأَقَلِّ إِنْ كَانَ ثَوَاباً .. يَكُونُ عِقَاباً ، أَوْ عِقَاباً يَكُونُ ثَوَاباً .

(**أَوْ**) إِحْبَاطاً (مُوَازَنَةً) بِأَنْ يُسْقِطَ ؛ كَمَا قَالَ ٱبْنُهُ : ٱلْأَقَلَّ وَمَا قَابَلَهُ مِنَ ٱلْأَكْثَرِ ، فَمَنْ لَهُ مَثَلاً مِائَةَ جُزْءٍ عِقَاباً ، ثُمَّ ٱكْتَسَبَ أَلْفَ جُزْءٍ ثَوَاباً .. سَقَطَ عَنْهُ عِقَابُهُ وَمِائَةُ جُزْءٍ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَمَنْ لَهُ مِائَةَ جُزْءٍ ثَوَاباً ،

---

(١) في (ب) (سقطت) .

ثُمَّ ٱكْتَسَبَ أَلْفَ جُزْءٍ عِقَاباً .. سَقَطَ ثَوَابُهُ وَمِائَةُ جُزْءٍ مِنْ عِقَابِهِ .[1]

وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ مَا قَالَاهُ مِنَ ٱلْإِحْبَاطِ مَحْضاً ، أَوْ مُوَازَنَةً .. لَا يَجُوزُ ٱلْقَوْلُ بِهِ إِلَّا بِنَصٍّ صَرِيحٍ ، وَمَا تَمَسَّكُوا بِهِ لِمَا زَعَمُوهُ مِنْ إِحْبَاطِ ٱلْحَسَنَاتِ بِٱلسَّيِّئَاتِ ؛ (مِثْلُ : ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[2] ، ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾[3] ، ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾[4] مِمَّا صَرَّحَ فِيهِ بِٱلْإِحْبَاطِ . . فَلَيْسَ بِٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادُوهُ بَلْ ؛ بِمَعْنَىٰ : أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ٱسْتَحَقَّ بِهِ ٱلذَّمَ وَٱلْعِقَابَ ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ لِيَسْتَحِقَّ بِهِ ٱلْمَدْحَ وَٱلثَّوَابَ ، يُقَالُ : إِنَّهُ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ؛ كَٱلصَّدَقَةِ مَعَ ٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ وَبِدُونِهَا .. (**فَلَا يُفِيدُ مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُبُوطِ حَسَنَةٍ بِسَيِّئَةٍ سَابِقَةٍ ، أَوْ لَاحِقَةٍ**) ، وَأَمَّا إِحْبَاطُ جَمِيعِ ٱلطَّاعَاتِ بِٱلْكُفْرِ ؛ بِمَعْنَىٰ : أَنَّهُ لَا يُثَابَ عَلَيْهَا .. فَلَيْسَ مِنَ ٱلْمُتَنَازَعِ ، إِذْ هُوَ مَحَلُّ وِفَاقٍ .

(**وَعَارَضَهُ**) ؛ أَيْ : وَعَارَضَ مَا قَالُوهُ قَوْلُهُ / أ ٢١٣/ تَعَالَىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(١) تسمى مسألةَ رجحان السيئات على الحسنات أو الاحباط ، وهو: أن يكون أحد العملين ماحيا لاثار العمل السابق ، فكما يسقط الثواب بالمعاصي ، كذلك يسقط العقاب بما يفعله الانسان من الطاعات والخيرات وفي المسألة ثلاثة أراء : الأول منها وهو رأي الجمهور منهم - ؛ أي : المعتزلة - وقد مرَّ ، و الثاني : رأي أبي علي الجبائي الذي يرى أن الطاعات السابقة على المعاصي .. يسقط منها بمقدار المعاصي ، وتبقى المعاصي على حالها ؛ فمثلاً : من أطاع عشرين مرة ، وعصى عشر مرات ، يسقط من طاعاته بمقدار معاصيه ، وتبقى معاصيه على حالها ، ولو زادت معاصيه على طاعاته ، فإنها تذهب طاعاته بكاملها وتبقى معاصيه ، والثالث : رأي أبي هاشم الذي ذهب إلى أن الإحباط يكون من الطرفين ، فكما تحبط الطاعاتُ المعاصيَ ؛ كذلك تحبط المعاصي الطاعاتِ ؛ فمثلاً : من أطاع عشراً وعصى عشرين ، فإنه تذهب طاعاته بما يقابلها من المعاصي ، ولا يبقى عليه سوى الزائد من معاصيه . يقول القاضي عبدالجبار في « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٦٢٨ -٦٢٩) : (لو أتى المكلف بطاعة استحق عليها عشرة أجزاء من الثواب ، وبمعصية استحق عليها عشرين جزءاً من العقاب ، فمن مذهب أبي علي أنه يحسن من الله تعالى أن يفعل به في كل وقت عشرين جزءاً من العقاب ، ولا يثبت لما كان قد استحقه على الطاعة التي أتى بها تأثير بعدما ازداد عقابه عليه ، وقال أبو هاشم : لا ؛ بل يقبح من الله تعالى ذلك ، ولا يحسن منه أن يفعل به من العقاب إلا عشرة أجزاء ، فأما العشرة الأخرى .. فإنها تسقط بالثواب الذي قد استحقه على ما أتى به من الطاعة ، وهذا هو الصحيح من المذهب ، ولعمري إنه القول اللائق بالله تعالى دون ما يقوله أبو علي .وبهذا يتبين أن القاضي يميل إلى رأي أبي هاشم . ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (١ ٢١٣) ، و « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٦٢٨ -٦٢٩) و « المواقف » : (٣ ٥٠٤) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٤٤) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٤) .

(٣) سورة البقرة : (٢١٧) .

(٤) سورة الحجرات : (٢) .

يَـرَهُۥ ﴾[1] ، ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾[2] مِمَّا جَاءَ دَالّاً عَلَىٰ ٱلْوَعْدِ بِٱلثَّوَابِ .

(**وَأَلْزِمُوا**) ؛ أَي : ٱلْمُعْتَزِلَةَ مِنْ تِلْقَاءِ إِمَامِ ٱلْحَرَمَيْنِ (**بِأَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ**) مِنَ ٱلْكَبَائِرِ (**يَزِيدُ وِزْرُهَا عَلَىٰ أَجْرِ مَعْرِفَةِ ٱللهِ**)[3] ، ثُمَّ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ ٱلْوَاجِبَاتِ وَأَصْلُهَا .. فَيَجِبُ عَلَىٰ ٱلْمُعْتَزِلَةِ (**أَنْ يَدْرَؤُا بِهَا**) أَيْ : بِمَعْرِفَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ (**جَمِيعَ ٱلْكَبَائِرِ**) وَإِلَّا بَطَلَ هَذَيَانُهُمْ بِتَعَاقُبِ ٱلْأَعْمَالِ وَسُقُوطِ أَقَلِّهَا بِأَكْثَرِهَا .

وَمَنْ زَعَمَ : أَنَّهُ لَا ثَوَابَ عَلَيْهَا[4] ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَرِطُ فِي تَرَتُّبِهِ عَلَى ٱلْمُتَقَرِّبِ بِهِ مَعْرِفَةُ ٱلْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ .. فَقَدْ غَفَلَ عَنْ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي طَلَبِ كُلِّ مَجْهُولٍ مِنْ شُعُورٍ بِهِ ؛ لِيُمْكِنَ ٱلتَّوَجُّهُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَكْمَلَ ؛ لِاسْتِحَالَةِ طَلَبِهِ مَجْهُولاً مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، فَلَا بُدَّ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُعُورٍ[5] مَا بِهِ ، وَذَلِكَ كَافٍ فِي تَرَتُّبِهِ عَلَيْهَا ، وَلَقَدْ جَاءَ مَا شَهِدَ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ عَفُوٌّ غَفُورٌ عَنِ ٱلصَّغَائِرِ مُطْلَقاً ، وَعَنِ ٱلْكَبَائِرِ بِٱلتَّوْبَةِ ٱتِّفَاقاً .

(**وَأَمَّا ٱلْعَفْوُ عَنْهَا بِلَا تَوْبَةٍ**) .. فَعِنْدَنَا (**جَائِزٌ**) عَقْلاً ؛ لِأَنَّ ٱلْعِقَابَ حَقُّهُ تَعَالَىٰ ، فَلَهُ إِسْقَاطُهُ مَعَ كَوْنِهِ نَفْعاً لِلْمَعْفُوِّ عَنْهُ بِلَا ضَرَرٍ لِأَحَدٍ (**وَدَلَّ عَلَىٰ وُقُوعِهِ وَنَفْيِهِ**) أَيْ : دَلَّ عَلَىٰ وُقُوعِ ٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْكَبَائِرِ بِلَا تَوْبَةٍ ، وعَلَىٰ نَفْيِ وُقُوعِهِ (**عَنِ ٱلْكُفْرِ**) بِدُونِهَا .. قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ صَغِيراً ، أَوْ كَبِيراً ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾[6] تَابَ ، أَوْ لَمْ يَتُبْ ، فَٱلنَّافِي خَاصٌّ بِٱلْكُفْرِ ، وَٱلْمُثْبِتُ عَامٌّ فِيمَا دُونَهُ لَا تُخْرِجُهُ ٱلْمَشِيئَةُ عَنْهُ ، وَلَا يُمْكِنُ تَقْيِيدُهُ بِٱلتَّوْبَةِ ؛ لِعُمُومِ ٱلْعَفْوِ بِهَا ٱلْكُفْرَ وَمَا دُونَهُ ، فَيَلْزَمُ تَسَاوِي مَا نَفَىٰ عَنْهُ ٱلْغُفْرَانَ .

وَمَا أُثْبِتَ لَهُ فِيهَا مَعَ أَنَّ ٱلْآيَةَ إِنَّمَا وَرَدَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُمَا بِوُقُوعِ ٱلْغُفْرَانِ (**وَلَا وُقُوعُهُ هَذَا مَعَ ظَاهِرِ**) قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلْعَفْوِ بِلَا تَوْبَةٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾[7]، ﴿ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[8]، ﴿

---

(١) سورة الزلزلة : (٧) .

(٢) سورة النجم : (٣١) .

(٣) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الأعتقاد » : (ص : ٣٠١) .

(٤) في (ب) (عليه) .

(٥) في (ب) (شعورها) .

(٦) سورة النساء : (٤٨) .

(٧) سورة الزمر : (٥٣) .

(٨) سورة الشورى : (٢٥) .

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[1] (وَمَعَ صَرِيحِ) قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِيهِ بِدُونِهَا : ((ٱدْخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ ٱلْكَبَائِرِ / ب ٢١٣/ مِنْ أُمَّتِي))[2] وَمَعَنَى ٱلْعَفْوِ وَٱلْغُفْرَانِ .. تَرْكُ ٱلْعُقُوبَةِ وَٱلسِّتْرِ بِعَدَمِ ٱلْمُؤَاخَذَةِ .

(وَحَمْلُهَا) أَيْ : حَمْلُ ٱلْمُعْتَزِلَةِ مَا جَاءَ مِنَ ٱلْأَدِلَّةِ ظَاهِراً وَ صَرِيحاً (عَلَىٰ) ٱلْعَفْوِ (عَنِ ٱلصَّغَائِرِ أَوْ مَا) أَيْ : أَوْ عَلَىٰ ٱلْعَفْوِ (بَعْدَ ٱلتَّوْبَةِ) ، أَوْ عَلَىٰ (تَأْخِيرِ ٱلْعُقُوبَاتِ ٱلْمُسْتَحَقَّةِ لَا يَصِحُّ)[3] ؛ لِكَوْنِهِ عُدُولاً عَنِ ٱلظَّاهِرِ بِلَا دَلِيلٍ ، وَتَقْيِيداً لِلإِطْلَاقِ بِلَا قَرِينَةٍ ، وَتَخْصِيصاً لِلْخَاصِّ بِلَا مُخَصِّصٍ عَلَىٰ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ تَقْيِيدِهِمْ ٱلْغُفْرَانَ بِمَا بَعْدَهَا .. نَقْضٌ لِمَذْهَبِهِمْ فَإِنَّ تَعْلِيقَهُ بِٱلْمَشِيئَةِ .. يُنَافِي وُجُوبَ ٱلتَّعْذِيبِ قَبْلَهَا ، وَٱلتَّرْكَ بَعْدَهَا .

(وَمَنْعَهُ) أَيْ : مَنَعَ (ٱلْمُعْتَزِلَةُ) ٱلْبَصْرِيَّةُ ، وَبَعْضُ ٱلْبَغْدَادِيَّةِ وُقُوعَ ٱلْعَفْوِ بِلَا تَوْبَةٍ (سَمْعاً بِمَا) عَمَّ ٱلْعُصَاةَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ ٱلْأَدِلَّةِ ٱلشَّاهِدَةِ بِوَعِيدِهِمْ مِمَّا مَرَّ فِي بَحْثِ ٱلْخُلُودِ[4] (وَ) بِمَا (خَصَّهُمْ مِنَ) ٱلْأَدِلَّةِ ٱلْوَارِدَةِ (فِي ٱلْوَعِيدِ) ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي أَكْلِ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾[5] ، وَفِي ٱلْفِرَارِ يَوْمَ ٱلزَّحْفِ : ﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[6] وَفِي تَعَدِّي حُدُودِ ٱلْمَوَارِيثِ : ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[7] .

(وَإِلَّا لَزِمَ) مِنْ تَحَقُّقِ ٱلْعَفْوِ بِلَا تَوْبَةٍ ، وَتَرْكِ ٱلْعِقَابِ بِٱلنَّارِ مَعَ تَحَقُّقِ ٱلْوَعِيدِ (خُلْفُهُ) أَيْ : خُلْفُ

---

(١) سورة الشورى : (٣٠) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في « المعجم الأوسط » : (٥٩٤٢) ، (٦ ١٠٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » وأخرجه أبو داوود في « سننه » : (٤٧٣٩) ، (٤ ٢٣٦) ، والترمذي في « سننه » : (٢٤٣٥) ، (٤ ٢٠٣) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٣٢٢٢) ، (٢٠ ٤٣٩) بلفظ : ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » وقال الترمذي عنه : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

(٣) ينظر : « تنزيه القرآن عن المطاعن » : (ص: ٩٨) قال القاضي عبد الجبار : (ثمّ إنه ﴿ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ ﴾ والمراد مع الاصرار ، واذا صح ذلك فإنما أراد أصحاب الصغائر دون أصحاب الكبائر ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ) ، و« المواقف » : (٣ ٥٠٦) ، و «شرح المقاصد » (٥ ١٤٨) .

(٤) نقله عنهم الجويني في : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الأعتقاد » (ص : ٣٠٤) فقال : أن مذهب البصريين وبعض البغداديين جواز العفو عقلا أو شرعا ، و التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٥٤) .

(٥) سورة النساء : (٣٠) .

(٦) سورة ال عمران : (١٦٢) .

(٧) سورة النساء : (١٤) .

ٱلْوَعِيدِ ، وَلَزِمَ ٱلْكَذِبُ فِي ٱلْأَخْبَارِ ، وَهُوَ نَقْصٌ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، (**وَ**) مَنَعَهُ مِنْهُمُ ٱلْكَرْخِيُّ [١] وَأَتْبَاعُهُ (**عَقْلاً ؛ بِأَنَّهُ**) أَيِ : ٱلْعَفْوَ بِلَا تَوْبَةٍ (**إِغْرَاءٌ**) وَحَثٌّ لِلْمُكَلَّفِ (**عَلَىٰ**) ٱرْتِكَابِ (**ٱلْقَبَائِحِ**) بِٱتِّكَالِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ ٱلْعَفْوِ ، وَذَلِكَ قَبِيحٌ يَمْتَنِعُ ٱسْتِنَادُهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ [٢].

(**قُلْنَا**) : جَوَاباً عَنْ مَنْعِ ٱلْأَوَّلَيْنِ ، (**وَعَمَّهُمُ ٱلْوَعْدُ أَيْضاً**) بِٱلثَّوَابِ مَعَ (**بُطْلَانِ خُلْفِهِ**) ؛ أَيِ : ٱلْوَعْدِ (**ٱتِّفَاقاً**) لِأَنَّهُ نَقْصٌ وَلَوْمٌ لَا يَلِيقُ بِٱلْكَرِيمِ (**وَخُلْفُ ٱلْوَعِيدِ كَرَمٌ**) وَفَضْلٌ ، لَا يُعَدُّ نَقْصاً فِي مَجَارِي ٱلْعُقُولِ ، فَقَوْلُهُمْ بِإِحْبَاطِ ٱلثَّوَابِ بِٱلْمَعْصِيَةِ ؛ كَمَا مَرَّ .. فَاسِدٌ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يُعَدُّ تَرْكُ ٱلْعِقَابِ بِٱلنَّارِ خُلْفاً مَذْمُوماً ، وَلَا يُعَدُّ تَرْكُ ثَوَابِ ٱلْجَنَّةِ خُلْفاً مَذْمُوماً .

(**وَ**) رَدُّهُمْ : /أ ٢١٤/ بِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ خُلْفُ ٱلْوَعِيدِ .. لَصَحَّ أَنْ يُسَمَّىٰ مُخْلِفاً لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ إِذْ كَثِيرٌ مِنْ أَفْعَالِهِ تَعَالَىٰ لَا يَصِحُّ إِطْلَاقُ ٱسْمِ ٱلْفَاعِلِ مِنْهَا عَلَيْهِ ؛ لِإِيهَامِهِ ٱلنَّقْصَ ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُسَمَّىٰ : مَاكِراً ، وَلَا مُسْتَهْزِأً ، وَلَا زَارِعاً ، مَعَ أَنَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَ ٱلثَّوَابِ ، وَلَا يُسَمَّىٰ مُنْجِزاً .

(وَ) عَنِ ٱلثَّانِي : بَعْدَ تَسْلِيمِ قَاعِدَةِ ٱلْحُسْنِ وَٱلْقُبْحِ ٱلْعَقْلِيَّيْنِ بِأَنَّهُ قَدْ كَفَىٰ (**بِٱحْتِمَالِ ٱلْعُقُوبَةِ زَاجِراً**) عَنِ ٱرْتِكَابِهَا (**فَكَيْفَ مَعَ ٱلْقَاطِعِ**) مِنَ ٱلْآيَاتِ (**بِهَا**) وَبِٱلْوَعِيدِ وَكَيْفَ يَكُونُ ٱحْتِمَالُ تَرْكِهَا مَظَنَّةً لِلْإِغْرَاءِ وَمُفْضِياً إِلَى ٱلْإِجْتِرَاءِ عَلَيْهَا .

---

(١) الصواب الذي منع ذلك البلخي أبو قاسم وليس الكرخي ، ولعل ذلك وهم وقع من المؤلف ، والكَعْبي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي ، من بني كعب ، البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى « الكعبية » وتوفي ببلخ (٣١٩ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٤ ٣١٣) ، و« الأعلام » : (٤ ٦٥) .

(٢) قال في « شرح المقاصد » : (٥ ١٥٦) : (و أما بحسب العقل .. فيجوز العفو عن الكبائر كلها إلا عند الكعبي) وذكر إمام الحرمين في « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الأعتقاد » (ص ٣٠٤) .



[مبحث الشفاعة]

(وَإِذاَ جَازَ) ٱلْعَفْوُ بِدُونِ تَوْبَةٍ سَمْعاً وَعَقْلاً (**بِلَا شَفَاعَةٍ فَمَعَهَا**) مِمَنْ أَذِنَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ فِيهَا (**أَوْلَىٰ** ؛ **إِذْ**) قَدْ وَرَدَ : أَنَّهُ يَشْفَعُ ٱلْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ صُلَحَاءُ أُمَمِهِمْ [1] (**وَهِيَ عِنْدَنَا**) أَهْلُ ٱلسَّنَّةِ (**لِحَطِّ ٱلسَّيِّئَاتِ**) وَإِسْقَاطِهَا عَنِ ٱلْعُصَاةِ .

إِمَّا فِي ٱلْمَوْقِفِ ، أَوْ بَعْدَ دُخُولِ ٱلنَّارِ (**وَطَلَبِ ٱلْمَنَافِعِ**) لِلْمُؤْمِنِينَ ؛ كَزِيَادَةِ ٱلْمَثُوبَاتِ وَرَفْعِ ٱلدَّرَجَاتِ ، فَقَدْ جَاءَ : ((أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. يَشْفَعُ فِي فَصْلِ ٱلْقَضَاءِ لِأَهْلِ ٱلْمَوْقِفِ حِينَ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ ٱلْأَنْبِيَاءِ [2].

وَفِي إِدْخَالِ جَمَاعَةٍ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ [3]، وَفِي عَدَمِ دُخُولِ أُنَاسٍ ٱلنَّارَ قَدِ ٱسْتَحَقُّوهَا[4] ، وَفِي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في « سننه » : (٤٣١٣)، (٥ ٣٦٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » : (٣ ٢٢٧) عن سيدنا عثمان بن عفان « رضي الله عنه » ، قال العراقي في « تخريج الإحياء » : (١ ٣١) : إسناده ضعيف .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٣٦١) ، (٨ ١٤١) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٩٤) ، (١ ١٨٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه »

(٣) أخرج الترمذي في « سننه » (٢٤٣٧) ، (٤ ٤٠٤) ، وابن ماجه في « سننه » (٤٢٨٦) ، (٢ ١٤٣٣) ، و الإمام أحمد في « مسنده » : (٢٢٣٠٣) ، (٣٦ ٦٣٩) عن سيدنا أبي أمامة « رضي الله عنه » يقول : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : ((وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته)) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤) يمكن أن يستدل لهذا القسم بما أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦٣٠٥) ، (٨ ٦٧) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٠٠) ، (١ ١٩٠) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، أن نبي الله « صلى الله عليه وسلم » قال : ((لكل نبي دعوة دعاها لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)).. فيدخل تحتها العصاة ويدخل تحتها الأبرار .

إِخْرَاجِ مَنْ دَخَلَهَا[١] .وَفِي رَفْعِ دَرَجَاتِ قَوْمٍ فِي ٱلْجَنَّةِ [٢].

وَفِيمَنْ مَاتَ بِٱلْمَدِينَةِ [٣].

وَفِي ٱلتَّجَاوُزِ عَنْ تَقْصِيرِ جَمَاعَةٍ مِنَ صُلَحَاءِ ٱلْأُمَّةِ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، وَفِي تَخْفِيفِ عِقَابِ مَنْ ٱسْتَحَقَّ خُلُودَ ٱلنَّارِ ؛ كَأَبِي طَالِبٍ[٤] ، وَكَذَا أَبُو لَهَبٍ لَيْلَةَ ٱلْإِثْنَيْنِ ؛ لِعِتْقِهِ فِيهَا مَنْ بَشَّرَتْهُ بِوِلَادَتِهِ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » [٥] قِيلَ : وَيَشْفَعُ فِي دُخُولِ أَطْفَالِ ٱلْكُفَّارِ ٱلْجَنَّةَ [٦].

(**وَخَصَّهَا**) أَيْ : خَصَّ (**ٱلْمُعْتَزِلَةُ**)[٧] ٱلشَّفَاعَةَ (**بِطَلَبْهَا**) أَي : قَصَرُوهَا عَلَىٰ طَلَبِ ٱلْمَنَافِعِ لِمَنْ أَطَاعَ وَتَابَ ؛ زِيَادَةً لَمَثُوبَاتِهِمْ ، وَرَفْعَ دَرَجَاتِهِمْ (**فَمِثْلُ**) : ﴿**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ**﴾[٨] ، ﴿ **وَلَا**

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦٥٦٥) ، (٨ ١١٦) عن سيدنا أنس « رضي الله عنه » ، قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ((يجمع الله الناس يوم القيامة ، ... ثم أشفع فيحد لي حدا ، ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة ، أو الرابعة ، حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن)) .

(٢) قال ابن حجر في « فتح الباري » : (١١ ٤٢٨) : (ودليل الخامسة قوله في حديث أنس عند مسلم : (أنا أول شفيع في الجنة) كذا قاله بعض من لقيناه ، وقال وجه الدلالة منه أنه جعل الجنة ظرفا لشفاعته ، قلت : وفيه نظر ؛ لأني سأبين أنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به والذي يطلب هنا أن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية أن يبلغها بشفاعته ، وأشار النووي في « الروضة » إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه مع أنه لم يذكر مستندها) .

(٣) أخرج مسلم في « صحيحه » (١٣٧٤) ، (٢ ١٠٠٢) عن أبي سعيد مولى المهري ، أنه جاء سيدنا أبا سعيد الخدري « رضي الله عنه » ليالي الحرة ، فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله ، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها ، فقال له : ويحك لا آمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : ((لا يصبر أحد على لأوائها ، فيموت ، إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما)).

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٨٨٥) ، (٥ ٥٢) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢١٠) ، (١ ١٩٥) عن سيدنا أبي سعيد « رضي الله عنه » أنه سمع النبي « صلى الله عليه وسلم » ، وذكر عنده عمه ، فقال : ((لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه)) .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٥١٠١) ، (٧ ٩) : قال عروة ، وثويبة مولاة لأبي لهب : كان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي « صلى الله عليه وسلم » ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة ، قال له : ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب : لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة)

(٦) أورده السيوطي في « الجامع الكبير » : (٥ ٢٠٢) ، (١٤٦٢٧٣) عن سيدنا أنس « رضي الله عنه » عن النبي « صلى الله عليه وسلم » : ((سألت ربى أن يتجاوز لى عن أطفال المشركين ، فتجاوز عنهم وأدخلهم الجنة)) .

(٧) يقول القاضي عبد الجبار في « تنزيه القرآن عن المطاعن » : (ص : ٣٦٧) في قوله : ﴿ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ ﴾ يدل على أن الشفاعة لا تكون الا للمؤمنين فتزيدهم منزلة على وجه التفضل ولو كانت الشفاعة لأهل الكبائر المصرّين لم يصح هذا الظاهر) . وقال في « متشابه القرآن » : (٢ ٦٠٠) : (وأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ؛ لتحصل لهم مزية في التفضل وزيادة في الدرجات مع ما يحصل له « صلى الله عليه وسلم » من التعظيم والإكرام) .

(٨) سورة البقرة : (٤٨) .

تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ (١)، ﴿ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾(٢) ، ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ (٣)، ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(٤) ، أَيْ : يُجَابُ : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٥)/ ب ٢١٤/، مِمَّا وَرَدَ شَاهِداً بِنَفْيِ ٱلشَّفَاعَةِ .. (خَاصٌّ بِٱلْكُفَّارِ) جَمْعاً بَيْنَ ٱلْأَدِلَّةِ مَعَ أَنَّ ٱلظَّالِمَ عَلَىٰ ٱلْإِطْلَاقِ هُوَ : ٱلْكَافِرُ ، وَإِنَّ نَفْيَ ٱلنُّصْرَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ ٱلشَّفَاعَةِ ؛ لِأَنَّهَا طَلَبٌ بِخُضُوعٍ ، وَٱلنُّصْرَةُ قَدْ تُفْضِي إِلَىٰ مُدَافَعَةٍ وَمُقَاتَلَةٍ .

(فَتَمَسُّكُهُمْ بِهِ) أَيِ : ٱلْمُعْتَزِلَةُ بِمَا ذُكِرَ مِنَ ٱلْأَيَاتِ (نَفْياً لَهَا) أَيْ : لِأَجْلِ نَفْيِ ٱلشَّفَاعَةِ .. (يُكَذِّبُهُ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٦) ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (٧) ، ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٨) ((ٱدَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ ٱلْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) (٩)، ((لَيَدْخُلَنَ ٱلْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ)) (١٠)، ((مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ فِي ٱلْفِئَامِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ فِي ٱلْقَبِيلَةِ ، وَلِلرَّجُلِ وَلِلرَّجُلَيْنِ عَلَىٰ قَدرِ عَمَلِهِ)) (١١).

وَمَنْ (حَمَلَهَا عَلَىٰ طَلَبِهَا) أَيْ : مَنْ حَمَلَ ٱلشَّفَاعَةَ عَلَىٰ طَلَبِ ٱلْمَنَافِعِ لِلطَّائِعِينَ وَٱلتَّائِبِينَ ، وَأَطْلَقَ لَفْظَهَا عَلَيْهِ حَقِيقَةً .. (لَزِمَهُ) بِمَا زَعَمَهُ (أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ زِيَادَةِ) كَرَامَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. شَفَاعَةً لَهُ ، وَٱللَّازِمُ بَاطِلٌ وِفَاقاً ؛ إِذْ لَوْ كَانَ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ حَقِيقَةً .. لَزِمَ ٱطِّرَادُهُ فِيهِ وَكَفَاكَ شَاهِداً

---

(١) سورة البقرة : (١٢٣) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٤) .

(٣) سورة المدثر : (٤٨) .

(٤) سورة غافر : (١٨) .

(٥) سورة آل عمران : (١٩٢) .

(٦) سورة سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » : (١٩) .

(٧) سورة سيدنا ابراهيم « عليه السلام » : (٤١) .

(٨) سورة سيدنا نوح « عليه السلام » : (٢٨) .

(٩) سبق تخريجه .

(١٠) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٤٣٨) ، (٤ ٢٠٥) ، وابن ماجه في « سننه » : (٤٣١٦) ، (٢ ١٤٤٣) ، وابن حبان في « صحيحه » : (٧٣٧٦) ، (١٦ ٣٧٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » : (١٨٨) ، (٢٢ ٧٦) ، والإمام أحمد في « مسنده » : (١٥٨٥٧) ، (٢٥ ١٨٨) عن سيدنا عبد الله بن أبي الجدعاء « رضي الله عنه» قال عنه الترمذي : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» .

(١١) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » : (١١١٤٨) ، (١٧ ٢٣٦) ، و الترمذي في « سننه » : (٢٤٤٠) ، (٤ ٢٠٦) بلفظ : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ » . سيدنا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري « رضي الله عنه » وقال عنه : هذا حديث حسن.

بتميُّزِ ٱلْكَبَائِرِ بِذَوَاتِهَا عَنِ ٱلصَّغَائِرِ ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [1] أَيْ : نَغْفِرْ لَكُمْ صَغَائِرَكُمْ وَنَمْحُوهَا عَنْكُمْ .

[الكبائر]

وَقَدْ عُرِّفَتِ (**ٱلْكَبِيرَةُ**) : بِأَنَّهَا (**مَا أَشْعَرَ بِقِلَّةِ ٱلاِكْتِرَاثِ**) [2] أَيِ : ٱلْمُبَالَاةِ (**بِٱلدِّينِ**) ، وَرِقَّةِ دِيَانَةِ مُرْتَكِبِهَا ، وَهُوَ غَيْرُ مَانِعٍ لِدُخُولِ صَغِيرَةِ ٱلْخِسَّةِ فِيهِ (**أَوْ**) هِيَ (**مَا**) أَيْ : كُلُّ ذَنْبٍ (**تُوِّعِدَ عَلَيْهِ**) بِخُصُوصِهِ مِنَ ٱلشَّارِعِ ، وَصُرِّحَ فِيهِ بِٱلْوَعِيدِ ، (**أَوْ**) هِيَ (**مَا**) وَرَدَ (**فِيهِ حَدٌّ**) [3] أَوْ إِنَّ كِبَرَ ٱلذُّنُوبِ وَصِغَرَهَا بِٱلْإِضَافَةِ إِلَىٰ مَاتَحْتَهَا ، وَمَا فَوْقَهَا فَأَكْبَرُ ٱلْكَبَائِرِ ٱلْكُفْرُ ، وَأَصْغَرُ ٱلصَّغَائِرِ حَدِيثُ ٱلنَّفْسِ ، وَبَيْنَهُمَا وَسَائِطُ يَصْدُقُ عَلَيْهَا ٱلْأَمْرَانِ .

فَٱلْكَبِيرَةُ : هِيَ مَا تَكُونُ (**بِٱلنَّظَرِ إِلَىٰ مَا دُونَهَا**) وَبِٱلنَّظَرِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهَا صَغِيرَةٌ .

فَمَنْ عَنَّ لَهُ مِنْهَا أَمْرَانِ .. فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهِمَا فَكَفَّهَا عَنْ أَكْبَرِهَا [4] .. غُفِرَ لَهُ مَا ٱرْتَكَبَهُ بِثَوَابِ / أ ٢١٥/ ٱجْتِنَابِهِ ٱلْأَكْبَرَ ، قِيلَ : وَلَعَلَّهُ [5] يَتَفَاوَتُ بِٱعْتِبَارِ ٱلْأَشْخَاصِ وَٱلْأَحْوَالِ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ عَاتَبَ نَبِيَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي كَثِيرٍ مِنْ خَطَرَاتِهِ ٱلَّتِي لَمْ يَعُدَّهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ ذَنْباً .

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يُمْكِنُ ؛ كَمَا فِي « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » : (ٱجْتِنَابُ ٱلْكَبَائِرِ إِلَّا بِتَرْكِ جَمِيعِ ٱلْمَنْهِيَّاتِ سِوَىٰ

---

(١) سورة النساء : (٣١) .

(٢) ينظر : « حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع » : (٢ ١٧٩).

(٣) عرَّفها الماوردي في « النكت والعيون » : (٣ ١٣٣) : مَا أَوْجَبَ الْحَدَّ أَوْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْوَعِيدُ ، وقال ابن عطية : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » : (٥ ١٨٤) : (تحرير القول في الكبائر أنها كل معصية يوجد فيها حد في الدنيا ، أو توعد بنار في الآخرة ، أو لعنة) ، وقال العز بن عبد السَّلام في « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » : (١ ٢٤) : (وَقَدْ ضَبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْكَبَائِرَ بِأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ قُرِنَ بِهِ وَعِيدٌ أَوْ حَدٌّ أَوْ لَعْنٌ فَهُوَ مِنْ الْكَبَائِرِ) و قال القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » : (٥ ١٦٠) : (كُلُّ ذنب عظم الشَّرع التوعد عليه بالْعقاب وشدده ، أو عَظم ضرره في الْوجودِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ وَمَا عَدَاهُ صَغِيرَةٌ) .

(٤) في (ب) (اكبرهما) .

(٥) في (ب) (مما يتفاوت) .

وَاحِدَةٍ ، هِيَ دُونَ ٱلْكُلِّ ، وَأَنَّىٰ لِلْبَشَرِ ذَلِكَ) [1].

وَمِنْهُمْ مَنْ عَيَّنَهَا فَقَالَ هِيَ :

(**كَكُفْرٍ** ، **وَقَتْلٍ**) ظُلْماً ، عَمْداً ، أَوْ شُبْهَةً بِخِلَافِ ٱلْخَطَأِ ؛ كَمَا صَرَّحَ بِهِ شُرَيْحٌ ٱلرُّويَانِيُّ [2].

(**وَزِنًا**) ؛ لِحَدِيثِ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ ٱللهِ : أَيُّ ٱلذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ ؟ قَالَ : أَنْ تَدْعُوَ للهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ .. فَأَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ تَصْدِيقَهَا : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[3] [4].

(**وَلِوَاطٍ**) ؛ لِإِضَاعَتِهِ مَا لِلنَّسْلِ ؛ كَٱلزِّنَا ، بَلْ هُوَ أَفْحَشُ مِنْهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ قَوْمُ لُوطٍ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. فَأَهْلَكَهُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ؛ كَمَا قَصَّهُ فِي كِتَابِهِ .

(**وَشُرْبِ مُسْكِرٍ**) كَخَمْرٍ : وَهُوَ مَا ٱشْتَدَّ مِنْ مَاءِ ٱلْعِنَبِ [5] ، وَإِنْ لَمْ يُسْكِرْ لِقِلَّتِهِ ، وَنَبِيذٍ : وَهُوَ مَا ٱشْتَدَّ مِنْ مَاءِ نَقْعٍ [6] ؛ كَتَمْرٍ وَزَبِيبٍ ؛ لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ : ((إِنَّ عَلَى ٱللهِ عَهْداً لِمَنْ يَشْرَبُ ٱلْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ ٱلْخَبَالِ)) قَالُوا : وَ مَا طِينَةُ ٱلْخَبَالِ ؟ قَالَ : ((عَرَقُ أَهْلِ ٱلنَّارِ)) [7] ، أَمَّا مَا لَا يُسْكِرْ لِقِلَّتِهِ مِنْ غَيْرِ ٱلْخَمْرِ .. فَٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ أَيْضاً .

---

(١) شرح المقاصد : (٥ ١٦٢) .

(٢) شريح بن عبد الكريم بن أحمد القاضي أبو نصر القاضي أبي معمر ابن الشيخ أبي العباس الروياني ابن عم صاحب البحر كان إماما في الفقه وولي توفي سنة (٥٠٥ هـ) من كتبه « روضة الأحكام وزينة الحكام » ينظر : « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (١ ٢٨٤) ، و « الأعلام » : (٣ ١٦١) ، ينظر : « الغيث الهامع شرح جمع الجوامع » : (ص : ٤٤٠) ، و « حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع » : (٢ ١٧٩) .

(٣) سورة الفرقان : (٦٨ – ٦٩) .

(٤) صحيح البخاري : (٦٨٦١) ، (٩ ٢) ، ومسلم : (٨٦) ، (١ ٩١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه ».

(٥) ينظر : « المخصص » : (٣ ١٩٢) ، و « الألفاظ » : (ص : ٢٦٨) .

(٦) ينظر : « العين » : (١ ١٦٤) .

(٧) صحيح مسلم : (٢٠٠٢) ، (٣ ١٥٨٧) عن سيدنا جابر ين عبد الله « رضي الله عنه » .

(وَسَرِقَةٍ وَغَصْبٍ) بِشَهَادَةِ : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[1] وَحَدِيثُ ٱلشَّيْخَيْنِ وَلَفْظُهُ لِمُسْلِمٍ : ((مَنِ ٱقْتَطَعَ شِبْراً مِنَ ٱلْأَرْضِ ظُلْماً [2] . . طَوَّقَهُ ٱللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)) [3] ، (وَعَنْ) جَمْعٍ : إِنَّمَا يَكُونُ ٱلْغَصْبُ كَبِيرَةً ، إِذَا بَلَغَتْ قِيمَتُهُ رُبُعَ دِينَارٍ ؛ كَمَا يُقْطَعُ بِهِ فِي ٱلسَّرِقَةِ ، أَمَّا سَرِقَةُ ٱلْقَلِيلِ . . فَصَغِيرَةٌ ، قَالَ ٱلْحَلِيمِيُّ : (إِلَّا إِذَا كَانَ ٱلْمَسْرُوقُ مِنْهُ فَقِيراً ، لَا غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ فَيَكُونُ كَبِيرَةً)[4] ./ ب ٢١٥/

(وَقَذْفٍ) بِشَهَادَةِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5] ، قَالَ ٱلْحَلِيمِيُّ : (لَا قَذْفُ صَغِيرَةٍ وَمَمْلُوكَةٍ وَحُرَّةٍ مُتَهَتِّكَةٍ ، فَإِنَّهُ صَغِيرَةٌ ؛ لِأَنَّ ٱلْإِيذَاءَ بِقَذْفِهِنَ دُونَهُ فِي ٱلْحُرَّةِ ٱلْكَبِيرَةِ ٱلْمُتَسَتِرَةِ)[6] ، وَقَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ [7]: (قَذْفُ ٱلْمُحْصَنِ فِي خَلْوَةٍ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱللهُ تَعَالَىٰ وَٱلْحَفَظَةُ لَيْسَ بِكَبِيرَةٍ مُوجِبَةٍ لِلْحَدّ ؛ لِانْتِفَاءِ ٱلْمَفْسَدَةِ ، وَقَذْفُ رَجُلٍ زَوْجَتَهُ إِذَا أَتَت بِوَلَدٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ .. مُبَاحٌ)[8] .

(وَنَمِيمَةٍ) : وَهِيَ نَقْلُ ٱلْكَلَامِ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْإِفْسَادِ ؛ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((لَا يَدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ نَمَّامٌ)) [9] ، وَلَهُمَا : أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : ((إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)) ؛ أَيْ : عِنْدَ ٱلنَّاسِ ، زَادَ ٱلْبُخَارِيُّ : بَلْ إِنَّهُ كَبِيرٌ ؛ أَيْ : عِنْدَ ٱللهِ ، ((أَمَّا أَحَدُهُمَا .. فَكَانَ يَمْشِي بِٱلنَّمِيمَةِ،

---

(١) سورة المائدة : (٣٨) .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) صحيح البخاري : (٢٤٥٢) ، (٣٠٣ ١) ومسلم : (١٦١٠) ، (٣ ١٢٣٠) عن سيدنا عمرو بن نفيل « رضي الله عنه » .

(٤) قال الحليمي : « المنهاج في شعب الإيمان » : (١ ٣٩٨) : (فإن كان المسروق منه مسكينا لا عناية عما أخذ منه فذاك كبيرة) .

(٥) سورة النور : (٢٣) .

(٦) قال الحليمي : « المنهاج في شعب الإيمان » : (١ ٣٩٨) : (وقذف المحصنات كبيرة ، فإن كانت المقذوفة أما أو أختا أو امرأة فإنه كان فاحشة كبيرة، وقذف الصغيرة والمملوكة والحرة المنتهكة من الصغائر) .

(٧) **ابن عبد السلام** : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ ، عز الدين ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد ونشأ في دمشق توفي في القاهرة سنة : (٦٦٠ هـ) من كتبه : « التفسير الكبير » ، و « الإلمام في أدلة الاحكام » ، « وقواعد الشريعة » وغيرها . ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٨ ٢٠٩) ، و « الأعلام » : (٤ ٢١) .

(٨) قال في : « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » : (١ ٢٥) : (فائدة : فَإِن قِيلَ : الكذب فيما لا يضر ولا ينفع صغيرة فما تقولون فيمن قذف محصنا قذفا لا يسمعه أحد إلا الله تعالى والحفظة ؟ مع أنه لم يواجه به المقذوف ولم يغتبه به عند الناس ، هل يكون قذفه كبيرة موجبة للحد مع خلوه من مفسدة الأذى ؟ قلنا : الظاهر أنه ليس بكبيرة موجبة للحد ؛ لانتفاء المفسدة ولا يعاقب في الآخرة عقاب المجاهر في وجه المقذوف ، أو في ملأ من الناس ، بل عقاب الكذابين غير المصرين) .

(٩) صحيح البخاري : (٦٠٥٦) ، (١٧٨) ، و صحيح مسلم : (١٠٥) ، (١ ١٠١) واللفظ له ، عن سيدنا حذيفة بن اليمان « رضي الله عنه » .

وَأَمَّا ٱلآخَرُ .. فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ)) [1]، هَذَا وَأَمَّا نَقْلُ ٱلْكَلَامِ نَصِيحَةً لِمَنْ نُقِلَ إِلَيْهِ .. فَوَاجِبٌ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ . [2]

وَأَمَّا ٱلْغِيبَةُ : وَهِيَ ذِكْرُ ٱلْإِنْسَانِ بِمَا يَكْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ .. فَقَالَ صَاحِبُ ٱلْعُدَّةِ [3] : (صَغِيرَةٌ) ، وَأَقَرَّهُ ٱلرَّافِعِيُّ [4] وَمَنْ تَبِعَهُ ؛ لِعُمُومِ ٱلْبَلْوَىٰ بِهَا ، فَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا ، وَقَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ : (كَبِيرَةٌ بِلَا خِلَافٍ) [5]، وَشَمَلَهَا تَعْرِيفُ ٱلْجُمْهُورِ ، ٱلْكَبِيرَةُ : مَا تُوِّعِدَ عَلَيْهِ بِخُصُوصِهِ [6]، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [7]، وَقَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [8]: ((لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ، يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ ٱلنَّاسِ ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ)) .

(وَشَهَادَةِ زُورٍ) لِأَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَدَّهَا فِيمَا رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ مِنَ ٱلْكَبَائِرِ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا : ((مِنْ أَكْبَرِ ٱلْكَبَائِرِ)) [9] ، وَتَرَدَّدَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ فِي تَقْيِيدِ ٱلْمَشْهُورِ بِهِ بِقَدَرِ نِصَابِ ٱلسَّرِقَةِ [10]، وَجَزَمَ

---

(١) صحيح البخاري : (٦٠٥٥) ، (١٧٨) ومسلم : (٢٩٢) ، (١ ٢٤٠) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما ».

(٢) سورة القصص : (٢٠) .

(٣) قال في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » : (٢ ١١٢٩) : (العدة : في فروع الشافعية ، لإبراهيم بن علي الطبري ، المعروف : بأبي المكارم الروياني المتوفى : سنة (٥٢٣هـ) وذكر السبكي ، في « طبقات الشافعية الكبرى » : (٧ ١٤٧) (عبد الرحمن بن الحسين بن علي الطبري أبو محمد ابن صاحب العدة الإمام أبي عبد الله) .

(٤) **الرَّافِعِي** : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرافعي القزويني ، فقيه ، من كبار الشافعية ، كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث ،. نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي وتوفي في قزوين سنة (٦٢٣ هـ) من كتبه : « فتح العزيز في شرح الوجيز » ، و « شرح مسند الشافعيّ » . ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٨ ٢٨١) ، و « الأعلام » : (٤ ٥٥) .
قال الرافعي في « العزيز شرح الوجيز » : (١٣ ٨) : (قال في « العُدَّة » ومن الصغائرِ : النظر بالعَيْن إلَى ما لا يجوز ، والغيبة ، والضَّحِكُ من غَيْر عُجْبٍ ...)

(٥) ينظر : « الجامع لأحكام القرآن » : (١٦ ٣٣٧) حيث قال : (لا خلاف أن الغيبة من الكبائر) .

(٦) حكى الأقوال جميعها مع زيادة توضيح الجلال المحلي في « شرحه على جمع الجوامع » ينظر : « حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع » : (٢ ١٨٢) .

(٧) سورة الحجرات : (١٢) .

(٨) سنن أبي داود : (٤٨٧٨) ، (٤ ٢٦٩) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه ».

(٩) صحيح البخاري : (٥٩٧٦) ، (٨ ٤) ومسلم : (٨٨) ، (١ ٩٢) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه ».

(١٠) قال في « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » : (١ ٢٣) : (وقد نص الشرع على : أن شهادة الزور ، وأكل مال اليتيم من الكبائر ؛ فإن وقعا في مال خطير فهذا ظاهر ، وإن وقعا في مال حقير ؛ كزبيبة وتمرة فهذا مشكل ، فيجوز أن يجعل من الكبائر فطاما عن هذه المفاسد) .

ٱلْقَرَافِيُّ[1] بِٱلنَّفْيِ بِلْ قَالَ : وَلَوْ لَمْ تُثْبِتْ إِلَّا فِلْساً[2].

(**وَ يَمِينٍ فَاجِرَةٍ**) / أ ٢١٦/؛ لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ : ((مَنْ ٱقْتَطَعَ حَقَّ ٱمْرِيءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ ٱللّٰهُ لَهُ ٱلنَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ))[3] ، وَلِلْبُخَارِيِّ : ((مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِ ٱمْرِيءٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ .. لَقِيَ ٱللّٰهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))[4].

(**وَقَطِيعَةِ رَحِمٍ**) : فَعِيلَةٌ مِنَ ٱلْقَطْعِ ضِدُّ ٱلْوَصْلِ ؛ لِحَدِيثِ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((لَا يَدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَاطِعٌ))[5]، وَفِي رِوَايَةِ ٱبْنِ عُيَيْنَةَ[6]: ((يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ))[7] أَيْ : قَرَابَةٍ .

(**وَعُقُوقٍ**) لِلْوَالِدَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ « صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَدَّهُ فِي حَدِيثَيِ ٱلشَّيْخَيْنِ : مِنَ ٱلْكَبَائِرِ[8]، وَفِي

---

(١) **القرافي** : أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، شهاب الدين الصنهاجي القرافي ، من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة وإلى القرافة ، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة توفي سنة (٦٨٤ هـ) ينظر : « الوافي بالوفيات » : (٦ ١٤٦) ، و « الأعلام » : (١ ٩٥) .

(٢) حيث قال في « شرح تنقيح الفصول » : (ص : ٣٦٢) : (ما تقدَّم من أن الكبيرة تتبع عظم المفسدة ، فما لا تعظم مفسدته لا يكون كبيرة ، استثنى صاحب الشرع من ذلك أشياء حقيرة المفسدة ، وجعلها مسْقِطةً للعدالة ، موجبة للفسوق لقبح ذلك الباب في نفسه ، لا لعظم المفسدة، وذلك ؛ كشهادة الزور ، فإنه فسوق مطلقاً ، وإن كان لم يُتلِفْ بها على المشهود عليه إلا فَلْساً واحداً ، ومقتضى القاعدة : أنها لا تكون كبيرة إلا إذا عظمت مفسدتها) .

(٣) صحيح مسلم : (١٣٧) ، (١ ١٢٢) عن سيدنا أبي أمامة « رضي الله عنه ».

(٤) أخرجه بهذا اللفظ « مسلم » : (١٣٨) ، (١ ١٢٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » وأما لفظ البخاري : « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان » (٢٣٥٦) ، (٣ ١١٠) .

(٥) صحيح البخاري : (٥٩٨٤) ، (٨ ٥) ومسلم : (٢٥٥٦) ، (٤ ١٩٨١) عن سيدنا جبير بن مطعم « رضي الله عنه » .

(٦) **ابن عُيَيْنَة** : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد ، الإمام الكبير ، حافظ العصر ، شيخ الإسلام محدّث الحرم المكيّ ، من الموالي ، ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفي بها سنة (١٩٨ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٨ ٤٥٤) ، و « الأعلام » : (٣ ١٠٥) .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٥٥٦) ، (٤ ١٩٨١) عن سيدنا جبير بن مطعم « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٦٥٣) ، (٣ ١٧١) و مسلم في « صحيحه » : (٨٨) ، (١ ٩١) عن سيدنا أنس « رضي الله عنه » ، قال : سئل النبي « صلى الله عليه وسلم » عن الكبائر ، قال : ((الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وشهادة الزور)) واللفظ للبخاري وفي رواية مسلم من لفظ : (سئل) .

ٱلآخَرِ : مِنْ أَكْبَرِهَا[1] ، وَأَمَا حَدِيثُهُمَا : ((ٱلْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ ٱلأُمِّ))[2] ، وَحَدِيثُ ٱلْبُخَارِيِّ : ((عَمُّ ٱلرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ))[3] .. فَلَا يَدُلَّانِ عَلَىٰ إِنْهِمَاكِهِمَا فِي ٱلْعُقُوقِ .

(**وَفِرَارٍ مِنْ زَحْفٍ**) لِأَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَدَّهُ مِنَ ٱلسَّبْعِ ٱلْمُوبِقَاتِ ؛ أَيِ : ٱلْمُهْلِكَاتِ ، رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ[4].

نَعَمْ ؛ يَجِبُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ بِثُبُوتِهِ مِنْ غَيْرِ نِكَايَةِ ٱلْعَدُوِّ ؛ لِانْتِفَاءِ إِعْزَازِ ٱلدِّينِ بِثُبُوتِهِ .

(**وَأَخْذِ مَالِ يَتِيمٍ**) لِعَدِّهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ » مِنَ ٱلسَّبْعِ ٱلْمُوبِقَاتِ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[5]، وَلِابْنِ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ : تَرَدُّدٌ فِي تَقْيِيدِهِ بِنِصَابِ ٱلسَّرِقَةِ[6] .

(**وَتَطْفِيفٍ**) كَيْلاً وَوَزْناً فِي مَكِيلٍ وَمَوْزُونٍ (**غَيْرِ تَافِهٍ**) لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[7] ، أَمَّا هُوَ فِي ٱلتَّافِهِ .. فَصَغِيرَةٌ .

(**وَصَلَاةٍ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا**) تَقْدِيماً وَتَأْخِيراً (**بِلَا عُذْرٍ**) ؛ لِحَدِيثِ ٱلتِّرْمِذِيِّ : ((مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيْنِ

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٦٥٤) ، (٣ ١٧٢) و مسلم في « صحيحه » : (٨٧) ، (١ ٩١) ، عن سيدنا أبي بكرة « رضي الله عنه » ، قال : قال النبي « صلى الله عليه وسلم » : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثا ، قالو ا: بلى يا رسول الله ، قال : ((الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا فقال - ألا وقول الزور)) ، قال : فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٢٥١) ، (٥ ١٤١) ، و مسلم في « صحيحه » : (١٧٨٣) ، (٣ ١٤٠٩) عن سيدنا البراء بن عازب « رضي الله عنه » . واللفظ للبخاري .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (١٤٦٨) ، (٢ ١٢٢) ، و مسلم في « صحيحه » : (٩٨٣) ، (٢ ٦٧٦) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » . ولكن لم تذكر هذه العبارة في البخاري : (ثم قال : ((يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟)) فقط في مسلم .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٧٦٦) ، (٤ ١٠) ، و مسلم في « صحيحه » : (٨٩) ، (١ ٩٢) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » عن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : ((الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)) .

(٥) سورة النساء : (١٠) .

(٦) حيث قال في « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » : (١ ٢٣) : (كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر ، وإن لم يتحقق المفسدة فيه ، ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة) .

(٧) سورة المطففين : (١) .

مَنْ غَيْرِ عُذْرٍ . . فَقَدْ أَتَىٰ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ ٱلرِّبَا))[١] ، وَأَوْلَىٰ بِذَٰلِكَ تَرْكُهَا.

(**وَكَذِبٍ عَلَيْهِ « صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**) لِحَدِيثِ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِداً . . فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ))[٢] ، وَأَمَّا ٱلْكَذِبُ عَلَىٰ غَيْرِهِ .. فَصَغِيرَةٌ .

(**وَسَبِّ أَصْحَابِهِ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ؛ لِإِشْعَارِهِ بِمُعَادَاتِهِمْ ، وَقَدْ رَوَى ٱلْبُخَارِيُّ : ((قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيّاً . . فَقَدْ آذَنْتُهُ))[٣] أَيْ : أَعْلَمْتُهُ أَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ ؛ أَيْ : مُعَاقِبٌ ، وَلِمُسْلِمٍ : ((كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ[٤] وَعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ .. فَسَبَّهُ / ب٢١٦/ خَالِدٌ ، فَقَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لَا تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ))[٥] .

وَلَهُمَا : ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ ٱلَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ . . . إِلَخْ))[٦] ، خَاطَبَ بِذَٰلِكَ مَنْ لَمْ يَسُبَّ مِنْ أَصْحَابِهِ تَعْرِيضاً لِمَنْ صَدَرَ عَنْهُ ٱلسَّبُّ ، وَتَنْزِيلاً لَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْزِلَةُ مَنْ لَيْسَ][٧] مِنْهُمْ ؛ لِتَعَاطِيهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ ٱلسَّبِّ ، أَمَّا سَبُّ غَيْرِهِمْ .. فَصَغِيرَةٌ ، وَرِوَايَتِهِمَا : ((سِبَابُ ٱلْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ))[٨] فَمَعْنَاهُ : تَكَرُّرُ ٱلسَّبِّ .

(**وَضَرْبِ مُؤْمِنٍ ظُلْماً**) ؛ لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ : ((صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ ؛ كَأَذْنَابِ ٱلْبَقَرِ يَضْرِبُونَ ٱلنَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ))[٩] .

---

(١) سنن الترمذي : (١٨٨) ، (١ ٥٩ ٢) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما ».
(٢) صحيح البخاري : (١١٠) ، (١ ٣٣) ومسلم : (٣) ، (١ ١٠) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه ».
(٣) صحيح البخاري : (٦٥٠٢) ، (٨ ١٠٥) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه ».
(٤) خالد بن الوليد المخزومي ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب ، سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، وليث المشاهد ، السيد الإمام ، الأمير الكبير ، قائد المجاهدين ، أبو سليمان القرشي ، المكي ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث توفي سنة (٢١ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ١٤٠) ، و « سير أعلام النبلاء » : (١ ٣٦٦) .
(٥) صحيح مسلم : (٢٥٤١) ، (٤ ١٩٦٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه ».
(٦) صحيح البخاري : (٣٦٧٣) (٥ ٨) صحيح مسلم : (٢٥٤١) ، (٤ ١٩٦٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه ».
(٧) في (ب) (سقطت) .
(٨) صحيح البخاري : (٦٠٤٤) ، (٨ ١٥) صحيح مسلم : (٦٤) ، (١ ٨١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه ».
(٩) صحيح مسلم : (٢١٢٨) ، (٣ ١٦٨٠) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه ».

(وَكَتْمِ شَهَادَةٍ) ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[1] ، وَقَرَنَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ مَعَ ٱلشِّرْكِ وَشَهَادَةِ ٱلزُّورِ فِي جَعْلِهَا مِنْ أَكْبَرِ ٱلْكَبَائِرِ [2] .

(وَرِشْوَةٍ) : وَهِيَ أَنْ يَبْذُلَ مَالاً ؛ لِيُحِقَّ بَاطِلاً أَوْ يُبْطِلَ حَقّاً [3] ؛ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ ٱبْنِ مَاجَهْ : ((لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلرَّاشِي وَٱلْمُرْتَشِي))[4] ، زَادَ ٱلتِّرْمِذِيُّ : ((فِي ٱلْحُكْمِ)) ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ ، وَٱلْحَاكِمِ [5] ، أَمَّا بَذْلُهُ فِي جَائِزٍ ؛ كَٱلتَّكَلُّمِ مَعَ ٱلسُّلْطَانِ .. فَجُعَالَةٌ [6] جَائِزَةٌ .

(وَدِيَاثَةٍ) : وَهِيَ : ٱسْتِحْسَانُ ٱلرَّجُلِ عَلَىٰ أَهْلِهِ[7] ؛ لِحَدِيثِ : ((ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ : ٱلْعَاقُّ وَالِدَيْهِ ، وَٱلدَّيُّوثُ ، وَرَجِلَةُ ٱلنِّسَاءِ))[8] .

(وَقِيَادَةٍ) ، قِيَاساً عَلَى ٱلدِّيَاثَةِ ، وَهِيَ : ٱسْتِحْسَانُهُ عَلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ[9] .

(وَسِعَايَةٍ) عِنْدَ ظَالِمٍ ؛ لِيُؤْذِيَ غَيْرَهُ بِمَا يَقُولُهُ فِي حَقِّهِ ؛ بِشَهَادَةِ مَا فِي نِهَايَةِ ٱلْغَرِيبِ [10] : (حَدِيثُ

---

(١) سورة البقرة : (٢٨٣) .

(٢) أخرج الطبري في « تفسيره » : (٥ ١٢٧) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، قال : (أكبر الكبائر الإشراك بالله ؛ لأن الله يقول : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة: ٧٢] ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾) .

(٣) قال في « تاج العروس » : (٣٨ ١٥٣) : (الرشوة : مثلثة ، الكسر هو المشهور ، والضم لغة ، وهو ما يعطيه الشخص الحاكم أو غيره ليحكم له ، أو يحمله على ما يريد) وقال في « القاموس المحيط » :(ص : ١٢٨٨) : (الرُّشْوَةُ مثلثةً: الجُعْلُ) .

(٤) سنن ابن ماجه : (٢٣١٣) ، (٢ ٧٧٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه ».

(٥) سنن الترمذي : (١٣٣٦) ، (٣ ١٥) المستدرك على الصحيحين : (٧٠٦٧) ، (٤ ١١٥) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه ». وقال عنه الترمذي : حديث حسن .

(٦) قال النووي في « المجموع شرح المهذب » : (١٥ ١١٥) (الجعالة : التزام عوض معلوم على عمل معين معلوم أو مجهول بمعين أو مجهول) وقال عليش المالكي في « منح الجليل شرح مختصر خليل » : (٨ ٦٧) : (هو أن يجعل الرجل للرجل أجرا معلوما ولا ينقده إياه على عمل معلوم يعمله أو مجهول مما فيه منفعة للجاعل) .

(٧) قال في « تاج العروس » : (٥ ٥٤) : (والديوث : بالتشديد ؛ أي : معروف ، وهو القواد على أهله ، والذي لا يغار على أهله) .

(٨) أخرجه الحاكم في « المستدرك » : (٢٤٤) ، (١ ١٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنه ». وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في « التلخيص » .

(٩) قال في « المعجم الوسيط » : (٢ ٧٦٥) : (القواد : السَّاعِي بَين الرجل وَالْمَرْأَة للفجور) .

(١٠) قال في « النهاية في غريب الحديث والأثر » : (١ ٢١٩) : (وفي حديث كعب : (أنه قال لعمر « رضي الله عنه » : أنبئني ما المثلث ؟ فقال : وما المثلث لا أبا لك ؟ فقال : شر الناس المثلث) يعني : الساعي بأخيه إلى السلطان ، يهلك ثلاثة : نفسه ، وأخاه ، وإمامه بالسعي فيه إليه) .

ٱلسِّعَايَةِ مُثَلَّثٌ) ؛ أَيْ : مُهْلِكٌ لِنَفْسِه وَلِلْمُسَعَىٰ لَهُ وَإِلَيْهِ .

(**وَمَنْعِ زَكَاةٍ**) ؛ لِحَدِيثِ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، لَايُؤَدِي مِنْهَا حَقَّهَا .. إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ .. صُفِحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ))[١] .

(**وَيَأْسٍ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ**) تَعَالَىٰ ؛ إِذْ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ [٢].

(**وَأَمْنِ مَكْرِهِ**) تَعَالَىٰ بِٱلْإِنْهِمَاكِ فِي ٱلْمَعَاصِي ٱتِّكَالاً عَلَى ٱلعَفْوِ ؛ إِذْ لَا يَأْمَنُ / أ ٢١٧/ مِنْ مَكْرِهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ [٣].

(**وَظِهَارٍ**) ؛ كَقَوْلِهِ لِزَوْجَتِهِ : أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي ؛ لِأَنَّهُ مُنْكَرٌ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورٌ ، مِنْ حَيْثُ تَشْبِيهُ ٱلزَّوْجَةِ بِٱلْأُمِّ فِي ٱلتَّحْرِيمِ .

(**وَأَكْلِ مَيْتَةٍ وَخِنْزِيرٍ**) مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ** ﴾[٤] .

(**وَفِطْرِ رَمَضَانَ**) بِلَا عُذْرٍ ؛ لِأَنَّ صَوْمَهُ مِنْ أَرْكَانِ ٱلْإِسْلَامِ .. فَفِطْرُهُ يُؤْذِنُ بِقِلَّةِ إِكْتِرَاثِ مُرْتَكِبِهِ بِٱلدِّينِ .

(**وَغُلُولٍ**) أَيْ : خِيَانَةٍ مِنْ غَنِيمَةٍ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ .[٥]

(**وَمُحَارَبَةٍ**) أَيْ : قَطْعِ طَرِيقٍ بِإِخَافَةٍ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٦] .

(**وَسِحْرٍ وَرِبًا**) : بِٱلرَّاءِ ؛ لِأَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَدَّهُمَا مِنَ ٱلْمُوبِقَاتِ .

---

(١) صحيح البخاري : (١٤٠٢) ،(٢ ١٠٦) ، و صحيح مسلم : (٩٨٧) ، (٢ ٦٨٠) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .
(٢) بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .
(٣) بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] .
(٤) سورة الانعام : (١٤٥) .
(٥) سورة ال عمران : (١٦١) .
(٦) سورة المائدة : (٣٣) .

(وَإِصْرَارِ صَغِيرَةٍ) أَيْ : إِقَامَةٍ عَلَيْهَا مِنْ نَوْعٍ ، أَوْ نَوْعَيْنِ ؛ فَإِنَّهَا بِمُوَاظَبَتِهِ عَلَيْهَا تَصِيرُ كَبِيرَةً ، وَلَيْسَتِ ٱلْكَبَائِرُ مُنْحَصِرَةً فِيمَا ذُكِرَ ؛ كَمَا أَشْعَرَ بِهِ زِيَادَةُ ٱلْكَافِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ ٱلشَّيْخَيْنِ : ((ٱلْكَبَائِرُ : ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ)) ، زَادَ ٱلْبُخَارِيُّ : ((وَٱلْيَمِينُ ٱلْغَمُوسُ)) ، وَمُسْلِمٌ بَدَلَهَا : ((وَقَوْلُ ٱلزُّورِ)) [1].

وَحَدِيثُهُمَا : ((ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ : ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ)) [2].. فَحَمْلاً عَلَىٰ بَيَانِ مَا ٱحْتِيجَ إِلَيْهِ مِنْهَا وَقْتَ ذِكْرِهِ.

وَقَدْ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : (إِنَّهَا إِلَى ٱلسَّبْعِينَ أَقْرَبُ) [3]، وَٱبْنُ جُبَيْرٍ [4]: (إِلَى ٱلسَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ) ، أَيْ : بِٱعْتِبَارِ أَصْنَافِ أَنْوَاعِهَا .

---

(١) صحيح البخاري : (٦٦٧٥) ، (٨ ١٣٧) عن سيدنا أبي بكرة « رضي الله عنه » ومسلم : (٨٧) ، (١ ٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه » .

(٢) صحيح البخاري : (٢٧٦٦) ، (٤ ١٠) ومسلم : (٨٩) ، (١ ٩٢) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٣) أخرج الطبري في « تفسيره » : (٨ ٢٤٥) : عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » : أنه سئل عن الكبائر : أسبع هي ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب .

(٤) وأخرج الطبري في « تفسيره » : (٨ ٢٤٥) : عن سعيد بن جبير ، أن رجلا قال لابن عباس« رضي الله عنهما » : كم الكبائر ؟ أسبع هي ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار.

ابن جُبَير : سعيد بن جبير الأسدي بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله ، تابعيّ ، المقرئ ، المفسر ، الشهيد ، كان أعلمهم على الإطلاق ، وهو حبشي الأصل ، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، توفي سنة (٩٥ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » (٤ ٣٢١) ، و« الأعلام » : (٣ ٩٣) .



[مبحث التوبة]

(ٱلتَّوْبَةُ) أَيْ : هَذَا مَبْحَثُ بَيَانِ أَحْكَامِهَا ، وَحَقِيقَتِهَا شَرْعاً .

وَهِيَ : ٱلرُّجُوعُ ، فَإِذَا أُسْنِدَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ / ب ٢١٧/ أُرِيدَ بِهِ رُجُوعُهُ بِنِعَمِهِ وَأَلْطَافِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ ، وَإِذَا أُسْنِدَ إِلَيْهِمْ أُرِيدَ بِهِ رُجُوعُهُمْ عَنِ ٱلزَّلَّةِ إِلَى ٱلنَّدَمِ ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾[١] أَيْ : رَجَعَ إِلَيْهِمْ بِٱلتَّوْفِيقِ وَٱلْإِنْعَامِ ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَى ٱلطَّاعَةِ وَٱلْإِنْقِيَادِ[٢].

(وَلَا نِزَاعَ) لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ فِي (وُجُوبِهَا فَوْراً .. فَعِنْدَنَا : سَمْعاً) ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[٣] وَ ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٤] .

(وَهِيَ) أَيِ : ٱلتَّوْبَةُ شَرْعاً : (ٱلنَّدَمُ) وَٱلْأَسَفُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ ، وَعَلَامَتُهُ : طُولُ ٱلْحُزْنِ ، وَٱنْسِكَابُ ٱلدَّمْعِ عَلَىٰ أَنْ فَعَلَ ، وَتَمَنَّىٰ كَوْنُهُ لَمْ يَفْعَلْ ، وَهَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ مُجَرَّدَ ٱلتَّرْكِ ؛ كَمَاجِنٍ قَلَّ مُجُونُهُ ، وَٱسْتَرْوَحَ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلْمُبَاحَاتِ لَيْسَ بِتَوْبَةٍ ؛ لِحَدِيثِ : ((ٱلنَّدَمُ تَوْبَةٌ))[٥] .

(عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ) ؛ إِذْ هُوَ عَلَىٰ مَا لَا يَكُونُ مَعْصِيَةً بَلْ مُبَاحاً أَوْ طَاعَةً لَيْسَ بِتَوْبَةٍ بَلْ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ (لِقُبْحِهَا) أَيْ : لِأَجْلِ كَوْنِهَا قَبِيحَةً لَا لِأَمْرٍ آخَرَ .

فَٱلنَّدَمُ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ لَا لِقُبْحِهَا بَلْ لِإِضْرَارِهَا بِبَدَنِهِ ، أَوْ لِإِخْلَالِهَا بِعِرْضِهِ ، أَوْ مَالِهِ .. لَا يَكُونُ تَوْبَةً ،

---

(١) سورة التوبة : (١١٨) .

(٢) قال ابن فارس في « مقاييس اللغة » : (١ ٣٥٧) : (التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع ، يقال : تاب من ذنبه ؛ أي : رجع عنه يتوب إلى الله توبة ومتابا ، فهو تائب وينظر : « لسان العرب » مادة تاب : (١ ٢٣٣) ، و « روح المعاني » : (٢٨ ١٥٧) ، و « الكليات » : (ص : ٣٠٨) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٣) . وقال الزمخشري في « تفسيره » : (٢ ٣١٩) : ﴿ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرّة بعد أخرى ، ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا ، وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة) .

(٣) سورة النور : (٣١) .

(٤) سورة التحريم : (٨) .

(٥) أخرجه ابن ماجه في « سننه » : (٤٢٥٢) ، (٥ ٣٢٢) والحاكم في « المستدرك » : (٧٦١٢) ، (٤ ٢٧١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » . قال عنه الذهبي في « التلخيص » : صحيح .

وَفِي كَوْنِهِ عَلَيْهَا لِخَوْفِ ٱلنَّارِ ، أَوْ طَمَعٍ فِي ٱلْجَنَّةِ تَوْبَةً .. تَرَدُّدٌ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ هَلْ هُوَ لِقُبْحِهَا وَكَوْنِهَا مَعْصِيَةً أَمْ لَا ؟ وَكَذَا فِي كَوْنِهِ عَلَيْهَا ؛ لِقُبْحِهَا مَعَ غَرَضٍ آخَرَ .

وَٱلْحَقُّ : أَنَّ جِهَةَ ٱلْقُبْحِ إِنْ كَانَتْ بِحَيْثُ لَوِ ٱنْفَرَدَتْ لَتَحَقَّقَ ٱلنَّدَمُ .. فَتَوْبَةٌ ، وَإِلَّا فَلَا ؛ كَمَا إِذَا كَانَ ٱلْغَرَضُ مَجْمُوعُ ٱلْأَمْرَينِ لَا كُلٌّ مِنْهُمَا .

وَكَذَا فِي كَوْنِهِ فِي مَرَضٍ مُخَوِّفٍ بِناءً عَلَىٰ أَنَّهُ هَلْ هُوَ لِقُبْحِهَا أَمْ لِلْخَوْفِ ؟ كَمَا فِي ٱلآخِرَةِ عِنْدَ مُعَايَنَةِ ٱلنَّارِ ، فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ إِيمَانِ ٱلْبَأْسِ ، وَظَاهِرُ مَا وَرَدَ عَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قَبُولُهُ مَا لَمْ تظهر عَلَامَاتُ ٱلْمَوْتِ .[1]

(**قِيلَ : مَعَ عَزْمٍ**) ٱلنَّادِمِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ (**أَنْ لَا يَعُودَ**) إِلَىٰ فِعْلِهَا فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ .

وَٱعْتُرِضَ عَلَيْهِ : بِأَنَّ فِعْلَهَا فِيهِ قَدْ لَا يَخْطُرُ بِٱلْبَالِ ؛ لِعَارِضٍ ؛ كَذُهُولٍ ، أَوْ جُنُونٍ ، أَوْ مَوْتٍ ، أَوْ لِفَقْدِ ٱقْتِدَارٍ عَلَيْهِ لِآفَةٍ ؛ كَخَرَسٍ فِي ٱلْقَذْفِ ، وَشَلَلٍ أَوْ جَبٍّ[2] فِي ٱلزِّنَا ، فَلَا يُتَصَوَّرُ عَزْمٌ عَلَى ٱلتَّرْكِ / أ ٢١٨/ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْإِشْعَارِ بِٱلْقُدْرَةِ وَٱلْإِخْتِيَارِ .

وَرُدَّ : بِأَنَّ ٱلْمُرَادَ أَنْ يَعْزِمَ عَلَيْهِ عَلَىٰ تَقْدِيرِ ٱلْخُطُورِ وَٱلِاقْتِدَارِ ، حَتَّىٰ لَوْ سُلِبَ ٱلْقُدْرَةُ لَمْ يُشْتَرَطْ عَلَيْهِ عَزْمٌ ، وَإِلَىٰ هَذَا أَشَارَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ : بِقَبُولِهِ ٱلْعَزْمَ عَلَيْهِ إِنَّمَا يُقَارِنُ ٱلتَّوْبَةَ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ ، وَلَا يَطَّرِدُ فِي كُلِّ حَالٍ ؛ إِذْ هُوَ إِنَّمَا يَصِحُّ مِنْ مُتَمَكِّنٍ عَلَىٰ مِثْلِ مَا قَدَّمَهُ ، وَلَا يَصِحُّ مِنْ مَجْبُوبٍ عَلَىٰ تَرْكِ ٱلزِّنَا ، وَلَا مِنْ أَخْرَسٍ عَلَىٰ تَرْكِ ٱلْقَذْفِ ، وَٱلْحَقُّ إِنْ عَزَمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِنَّمَا ذُكِرَ لِزِيَادَةِ ٱلتَّقْرِيرِ ، لَا لِلإِحْتِرَازِ عَنْ شَيْءٍ[3] .

فَإِذَنْ (**لَا حَاجَةَ**) إِلَيْهِ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ (**لِلُزُومِهِ لَهُ**) أَيْ : لِلنَّدَمِ عَلَيْهَا ؛ لِأَجْلِ قُبْحِهَا إِذِ ٱلنَّادِمُ عَلَيْهَا ؛

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٣) .

(٢) **الجَبُّ** : القطع ومنه المجبوب الخصيُّ الذي استؤصل ذكره وخصياه ، وقد جب جبا . ينظر : « الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية » : (١ ٩٦) ، و« المغرب فيَ ترتيب المعرب » : (ص: ٧٤) .

(٣) قال في « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٠٩ -٣١٠) : (ومما يقارن التوبة في بعض الأحوال ، العزم على ترك معاودة ما ندم المكلف عليه ، وذلك لا يطرد في كل حال ؛ إذ إنما يصح العزم من متمكن من فعل ما قدمه ، ولا يصح من المجبوب العزم على ترك الزنا ، ولا من الأخرس العزم على ترك قذف المحصنات ، فإن صدر الندم من متمكن من مل ما ندم عليه ، فلا بدَّ ان يقارن ندمه العزمُ على ترك معاودته ؛ إذ من المستحيل أن يكون موطنا نفسه على معاودة ما ندم على تقديمه رعاية لحق الله تعالى) .

لِأَجْلِهِ لَا يَخْلُو عَنْهُ ٱلْبَتَّةَ عَلَىٰ تَقْدِيرِ ٱلْخُطُورِ وَٱلِاقْتِدَارِ .

هَذَا وَقَدْ شَاعَ بَيْنَ ٱلْعَوَامِّ .. إِطْلَاقُ ٱسْمِ ٱلتَّوْبَةِ عَلَى ٱسْتِئْنَافِ تَرْكِ ٱلْمَعْصِيَةِ وَإِظْهَارِ ٱلْعَزْمِ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ بِتَوْبَةٍ مَا لَمْ يَتَحَقَّقِ ٱلنَّدَمُ وَٱلْأَسَفُ عَلَى مَا مَضَىٰ ؛ كَمَا مَرَّ .

(**وَمَنْ**) نَظَرَ مَا فِي : « ٱلْإِحْيَاءِ » مِنْ ذِكْرِ ٱلتَّوْبَةِ ، وَتَأَمَّلَ مَا أَوْرَدَهُ مِنْ قِصَّةِ ٱسْتِغْفَارِ دَاوُدَ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .. عَلِمَ صُعُوبَتَهَا [1] .

(**وَلَا يَجِبُ**) عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَىٰ (**قَبُولُهَا**) إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ (**وَزَعَمَهُ**) أَيْ : زَعَمَ (**ٱلْمُعْتَزِلَةُ**) أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَىٰ قَبُولُهَا (**حَتَّىٰ**) زَعَمُوا أَنَّ ٱلْعِقَابَ بَعْدَهَا .. ظُلْمٌ ؛ لَكِنْ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ بِمُقْتَضَى ٱلْعَدْلِ وَٱلْحِكْمَةِ [2] .

(**وَقَالَ**) ٱلْبَغْدَادِيُّونَ مِنْهُمْ [3]: بِمُقْتَضَى ٱلْجُودِ ؛ لِأَنَّ ٱلْعَاصِيَ قَدْ بَذَلَ وُسْعَهُ فِي ٱلتَّلَافِي .. فَيَسْقُطُ عِقَابُهُ ؛ كَمَنْ بَالَغَ فِي ٱلِاعْتِذَارِ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَسْقُطُ ذَمُّهُ ضَرُورَةً ، وَلِأَنَّ ٱلتَّكْلِيفَ بَاقٍ ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ لِلثَّوَابِ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا بِسُقُوطِ ٱلْعِقَابِ .. فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَخْلَصٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ إِلَّا ٱلتَّوْبَةُ .. فَتَعَيَّنَ كَوْنُهَا مَخْلَصاً .. فَيَجِبُ قَبُولُهَا (**كَوُجُوبِهَا**) أَيْ : يَجِبُ قَبُولُ ٱلتَّوْبَةِ ؛ كَمَا تَجِبُ ٱلتَّوْبَةُ ٱتِّفَاقاً ؛ لَكِنْ عِنْدَهُمْ (**عَقْلاً ؛ لِدَفْعِهَا ضَرَرَ ٱلْعِقَابِ**) وَلِكَوْنِ ٱلنَّدَمِ عَلَى ٱلْقَبِيحِ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ ٱلْعُقُولِ / ب ٢١٨/ ، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ ٱلصَّغَائِرَ أَيْضاً ، فَهُوَ حُجَّةٌ عَلَىٰ أَبِي هَاشِمٍ وَأَصْحَابِهِ ؛ لِقَوْلِهِمْ بِوُجُوبِهَا عَنِ

---

(١) ينظر : « تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » : (ص : ٤٢٧) ، و « غاية المرام في علم الكلام » : (ص : ٢٢٥) ، و« المواقف » : (٣ ٥١١) ، و « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٩٨) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٦) .

(٢) إحياء علوم الدين : (٧ ٥٩٨) : (وقال مجاهد : بكى داود « عليه السلام » أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه ، حتى نبت المرعى من دموعه ، وحتى غطى رأسه ، فنودي يا داود ؛ أجائع أنت فتطعم ، أم ظمآن فتسقى ، أم عار فتكسى ؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة ، فقال : يا رب ، اجعل خطيئتي في كفي ، فصارت خطيئته في كفه مكتوبة ، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته ، قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء ، فإذا تناولته .. أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه) .

(٣) ينظر : « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٩٠) .

ٱلصَّغَائِرِ سَمْعاً لَا عَقْلاً ؛ لِسُقُوطِ عِقَابِهَا [1].

وَهُمْ لَمَّا أَخْرَجُوا بِٱلْكَبِيرَةِ عَنِ ٱلْإِيمَانِ ، وَجَزَمُوا بِخُلُودِ صَاحِبِهَا فِي ٱلنَّارِ مَا لَمْ يَتُبْ .. هَوَّنُوا أَمْرَ ٱلتَّوْبَةِ ، حَتَّىٰ زَعَمَ عَوَامُّهُمْ : أَنَّهُ يَكْفِي مُجَرَّدُ قَوْلِ ٱلْعَاصِي : تُبْتُ وَرَجَعْتُ ، وَخَوَاصُّهُمْ : أَنَّهُ (**يَكْفِي ٱعْتِقَادُ أَنَّهُ أَسَاءَ ، وَأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَهُ**) .. رَدُّ تِلْكَ ٱلْمَعْصِيَةِ (**لَرَدَّهَا**) ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى ٱلْأَسَفِ وَٱلْحُزْنِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ يَنْدَمُونَ عَلَىٰ تَقْصِيرِهِمْ وَلَا حُزْنَ ، وَأَنَّ ٱلْحُزْنَ لِتَوَقُّعِ ٱلضَّرَرِ .. وَلَا ضَرَرَ مَعَ ٱلنَّدَمِ ، وَلِأَنَّ ٱلْعَاصِيَ مُكَلَّفٌ بِٱلتَّوْبَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَا يُمْكِنُهُ تَحْصِيلُ ٱلْغَمِّ وَٱلْحُزْنِ ، فَيَلْزَمُ تَكْلِيفُ مَا لَا يُطَاقُ .

وَهَلْ يَكُونُ (**سُقُوطُ عِقَابِهِ**) عِنْدَهُمْ بِهَا ، أَوْ (**بِكَثْرَةِ ثَوَابِهَا**) ؟ فَأَكْثَرُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ بِنَفْسِ ٱلتَّوْبَةِ لَا بِكَثْرَةِ ثَوَابِهَا ؛ إِذْ لَوْ كَانَ بِكَثْرَتِهِ لَمَا ٱخْتُصَّتِ ٱلتَّوْبَةُ عَنْ مَعْصِيَةٍ مُعَيَّنَةٍ بِسُقُوطِ عِقَابِهَا دُونَ أُخْرَىٰ ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ كَثْرَةِ ٱلثَّوَابِ إِلَى ٱلْكُلِّ عَلَى ٱلسَّوَاءِ ، وَلَمَا بَقِيَ فَرْقٌ بَيْنَ ٱلتَّوْبَةِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلْمُتَأَخِّرَةِ عَنْهَا فِي إِسْقَاطِ عِقَابِهَا ؛ كَسَائِرِ ٱلطَّاعَاتِ ٱلَّتِي تَسْقُطُ ٱلْعُقُوبَاتُ بِكَثْرَةِ ثَوَابِهَا ، وَٱللَّازِمُ بَاطِلٌ ؛ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ مَنْ تَابَ عَنِ ٱلْمَعَاصِي كُلِّهَا ثُمَّ شَرِبَ خَمْراً [2] لَا يَسْقُطُ عَنْهُ عِقَابُ ٱلشُّرْبِ .

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ : أَنَّهُ بِكَثْرَتِهِ لَا بِنَفْسِ ٱلتَّوْبَةِ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ بِهَا .. لَسَقَطَ بِتَوْبَةِ ٱلْمُلْجَأِ وَبِنَدَمِ ٱلْعَاصِي عِنْدَ مُعَايَنَةِ ٱلنَّارِ .

وَرُدَّ : بِمَنْعِ ٱلنَّدَمِ مِنَ ٱلْمُلْجَأِ وَبِمَنْعِ كَوْنِهِ لِقُبْحِهَا مِنَ ٱلْمُعَايِنِ .

ثُمَّ ٱخْتَلَفُوا : فِي أَنَّهُ إِذَا سَقَطَ ٱسْتِحْقَاقُ عِقَابِ ٱلْمَعْصِيَةِ بِٱلتَّوْبَةِ ، هَلْ يَعُودُ ٱسْتِحْقَاقُ ثَوَابِ ٱلطَّاعَةِ ٱلَّذِي أَبْطَلَتْهُ تِلْكَ ٱلْمَعْصِيَةُ !؟ فَقَالَ ٱلْجُبَّائِيُّ وَٱبْنُهُ : (لَا ؛ لِأَنَّ ٱلطَّاعَةَ تَنْعَدِمُ فِي ٱلْحَالِ ، وَإِنَّمَا يَبْقَى ٱسْتِحْقَاقُ ٱلثَّوَابِ ، وَقَدْ سَقَطَ وَٱلسَّاقِطُ لَا يَعُودُ) ، وَقَالَ ٱلْكَعْبِيُّ : (نَعَمْ ؛ لِأَنَّ ٱلْكَبِيرَةَ لَا تُزِيلُ ٱلطَّاعَةَ ، وَإِنَّمَا تَمْنَعُ حُكْمَهَا ، وَهُوَ / أ ٢١٩/ ٱلْمَدْحُ وَٱلتَّعْظِيمُ ، وَلَا تُزِيلُ ثَمَرَتَهَا ، فَإِذَا صَارَتْ بِٱلتَّوْبَةِ كَأَنْ

---

(١) نقل القاضي عبد الجبار رأي أبي هاشم وأصحابه حيث قال في « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٨٩) : (فإذا كانت طاعاته أكثر من معاصيه كانت معصيته صغيرة ، فلا يجب التوبة عنها عقلا وانما تجب سمعا خلافا لما يقوله أبو علي فإن من مذهبه : أن التوبة عن الصغائر تجب عقلا لا سمعا ، وقال أبو هاشم : بأن لا تجب إلا سمعا ، وهو الصحيح) والظاهر من عبارة القاضي عبد الجبار (وهو الصحيح) أنه موافق لأبي هاشم حيث قال : (أنّ التوبة إنّما تجب لدفع الضرر عن النفس ، ولا ضرر في الصغيرة ، فلا تجب التوبة عنها) .

(٢) في (ب) (الخمر) .

لَمْ تكُنْ ظهَرَتِ ٱلطَّاعَةُ ؛ كَنُورِ ٱلشَّمْسِ إِذَا زَالَ ٱلْغَيْمُ) ، وَقَالَ مُتَأَخِّرُوهُمْ : (لَا يَعُودُ ثَوَابُهُ ٱلسَّابِقُ بَلْ تَعُودُ تَوْبَتُهُ ٱلسَّالِفَةُ مُؤَثِّرَةٌ فِي ٱسْتِحْقَاقِ ثَمَرَاتِهِ ، وَهُوَ ٱلْمَدْحُ وَٱلثَّوَابُ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ ؛ بِمَنْزِلَةِ شَجَرَةٍ ٱحْتَرَقَتْ أَغْصَانُهَا وَثِمَارُهَا ثُمَّ ٱنْطَفَأَتِ ٱلنَّارُ ، فَإِنَّهُ يَعُودُ أَصْلُهَا وَفُرُوعُهَا إِلَىٰ خُضْرَتِهَا وَثَمَرَتِهَا)[١].

وَأَمَّا سُقُوطُهَا (**عِنْدَنَا**) .. فَهُوَ (**بِكَرَمِ ٱللهِ**) تَعَالَىٰ وَمَحْضِ عَفْوِهِ ، وَإِثَابَتُهُ عَلَىٰ تَوْبَتِهِ ٱلصَّحِيحَةِ ؛ لِكَوْنِهَا عِبَادَةً أُخْرَىٰ ، وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا : حُكْمُ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمَعْصُومِ عَنِ ٱلْمَعَاصِي ، وَٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمُصِرِّ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ عِبَادَةٍ أَصْلاً ، وَٱلْمُؤْمِنِ ٱلْجَامِعِ بَيْنَ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَعَاصِي مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ، وَٱلْمُؤْمِنِ ٱلتَّائِبِ عَنْهَا .. وَاحِدٌ ، وَهُوَ تَفْوِيضُ أَمْرِهِمْ إِلَىٰ مَشِيئَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ بِثَوَابٍ ، أَوْ عِقَابٍ .

مَعْنَاهُ : أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ ؛ لَكِنَّهُ تَعَالَىٰ بِمُقْتَضَىٰ وَعْدِهِ ، يُثِيبُ ٱلْمُطِيعَ وَٱلتَّائِبَ ٱلْبَتَّةَ عَلَىٰ تَفَاوُتِ دَرَجَاتٍ ، وَبِمُقْتَضَىٰ وَعِيدِهِ يُعَاقِبُ ٱلْعَاصِيَ ٱلْمُصِرَّ عَلَى ٱخْتِلَافِ دَرَكَاتٍ مَعَ ٱحْتِمَالِ ٱلْعَفْوِ ٱحْتِمَالاً مَرْجُوحاً ، فَتَسَاوِيهِمْ إِنَّمَا هُوَ فِي عَدَمِ وُجُوبِ شَيْءٍ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ .

(**وَتَجِبُ**) ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ (**فَوْراً ، وَلَا تَتَلَاحَقُ أَثَامُ تَارِكِهَا**) ، فَلَا يَلْزَمُهُ بِتَأْخِيرِهَا سَاعَةً إِثْمٌ آخَرُ ، تَجِبُ ٱلتَّوْبَةُ عنه[٢] وَهَكَذَا .

(**وَزَعَمُوهُ**) ؛ أَيْ : زَعَمَ ٱلْمُعْتَزِلَةُ : أَنَّهَا تَتَلَاحَقُ ، فَبِتَأْخِيرِهَا سَاعَةً يَكُونُ لَهُ كَبِيرَتَانِ : ٱلْأُولَىٰ ، وَتَرْكُ ٱلتَّوْبَةِ عَنْهَا ، وَسَاعَتَيْنِ أَرْبَعٌ : ٱلْأُولَيَانِ وَتَرْكُهَا عَنْهُمَا ، وَثَلَاثَ سَاعَاتٍ ثَمَانٍ[٣] .

(**وَلَا يَلْزَمُهُ تَجْدِيدُهَا**) أَيْ : تَجْدِيدُ ٱلتَّوْبَةِ (**كُلَّمَا ذَكَرَ ذَنْبَهُ**) لِخُرُوجِهِ عَنْ عُهْدَتِهِ بِإِتْيَانِهِ بِمَا كُلِّفَ بِهِ خِلَافاً لِلْقَاضِي مِنَّا ، وَأَبِي عَلِيٍّ مِنَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ[٤] زَعْماً مِنْهُمَا : أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَنْدَمْ كُلَّمَا ذَكَرَهُ لَكَانَ مُشْتَهِياً لَهُ فَرِحاً بِهِ ، وَذَلِكَ إِبْطَالٌ لِلنَّدَمِ وَرُجُوعٌ إِلَى ٱلْإِصْرَارِ .

---

(١) حكى هذه الأقوال مع زيادة شرح وتوضيح القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٩٤ – ٧٩٨) ، و التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٨) .

(٢) في (أ) (التوبة) والمثبت من (ب) .

(٣) ينظر : « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٩٤) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٦) .

(٤) هو القاضي ابو بكر الباقلاني ، نقل قوله الإمام الجويني في « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣١٣) حيث قال (فقد قال القاضي « رضي الله عنه » : يجب عليه تجديد الندم عليها ، كلما ذكرها ؛ إذ لو لم يندم عليها ، لكان مستهينا بها أو فرحا ، وذلك يرده إلى إصراره ويحل عروة الندم) ونقل قولهما أيضا التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٦٩) ونقله ابن حجر الهيثمي في « الزواجر عن اقتراف الكبائر » : (٢ ٣٦٥) ، و« تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » : (ص: ٣٠٧) .

وَرُدَّ : بِٱلْمَنْعِ ؛ إِذْ رُبَّمَا ضَرَبَ عَنْهُ صَفْحاً مِنْ غَيْرِ نَدَمٍ عَلَيْهِ ، وَلَا ٱشْتِهَاءَ لَهُ ، وَلَا ٱبْتِهَاجَ بِهِ / ب٢١٩ / ، وَلَوْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَاهُ . . لَزِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ٱلتَّوْبَةُ ٱلسَّابِقَةُ صَحِيحَةً مَعَ قَوْلِ ٱلْقَاضِي أَنَّهَا قَدْ مَضَتْ عَلَىٰ صِحَّتِهَا ؛ إِذِ ٱلْعِبَادَةُ ٱلْمَاضِيَةُ لَا يَنْقُضُهَا شَيْءٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ثُمَّ إِنْ لَمْ يُجَدِّدْ نَدَماً .. كَانَ ذَٰلِكَ مَعْصِيَةً جَدِيدَةً تَجِبُ ٱلتَّوْبَةُ عَنْهَا .

(وَكَفَىٰ) فِي ٱلتَّوْبَةِ عَنِ ٱلْمَعَاصِي كُلِّهَا (**ٱلْإِجْمَالُ ، وَإِنْ عُلِمَتِ**) ٱلذُّنُوبُ مُفَصَّلَةً ؛ لِحُصُولِ ٱلنَّدَمِ وَٱلْعَزْمِ .

وَتَصِحُّ ٱلتَّوْبَةُ عَنْ بَعْضِهَا مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَىٰ بَعْضِهَا ؛ لِلإِجْمَاعِ عَلَىٰ صِحَّةِ إِسْلَامِ ٱلْكَافِرِ وَتَوْبَتِهِ عَنْ كُفْرِهِ مَعَ ٱسْتِدَامَتِهِ عَلَىٰ بَعْضِ مَعَاصِيهِ ، وَلَا يُعَاقَبُ إِلَّا عُقُوبَةَ ذَٰلِكَ ٱلْبَعْضِ ، وَأَيْضاً تَوْبَتُهُ عَنْ مَعَاصِيهِ لَيْسَتْ إِلَّا رُجُوعُهُ عَنْهَا ، وَنَدَمُهُ عَلَيْهَا ، وَعَزْمُهُ أَنْ لَا يُعَاوِدَهَا وَقَدْ وُجِدَتْ .

(**وَخُولِفَ**) ٱلْقَوْلُ بِصِحَّتِهَا عَنْ بَعْضٍ .. بِقَوْلِ أَبِي هَاشِمٍ[1] : بِعَدَمِ صِحَّتِهَا عَنْهُ ؛ لِأَنَّ ٱلنَّدَمَ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِقُبْحِهَا ، وَهُوَ شَامِلٌ لِلْمَعَاصِي كُلِّهَا فَلَا يَتَحَقَّقُ ٱلنَّدَمُ عَلَىٰ قَبِيحٍ مَعَ ٱلْإِصْرَارِ عَلَىٰ قَبِيحٍ .

وَرُدَّ : بِأَنَّ ٱلشَّامِلَ لِلْكُلِّ إِنَّمَا هُوَ ٱلْقُبْحُ لَا قُبْحُهَا ، وَبِأَنَّ ٱلدَّوَاعِيَ إِلَى ٱلنَّدَمِ عَلَى ٱلْقَبَائِحِ وَإِنِ ٱشْتَرَكَتْ فِي كَوْنِ ٱلنَّدَمِ عَلَيْهَا لِقُبْحِهَا ، لَكِنْ قَدْ يَتَرَجَّحُ بَعْضُ ٱلدَّوَاعِي بِأَمْرٍ ؛ كَعِظَمِ ٱلذَّنْبِ ، أَوْ قِلَّةِ غَلَبَةِ ٱلْهَوَىٰ فِيهَا ، فَيَبْعَثُهُ إِلَى ٱلنَّدَمِ عَلَىٰ هَذَا دُونَ ٱلْآخَرِ لِٱنْتِفَاءِ ٱلتَّرْجِيحِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَرْكِ ٱلنَّدَمِ عَلَىٰ هَذَا أَنْ يَكُونَ ٱلنَّدَمُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ، لَا لِقُبْحِهِ ؛ إِذْ لَا يُخْرِجُ ٱلدَّوَاعِيَ بِهَذَا ٱلتَّرْجِيحِ عَنِ ٱلْإِشْتِرَاكِ فِي كَوْنِهِ دَاعِياً إِلَى ٱلنَّدَمِ عَلَى ٱلْقَبِيحِ ؛ لِقُبْحِهِ ؛ كَمَا فِي ٱلدَّوَاعِي إِلَىٰ فِعْلِ

---

(١) نقل رأيه القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » : (٧٩٤ – ٩٧٥) حيث قال : (وأما شيخنا أبو هاشم .. فقد ذهب إلى أنه لا تصح التوبة عن بعض القبائح مع الإصرار على البعض ، وهو الصحيح من المذهب ، والذي يدل على صحته أن التوبة عن القبيح يجب أن تكون ندما عليه ؛ لقبحه وعزما على أن لا يعود إلى أمثاله في القبح على ما تقدم ، وإذا كان هذا هكذا فليس تصح توبته عن بعض القبائح مع الإصرار على البعض ؛ إذ لا يصح أن يترك أحدنا بعض الأفعال لوجه ، ثم لا يترك ما سواه في ذلك الوجه ، ألا ترى أنه لا يصح أن يتجنب سلوك طريق ؛ لأن فيها سبعا ، ثم لا يتجنب سلوك طريقة أخرى فيها سبع ، وكذلك لا يصح أن لا يتناول طعاما ؛ لأن فيه سما ، ثم يتناول طعاما آخر مع أن فيه سما) ووافقه القاضي عبد الجبار حيث قال : (وهو الصحيح من المذهب) .

لِحُسْنِهِ قَدْ يَتَرَجَّحُ بَعْضُهَا فَيَخُصُّ بَعْضَ ٱلْأَفْعَالِ ؛ لِحُسْنِهِ بِٱلْوُقُوعِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَرْكِ ٱلْبَعْضِ ٱلآخَرِ أَنْ يَكُونَ إِيقَاعُ ذَلِكَ ٱلْبَعْضِ لَا لِحُسْنِهِ بَلْ لِغَرَضِ غَايَتِهِ ، أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلدَّوَاعِي إِلَىٰ هَذَا ٱلْفِعْلِ ؛ لِحُسْنِهِ رُجْحَانٌ لَمْ يَحْصَلْ لِلدَّوَاعِي ٱلْأُخَرَ ، وَهَذَا مَا قَالَ أَصْحَابُنَا ؛ كَمَا يُجُوزُ ٱلْإِتْيَانُ بِوَاجِبٍ ؛ لِحُسْنِهِ مَعَ تَرْكِ وَاجِبٍ آخَرَ .. يَجُوزُ تَرْكُ قَبِيحٍ ؛ لِقُبْحِهِ مَعَ ٱلْإِصْرَارِ عَلَىٰ قَبِيحٍ آخَرَ .

(**وَقَدْ تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا**) ؛ أَيْ : صِحَّةُ ٱلتَّوْبَةِ ؛ كَمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ [١] (**عَلَىٰ وَاجِبٍ آخَرَ**) خَارِجٍ عَنِ ٱلتَّوْبَةِ ؛ (**كَـرَدِّ مَغْصُوبٍ**) / أ ٢٢٠/ إِذْ لَا يَصِحُّ ٱلنَّدَمُ عَلَى ٱلْغَصْبِ مَعَ ٱسْتِدَامَةِ يَدِهِ عَلَيْهِ ، فَلَا بُدَّ لِتَحَقُّقِهَا مِنْ رَدِّهِ .

(**وَقَدْ لَا**) تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَىٰ وَاجِبٍ آخَرَ (**وَيَلْزَمُ مَعَهَا ؛ كَـحَدٍّ**) تَرَتَّبَ عَلَىٰ شُرْبٍ ، أَوْ سَرِقَةٍ ، أَوْ زِنًا ، أَوْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ نَفْسَهُ لَهُ صَحَّتْ تَوْبَتُهُ ، وَكَانَ ٱمْتِنَاعُهُ مِنْهُ مَعْصِيَةً أُخْرَىٰ تَسْتَدْعِي تَوْبَةً ، وَلَا تَقْدَحُ هَذِهِ فِي ٱلتَّوْبَةِ عَنْ ذَلِكَ ؛ كَقِصَاصٍ (**وَقَضَاءِ وَاجِبٍ**) مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا (**وَأَرْشَادِ مَنْ أَضَلَّهُ ، وَٱعْتِذَارٍ لِمَنْ آذَاهُ**) بِغِيبَةٍ ، أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا لَا يَقْدَحُ فِي ٱلتَّوْبَةِ عَنْهُ ، وَلَا تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَيْهِ ، وَلَا يَلْزَمُ تَفْصِيلُ مَا ٱغْتَابَهُ بِهِ إِلَّا إِذ أَبْلَغَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ أَفْحَشَ .

هَذَا وَقَدْ جَرَتِ ٱلْعَادَةُ بِإِيرَادِ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ هُنَا ، وَإِنْ كَانَ بِٱلْفُرُوعِ أَشْبَهُ ؛ لِمُشَابَهَتِهِمَا لِلتَّوْبَةِ فِي ٱلزَّجْرِ عَنِ ٱرْتِكَابِ حَرَامٍ ؛ كَإِخْلَالٍ بِوَاجِبٍ ، وَهُمَا تَابِعَانِ لِلْمَأْمُورِ بِهِ ، وَٱلْمَنْهِي عَنْهُ وُجُوباً وَنَدْباً .

وَمِنْ ثُمَّ (**وَجَبَ أَمْرٌ بِوَاجِبٍ**) وَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِٱلْمَعْرُوفِ (**وَ**) وَجَبَ نَهْيٌ عَنْ حَرَامٍ ، وَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِٱلْمُنْكَرِ (**وَنُدِبَ**) أَمْرٌ (**بِمَنْدُوبٍ**) وَنُدِبَ (**نَهْيٌ عَنْ مَكْرُوهٍ**) وَلِكَوْنِ ٱلْمُرَادِ بِهِمَا ٱلْوَاجِبَ وَٱلْحَرَامَ .. أَطْلَقُوا ٱلْقَوْلَ بِوُجُوبِهِمَا مَعَ ٱلْقَطْعِ بِأَنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَنْدُوبِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ بَلْ مَنْدُوبٍ ، وَكَذَا ٱلْمَكْرُوهُ [٢] .

---

(١) قال في « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٠٩ -٣١٠) : (و نظير ذلك ، القتل الموجب للقود ، فيصح الندم عليه ، من غير تسليم القاتل نفسه ليستقاد منه ؛ فإذا ندم صحت توبته في حق الله تعالى، و كان منعه من القصاص من مستحقه معصية متجددة لا تقدح في التوبة ، بل تستدعي في نفسها خروجا عنها ، و توبة منها) .

(٢) عرفها الإمام الجويني في « الورقات » : (ص : ٨) : حيث قال (فَالْوَاجِب : مَا يُثَاب على فعله ويعاقب على تَركه ، وَالْمَنْدُوب : مَا يُثَاب على فعله وَلَا يُعَاقب على تَركه ، والمباح : مَا لَا يُثَاب على فعله وَلَا يُعَاقب على تَركه ، والمحظور - الحرام - : مَا يُثَاب على تَركه ويعاقب على فعله ، وَالْمَكْرُوه : مَا يُثَاب على تَركه وَلَا يُعَاقب على فعله) .

وَقَدْ شَهِدَ بِوُجُوبِهِمَا مِنَ ٱلْكِتَابِ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1] ، وَمِنَ ٱلسُّنَّةِ : ((مُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَأْنَهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ))[2] ، ((لَتَأْمُرُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُوُنَّ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُسَلَّطِنَّ ٱللهُ شِرَارَكُمْ عَلَىٰ خِيَارِكُمْ ثُمَّ يَدْعُوا خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ))[3]، وَقَدْ كَانَ ٱلْمُسْلِمُونُ سَلَفاً وَخَلَفاً يَتَوَاصُونَ بِذَلِكَ ، وَيُوَبِخُّونَ تَارِكَهُ مَعَ ٱقْتِدَارِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَجْمَاعاً .

(**وَشُرِطَ**) لِذَلِكَ عِلْمٌ (**بِوَجْهِهِمَا**) مِنْ كَوْنِهِ وَاجِباً مُعَيَّناً أَوْ مُخَيَّراً مُضَيَّقاً ، أَوْ مُوَسَّعاً عَيْناً أَوْ كِفَايَةً[4]، لِيَقَعَا /ب ٢٢٠/ عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي ، وَشُرِطَ لَهُ أَيْضاً (**تَجْوِيزُ تَأْثِيرِ**) بِأَنْ لَا يُعْلَمَ قَطْعاً عَدَمُ ٱلتَّأْثِيرِ حَذَراً مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبَثاً وَٱشْتِغَالاً بِمَا يَنْبَغِي ، فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يُؤَثِّرُ نَدْباً ؛ إِعْزَازاً لِلدِّينِ وَإِظْهَاراً لِشِعَارِ ٱلْإِسْلَامِ بَلْ قَالُوا : يَجُوزُ ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُقْتَلُ ، وَلَا يُنْكَىٰ[5] بِضَرْبٍ وَنَحْوِهِ ، وَرُخِصَ لَهُ ٱلسُّكُوتُ بِخَلَافِ مَنْ يَحْمِلُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ وَحْدَهُ ؛ ظَانّاً أَنَّهُ يُقْتَلُ ، إِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ إِذَا غَلَبَ ظَنُّهُ أَنَّهُ يُنْكَىٰ فِيهِمْ بِقَتْلٍ ، أَوْ جَرْحٍ ، أَوْ هَزِيمَةٍ فَوُجُوبُهُمَا إِنَّمَا هُوَ إِذَا ظَنَّ حُصُولَ ٱلْمَقْصُودِ .[6]

(**بِلَا إِثَارَةِ**) فِتْنَةٍ وَمَضَرَّةٍ تُؤَدِّي إِلَىٰ مَفْسَدَةٍ ، (**وَلَا يَخْتَصُّ**) وُجُوبُهُمَا (**بِوَالٍ**) ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ ٱسْتِنَابَتِهِ إِذَا كَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ ؛ كَمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ : (سَلَفاً وَخَلَفاً يَأْمُرُونَ لِوُلَاةٍ وَغَيْرِهِمْ

---

(١) سورة ال عمران : (١٠٤) .

(٢) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » : (٣٧٤) ، (٢ ٩٧) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٨٦٤٧) ، (٣٠ ٦٠٠) والحاكم في : « المستدرك » : (٢٨٦١) ، (٢ ٢٣٦) والبيهقي في « السنن الكبرى » : (٢١٣١٣) (١٠ ٤٦١) وغيرهم ، عن سيدنا البراء بن عازب « رضي الله عنه » . قال عنه الحاكم : صحيح ، و وافقه الذهبي .

(٣) أخرجه البزار في « مسنده » : (١٨٨) ، (١ ٢٩٢) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٤) ينقسم الواجب ثلاثة تقسيمات : أ- باعتبار ذاته إلى واجب معين لا يقوم غيره مقامه ؛ كالصلاة والصوم ، وإلى مبهم في أقسام محصورة فهو واجب لا بعينه ؛ كواحدة من خصال الكفارة في قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة: ٨٩] ، فالواجب منها واحد لا بعينه ، وهذا هو الواجب المخير ، ب - باعتبار وقته إلى مضيق وموسع ؛ فالواجب المضيق : هو ما لا يسع وقته أكثر من فعل مثله ؛ كصوم رمضان ، والواجب الموسع : هو ما كان الوقت فيه متسعًا لأكثر من فعله ؛ كالصلوات الخمس ، فجميع أجزاء الوقت صالح لإيقاع الواجب فيه ، ج - باعتبار فاعله إلى واجب عيني وواجب على الكفاية ، أما الواجب العيني .. فهو ما وجب على كل شخص بعينه ؛ كالصلاة والصوم ، فمقصود الشارع فيه : النظر إلى فاعله وصدق امتثاله ، وأما الكفائي : فهو ما وجب على شخص من أشخاص ؛ كتعلم العلم وتعليمه . ينظر : « الرسالة » : (١ ٣٦٦) ، و « المستصفى » : (ص : ٥٦) ، و « غاية الوصول في شرح لب الأصول » : (ص : ٢٦) ، و « الغيث الهامع شرح جمع الجوامع » : (ص : ٧٧) .

(٥) في (ب) (ينكى فيهم) .

(٦) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٣) .

بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ)[1]، فَكَانَ إِجْمَاعاً عَلَىٰ جَوَازِهِ لِآحَادِ ٱلرَّعِيَّةِ قَوْلاً وَفِعْلاً ؛ عَمَلاً بِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً .. فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ ٱلْإِيمَانِ))[2] .

(**إِلَّا مَا يَقْضِي لِقِتَالٍ**) وَشَهْرِ سِلَاحٍ .. فَيُرْبَطُ بِهِ حَذَرَ ٱلْفِتْنَةِ .

(**وَمُجْتَهِدٍ**) أَيْ : وَلَا يَخْتَصُّ وُجُوبُهُمَا بِهِ ؛ لِأَنَّ ٱلْحُكْمَ ٱلشَّرْعِيَّ إِذَا ٱسْتَوَىٰ فِي ٱلْخَاصِّ وَٱلْعَامِّ .. فَفِيهِ لِلْعَالِمِ وَغَيْرِهِ ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ (**إِلَّا مَا يَفْتَقِرُ**) إِلَيْهِ ؛ أَيْ : إِلَى ٱلْمُجْتَهِدِ فَلَيْسَ لِلْعَوَامِّ فِيهِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ بَلْ هُوَ مَوْكُولٌ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْإِجْتِهَادِ ، هَذَا ثُمَّ لَيْسَ لِمُجْتَهِدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ بِٱلرَّدْعِ وَٱلزَّجْرِ عَلَىٰ مُجْتَهِدٍ آخَرَ فِي مَحَلِّ ٱلْخِلَافِ ؛ إِذْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي ٱلْفُرُوعِ عِنْدَ ٱلشَّيْخِ وَأَتْبَاعِهِ[3] .. مُصِيبٌ ، وَمَنْ قَالَ : ٱلْمُصِيبُ فِيهَا وَاحِدٌ فَهُوَ غَيْرُ مُعَيَّنٍ عِنْدَهُ ، وَفِي مُحِيطِ ٱلْحَنَفِيَّةِ[4] : (أَنَّ لِلشَّافِعِيِّ أَنْ يَحْتَسِبَ عَلَى ٱلْحَنَفِيِّ فِي شُرْبِ ٱلْمُثَلَّثِ[5] وَٱلنِّكَاحِ بِلَا وَلِيٍّ ، وَلِلْحَنَفِيِّ أَنْ يَحْتَسِبَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِ ٱلضَّبْعِ ، وَمَتْرُوكِ ٱلتَّسْمِيَةِ) .

(**وَمَنْ لَا يَرْتَكِبُ مِثْلَهُ**) كَذَلِكَ / أ ٢٢١/ لَا يَخْتَصُّ وُجُوبُهُمَا بِهِ ، فَعَلَىٰ مَنْ رَأَىٰ مُنْكَراً ، وَهُوَ يَرْتَكِبُ مِثْلَهُ أَنْ يَنْهَىٰ عَنْهُ ؛ لِأَنَّ تَرْكَهُ لِلْمُنْكَرِ وَنَهْيَهِ عَنْهُ فَرْضَانِ مُتَمَيِّزَانِ ، لَيْسَ لِمَنْ يَتْرُكُ أَحَدَهُمَا أَنْ يَتْرُكَ ٱلْآخَرَ .

(**وَهُمَا**) أَيِ : ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ كُلٌّ مِنْهُمَا .. (**فَرْضُ كِفَايَةٍ فَيَسْقُطُ بِبَعْضٍ**) فِيهِ

---

(١) قال في « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٢٨٧) : (فإذا بت ما قلنا أصلا ، فلا يختص بالأمر بالمعروف الولاة ، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين ، والدليل عليه الإجماع أيضا ، فإن غير الولاة من المسلمين في الصدر الأول والعصر الذي يليه .. كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، مع تقرير المسلمين إياهم) .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٤٩) ، (١ ٦٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٣) هو الإمام أبو الحسن الأشعري . قال التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٤) : (كل مجتهد مصيب في الفروع عندنا) ونقل ذلك الامدي في « الإحكام في أصول الأحكام » : (٤ ١٨٣) .

(٤) هو إما : « المحيط البرهاني في الفقه النعماني » أو « المحيط » للسرخسي أو « المحيط » للرضوي: لكن لم أجد العبارة كما نقلها المؤلف و التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٤) ، ولكن وجدت نقلا مقاربا لها وهو في « المبسوط » : (١١ ١٩٧) ، (٤ ٩١) حيث قال : (وكذلك المفاوضة تصح بين حنفي المذهب وشافعي المذهب ، وإن كان الحنفي يتصرف في المثلث النبيذ ؛ لأنه يعتقد فيه المالية ، وشافعي المذهب يتصرف في متروك التسمية عمدا ؛ لأنه يعتقد فيها المالية) .

(٥) **المثلث** : ما طبخ من ماء العنب حتى يذهب ثلثاه ، ويبقى الثلث . ينظر : « تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق » : (٦ ٤٥) .

غِنَىً فِي كُلِّ صَقعٍ عَنِ ٱلْبَاقِينَ ؛ لِحُصُولِ ٱلْغَرَضِ بِهِ ، وَهَذَا لَا يُنَافِي ٱلْقَوْلَ بِأَنَّهُ عَلَى ٱلْكُلِّ .

نَعَمْ ؛ إِذَا نَصَّبَ ٱلْإِمَامُ أَحَداً .. تَعَيَّنَ عَلَيهِ فَيَحْتَسِبُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَتَجَسُّسٍ ، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ ٱلْعِبَادِ عَلَى ٱلْخُصُوصِ ؛ كَمَطْلِ مَدْيُونٍ غَنِيٍّ ، وَتَعَدِّي جَارٍ فِي جِدَارِ جَارِهِ ، إِذَا ٱسْتَعْدَاهُ صَاحِبُ ٱلْحَقِّ ، وَعَلَى ٱلْعُمُومِ ؛ كَتَعْطِيلِ شِرْبِ ٱلْبَلَدِ ، وَٱنْهِدَامِ سُورِهِ ، وَتَرْكِ أَهْلِهِ رِعَايَةَ ٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ مُحْتَاجاً إِذَا عُدِمَ بَيْتُ ٱلْمَالِ ، فَيُأْمُرُ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ ، وَيُنْكِرُ عَلَىٰ مَنْ يَزِيدُ فِي ٱلْأَذَانِ ، وَعَلَىٰ مَنْ تَصَدَّىٰ لِلإِفْتَاءِ ، أَوِ ٱلتَّدْرِيسِ ، أَوِ ٱلْوَعْظِ وَهُوَ غَيْرُ أَهْلٍ ، وَعَلَى ٱلْقُضَاةِ إِذَا ٱحْتَجَبُوا عَنِ ٱلْخُصُومِ ، أَوْ قَصَّرُوا فِي ٱلنَّظَرِ عَنِ ٱلْخُصُومَاتِ ، وَعَلَىٰ أَئِمَّةِ ٱلْمَسَاجِدِ ٱلْمَطْرُوقَةِ إِذَا طَوَّلُوا فِي ٱلصَّلَوَاتِ .

وَبِهَذَا عُلِمَ أَنَّهُمَا لَا يَخْتَصَّانِ بِٱلْوَاجِبِ وَٱلْحَرَامِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَسِبَ بِرِفْقٍ وَسُكُونٍ مُتَدَرِّجاً إِلَى ٱلْأَغْلَظِ بِحَسَبِ حَالِ ٱلْمُنْكِرِ عَلَىٰ مَا فِي مُحِيطِ ٱلْحَنَفِيَّةِ : (أَنَّ مَنْ رَأَىٰ غَيْرَهُ مَكْشُوفَ ٱلرُّكْبَةِ . . أَنْكَرَ عَلَيْهِ بِرِفْقٍ ، وَلَا يُنَازِعُهُ إِنْ لَجَّ ، أَوِ ٱلْفَخْذَ . . أَنْكَرَ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ ، وَلَا يَضْرِبُهُ إِنْ لَجَّ ، أَوِ ٱلسُّرَةَ .. أَدَّبَهُ فَإِنْ لَجَّ .. قَتَلَهُ)[1] .

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[2] **(لَا يَنْفِي وُجُوبَهُمَا)** لِأَنَّ مَعْنَاهُ : إِلْزَمُوا إِصْلَاحَ أَنْفُسِكُمْ بِفِعْلِ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، وَتَرْكِ مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ ؛ كَٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَضُرُّكُمْ ضَلَالُ ضَالٍّ ، وَلَا عِنَادُهُ وَإِصْرَارُهُ عَلَى ٱلْمَعَاصِي إِذَا كُنْتُمْ مُهْتَدِينَ ، وَهَذَا ؛ كَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[3] .

(وَ) قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : (﴿ لَآ إِكۡرَاهَ / ب ٢٢١/ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[4] .. **مَنْسُوخٌ**) بِآيَاتِ ٱلْقِتَالِ ، وَعَلَىٰ تَقْدِيرِ عَدَمِ نَسْخِهِ قَدْ يُنَازَعُ فِي كَوْنِهِمَا إِكْرَاهاً .

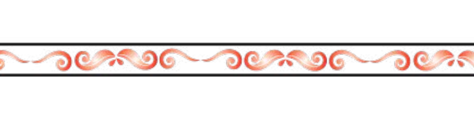
---

(١) ينظر : « المبسوط » : (١٠ /١٤٧) .

(٢) سورة المائدة : (١٠٥) .

(٣) سورة المائدة : (٩٩) .

(٤) سورة البقرة : (٢٥٦) .



[مبحث الإيمان]

(**وَمِنْهَا**) أَيْ : مِنَ ٱلسَّمْعِيَّاتِ (**ٱلْأَسْمَاءُ ٱلشَّرْعِيَّةُ**) ٱلْمُسْتَعْمَلَةُ فِي أَصُولِ ٱلدِّينِ (**كَٱلْإِيمَانِ**) وَٱلْمُؤْمِنِ ، وَٱلْمُسْلِمِ ، وَٱلتَّقِيِّ ، وَٱلصَّالِحِ ، وَكَٱلْكُفْرِ ، وَٱلْكَافِرِ ، وَٱلْمُنَافِقِ وَٱلْفَاسِقِ ، وَأَحْكَامِهِمْ ، وَمَا لِكُلٍّ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَكَيْفِيَّتِهِمَا .

وَهُوَ ؛ أَيِ : ٱلْإِيمَانُ (**لُغَةً : ٱلتَّصْدِيقُ**) بِشَهَادَةِ ٱلنَّقْلِ عَنْ أَئِمَّةِ ٱللُّغَةِ [1]، وَدَلَالَةِ مَوَارِدِ ٱلِاسْتِعْمَالِ ، وَهُوَ : إِفْعَالٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ لِلصَّيْرُورَةِ ، أَوِ ٱلتَّعْدِيَةِ [2]؛ كَأَنَّ ٱلْمُصَدِّقَ صَارَ ذَا أَمْنٍ مِنْ أَنْ يُكَذِّبَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ جَعَلَ غَيْرَهُ آمِناً مِنَ ٱلتَّكْذِيبِ وَٱلْمُخَالَفَةِ .

وَلِاعْتِبَارِ مَعْنَى ٱلْإِقْرَارِ وَٱلِاعْتِرَافِ .. عُدِّيَ بِٱلْبَاءِ فِي مِثْلِ : ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ** ﴾ [3]، وَلِاعْتِبَارِ مَعْنَى ٱلْإِذْعَانِ وَٱلْقَبُولِ .. عُدِّيَ بِٱللَّامِ فِي نَحْوِ : ﴿ **فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ** ﴾ [4].

وَلِكَوْنِ ٱلصِّدْقِ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ ٱلْمُتَكَلِّمُ وَٱلْكَلَامُ وَٱلْحُكْمُ .. وَقَعَ تَعَلُّقُهُ بِٱلشَّيْءِ بِٱعْتِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ كَمَا فِي :

(آمَنْتُ بِٱللهِ) أَيْ : بِأَنَّهُ وَاحِدٌ مُتَّصِفٌ بِمَا يَلِيقُ بِهِ ، مُنَزَّهٌ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .

(وَبِرَسُولِهِ) أَيْ : بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ .

(وَبِمَلَائِكَتِهِ) أَيْ : بِأَنَّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ مُطِيعُونَ مَعْصُومُونَ لَا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ ، وَلَا أُنُوثَةٍ ، لَيْسُوا بِبَنَاتِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَلَا شُرَكَاءِهِ .

---

(١) ينظر : « تهذيب اللغة » : (١٥ ٣٦٨) ، و« المخصص » : (٤ ٥٤) ، و« مختار الصحاح » : (ص : ٢٢)قال في « تهذيب اللغة » : (وَأما الْإِيمَان .. فَهُوَ مصدر: آمن يُؤمن إِيمَانًا ؛ فَهُوَ مُؤمن ، وَاتفقَ أهل الْعلم من اللُّغويين وَغَيرهم أَن الْإِيمَان مَعْنَاهُ : التَّصْدِيق) .

(٢) **الصيرورة** : التحويل هي صيرورة الشيء ذا شيء اخر ؛ أي : صيرورة ما هو فاعل افعل ، و **التعدية** : هي جعل فاعل أفعل مفعولا لفاعل أفعل ، قال التفتازاني في « شرح تصريف العزي » : (ص : ٨٣) : (كأفعل بزيادة الهمزة ؛ نحو : (أكرم إكراما) وهو : للتعدية غالبا ؛ نحو : أكرمته ، ولصيرورة الشيء على صفة ؛ نحو : أحمدته ؛ أي : وجدته محمودا) .

(٣) سورة البقرة : (٢٨٥) .

(٤) سورة العنكبوت : (٢٦) .

(وَبِكُتُبِهِ وَبِكَلِمَاتِهِ) أَيْ : بِأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، صَادِقَةٌ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ ، (وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ) أَيْ : بِأَنَّهُ كَائِنٌ ٱلْبَتَةَ (وَبِٱلْقَدَرِ) [1] أَيْ : بِأَنَّ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَ بِتَقْدِيرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَمَشِيئَتِهِ .

وَٱلْكُلُّ يَرْجِعُ إِلَى ٱلْقَبُولِ وَٱلِاعْتِرَافِ[2] .

وَشَرْعاً : ٱخْتُلِفَ فِي تَحْقِيقِهِ ، وَفِي كَوْنِهِ ٱسْماً لِفِعْلِ ٱلْقَلْبِ فَقَطْ ، أَوِ ٱللِّسَانِ فَقَطْ ، أَوْ لِفِعْلِهِمَا مَعاً وَحْدَهُمَا ، أَوْ مَعَ سَائِرِ ٱلْجَوَارِحِ .

فَهُوَ : إِمَّا ٱسْمٌ لِلتَّصْدِيقِ [3]؛ كَمَا قَالَ شَيْخَا ٱلسُّنَّةِ وَعَلَيْهِ ٱلْجُمْهُورُ[4] : أَنَّهُ (**تَصْدِيقُهُ** « **صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** » **فِيمَا عُلِمَ مَجِيئُهُ بِهِ ضَرُورَةً**) أَيْ : فِيمَا ٱشْتَهَرَ كَوْنُهُ مِنَ ٱلدِّينِ بِحَيْثُ تَعْلَمُهُ ٱلْعَامَّةُ مِنْ غَيْرِ ٱفْتِقَارٍ إِلَىٰ نَظَرٍ وَٱسْتِدْلَالٍ ؛ كَوَحْدَةِ ٱلصَّانِعِ / أ ٢٢٢/ ، وَوُجُوبِ ٱلصَّلَاةِ ، وَحُرْمَةِ ٱلْخَمْرِ ، وَيَكْفِي ٱلْإِجْمَالُ فِيمَا لُوحِظَ إِجْمَالاً ، وَيُشْتَرَطُ ٱلتَّفْصِيلُ فِيمَا لُوحِظَ تَفْصِيلاً ، حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يُصَدِّقْ ، مَثَلاً بِوُجُوبِ ٱلصَّلَاةِ ، وَحُرْمَةِ ٱلْخَمْرِ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ عَنْهُمَا كَانَ كَافِراً .

---

(١) يشهد له حديث مسلم في « صحيحه » : (٨) ، (١ ٣٦) عن سيدنا عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » قال : (فأخبرني عن الإيمان ، قال : ((أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) ، وحديث الترمذي في « سننه » : (٢٢٤٧) ، (٤ ٨٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » : ((آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)) .

(٢) ذكره التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٦ – ١٧٧) .

(٣) وليس المرادُ بالتصديق هنا العلمَ بصدق الخبر أو المُخبِر من غير إذعان وقبول ، وإلا لزم أن يكون كل عالم بصدق النبي « صلى الله عليه وسلم » مؤمناً به ، وليس الأمرُ كذلك ، لأن كثيراً من الأحبار والرُّهبان وغيرهم كانوا يعلمون صدق نبينا « صلى الله عليه وسلم » ، ولكنهم لم يُذعِنوا ويُسلِّموا لِمَا جاء به من عند الله ، فلم يؤمنوا ، بل إن إبليس كان مُصدِّقاً ، ومع ذلك فهو كافرٌ جزماً ، فالإيمان مجموع أمرين : الأول : العلم بصدق الخبر أو المُخبر ، والثاني : الإذعان والقبول للخبر أو المُخبِر ، وعليه يكون الإيمان من باب العلم ومن باب الكيفيات النفسانية . ينظر : « المسامرة بشرح المسايرة » : (ص٣٥٢ ــ ٣٥٣) .

(٤) هما الشيخان : أبو الحسن الأشعريُّ ، وأبو منصور الماتريديُّ .

ذكر هذا القول في « تبصرة الأدلة » : (٢ ٧٩٩) ، وعزاه البغدادي في « أصول الدين » : (ص : ٢٤٨) إلى أبي الحسن الاشعري وابن الراوندي والحسين بن الفضل البجلي ، وقال الريحاوي في « نخبة اللالي » : (ص : ٨٩) : (هو قول أبي منصور الماتريدي ومعظم الاشاعرة) ، قال البابرتي في « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٣٤) : (وعند المتكلّمين : هو تصديقُ « محمدٍ صلى الله عليه وسلم » فيما جاء به من عند الله ، فإنَّ فيه تصديقَ ما يجب التصديقُ به ؛ كالإيمان بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر وغير ذلك ممَّا يجب الإيمانُ به على التفصيل ، فمَن صدَّق الرسولَ فيما جاء به من عند الله فهو مؤمنٌ بينه وبين الله تعالى ، والإقرارُ شرطُ إجراءِ أحكام الإسلام عليه ، هذا هو المرويُّ عن أبي حنيفة رحمه الله ، وإليه ذهب الشيخُ أبو منصور الماتريدي ، وأبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، وأبو إسحاق الإسفراييني) .

فَهُوَ فِي ٱلشَّرْعِ : تَصْدِيقٌ خَاصٌّ ؛ بِشَهَادَةِ مَا وَرَدَ مُخْبِراً بِكَوْنِ ٱلْقَلْبِ مَحَلّاً لَهُ ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[1] ، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن ﴾[2]، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾[3]، ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[4]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((**ٱللَّهُمَّ ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**))[5]، ((أَخْرِجُوا مِنَ ٱلنَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْلُ ذَرَّةٍ[6] مِنْ إِيمَانٍ))[7].

أَوْ هُوَ : ٱسْمٌ لِلْمَعْرِفَةِ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ٱلشِّيعَةُ ، وَٱبْنُ صَفْوَانَ[8]، وَٱلصَّالِحِيُّ[9] مِنَ ٱلْقَدَرِيَّةِ ، وَمَالَ إِلَيْهِ ٱلْأَشْعَرِيُّ[10] ، وَذَلِكَ (**مَعْرِفَتُهُ**) أَيْ : مَعْرِفَةُ مَا جَاءَ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مِمَّا عُلِمَ مَجِيئُهُ بِهِ ضَرُورَةً ، مَعَ تَنَاوُلِهِ مَعْرِفَةَ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِوَحْدَانِيَتِهِ ، وَسَائِرَ مَا يَلِيقُ بِهِ ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .

وَرُدَّ : بِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ مُكَلَّفٌ بِهِ ، وَٱلتَّكْلِيفُ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالٍ ٱخْتِيَارِيَّةٍ ، وَٱلْمَعْرِفَةُ مِمَّا يَثْبُتُ بِلَا ٱخْتِيَارٍ ؛ كَمَنْ شَاهَدَ ظُهُورَ مُعْجِزَةِ نَبِيٍّ .. فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ٱلْعِلْمُ بِصِدْقِهِ .

---

(١) سورة النحل : (١٠٦) .

(٢) سورة المائدة : (٤١) .

(٣) سورة المجادلة : (٢٢) .

(٤) سورة الحجرات : (١٤) .

(٥) أخرجه ابن ماجه في « سننه » : (٣٨٣٤) ، (٢ ١٢٦٠) والترمذي في « سننه » : (٢١٤٠) ، (٤ ١٦) بلفظ : « يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » وقال عنه : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٦) في (ب) (مثقال ذرة) .

(٧) أخرجه البخاري : (٢٢) ، (١ ١٣) بلفظ : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٨) **جهم بن صفوان** : السمرقندي ، أبو محرز ، من موالي بني راسب ، رأس الجهمية قال الذهبي : الضالّ المبدع ، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما ، كان صاحب ذكاء وجدال توفي سنة (١٢٨ هـ). ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٦ ٢٦) ، و « الأعلام » : (٢ ١٤١) .

(٩) **الصالحي** : محمد بن مسلم ، أبو الحسين الصالحي من أهل البصرة أحد المتكلمين على مذهب الإرجاء ، ورد بغداد حاجا ، واجتمع إليه المتكلمون وأخذوا عنه وله من المصنفات كتاب « الإدراك الأول » وكتاب « الإدراك الثاني » . ينظر : « الوافي بالوفيات » : (٥ ١٩) .

(١٠) نقل رأيه الشهرستاني في « الملل والنحل » : (١ ١٤٥) فقال : (فأما الصالحي .. فقال : الإيمان : هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق) ونقل رأي جهم « الملل والنحل » : (١ ٨٨) وقال البابرتي في « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٤٣) : (أو عن المعرفة وحدها ؛ كجهم بن صفوان والمعتزلة) وينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٧) .

أَوْ هُوَ : فِعْلُ ٱللِّسَانِ [١]فَقَطْ ٱلَّذِي هُوَ : (**ٱلْإِقْرَارُ بِهِ**) أَيْ : بِمَا عُلِمَ مَجِيئُهُ بِهِ ضَرُورَةً وَبِحَقِيقَتِهِ ، ثُمَّ إِنْ شُرِطَ مَعَهُ مَعْرِفَةُ ٱلْقَلْبِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بِدُونِهَا إِيمَاناً : فَمَذْهَبُ ٱلرَّقَاشِيِّ [٢]؛ زَعْماً مِنْهُ أَنَّ ٱلْمَعْرِفَةَ ضَرُورِيَّةٌ تُوجَدُ لَا مَحَالَةَ ، فَلَا تُجْعَلُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ؛ لِكَوْنِهِ ٱسْماً لِفِعْلٍ مُكْتَسَبٍ لَا ضَرُورِيٍّ [٣].

أَوِ ٱلتَّصْدِيقُ فَمَذْهَبُ ٱلْقَطَّانِ[٤] ، قَالَ : (لِأَنَّ ٱلْإِقْرَارَ ٱلْخَالِيَ عَنِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلتَّصْدِيقِ لَا يَكُونُ إِيمَاناً ، وَعِنْدَ ٱقْتِرَانِهِ بِهِمَا يَكُونُ ٱلْإِيمَانُ هُوَ ٱلْإِقْرَارُ فَقَطْ)[٥] .

وَإِنْ لَمْ يُشْتَرَطْ شَيْءٌ مِنْهُمَا فَمَذْهَبُ ٱلْكَرَّامِيَّةِ ، حَتَّىٰ أَنَّ مَنْ أَضْمَرَ ٱلْكُفْرَ ، وَأَظْهَرَ ٱلْإِيمَانَ .. يَكُونُ مُؤْمِناً ؛ لَكِنَّهُ يَسْتَحِقُّ ٱلْخُلُودَ فِي ٱلنَّارِ ؛ لِعَدَمِ مُطَابَقَةِ تَصْدِيقِ ٱللِّسَانِ تَصْدِيقَ ٱلْقَلْبِ ، وَمَنْ أَضْمَرَ ٱلْإِيمَانَ ، وَأَظْهَرَ ٱلْكُفْرَ .. لَا يَكُونُ مُؤْمِناً ، وَمَنْ أَضْمَرَ ٱلْإِيمَانَ ، وَلَمْ / **ب ٢٢٢**/ يُظْهِرْ شَيْئاً .. لَمْ يَدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ** ﴾ [٦]؛ إِذْ قَدْ رَتَّبَ ثَوَابَهَا عَلَى ٱلْقَوْلِ : ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا .. عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ))[٧] ، وَإِنْكَارُهُ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَلَىٰ أُسَامَةَ لَمَّا قَتَلَ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ؛ ذَهَاباً إِلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُصَدِّقاً بِقَلْبِهِ ، بِقَوْلِهِ : ((هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ))[٨][٩] .

---

(١) في هامش الاصل : اللسان : وهكذا الفهم من كلام السعد .

(٢) الفضل بن عيسى الرقاشى ابن أخي يزيد الرقاشي ، ضعفوه ، وهو بصري ، خال للمعتمر بن سليمان ، قال ابن عيينة : كان يرى القدر . ينظر : « ميزان الاعتدال » : (٣ ٦ ٥٦٣)

(٣) ينظر : « المواقف » : (٣ ٨ ٠ ٧) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٧) .

(٤) **القَطَّان** : عبد الله بن سعيد بن كُلاّب ، أبو محمد ، متكلم من العلماء يقال له : ابن كلاب ، قال السبكي : وكلاب بضم الكاف وتشديد اللام ، قيل : لقب بها ؛ لأنه كان يجتذب الناس الى معتقده إذا ناظر عليه كما مجتذب الكلاب الشئ . له كتب، منها « الصفات » و « خلق الأفعال » و « الرد على المعتزلة » توفي سنة : (٢٤٥ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » (١١ ١٧٤) ، « الأعلام » : (٤ ٩٠) .

(٥) ينظر : « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٤٢) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٨) .

(٦) سورة المائدة : (٨٥) .

(٧) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٥) ، (١ ١٤) (٩ ١١٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » ومسلم في « صحيحه » : (٢١) ، (١ ٥٢) عن سيدنا جابر ربن عبد الله « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في « سننه » : (٣٩٣٠) ، (٢ ١٢٩٦) عن سيدنا عمران بن الحصين « رضي الله عنه » ومسلم في « صحيحه » بلفظ : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ» (٩٦) ، (١ ٩٦) عن سيدنا أسامة بن زيد « رضي الله عنهما ».

(٩) ينظر : « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٤٢) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٨) .

قُلْنَا : ﴿ ما ﴾ فِي ٱلآيَةِ إِنْ كَانَتْ مَوْصُولَةً .. فَٱلْقَوْلُ بِٱلتَّحْقِيقِ هُوَ ٱلْمَعْنَىٰ ، أَوْ مَصْدَرِيَّةً فَٱلْقَوْلُ إِنْ حُمِلَ عَلَى ٱلنَّفْسِيِّ فَهُوَ نَفْسُ ٱلتَّصْدِيقِ ، أَوْ عَلَى ٱللَّفْظِيِّ .. فَٱلثَّوَابُ عَلَيْهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَىٰ وُجُودِ ٱلْمَعْنَىٰ فِي ٱلنَّفْسِ .

وَأَمَّا ٱلْحَدِيثَانِ .. فَعَلَىٰ أَحْكَامِ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلنِّزَاعُ إِنَّمَا هُوَ فِي ٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ ٱلآخِرَةِ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ حَدِيثَ أُسَامَةَ [١] .. وَجَدَهُ لَنَا لَا عَلَيْنَا .

وَلَيْسَ لِهَذِهِ ٱلْفِرَقِ ٱلثَّلَاثِ كَبِيرُ خِلَافٍ فِي ٱلْمَعْنَىٰ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُمْ : إِنَّهُ ٱلْإِقْرَارُ يَكَادُ يَجْرِي مُجْرَىٰ إِنْكَارِ مَا وَرَدَ شَاهِداً : بِأَنَّهُ ٱلتَّصْدِيقُ مِمَّا مَرَّ ، وَمِثْلَ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ ﴾[٢] ، ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ﴾[٣] .

أَوْ هُوَ : ٱسْمٌ لِفِعْلِ ٱلْقَلْبِ وَٱللِّسَانِ مَعاً فَيَكُونُ ٱلْإِقْرَارُ (**مَعَ ٱلتَّصْدِيقِ**) وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ[٤] ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ ، وَبَعْضُ ٱلْأَشَاعِرَةِ[٥] ؛ لِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ لَمَّا كَانَ لُغَةً : ٱلتَّصْدِيقَ ، وَهُوَ كَمَا يَكُونُ بِٱلْقَلْبِ إِذْعَاناً وَ قَبُولاً لِمَا ٱنْكَشَفَ لَهُ .. يَكُونُ بِٱللِّسَانِ إِقْرَارٌ بِٱلْوَحْدَانِيَّةِ وَٱلرِّسَالَةِ ، فَيَكُونُ كُلٌّ مِنْهُمَا رُكْناً فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِهِمَا .

فَمَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ٱلْإِقْرَارُ بِٱلْوَحْدَانِيَّةِ .. لَا يَكُونُ مُؤْمِناً عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، وَلَا يَنْجُو مِنْ خُلُودِ ٱلنَّارِ ، وَتَشَبَّثُوا بِمَا مَرَّ مِمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ ٱلْكَرَّامِيَّةُ .

قُلْنَا : ذَلِكَ شَرْطٌ لِإِجْرَاءِ إِحْكَامِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَيْهِ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ كَٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَخَلْفِهِ ، وَدَفْنِهِ فِي مَقَابِرِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَمَطَالَبَتِهِ بِٱلزَّكَاةِ ، لَا لِلنَّجَاةِ فِي ٱلآخِرَةِ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلنِّزَاعِ ؛ كَمَا مَرَّ .

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل ، الصحابي ، ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، وكان رسول الله « صلّى الله عليه وسلم » يحبه حبا جما ، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين ، حِب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ومولاه ، وابن مولاه توفي سنة (٥٤ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٢ ٤٩٧) ، و « الأعلام » : (١ ٢٩١) .

(٢) سورة المائدة : (٤١) .

(٣) سورة الممتحنة : (١٠) .

(٤) ينظر : « الفقه الأكبر » : (ص : ٥٥) حيث قال فيه : (وَالْإِيمَان : هُوَ الْإِقْرَار والتصديق) ، و « المواقف » : (٣ ٥٢٨) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٨) ، و« شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٣٥) .

(٥) ينظر : « العقائد النسفية بشرح التفتازاني » : (ص : ١٥٣) ، وقال النسفي في « تبصرة الأدلة » : (٢ ٧٩٨) : (وهو محكي عن كثير من أصحاب أبي حنيفة) ، « شرح الجوهرة » للباجوري : (ص : ٩٥) ، و « المعتقد المنتقد » للبدايوني : (ص : ١٩٩) .

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ ٱلْإِقْرَارَ لِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنَّ يَكُونَ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْإِعَلَانِ وَٱلْإِظْهَارِ لِلإِمَامِ أَوْ غَيْرِهِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ لِإِتْمَامِ ٱلْإِيمَانِ ، فَإِنَّهُ يَكْفِي مُجَرَّدُ ٱلتَّكَلُّمِ ، وَإِنْ لَمْ يُظْهِرْهُ لِغَيْرِهِ وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ ٱلْخِلَافَ فِيمَا إِذَا كَانَ قَادِراً ، أَوْ تَرَكَ ٱلتَّكَلُّمَ لَا عَلَىٰ / **أ٢٢٣**/ وَجْهِ ٱلْإِبَاءِ ؛ إِذِ ٱلْعَاجِزُ ؛ كَٱلْأَخْرَسِ : مُؤْمِنٌ ٱتِّفَاقاً ، وَٱلْمُصِرُّ عَلَىٰ عَدَمِ ٱلْإِقْرَارِ مَعَ مُطَالَبَتِهِ بِهِ : كَافِرٌ وِفَاقاً ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ إِنْكَارِ ٱلتَّصْدِيقِ .

وَمِنْ ثُمَّ ٱتَّفَقُوا عَلَىٰ كُفْرِ أَبِي طَالِبٍ[١] مَعَ مُكَابَرَةِ ٱلرَّوَافِضِ غَافِلِينَ عَنْ أَنَّهُ كَانَ أَشْهَرَ أَعْمَامِهِ ، وَأَكْثَرَهُمْ ٱهْتِمَاماً بِشَأْنِهِ ، وَكَانَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أَوْفَرَهُمْ حِرْصاً عَلَىٰ إِيمَانِهِ ، فَكَيْفَ ٱشْتَهَرَ إِيمَانُ حَمْزَةَ وَٱلْعَبَّاسِ[٢] ، وَشَاعَ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْمَنَابِرِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَوَرَدَ فِيهِ أَحَادِيثُ شَهِيرَةٌ ، وَمِنْهُمَا فِي ٱلْإِسْلَامِ مَسَاعٍ كَثِيرَةٌ دُونَهُ[٣] .

(**أَوْ**) هُوَ : ٱسْمٌ لِفِعْلِ ٱلْقَلْبِ وَٱللِّسَانِ وَٱلْجَوَارِحِ ، فَهُوَ ٱلْإِقْرَارُ وَٱلتَّصْدِيقُ (**وَٱلْعَمَلُ**) وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جَمِيعُ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ[٤] (**وَلَا يَخْرُجُ**) تَارِكُ ٱلْعَمَلِ (**بِتَرْكِهِ**) أَيْ : مِنَ ٱلْإِيمَانِ بَلْ يُقْطَعُ لَهُ بِدُخُولِ ٱلْجَنَّةِ ، وَبِعَدَمِ خُلُودِهِ فِي ٱلنَّارِ (**لِبَقَاءِ**) مَا هُوَ ٱلْمُعْتَبَرُ مِنْ (**أَصْلِ ٱلنَّجَاةِ**) وَأَسَاسِهَا ، وَهُوَ ٱلتَّصْدِيقُ وَحْدَهُ .

أَوْ مَعَ ٱلْإِقْرَارِ ، فَلَا يَرِدُ قَوْلُهُمْ : كَيْفَ لَا يَنْتَفِي ٱلْإِيمَانُ بِٱنْتِفَاءِ رُكْنِهِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْعَمَلُ بِتَرْكِهِ ؛ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى ٱلْأَصْلِ وَٱلْأَسَاسِ فِي دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ ، وَهُوَ ٱلتَّصْدِيقُ ، وَعَلَىٰ مَا هُوَ ٱلْكَامِلُ ٱلْمُنْجِي بِلَا خِلَافٍ ،

---

(١) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، أبو طالب ، والد علي « رضي الله عنه » وعم النبي « صلى الله عليه وسلم » وكافله ومربيه ومناصره . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٧ ١٩٦) ، و « الأعلام » : (٤ ١٦٦).

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو عمارة ، وقيل : أبو يعلى ، كان عم النبي « صلى الله عليه وسلم » وأخاه من الرضاعة ، أسد الله وأسد رسوله ولد ونشأ في مكة وتوفي سنة (٣ هـ) في معركة أحد . ينظر : « معرفة الصحابة » : (٢ ٦٧٢) ، و « أسد الغابة » : (٢ ٦٧) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤ ٢١٢٠) ، و العباس بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أبا الفضل، عم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وصنو أبيه ، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام ، وجدّ الخلفاء العباسيين توفي سنة (٣٢ هـ) . ينظر : « معرفة الصحابة » : (٤ ٢١٢٠) ، و « أسد الغابة » : (٣ ١٦٣) .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٩) .

(٤) ينظر : « شعب الإيمان » : (١ ١٠٠) ، ونقل ذلك الإمام ابن حجر في « فتح الباري » : (١ ٤٧) حيث قال : (فالسلف قالوا : هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ... وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب « السنة » عن الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص) . و « المواقف » : (٣ ٥٢٨) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ١٧٩) ، و « تبصرة الأدلة » : (٢ ٧٩٨) ، قال الشيخ عبد القادر الجيلي في « الغنية لطالبي طريق الحق » : (١ ١٣٥) : (ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ، ومعرفة بالجنان ، وعمل بالأركان) .

وَهُوَ ٱلتَّصْدِيقُ مَعَ ٱلْإِقْرَارِ .

وَٱلْعَمَلُ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] .

(**خِلَافاً لِلْمُعْتَزِلَةِ**) فَإِنَّهُمْ قَالُوا : يَخْرُجُ بِٱرْتِكَابِ كَبِيرَةٍ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ ٱلطَّاعَاتِ عِنْدَهُمْ شَرْطٌ لِصِحَّتِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْكُفْرِ ؛ إِذِ ٱرْتِكَابُهَا فِسْقٌ ، وَٱلْفَاسِقُ عِنْدَهُمْ : لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ ، مَنْزِلَةٌ بَيْنَ ٱلْمَنْزِلَتَيْنِ .

ثُمَّ ٱخْتَلَفُوا فَقَالَ ٱلْجُبَّائِيُّ وَٱبْنُهُ : شَرْطُهَا فِعْلُ ٱلْوَاجِبَاتِ ، وَتَرْكُ ٱلْمَحْظُورَاتِ ، وَٱلْعَلَّافُ[2] وَعَبْدُ ٱلْجَبَّارِ[3] : شَرْطُهَا فِعْلُ ٱلطَّاعَاتِ وَاجِبَةٌ وَمَنْدُوبَةٌ ، وَهُوَ قَاضٍ بِخُرُوجِهِ مِنْهُ وَحِرْمَانِهِ مِنْ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ بِتَرْكِ مَنْدُوبٍ ، وَلَا يَرْتَضِيهِ مَذْهَباً لِنَفْسِهِ عَاقِلٌ[4] .

(**وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْكُفْرِ خِلَافاً لِلْخَوَارِجِ**) فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا : أَنَّهُ يَدْخُلُ بِٱلْمَعْصِيَةِ فِيهِ ؛ لِأَنَّ ٱلطَّاعَاتِ / **ب٢٢٣**/ عِنْدَهُمْ ، وَلَوْ مَنْدُوبَةً جُزْءٌ مِنْهُ .. فَيَكْفُرُ بِٱنْتِفَائِهِ .

---

(١) سورة الانفال : (٢- ٤) .

(٢) **أبو الهذيل العَلَّاف** : محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبديّ، مولى عبد القيس ، من أئمة المعتزلة ولد في البصرة وتوفي بسامرا سنة (٢٣٥ هـ) ، له كتب كثيرة منها : كتاب سمّاه « ميلاس » على اسم مجوسي أسلم على يده . ينظر : « تاريخ بغداد » : (٤ ٥٨٢) ، و« سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٥٤٢) .

(٣) **القاضي** : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد ابادي ، أبو الحسين ، المتكلم ، أصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره ، وهم يلقبونه قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره ، صاحب التصانيف ، من كبار فقهاء الشافعية ولي القضاء بالريّ ، ومات فيها سنة (٤١٥ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٧ ٢٤٤) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » : (٥ ٩٧) ، و « الأعلام » : (٣ ٢٧٣) .

(٤) ينظر : « شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٠٧) حيث قال : (وجملة ذلك ، أن الإيمان عند أبي علي وأبي هاشم : عبارة عن أداء الطاعات الفرائض دون النوافل ، واجتناب المقبحات ، وعند أبي الهذيل : عبارة عن أداء الطاعات الفرائض منها والنوافل واجتناب المقبحات ، وهو الصحيح من المذهب الذي اختاره قاضي القضاة) .

(**فَٱلْفَاسِقُ عِنْدَنَا**) .. مُؤْمِنٌ مَقْطُوعٌ بِدُخُولِهِ ٱلْجَنَّةَ ، وَبِعَدَمِ خُلُودِهِ فِي ٱلنَّارِ ، وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ ٱلسَّلَفِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ ، وَجَمِيعُ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ ، وَٱلشَّافِعِيُّ[1] ، وَمَالِكٌ[2]، وَٱلْأَوْزَاعِيُّ[3] .

(**وَٱلتَّصْدِيقُ**) لَيْسَ لِلنَّفْسِ فِيهِ فِعْلٌ وَتَأْثِيرٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَقُولَةِ : أَنْ يَفْعَلَ ، وَلَا مِنْ مَقُولَةِ : أَنْ يَنْفَعِلَ ، بَلْ هُوَ مِنْ مَقُولَةِ : ٱلْكَيْفِ[4]؛ لِأَنَّهُ ثَانِي قِسْمَي[5] ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي قُسِّمَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى ٱلتَّصَوُّرِ[6] .. فَهُوَ ٱلتَّصْدِيقُ ٱلْمَنْطِقِيُّ[7] ؛ كَمَا قَالَ ٱبْنُ سِينَا : إِنَّ ثَانِي قِسْمَيْهِ هُوَ : ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي وُضِعَ بِإِزَائِهِ لَفْظُ ٱلتَّصْدِيقِ فِي لُغَةِ ٱلْعَرَبِ ، وَ (كرَويدنْ) فِي لُغَةِ ٱلْفُرْسِ نَفْياً لِمَا عَسَىٰ يَذْهَبُ إِلَيْهِ مُعَانِدٌ مِنْ أَنَّ كروَيدَنْ فِي ٱلْمَنْطِقِ غَيْرُهُ فِي ٱللُّغَةِ[8] .

فَحَقِيقَتُهُ كَيْفِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْقِيَادٌ وَتَسْلِيمٌ (**وَإِذْعَانٌ وَقَبُولٌ**) لِحُكْمِ ٱلْمُخْبِرِ[9] وَجَعْلُهُ صَادِقاً ؛ إِذْ لَا يُفْهَمُ مِنْ نِسْبَةِ ٱلصِّدْقِ إِلَيْهِ سِوَىٰ إِذْعَانِ ٱلنَّفْسِ وَقَبُولِهَا وَإِدْرَاكِهَا ؛ لِكَوْنِهِ صَادِقاً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ

---

(١) **الإِمَام الشَّافِعِي** : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، أبو عبد الله ، زين الفقهاء وتاج العلماء ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد في غزة وتوفي في مصر سنة (٢٠٤ هـ). ينظر : « تاريخ بغداد » : (٢ ٣٩٢) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » : (٢ ٧١) .

(٢) **الإِمَام مَالِك** : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ، شيخ الإسلام ، حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، الأصبحي الحميري ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة سنة (١٧٩هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٨ ٤٨) ، و « الأعلام » : (٥ ٢٥٧) .

(٣) **الأَوْزاعي** : عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، شيخ الإسلام ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد توفي في بيروت سنة (١٥٧ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٧ ١٠٧) ، « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » : (٣٥ ٨٩) ، ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٢٨) ، « معالم أصول الدين » : (ص: ٥٣١) ، « أصول الدين » : (ص: ٦٩١) .

(٤) **المقولات العشر** وهي : الجوهر ، الكم ، الكيف ، الإضافة ، الأين ، المتى ، الوضع ، الملك ، الفعل ، الانفعال.

زَيْدُ الطَّويلُ الأزرقُ ابنُ مالك ... في بيته بالأَمسِ كان مُتّكي

بيده غُصْنٌ لواه فالْتوى ... فهذه مقولات عشر سَوَا .

ففي هذين البيتين إشارة إلى أمثلة للمقولات العشر : فـ : (زيد) مثال للجوهر ، و (الطويل) للكم ، و (الأزرق) للكيف ، و (الابن) للإضافة ، و (في بيته) للأين ، و (بالأمس) للمتى ، و (متكي) للوضع ، و (في يده غصن) للملك ، و (لواه) للفعل ، (فالتوى) للانفعال. ينظر : « المقالات في المقولات » للشيخ عبد الكريم المدرس ، و « المقولات العشر بين الفلاسفة والمتكلمين » للشيخ محمد رمضان .

(٥) في (ب) (اقسام) .

(٦) **التَّصور** : هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات . ينظر : « التعريفات » (ص: ٥٩) .

(٧) التصديق : ادراك النسبة بين مفردين فأكثر ، أو هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر ينظر : « التعريفات » (ص: ٥٩) .

(٨) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٨٧) .

(٩) في (ب) (لحكم الخبر) .

لَهَا بَعْدَ حُصُولِ ٱلنِّسْبَةِ تَأْثِيرٌ وَفِعْلٌ ، بَلْ يَقْطَعُ بِأَنَّهُ كَيْفِيَّةٌ لَهَا ، وَإِذْعَانٌ وَقَبُولٌ ، هُوَ إِدْرَاكُهَا أَنَّ ٱلنِّسْبَةَ وَاقِعَةٌ ، أَوْ لَيْسَتْ بِوَاقِعَةٍ فَهُوَ ؛ كَمَا قَالَ ٱبْنُ سِينَا فِي نَحْوِ : (ٱلْبَيَاضُ عَرَضٌ ، هُوَ أَنَّ فِي ٱلذِّهْنِ نِسْبَةُ صُورَةِ هَذَا ٱلتَّأْلِيفِ إِلَى ٱلْأَشْيَاءِ أَنْفُسِهَا أَنَّهَا مُطَابِقَةٌ لَهَا ، وَيُخَالِفُهُ ٱلتَّكْذِيبُ فَلَمْ يَجْعَلْهُ حُصُولَ ٱلنِّسْبَةِ ٱلتَّامَّةِ فِي ٱلذِّهْنِ ، بَلْ حُصُولَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى ٱلذِّهْنِ ٱلثُّبُوتُ أَوِ ٱلْأَنْتِفَاءُ ٱلَّذِي بَيْنَ طَرَفِي ٱلْمُؤَلَّفِ إِلَىٰ مَا فِي نَفْسِ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمُطَابَقَةِ ، وَمَعْنَاهُ : نِسْبَةُ ٱلْحُكْمِ إِلَى ٱلصِّدْقِ ، وَبَيَّنَهُ : بِأَنَّهُ ضِدُّ ٱلتَّكْذِيبِ ٱلَّذِي مَعْنَاهُ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى ٱلْكَذِبِ)[1] .

فَهُوَ لُغَةً وَشَرْعاً وَٱصْطِلَاحاً : إِذْعَانٌ ، وَٱنْقِيَادٌ لِحُكْمِ ٱلْمُخْبِرِ وَقَبُولُهُ ، وَكَيْفِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ ؛ لِأَنَّهُ قِسْمٌ مِنَ ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي هُوَ مِنْ مَقُولَةِ ٱلْكَيْفِ ؛ لِاتِّصَافِ ٱلصُّورَةِ بِٱلْمُطَابَقَةِ ، لَا مِنْ مَقُولَةِ ٱلْإِنْفِعَالِ وَٱلْإِضَافَةِ ؛ لِعَدَمِ ٱتِّصَافِهِمَا بِهَا ، وَتَسْمِيَتُهُ تَسْلِيماً وَٱنْقِيَاداً .. زِيَادَةُ تَوْضِيحٍ / **أ٢٢٤/** ، وَجَعْلُهُ مُغَايِراً لِلْمَنْطِقِيِّ .. وَهْمٌ ، وَحُصُولُهُ لِلْكُفَّارِ مَمْنُوعٌ .

وَلَوْ سُلِّمَ فِي ٱلْبَعْضِ فَكُفْرُهُ بِٱعْتِبَارِ جُحُودِهِ وَٱسْتِكْبَارِهِ عَنِ ٱلْإِذْعَانِ وَعَدَمِ رِضَاهُ بِٱلْإِيمَانِ ؛ كَمَا أَنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ يَكْفُرُ بِمَا يَصْدُرُ[2] عَنْهُ مِنْ أَمَارَاتِ ٱلْإِنْكَارِ وَعَلَامَاتِ ٱلِاسْتِكْبَارِ .

وَكَوْنُهُ كَيْفِيَّةً نَفْسَانِيَّةً لَا يُنَافِي كَوْنَ ٱلْإِيمَانِ ؛ كَمَا يَأْتِي مَأْمُوراً بِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا صَحَّ ٱلْأَمْرُ بِهِ بِٱعْتِبَارِ ٱشْتِمَالِهِ عَلَى ٱلْإِقْرَارِ ، وَصَرْفِ ٱلْقُوَّةِ ، وَتَرْتِيبِ ٱلْمُقَدِّمَاتِ ، وَرَفْعِ ٱلْمَوَانِعِ ، وَإِلْقَاءِ ٱلذِّهْنِ ، وَتَوَجُّهِ ٱلْحَوَاسِّ إِلَىٰ تَحْصِيلِ تِلْكَ ٱلْكَيْفِيَّةِ ٱلْحَاصِلَةِ بِٱلِاخْتِيَارِ ، ٱلْخَالِيَةِ عَنِ ٱلْجُحُودِ وَٱلِاسْتِكْبَارِ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ ٱلْعُلُومِ وَٱلِاعْتِقَادَاتِ ، فَمَا مَعْنَىٰ تَحْصِيلِهِ بِٱلدَّلِيلِ وَٱلتَّقْلِيدِ ، وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ ثَمَرَةُ ٱلنَّظَرِ وَٱلِاسْتِدْلَالِ غَيْرَ ٱلْعِلْمِ وَٱلِاعْتِقَادِ مِمَّا هُوَ كَيْفِيَّةٌ .

(**لَا فِعْلٌ ٱخْتِيَارِيٌّ**) أَيْ : لَيْسَ ٱلتَّصْدِيقُ وَٱلْإِيمَانُ مِنْ مَقُولَةِ ٱلْفِعْلِ بِمَعْنَى ٱلتَّأْثِيرِ (**وَإِنْ كَانَ مَأْمُوراً بِهِ ؛ إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ**) أَيْ : لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ ٱلتَّصْدِيقِ وَٱلْإِيمَانِ مَأْمُوراً بِهِ ، أَنْ يَكُونَ فِعْلاً ٱخْتِيَارِيّاً (**إِذْ لَيْسَ مَعْنَىٰ كَوْنِ ٱلْمَأْمُورِ بِهِ ٱخْتِيَارِيّاً**) مَقْدُوراً عَلَيْهِ (**أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ مَقُولَةِ أَنْ يَفْعَلَ**) ٱلَّتِي رُبَّمَا نُوزِعَ فِي كَوْنِهَا مِنَ ٱلْأَعْيَانِ ٱلْخَارِجِيَّةِ دُونَ ٱلِاعْتِقَادَاتِ ٱلْعَقْلِيَّةِ ، (**بَلْ أَنَّهُ يَصِحُّ تَعَلُّقُ ٱلْقُدْرَةِ**

---

(١) ينظر : « المنطق » : (١ ٤).

(٢) في (ا) (صدر) والمثبت من (ب) .

بِهِ وَكَسْبِهِ ٱخْتِيَاراً) لِتَوَقُّفِ حُصُولِهِ عَلَىٰ مُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهِ ؛ كَإِلْقَاءِ ٱلذِّهْنِ ، وَتَرْتِيبِ ٱلْمُقَدِّمَاتِ ، وَصَرْفِ ٱلنَّظَرِ ، وَتَوَجُّهِ ٱلْحَوَاسِّ ، وَرَفْعِ ٱلْمَوَانِعِ (**كَيْفِيَّةً كَانَ**) فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلْكَيْفِيَّاتِ (**كَٱلْعِلْمِ**) وَٱلنَّظَرِ ؛ كَـ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] ، وَ ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾[2] (**وَغَيْرِهَا ؛ كَٱلْقِيَامِ)** وَٱلْقُعُودِ ؛ مِمَّا هُوَ مِنَ ٱلْأَوْضَاعِ وَٱلْهَيْئَاتِ وَٱلتَّبَرُّدِ وَٱلتَّسَخُّنِ مِمَّا هُوَ مِنَ ٱلْإِنْفِعَالَاتِ (**وَٱلصَّلَاةِ**) مِمَّا هُوَ مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ وَٱلسَّكَنَاتِ (**وَٱلصَّوْمِ**) مِمَّا هُوَ مِنَ ٱلتُّرُوكِ .

فَٱلْوَاجِبُ ٱلْمَقْدُورُ ٱلْمُثَابُ عَلَيْهِ شَرْعاً : هُوَ نَفْسُ /**ب ٢٢٤**/ تِلْكَ ٱلْأُمُورِ لَا مُجَرَّدَ إِيقَاعِهَا ، فَكَوْنُ ٱلْإِيمَانِ مَأْمُوراً بِهِ ٱخْتِيَاراً ، مَقْدُوراً مُثَاباً عَلَيْهِ لَا يُنَافِي كَمَا مرَّ مِنْ كَوْنِهِ [3] كَيْفِيَّةً نَفْسَانِيَّةً ، قَدْ تَحْصُلُ لِلْمُكَلَّفِ بِكَسْبِهِ وَٱخْتِيَارِهِ ، أَوْ بِدُونِهِ ؛ كَمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ .. فَعَلِمَ أَنَّهَا طَالِعَةٌ .

وَٱلْمَأْمُورُ بِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْأَوَّلِ .

نَعَمْ ؛ يَجُوزُ عَلَىٰ تَقْدِيرِ لُزُومِ كَوْنِ ٱلْمَأْمُورِ بِهِ فِعْلاً ٱخْتِيَارِيّاً ؛ بِمَعْنَى : ٱلتَّأْثِيرِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ٱلْأَمْرِ بِهِ هُوَ : ٱلْأَمْرُ بِإِيقَاعِهِ ، وَٱكْتِسَابِهِ ، وَتَحْصِيلِهِ ؛ كَمَا فِي سَائِرِ ٱلْوَاجِبَاتِ .

(**فَغَايَتُهُ**) أَيْ : غَايَةُ مَا ذُكِرَ أَنَّهُ يَجِبُ وَيُشْتَرَطُ (**أَنْ يَكُونَ**) ٱلتَّصْدِيقُ ، وَٱلْإِيمَانُ .. (**حَاصِلاً بِٱلِاخْتِيَارِ**) مِنَ ٱلْمُكَلَّفِ بِمُبَاشَرَةِ ٱلْأَسْبَابِ عَلَىٰ مَا هُوَ قَاعِدَةُ ٱلْمَأْمُورِ بِهِ .

(**وَأَمَّا أَنَّهُ غَيْرُ مَا جُعِلَ**) فِي فَنِّ ٱلْمَنْطِقِ (**مُقَابِلاً لِلتَّصَوُّرِ**) بِأَنْ يَكُونَ فِعْلاً تَأْثِيراً مِنَ ٱلنَّفْسِ لا كَيْفِيَّةً لَهَا ، وَإِنَّ ٱلِاخْتِيَارَ مُعْتَبَرٌ فِي مَفْهُومِ ٱلتَّصْدِيقِ ٱللُّغَوِيِّ (.. **فَلَا**) لِلْعِلْمِ بِٱنْتِفَاءِ كَوْنِهِ غَيْرَهُ قَطْعاً ، بَلْ لَوْ كَانَ مِنْ مَقُولَةِ ٱلْفِعْلِ دُونَ ٱلْكَيْفِ ، لَمَا صَحَّ ٱلِاتِّصَافُ بِهِ حَقِيقَةً إِلَّا حَالَ ٱلْمُبَاشَرَةِ وَٱلتَّحْصِيلِ ؛ كَمَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَ هَذِهِ ٱلْمَقُولَةَ .

---

(١) سورة سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم» : (١٩) .

(٢) سورة سيدنا يونس « عليه السلام » : (١٠١) .

(٣) في (ب) (سقطت) .

(**وَ مِنْ ثُمَّ**) أَيْ : وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلتَّصْدِيقَ : إِذْعَانٌ وَقَبُولُ ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَحْصِيلُهُ بِمُبَاشَرَةِ ٱلْأَسْبَابِ (**لَمْ يَكُنِ ٱلْيَقِينُ بِلَا إِذْعَانٍ**) كَمَا لِلسُّوفِسْطَائِيِّ وَلِبَعْضِ ٱلْكُفَّارِ (**تَصْدِيقاً**) بَلْ يَكُونُ تَصَوُّراً ، أَوْ وَاسِطَةً بَيْنَ ٱلتَّصَوُّرِ وَٱلتَّصْدِيقِ .

وَلَا يَكُونُ ٱلْيَقِينُ (**ٱلْمُقَارِنُ لَهُ**) أَيْ : لِلإِذْعَانِ حَالَ كَوْنِهِ (**بِلَا كَسْبٍ**) وَٱخْتِيَارٍ .. (**إِيمَاناً شَرْعِيّاً**) لِفَقْدِ مَا وَجَبَ وَشُرِطَ لَهُ مِنَ ٱلْكَسْبِ وَٱلِاخْتِيَارِ ، وَلَزِمَ مِنْ كَوْنِ ٱلْإِيمَانِ إِنَّمَا يَكُونُ شَرْعِيّاً ؛ إِذَا كَانَ بِكَسْبٍ وَٱخْتِيَارٍ (**أَنْ يَكُونَ تَصْدِيقُ ٱلْمَلَائِكَةِ بِمَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمْ**) مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ تَصْدِيقُ (**ٱلْأَنْبِيَاءِ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ**) مِنْهُ تَعَالَىٰ ، وَأَنْ يَكُونَ تَصْدِيقُ (**ٱلصِّدِّيقِينَ بِمَا سَمِعُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ**) وَيَكُونُ تَصْدِيقُهُمْ بِمَا (**وَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ ؛ بِمُشَاهَدَةِ مُعْجِزَتِهِ**) كُلُّهُ (**مُكْتَسَباً ٱخْتِيَاراً**) أَيْ : بِٱلِاخْتِيَارِ / أ **٢٢٥**/ فَيَكْفِي[1] فِي كَوْنِهِ مُكْتَسَباً بِهِ .. إِلْقَاءُ ٱلذِّهْنِ ، وَتَوَجُّهُ ٱلْحَوَاسِّ وَرَفْعُ ٱلْمَوَانِعِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ، أَوْ أَنَّ مَنْ ذُكِرَ (**يَصِيرُوا بَعْدُ**) أَيْ : بَعْدَ ٱلْإِلْقَاءِ ، وَٱلْوَحْيِ ، وَٱلسَّمَاعِ ، أَوِ ٱلْوُقُوعِ .. (**مُكَلَّفِينَ بِتَحْصِيلِهِ ٱخْتِيَاراً**) مِنْهُمْ بِمُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهِ .

(**وَضِدُّهُ**) أَيْ : ضِدُّ ٱلتَّصْدِيقِ (**ٱلتَّكْذِيبُ**) وَٱلْإِنْكَارُ ؛ لِخُلُوِّهِ عَنِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلْإِذْعَانِ وَٱلْقَبُولِ (**وَغَيْرُهُ : ٱلْعِلْمُ وَٱلْمَعْرِفَةُ**) إِذْ قَدْ يَنْفَكُّ كُلٌّ عَنِ ٱلآخَرِ ؛ إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِمَا وُجُودُهُ ، وَلَا مِنْ وُجُودِهِ وُجُودُهُمَا .

فَإِنَّا آمَنَّا بِٱلْمَلَائِكَةِ ، وَٱلْأَنْبِيَاءِ وَكُتُبِهِمْ ، وَلَمْ نَعْرِفْ أَعْيَانَهُمْ ، (**وَمِنَ ٱلْكُفَّارِ مَنْ عَرَفَ ٱلْحَقَّ وَلَمْ يُصَدِّقْ**) عِنَاداً ، وَٱسْتِكْبَاراً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[2] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ،[3] ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ،[4] ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[5] فَهَؤُلَاءِ عَالِمُونَ بِهِ، وَلَيْسُوا مُصَدِّقِينَ ؛ لِعَدَمِ حُكْمِهِمُ ٱخْتِيَاراً ، بَلْ مُنْكِرُونَ ؛ كَٱلسُّوفِسْطَائِيَّةِ عَالِمُونَ بِوُجُودِ ٱلنَّهَارِ مَثَلاً

---

(١) في (ب) (و يكفي) .

(٢) سورة البقرة : (١٤٤) .

(٣) سورة البقرة : (١٤٦) .

(٤) سورة النمل: (١٤) .

(٥) سورة الإسراء : (١٠٢) .

غَيْرُ مُصَدِّقِينَ ؛ وَبِهَذَا ظَهَرَ ٱلتَّصْدِيقُ بِمَا جَاءَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَبَيْنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ بِهِ .

وَ به صَحَّ [1] كَوْنُ ٱلثَّانِي حَاصِلاً لِلْمُعَانِدِينَ دُونَ ٱلْأَوَّلِ ، وَكَوْنُهُ إِيمَاناً دُونَ ٱلثَّانِي (**وَقَدْ وَقَعَا**) أَيْ : لَفْظُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ ، وَكَذَا لَفْظُ ٱلاعْتِقَادِ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْأُمَّةِ .. (**مَكَانَهُ**) أَيِ : ٱلتَّصْدِيقِ .

(**وَأُرِيدَ بِهِمَا**) أَيْ : بِلَفْظِهِمَا (**ٱلْعِلْمَ ٱلتَّصْدِيقِيَّ**) ٱلْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِـ (كرويدن) قَطْعاً ؛ بِأَنَّ ٱلتَّصْدِيقَ مِنْ جِنْسِ ٱلْعُلُومِ وَٱلِاعْتِقَادَاتِ ؛ لِكَنَّهُ فِي ٱلْإِيمَانِ مَشْرُوطٌ بِقُيُودٍ وَخُصُوصِيَّاتٍ ؛ كَٱلتَّحْصِيلِ وَٱلِاخْتِيَارِ ، وَتَرْكِ ٱلْجُحُودِ وَٱلِاسْتِكْبَارِ .

وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُ عَلِيٍّ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ » : (ٱلْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ ، وَٱلْمَعْرِفَةُ تَسْلِيمٌ ، وَٱلتَّسْلِيمُ تَصْدِيقٌ) [2] ، وَقَوْلُ ٱلْإِمَامَيْنِ [3] / **ب٢٢٥** / : (ٱلتَّصْدِيقُ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ ٱلنَّفْسِ ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْإِرَادَةِ) ، لَمْ يُرِيدَا بِهِ كَمَا فِي « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » : (أَنَّهُ يُعْتَبَرُ أَنْ يَكُونَ عِلْماً ، أَوْ [4] إِرَادَةً بَلْ مَا يَحْصُلُ فِي ٱلنَّفْسِ مِنْ حَيْثُ تَدُلُّ عَلَيْهِ بِعِبَارَةٍ ، أَوْ إِشَارَةٍ ، أَوْ كِنَايَةٍ ، فَهُوَ كَلَامُهَا سَوَاءٌ كَانَ عِلْماً ، أَوْ إِرَادَةً ، أَوْ طَلَباً ، أَوْ إِخْبَاراً ، أَوِ ٱسْتِخْبَاراً ، أَوْ لَيْسَ كَلَامُهَا نَوْعاً مِنَ ٱلْمَعَانِي مُغَايِراً لِمَا حَصَلَ فِيهَا ٱتِّفَاقاً ، وَإِلَّا لَكَانَ إِنْكَارُهُ لِلتَّصْدِيقِ ، وَٱلطَّلَبِ ، وَٱلْإِخْبَارِ ، وَٱلِاسْتِخْبَارِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ فِيهَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ إِنْكَارُهُ عَائِدٌ إِلَىٰ أَنَّ ٱلْكَلَامَ هُوَ ٱلْمَسْمُوعُ فَقَطْ دُونَ ٱلْمَعَانِي ، فَٱلْقَوْلُ : بِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ كَلَامُهَا ، لَا يَكْفِي فِي ٱلتَّقَصِّي عَنْ مُطَالَبَتِهِ أَنَّهُ مِنْ أَيِّ أَنْوَاعِ ٱلْأَعْرَاضِ ، وَأَيَّةُ مَقُولَةٍ مِنَ ٱلْمَقُولَاتِ ، وَلَا مَحِيصَ سِوَىٰ تَسْلِيمِ أَنَّهُ مِنَ ٱلْكَيْفِيَّاتِ ٱلنَّفْسَانِيَّةِ ٱلْحَاصِلَةِ بِٱلِاخْتِيَارِ ، ٱلْخَالِيَةِ عَنِ ٱلْجُحُودِ وَٱلِاسْتِكْبَارِ) [5] .

(**وَلَمْ يُنْقَلِ ٱلْإِيمَانُ**) عَنْ مَعْنَاهُ : ٱلَّذِي هُوَ مُجَرَّدُ ٱلتَّصْدِيقِ إِلَىٰ مَعْنًى آخَرَ ؛ لِأَنَّ ٱلنَّقْلَ خِلَافُ ٱلْأَصْلِ،

---

(١) في (ا) (وصح) والمثبت من (ب).

(٢) ذكره الألوسي في : « روح المعاني » : (١ ١١٤) (قال يعسوب المؤمنين علي « كرم الله تعالى وجهه » : إن الإيمان معرفة ، والمعرفة تسليم ، والتسليم تصديق) .

(٣) هما الإمام الرازي وإمام الحرمين ، ينظر : « مفاتيح الغيب » : (٢٠ ٢٧٦) .

(٤) في (ب) (و ارادة) .

(٥) شرح المقاصد : (٥ ١٩٠) .

لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمُقْتَضىً ، وَلِأَنَّهُ كَثُرَ فِي ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ خِطَابُ ٱلْعَرَبِ بِهِ ؛ لِظُهُورِ مَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ (**بَلْ خُصَّ تَعَلُّقُهُ**) بِأُمُورٍ ، عُلِمَ مَجِيئُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِهَا ضَرُورَةً.

(**وَوَجَبَ**) أَيِ : ٱلْإِيمَانُ بِهَا مِمَّا ٱحْتِيجَ لِبَيَانِهِ .. فَبَيَّنَ وَفَصَّلَ بَعْضَ تَفْصِيلٍ (**وَمِنْ ثُمَّ**) أَيْ : وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْإِيمَانَ لَمْ يُنْقَلْ إِلَىٰ مَعْنىً آخَرَ .. (**ٱمْتَثَلُوا بِلَا تَوَقُّفٍ**) إِلَىٰ بَيَانِ مَا دُعُوا إِلَيْهِ ، وَٱسْتِفْسَارٍ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ خُوطِبُوا بِمَا يَفْهَمُونَ .

وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ٱحْتِيجَ إِلَىٰ بَيَانِ مَا وَجَبَ ٱلْإِيمَانُ بِهِ .. صَحَّ فِي جَوَابِ قَوْلِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا » ؛ تَعْلِيماً لِلصَّحَابَةِ دِينَهُمْ : ((**أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْإِيمَانِ** ؟ ٱلْإِيمَانُ : **أَنْ تُؤْمِنَ بِٱللهِ** ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ...)) ٱلْحَدِيثَ ، فَذَكَرَ لَفْظَ ((تُؤْمِنَ)) تَعْوِيلاً عَلَىٰ ظُهُورِ مَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : ((هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)) [1]، وَلَوْ كَانَ ٱلْإِيمَانُ غَيْرَ ٱلتَّصْدِيقِ ، لَمْ يَكُنْ هَذَا تَعْلِيماً وَإِرْشَاداً .

هَذَا (**ثُمَّ**) لَوْ قِيلَ : إِنَّهُ لُغَةً / **أ ٢٢٦**/ لِمُطْلَقِ ٱلتَّصْدِيقِ ، وَنُقِلَ شَرْعاً إِلَى ٱلتَّصْدِيقِ بِأُمُورٍ مَخْصُوصَةٍ ، فَلَا نِزَاعَ ، وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ : إِنَّهُ تَصْدِيقٌ بِٱلْأُمُورِ ٱلْمَخْصُوصَةِ بِمَعْنَاهُ ٱللُّغَوِيِّ ، وَيُنَافِيهِ ٱلتَّوَقُّفُ وَٱلتَّرَدُّدُ.

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٨) ، (١ ٣٦) عن سيدنا عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » .



[الأعمال غير داخلة في الإيمان]

(وَالْأَعْمَالُ غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِيهِ) أَيْ : فِي ٱلْإِيمَانِ (بِشَهَادَةِ عَطْفِهَا عَلَيْهِ) فِي نَحْوِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1] ، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾[2] ، ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[3] ، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[4] ، ((أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ))[5] .

وَبِشَهَادَةِ (نَفْيِهَا عَنْهُ) فِي نَحْوِ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[6] و ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[7] وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[8] مِمَّا يُؤْذِنُ بِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ وَٱلْمَعَاصِيَ قَدْ يَجْتَمِعَانِ ، وَبِشَهَادَةِ كَوْنِهِ ؛ أَيِ : ٱلْإِيمَانُ (لَا يَفُوتُ بِفَوْتِهَا) أَيْ : بِفَوْتِ ٱلْأَعْمَالِ لِلإِجْمَاعِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ وَأَقَرَّ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ قَبْلَ إِتْيَانِهِ بِٱلْعَمَلِ ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ ؛ كَمَا يَأْتِي أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ ٱلْمَوْتُ قَبْلَهُ .. مَاتَ مُؤْمِناً ؛ كَمَا قَالُوا : ٱلْإِقْرَارُ رُكْنٌ زَائِدٌ ، لَا يَفُوتُ ٱلْإِيمَانُ بِفَوْتِهِ ، وَبِشَهَادَةِ كَوْنِهِ عَلَىٰ مَا مَرَّ (ٱسْماً لِلتَّصْدِيقِ وَلَا نَقْلَ) لِكَوْنِهِ خِلَافَ ٱلْأَصْلِ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ ، وَبِشَهَادَةِ كَوْنِهِ عَلَىٰ مَا مَرَّ (شَرْطاً لِلْعِبَادَةِ) لِعَدَمِ صِحَّتِهَا بِدُونِهِ، وَبِشَهَادَةِ كَوْنِ ٱلْمُؤْمِنِ قَدْ يُؤْمَرُ وَيَنْهَىٰ بَعْدَ أَنْ يُؤْمِنَ ؛ كَمَا فِي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[9] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ ﴾[10] بِشَهَادَةِ كَوْنِهِ (لَوْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ مَاتَ مُؤْمِناً) إِجْمَاعاً[11] .

---

(١) سورة العصر: (٣) .

(٢) سورة التغابن : (٩) .

(٣) سورة طه : (٧٥) .

(٤) سورة طه : (١١٢) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » : (٩٧٠٠) ، (١٥ ٤٣٧) ، والنسائي في « سننه » : (٢٥٢٦) ، (٥ ٥٨) عن سيدنا عبد الله بن حبشي « رضي الله عنه » .

(٦) سورة الحجرات : (٩) .

(٧) في (ب) (الذين امنوا ولم يهاجروا) .

(٨) سورة الأنعام : (٨٢) .

(٩) سورة البقرة : (١٨٣) .

(١٠) سورة الحجرات : (١) .

(١١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ١٩٦) .

(**فَمَنْ قَالَ**) مِنْ أَئِمَّةِ ٱلسَّلَفِ : (**أَنَّهُ**) أَيِ : ٱلْإِيمَانَ (**ٱسْمٌ لِلثَّلَاثَةِ**) ٱلَّتِي هِيَ : ٱلتَّصْدِيقُ ، وَٱلْإِقْرَارُ ، وَٱلْعَمَلُ .. أَرَادَ بِهِ ٱلْإِيمَانَ (**ٱلْكَامِلَ**) لِإِطْلَاقِهِ عَلَيْهِ ، وَعَلَىٰ مَا هُوَ أَصْلُ ٱلنَّجَاةِ .

(**وَلَمْ يُنْكِرِ ٱلْمُعْتَزِلَةُ**) ٱسْتِعْمَالَ ٱلْإِيمَانِ (**وَٱطْلَاقَهُ شَرْعاً عَلَىٰ مَعْنَاهُ لُغَةً**) ٱلَّذِي هُوَ ٱلتَّصْدِيقُ بِٱلْأُمُورِ ٱلْمَخْصُوصَةِ ؛ كَمَا فِي ٱلْآيَاتِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، (**بَلْ زَعَمُوا نَقْلَهُ**) عَنْ مَعْنَاهُ ٱللُّغَوِيّ إِلَىٰ مَعْنًى شَرْعِيّ لَيْسَ غَيْرَ (**ٱلْأَعْمَالِ**) لِأَنَّ ٱلْمَفْهُومَ مِنْ إِطْلَاقِ ٱلْمُؤْمِنِ فِي ٱلشَّرْعِ ، لَيْسَ هُوَ ٱلْمُصَدِّقُ فَقَطْ ، وَلِأَنَّ ٱلْأَحْكَامَ ٱلْمُجَرَاةَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَتْ مَنُوطَةً بِمُجَرَّدِ مَعْنَاهُ ٱللُّغَوِيّ [١] .

وَرُدَّ : بِأَنَّا / **ب ٢٢٦**/ لَا نَدَّعِي كَوْنَهُ ٱسْماً لِكُلِّ تَصْدِيقٍ ، بَلْ لِلتَّصْدِيقِ بِأُمُورٍ مَخْصُوصَةٍ ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ ، فَإِنْ أُرِيدَ بِنَقْلِهِ عَنْهُ إِلَىٰ مُجَرَّدِ هَذَا ، فَلَا نِزَاعَ وَلَا دَلَالَةَ عَلَىٰ مَا زَعَمُوا مِنْ كَوْنِهِ ٱسْماً لِلطَّاعَاتِ (**فِعْلاً**) لَهَا (**وَتَرْكاً**) لِلْمَعَاصِي (**وَهُوَ ٱلدِّينُ ؛ بِشَهَادَةِ**) ٱلْإِشَارَةِ إِلَيْهِ فِي : ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾ [٢] أَيْ : ذَلِكَ ٱلْمَذْكُورُ مِنْ إِقَامَةِ ٱلصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ، هُوَ ٱلدِّينُ ٱلْمُعْتَبَرُ ، وَهُوَ ٱلْإِسْلَامُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ** ﴾ [٣] (**وَهُوَ**) أَيِ : ٱلْإِسْلَامُ (**ٱلْإِيمَانُ ؛ بِشَهَادَةِ** : ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ** ﴾ [٤]) أَيْ : صَلَاتُكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ [٥] .

(**قُلْنَا**) : جَوَاباً عَنِ ٱلْأَوَّلِ (**وَجَعْلُ ذَلِكَ**) مَعَ كَوْنِهِ مُفْرداً مُذَكَّراً (**إِشَارَةً إِلَىٰ جُمْلَةِ مَا ذُكِرَ تَأْوِيلٌ لَيْسَ أَوْلَىٰ**) وَأَقْرَبُ (**مِنْهُ**) أَيْ : مِنْ جَعْلِهِ إِشَارَةً (**إِلَى ٱلْإِخْلَاصِ ، أَوِ ٱلتَّدَيُّنِ وَٱلِانْقِيَادِ**) بَلْ هَذَا أَوْلَىٰ لِبَقَاءِ ٱللَّفْظِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ ٱللُّغَوِيّ ، أَوْ قَرِيباً مِنْهُ ، أَلَمْ تَرَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا**

---

(١) قال البابرتي في : « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص: ٥٨) : (ونُقِلَ أن المعتزلة جعلوا الإيمانَ اسماً للتصديقِ بالله وبرسوله وللكَفِّ عن المعاصي) ، وقال في « شرح المقاصد » : (٥ ١٩٦) ناقلا لقولهم : (وقالت المعتزلة : نحن لا ننكر استعمال الإيمان في الشرع في معناه اللغوي أعني : التصديق ؛ لكنا ندعي نقله عن ذلك إلى معنى شرعي هو فعل الطاعات وترك المعاصي ؛ لأن المفهوم من إطلاق المؤمن في الشرع ليس هو المصدق فقط ، ولأن الأحكام المجراة على المؤمنين دون الكفرة ليست منوطة بمجرد المعنى اللغوي) .

(٢) سورة البينة : (٥) .

(٣) سورة ال عمران : (١٩) .

(٤) سورة البقرة : (١٤٣) .

(٥) ينظر : « تفسير الطبري » : (٣ ١٦٨) ، و « صحيح البخاري » : (١ ١٧) .

عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ ﴾[1]
مَعْنَاهُ : أَنَّ ٱلتَّدَيُّنَ بِكَوْنِهَا ٱثْنَىٰ عَشَرَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ ، وَٱلْإِنْقِيَادُ لَهُ هُوَ ٱلدِّينُ ٱلْمُسْتَقِيمُ ، عَلَىٰ أَنَّ ٱلْقَيِّمَةَ فِي تِلْكَ ٱلآيَةِ صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ ، لَا لِلدِّينِ ؛ كَمَا فِي هَذَا ٱلآيَةِ ؛ أَيْ : دِينُ ٱلْمِلَّةِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ ، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ ٱلْمِلَّةُ وَٱلطَّرِيقَةُ ، بَلِ ٱلطَّاعَةُ ؛ كَمَا فِي : ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾[2] .. فَسَقَطَ ٱسْتِدْلَالُهُمْ بِٱلْكُلِيَّةِ[3].

وَقُلْنَا : جَوَاباً عَنِ ٱلثَّانِي : (**إِيمَانُهُمْ ؛ بِمَعْنَىٰ تَصْدِيقِهِمْ بِوُجُوبِهَا ، أَوْ**) هُوَ ؛ بِمَعْنَىٰ جَوَازِهَا عِنْدَ ٱلتَّوَجُّهِ إِلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ قَبْلَ نَسْخِهِ ، أَوْ يُقَالُ : إِيمَانُهُمْ مَجَازٌ فِي ٱلصَّلَاةِ ؛ لِظُهُورِ ٱلْعَلَاقَةِ ، وَهِيَ كَوْنُ ٱلصَّلَاةِ مِنْ شُعَبِهِ ، وَثَمَرَاتِهِ وَمَشْرُوطَةٌ بِهِ ، وَدَالَّةٌ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَٱلْكُفْرِ ، تَرْكُ ٱلصَّلَاةِ))[4] .

(**وَنَحْوُ** : ((**لَا يَزْنِي ٱلزَّانِي** حِينَ يَزْنِي **وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ، وَلَا يَسْرِقُ ٱلسَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ))[5] مِمَّا ظَاهِرُهُ/ أ٢٢٧/ زَوَالُ ٱلْإِيمَانِ حِينَ ٱلْفِعْلِ ؛ كَـ : ((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا عَهْدَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))[6] ، فَهُوَ (**تَغْلِيظٌ**) وَمُبَالَغَةٌ فِي ٱلْوَعِيدِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي تَارِكِ ٱلْحَجِّ[7] : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ أَيْ : وَمَنْ لَمْ يَحُجَّ : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[8] ٱسْتِعْظَاماً، وَتَغْلِيظاً عَلَيْهِ : ﴿ **وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ** ﴾[9] فَهُوَ (**تَصْدِيقٌ بِهِ**) أَيْ : بِٱللهِ تَعَالَىٰ فَقَطْ ، وَهُوَ غَيْرُ كَافٍ ٱتِّفَاقاً : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ** ﴾[10] إِنَّمَا هُوَ (**تَصْدِيقٌ بِٱللِّسَانِ فَقَطْ**) وَهُوَ

---

(١) سورة التوبة : (٣٦) .
(٢) سورة الأعراف : (٢٩) .
(٣) ينظر : « مفاتيح الغيب » : (١٦ ٤١) .
(٤) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٨٢) ، (١ ٨٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله « رضي الله عنهما » .
(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٧٧٢) ، (٨ ١٥٧) ، ومسلم في « صحيحه » : (٥٧) ، (١ ٧٧) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه ».
(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » : (١٠٥٥٣) ، (١٠ ٢٢٧) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، و الإمام أحمد في « مسنده » : (١٣١٩٩) ، (٢٠ ٤٢٣) ، و« المعجم الأوسط » : (٢٦٠٦) ، (٩٨٣) ، وابن حبان في « صحيحه » : (١٩٤) ، (١ ٤٢٢) بلفظ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .عن سيدنا انس بن مالك « رضي الله عنه » قال الهيتمي في « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » : (١ ٣٦٥) : (في سنده ضعف) .
(٧) في (ب) (سقطت) .
(٨) سورة ال عمران : (٩٧) .
(٩) سورة سيدنا يوسف « عليه السلام » : (١٠٦) .
(١٠) سورة البقرة : (٨) .

مَحْضُ ٱلنِّفَاقِ ، وَأَخْبَثُ ٱلْكُفْرِ ، وَمِنْ ثُمَّ نَزَلَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

(**وَٱلْكُفْرُ ؛ بِمِثْلِ : سَجْدَةٍ لِصَنَمٍ ، وَإِلْقَاءِ مُصْحَفٍ بِقَاذُورَةٍ**) وَسَبِّ نَبِيٍّ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ ٱلتَّصْدِيقِ (**لَيْسَ لِكَوْنِهِ إِخْلَالاً بِٱلْعَمَلِ ، بَلْ لِجَعْلِ ٱلشَّارِعِ بَعْضَ ٱلْمَعَاصِي أَمَارَةً لِلتَّكْذِيبِ**) وَمَا ذُكِرَ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ بِخِلَافِ ٱلزِّنَا ، وَشُرْبِ ٱلْخَمْرِ بِدُونِ ٱسْتِحْلَالٍ (**فَمَنْ أَتَىٰ كَبِيرَةً**) فَهُوَ بَعْدَ ٱلِاتِّفَاقِ عَلَىٰ تَسْمِيَتِهِ فَاسِقاً .. (**مُؤْمِنٌ عِنْدَنَا ، وَزَعَمُوهُ**) أَي : ٱلْمُعْتَزِلَةُ (**لَا مُؤْمِناً ، وَلَا كَافِراً ؛ إِذْ لَهُ بَعْضُ أَحْكَامِ ٱلْمُؤْمِنِ**) **كَعِصْمَةِ** دَمِهِ وَمَالِهِ ، وَبَعْضُ أَحْكَامِ (**ٱلْكَافِرِ**) كَعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ[2] ٱلْقَضَاءَ ، وَٱلْأَمَانَةَ ، وَٱلشَّهَادَةَ .. (**فَلَهُ مَنْزِلَةٌ بَيْنَهُمَا**) أَيْ : بَيْنَ كَوْنِهِ لَا مُؤْمِناً ، وَلَا كَافِراً أَخْذاً بِٱلْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ، (**وَهُوَ : ٱلْفِسْقُ**) وَتَرْكاً لِلْمُخْتَلَفِ فِيهِ ، وَهُوَ : ٱلْإِيمَانُ وَٱلْكُفْرُ .

قُلْنَا : بَلْ مَا ٱخَذْتُمُوهُ (**تَرْكاً لَهُ**) أَيْ : لِلْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ، (**وَهُوَ عَدَمُ ٱلْوَاسِطَةِ**) وَأَخْذاً بِمَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ ٱلْمُكَلَّفَ : إِمَّا مُؤْمِنٌ ، أَوْ كَافِرٌ ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا عَلَىٰ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتِمُّ لَوْ كَانَ مَا جَعَلْتُمُوهُ أَحْكَاماً لِلْكَافِرِ خَاصَّةً ، لَا تَتَجَاوَزُهُ إِلَى ٱلْمُؤْمِنِ ؛ كَأَحْكَامِ ٱلْمُؤْمِنِ ، وَهَذَا نَفْسُ ٱلْمُتَنَازَعِ[3] ، فَإِنَّهَا عِنْدَنَا : تَعُمُّ ٱلْكَافِرَ وَبَعْضَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

وَزَعَمَهُ (**ٱلْخَوَارِجُ كَافِراً ؛ لِمَا وَرَدَ**) ظَاهِراً فِي كُفْرِ ٱلْعُصَاةِ ؛ (**تَغْلِيظاً**) عَلَيْهِمْ مِثْلُ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4] .

وَفِي تَارِكِ ٱلْحَجِّ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ / **ب ٢٢٧**/عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5] ، ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[6] ، ((مَنْ تَرَكَ ٱلصَّلَاةَ مُتَعَمِّداً .. فَقَدْ كَفَرَ))[7] ، ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ .. فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ

---

(١) سورة النساء : (١٤٥) .

(٢) في (ب) (اهل) .

(٣) لعله : من لم يحكم من اليهود .

(٤) سورة المائدة : (٤٤) .

(٥) سورة ال عمران : (٩٧) .

(٦) سورة النور : (٥٥) .

(٧) أخرجه الطبراني في « المعجم الاوسط » بلفظ : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ جِهَارًا »(٣٣٤٨) ، (٣ ٣٤٣) ، والسيوطي في « الجامع الصغير » : (٨٥٨٦) ، (٢ ٣٢٢) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، وأخرجه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » بهذا اللفظ : وَقَالَ لَيْثٌ : وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ » (٩١٩) ، (٢ ٨٨٩) .

ٱللهُ يَهُودِيّاً ، أَوْ نَصْرَانِيّاً)) [١].

قُلْنَا : ٱلْمُرَادُ : ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ هُوَ ٱلتَّوْرَاةُ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ** ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ** ﴾[٢] فَيَخُصُّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِٱلْيَهُودِ ؛ إِذْ لَمْ نَتَعَبَّدْ بِٱلتَّوْرَاةِ ، عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَامّاً ، فَسَلْبُ ٱلْعُمُومِ[٣] إِحْتِمَالٌ ظَاهِرٌ ، وَٱلتَّعْبِيرُ عَنْ تَرْكِ ٱلْحَجِّ : بِٱلْكُفْرِ ، ٱسْتِعْظَامٌ لَهُ وَتَغْلِيظٌ ؛ وَعِيداً عَلَيْهِ ، وَكَذَا مَا وَرَدَ فِيهِ ، وَفِي تَرْكِ ٱلصَّلَاةِ عَمْداً مَعَ إِحْتِمَالِ ٱلْجَحْدِ ، وَأُرِيدَ بِٱلْفَاسِقِينَ : ٱلْكَامِلُونَ فِي ٱلْفِسْقِ ، وَٱلْمُتَمَرِدُّونَ ٱلْمُنْهَكُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ؛ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ ٱلْفِسْقَ لَا يَنْحَصِرُ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ .

وَزَعَمَهُ (**ٱلْحَسَنُ**) ٱلْبَصْرِيُّ [٤] وَغَيْرُهُ [٥] (**مُنَافِقاً ؛ لِأَنَّ عِصْيَانَهُ**) ٱلْمُفْضِيَ إِلَى (**ٱلْعَذَابِ .. دَلِيلُ كَذِبِهِ فِي دَعْوَىٰ تَصْدِيقِهِ**) بِمَا جَاءَ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » [٦].

(**قُلْنَا**) : كَوْنُ عِصْيَانِهِ دَلِيلَ كَذِبِهِ فِي دَعْوَىٰ تَصْدِيقِهِ .. مَمْنُوعٌ ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ يَخَافُ ٱلْعَذَابَ فَإِنَّهُ يَرْجُو ٱلرَّحْمَةَ ، وَيَأْمَلُ تَوْفِيقَ ٱلتَّوْبَةِ ، وَيُلْهِيهِ عَاجِلُ ٱللَّذَّةِ عَنْ آجِلِ ٱلْعُقُوبَةِ .

---

(١) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » : (٨٦٦٠) ، (٤ ٥٤٦) عن سيدنا أبي امامة « رضي الله عنه » ، و الترمذي في « سننه » : (٨١٢) ، (٢ ١٦٨) بلفظ : « مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا » عن سيدنا علي « رضي الله عنه » وقال عنه : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال .

(٢) سورة المائدة : (٤٤) .

(٣) يبحث عموم السلب وسلب العموم في علم المنطق عند الكلام عن القضايا الحملية وتقسيماتها من جهة الكلية والجزئية والإيجاب والسلب : عموم السلب : إذا تأخر النفي بعد (كل) و سلب العموم : إذا تقدم النفي على (كلّ) مثل : (كل القوم لم يقم) أفادت التنصيص على انتفاء كل فرد ، وإن تقدم النفي عليها مثل : (لم يقم كل القوم) لم يدل إلا على نفي المجموع ، وذلك يصدق بانتفاء القيام عن بعضهم ، ويسمى الأول : عموم السلب ، والثاني : سلب العموم من جهة أن الأول : يحكم فيه بالسلب عن كل فرد ، والثاني : لم يفد العموم في حق كل أحد ، بل إنما أفاد نفي الحكم عن بعضهم) . ينظر : « معيار العلوم » : (ص : ٩٨) ، و « مغني الطلاب » : (ص : ١٠٩) ، و« البحر المحيط في أصول الفقه » : (٤ ٨٩) .

(٤) **الحسن البَصْري** : الحسن بنَ يسار ، أبو سعيد ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة ، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب توفي في البصرة سنة : (١١٠ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٥٦٣) ، و « الأعلام » : (٢ ٢٢٦) .

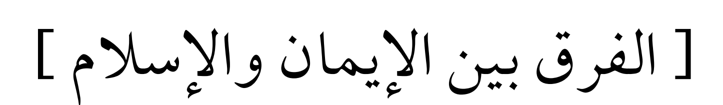
(٥) وقريب من قوله قول الإباضية حيث قالوا في شأن مرتكب الكبيرة : كَافِر كفران نعْمَة وَلَيْسَ بِكَافِر كفر شرك ينظر : « الفرق بين الفرق » : (ص : ٩٧) ، والبكرية كذلك قالو بذلك . ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (١٣٤٢) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص : ٢٠٠) .

(٦) ينظر : « المواقف » : (٥٤٨٣) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ٢٠١) ، و « شرح المواقف » : (ص : ٣٠٨).

(**وَجَعْلُ ٱلْكَذِبِ ، وَٱلْخِيَانَةِ ، وَٱلْخُلْفِ .. آيَتُهُ**) فِي قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((آيَةُ ٱلْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ .. كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ .. أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ .. خَانَ))[1] فَهُوَ (**تَهْوِيلٌ**) وَزَجْرٌ رَادِعٌ عَنِ ٱرْتِكَابِ ذَٰلِكَ .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٣) ، (١٦١) ومسلم في « صحيحه » : (٥٩) ، (٧٨١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .



[الفرق بين الإيمان والإسلام]

(**وَلَا فَرْقَ شَرْعاً بَيْنَهُ**) أَيْ : بَيْنَ ٱلْإِيمَانِ [1](**وَٱلْإِسْلَامِ ، فَحُكْمُهُمَا وَاحِدٌ**) فَإِنَّ ٱلْمَعْنَىٰ : آمَنْتُ بِمَا جَاءَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. صَدَّقْتُهُ ، وَمَعْنَىٰ : أَسْلَمْتُ لَهُ : سَلَّمْتُهُ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ؛ (**لِرُجُوعِهِمَا إِلَى ٱلْإِذْعَانِ ، وَٱلْقَبُولِ**) وَٱلْإِنْقِيَادِ ، وَٱلِاعْتِرَافِ فَلَا يُعْقَلُ بِحَسَبِ ٱلشَّرْعِ مُؤْمِنٌ لَيْسَ مُسْلِماً ، وَلَا مُسْلِمٌ لَيْسَ مُؤْمِناً ، وَهَذَا مُرَادُهُمْ / **أ ٢٢٨**/ بِتَرَادُفِ ٱلِاسْمَيْنِ ، وَٱتِّحَادِ ٱلْمَعْنَىٰ .

وَعَدَمُ ٱلتَّغَايُرِ بِمَعْنَىٰ : عَدَمُ ٱلْإِنْفِكَاكِ (**فَكُلُّ مُؤْمِنٍ .. مُسْلِمٌ وَعَكْسُهُ**) لِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ ٱسْمٌ لِلتَّصْدِيقِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَىٰ ، وَبِكَوْنِهِ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ .

وَٱلْإِسْلَامُ : إِسْلَامُ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ بِكُلِّيَتِهَا لَهُ تَعَالَىٰ بِٱلْعُبُودِيَّةِ مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ ، فَقَدْ حَصَلَا مِنْ حَيْثُ ٱلْمُرَادُ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَعْنًى وَاحِدٍ ، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ « ٱلْكِفَايَةِ »[2] : (ٱلْإِيمَانُ : تَصْدِيقُ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا أَخْبَرَ مِنْ أَوَامِرِهِ ، وَنَوَاهِيهِ ، وَٱلْإِسْلَامُ إِنْقِيَادٌ وَخُضُوعٌ لِأُلُوهِيَّتِهِ ، وَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِقَبُولِ ٱلْأَمْرِ وَ ٱلنَّهْيِ) [3] .

---

(١) اختلف العلماء في كون الإسلام والإيمان بمعنى واحد ، أو أنهما متغايران :
القول الأول : الإيمان والإسلام شيء واحد : فالأسمان من قبيل الأسماء المترادفة وكل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن ، وبه قال الإمام أبو حنيفة ، وهو قول النسفي معبراً عن رأي أبي منصور الماتريدي ، وبه قال المعتزلة ، وذهب إليه التفتازاني ، ونقله عن الجمهور ، وهو قول البيهقي ، وابن حزم الظاهري والزيدية والإباضية . ينظر : « الفقه الأكبر » و « شرحه القول الفصل » : (ص : ٣٦١) ، و « تبصرة الأدلة » : (٢ ٨١٧) ، و« الكفاية في الهداية » : (ص : ٣٦٢) ، و« شرح الأصول الخمسة » : (ص : ٧٠٥) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ٢٠٧) ، و « شعب الإيمان » : (١ ٥٠) ، و « علم الكلام » : (٨٢- ٨٥) ، و « مقدمة البحر الزخار » : (ص : ٨٦) ، و « بهجة الأنوار » : (ص : ١٢٤) . **القول الثاني** : الإسلام والإيمان متغايران : فالإسلام : هو الانقياد والاستسلام ، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام ، والإيمان : هو خصلة من خصال الإسلام ، وكل إيمان إسلام ، وليس كل إسلام إيمانا ، وهو قول الخطابي وصححه، وقال به أبو عمرو بن الصلاح ، وذكر أنه موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم ، ونقل هذا التفريق عن كثير من السلف ؛ كالباقلاني ، ونسبه النسفي إلى بعض الحشوية ، و والإنجي والسيد الشريف من الأشاعرة ، وبعض الإمامية . ينظر : « معالم السُّنن » : (٤ ٣١٥) ، ونقله عنه النووي في « شرح مسلم » : (١ ١٤٥ – ١٤٨) ، و « تمهيد الأوائل » : (ص : ٣٩٢) ، و « تبصرة الأدلة » : (٢ ٨١٧) ، و « المواقف » : (٥٣٨٣) ، و« شرح المقاصد » : (٥ ٢٠٩) ، و « شرح المواقف » : (٨ ٣٢٧) ، و « مقدمة البحر الزخار » : (ص : ٨٦) .
(٢) هو كتاب : « الكفاية في الهداية » للشيخ نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني : (ت ٥٨٠ هـ) .
(٣) قال في : « الكفاية في الهداية » (ص : ٣٦٨) : (ودلالة ذلك أن الإسلام لما كان عبارة عن الانقياد والخضوع ، فذلك لا يُتصور بدون تصديق الله تعالى في ألوهيته وربوبيته ، والإيمان لما كان عبارة عن تصديق الله تعالى فيما أخبر على لسان رسله ، فإنما يتحقق ذلك بقبول أوامره ونواهيه ، فلم يُتصور أن يكون الإنسان مؤمنا بالله تعالى ولا يكون مسلما) .

وَٱلْإِيمَانُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ حُكْماً ، فَلَا يَتَغَايَرَانِ ، وَإِذَا كَانَ ٱلْمُرَادُ ؛ كَمَا فِي « شرح ٱلمقاصد » : (بِٱتِّحَادِهِمَا هَذَا ٱلْمَعْنَىٰ صَحَّ ٱلتَّمَسُّكُ فِيهِ بِٱلْإِجْمَاعِ ، عَلَىٰ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بِجَمِيعِ مَا ٱعْتُبِرَ فِي ٱلْإِيمَانِ ، وَلَا يَكُونُ مُسْلِماً ، أَوْ بِجَمِيعِ مَا ٱعْتُبِرَ فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِناً) [١] .

وَقَدْ يُسْتَدَلُّ لِعَدَمِ تَغَايُرِهِمَا حُكْماً .. بِسَوْقِ أَحَدِهِمَا مَسَاقَ ٱلآخَرِ فِي نَحْوِ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾[٢] ، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٤] ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٥] .

(**وَلِتَغَايُرِ مَفْهُومِهِمَا**) أَيِ : ٱلْإِيمَانِ وَٱلْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ ٱلْإِيمَانَ يُنْبِئُ عَنِ ٱلتَّصْدِيقِ ، فِيمَا أَخْبَرَ ٱللهُ بِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رُسُلِهِ ، وَٱلْإِسْلَامُ عَنِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلِانْقِيَادِ ؛ أَيْ : قَبُولِ ٱلْأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي ، وَمُتَعَلَّقُ ٱلتَّصْدِيقِ ٱلْإِخْبَارُ ، وَمُتَعَلَّقُ ٱلتَّسْلِيمِ مَا ذُكِرَ (**تَعَاطُفاً فِي نَحْوِ** : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦] ، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٧] لَكِنَّ ٱلتَّصْدِيقَ كَمَا يَتَعَلَّقُ بِٱلْإِخْبَارِ بِٱلذَّاتِ يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ أَيْضاً ، بِمَعْنَىٰ كَوْنِهَا أَحْكَاماً حَقَّةً مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَكَذَا ٱلتَّسْلِيمُ ، فَرَجَعَا إِلَى ٱلْإِذْعَانِ / ب٢٢٨/ وَٱلْقَبُولِ .

(**وَلِإِطْلَاقِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَى ٱلْإِسْتِسْلَامِ وَٱلِانْقِيَادِ ٱلظَّاهِرِ .. ثَبَتَ مَعَ نَفْيِ ٱلْإِيمَانِ فِي نَحْوِ** : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾[٨] لِعَدَمِ مُوَاطَئَةِ أَلْسِنَتِهِمْ قُلُوبَهُمْ .

(**وَلِكَوْنِ ٱلسُّؤَالِ**) مِنْ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**عَنْ مُتَعَلَّقِ ٱلْإِيمَانِ ، وَشَرَائِعِ ٱلْإِسْلَامِ**) أَيِ : ٱلْأَحْكَامِ ٱلْمَشْرُوعَةِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلْأَسَاسُ .

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٠٧) .
(٢) سورة الحجرات : (١٧) .
(٣) سورة النمل : (٨١) .
(٤) سورة ال عمران : (١٠٢) .
(٥) سورة البقرة : (١٣٦) .
(٦) سورة الأحزاب : (٣٥) .
(٧) سورة الأحزاب : (٢٢) .
(٨) سورة الحجرات : (١٤) .

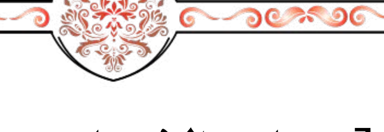
(وَرُدَّ) : فِي حِدِيثِ عُمَرَ ؛ جَوَاباً لِلسُّؤَالِ عَنِ ٱلْإِيمَانِ : ((أَنْ تُؤْمِنَ بِٱللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِٱلْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) وَعَنِ ٱلْإِسْلَامِ : ((أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَتُقِيمَ ٱلصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً))[1] وَلِهَذَا قَالَ فِي حَدِيثِ وَفْدِ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ : ((ٱلْإِيمَانُ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَأَقَامُ ٱلصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ ٱلْمَغْنَمِ ٱلْخُمْسَ))[2] ، وَقَالَ : ((ٱلْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ ٱلْأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيقِ))[3] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٨٧) ، (١ ٢٩) ومسلم في « صحيحه » : (١٧) ، (١ ٤٦) عن سيدنا ابن عباس« رضي الله عنهما » .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٣٥) ، (١ ٦٣) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » بلفظ : ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)) .



[زيادة الإيمان ونقصانه]

(وَ ٱلْأَكْثَرُ) ؛ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ [1]، وَكَثِيرٍ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ [2] عَلَىٰ أَنَّ ٱلْإِيمَانَ ، وَٱلتَّصْدِيقَ .. (**لَا يَزِيدُ ، وَلَا يَنْقُصُ**) وَ ٱخْتَارَهُ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ [3] ؛ لِأَنَّهُ ٱلتَّصْدِيقُ ٱلْبَالِغُ حَدَّ ٱلْيَقِينِ وَٱلْجَزْمِ ، فَلَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ زِيَادَةٌ وَنَقْصٌ ، وَٱلْمُصَدِّقُ إِذَا ضَمَّ إِلَيْهِ ٱلطَّاعَاتُ ، وَٱرْتَكَبَ ٱلْمَعَاصِي فَتَصْدِيقُهُ بِحَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ أَصْلاً .

(**وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُ بِجَعْلِهِ ٱسْماً لِلطَّاعَاتِ**) قِلَّةً وَكَثْرَةً ، وَمِنْ ثُمَّ قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ : (إِذَا حَمَلْنَا ٱلْإِيمَانَ عَلَى ٱلتَّصْدِيقِ ، فَلَا يَفْضُلُ تَصْدِيقٌ تَصْدِيقاً ؛ كَمَا لَا يَفْضُلُ عِلْمٌ عِلْماً ، وَمَنْ حَمَلَهُ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ سِراً وَعَلَناً ، وَمَالَ إِلَيْهِ ٱلْقَلَانِسِيُّ [4]، فَلَا يَبْعُدُ إِطْلَاقُ ٱلْقَوْلِ بِأَنَّهُ يَزِيدُ بِٱلطَّاعَةِ ، وَيَنْقُصُ بِٱلْمَعْصِيَةِ ، وَنَحْنُ لَا نُؤْثِرُ هَذَا) [5] .

(**وَٱلْحَقُّ**) أَنَّ ٱلْإِيمَانَ (**يَقْبَلُهُمَا**) أَيِ : ٱلزِّيَادَةَ وَٱلنَّقْصَ [6]، بِحَسَبِ ذَاتِهِ (**كَٱلْيَقِينِ**) لِأَنَّهُمَا مِنَ ٱلْكَيْفِيَّاتِ ٱلنَّفْسَانِيَّةِ ٱلْمُتَفَاوِتَةِ (**قُوَّةً وَضَعْفاً**) ؛ كَمَا فِي ٱلتَّصْدِيقِ بِطُلُوعِ ٱلشَّمْسِ/ **أ ٢٢٩**/ وَٱلتَّصْدِيقِ بِحُدُوثِ ٱلْعَالَمِ ؛ إِذْ هُوَ ٱعْتِقَادٌ يَقْبَلُ ٱلتَّفَاوُتَ .

---

(١) قال في « الفقه الأكبر » : (ص : ٥٥) : (وَالْإِيمَان : هو الْإِقْرَار والتصديق ، وإيمان أهل السَّمَاء وَالْأَرْض لاَ يزِيد وَلاَ ينقص من جِهَة الْمُؤمن بهَا، وَيزِيد وَينْقص من جِهَة الْيَقِين والتصديق) .

(٢) ذكر ذلك من الماتريدية الغزنوي في : « أصول الدين » : (ص : ٢٥٤) وعزاه النووي إلى كثير من المتكلمين حيث قال في « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » : (١ ١٤٨) : (وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه ، وقالوا : متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا ، قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص) ، و « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » : (ص : ٢٣٩) .

(٣) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٠٨).

(٤) **القَلَانسيُّ** : هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي ، من متكلمي أهل السنة في القرن الثالث الهجري. أحد أعلام الكلابية ومن أبرز رجالها، نزيل الري ، من معاصري أبي الحسن « رحمه الله » لا من تلامذته . ينظر : « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري » : (ص : ٣٩٨) ، وعلق الشيخ الكوثري على ذلك بقوله : بل هو متقدم على الأشعري من حيث الذب عن السنة ، وأعلى طبقة منه وكان لسان السنة قبل رجوع الأشعري عن الاعتزال ، قال : والأشعري تأخر عنه ذباً عن السنة ووفاة وإن أدركه سناً .

(٥) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٠٨).

(٦) نقل ذلك عن أبي الحسن الأشعري حيث قال في « رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب » : (ص : ١٥٥) : (وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به ، ولا جهل به ، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي « صلى الله عليه وسلم » وإن كنا جميعاً مؤدين للواجب علينا) ، قال ابن بطال في « شرح صحيح البخارى » : (١ ٥٦) : (مذهب جماعة أهل السُّنَّة من سَلَف الأمة وخلفها : أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص) وقال النووي في « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » : (١ ١٤٨) : (كون الإيمان يزيد وينقص ، وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين) .

وَقَوْلُهُمْ : ٱلْوَاجِبُ تَصْدِّيقٌ يَقِينِيٌّ ؛ لِأَنَّ ٱلْيَقِينَ لَا يَتَفَاوُتُ ؛ إِذِ ٱلتَّفَاوُتُ إِنَّمَا يَكُونُ بِٱحْتِمَالِ ٱلنَّقِيضِ .. مَمْنُوعٌ ؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ بِدُونِ ٱحْتِمَالِهِ ، عَلَىٰ أَنَّ ٱلْيَقِينَ مِنْ بَابِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ ، وَهُوَ كَمَا مَرَّ غَيْرُ ٱلتَّصْدِيقِ .

وَلَوْ سُلِّمَ أَنَّهُ هُوَ [١]، وَأَنَّ ٱلْمُرَادَ هُوَ يَقِينِيٌّ لِيَكُونَ تَصْدِيقاً ، فَلَا نُسَلِّمُ أَنَّ ٱلْيَقِينَ لَا يَقْبَلُ تَفَاوتاً ؛ لِأَنَّهُ ٱعْتِقَادٌ جَازِمٌ مُطَابِقٌ لَهُ مَرَاتِبُ مِنْ أَجْلَى ٱلْبَدِيهِيَّاتِ[٢] ؛ كَٱلْوَاحِدِ نِصْفُ ٱلِاثْنَيْنِ ، إِلَىٰ أَخْفَى ٱلنَّظَرِيَّاتِ ٱلَّتِي مِنْهَا : ٱلتَّصْدِيقُ بِحُدُوثِ ٱلْعَالَمِ ، وَكَوْنُ ٱلتَّفَاوُتِ رَاجِعاً إِلَىٰ مُجَرَّدِ ٱلْجَلَاءِ وَٱلْخَفَاءِ .. مَمْنُوعٌ ، بَلْ عِنْدَ ٱلْحُصُولِ وَزَوَالِ ٱلتَّرَدُّدِ ٱلتَّفَاوُتُ بِحَالِهِ قُوَّةً وَضَعْفاً (**وَقِلَّةً وَكَثْرَةً**) بِحَسَبِ ٱلتَّعَلُّقِ ؛ كَمَا فِي ٱلتَّصْدِيقِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً ، فَإِنَّهُمَا مِنَ ٱلْإِيمَان : ٱلَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ بِمَا جَاءَ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » إِجْمَالاً فِيمَا عُلِّمَ إِجْمَالاً ، وَتَفْصِيلاً فيما علم تَفْصِيلاً .

وَٱلنَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي مُلَاحَظَةِ ٱلتَّفَاصِيلِ قِلَّةً وَكَثْرَةً ، فَيَتَفَاوُتُ إِيمَانُهُمْ زِيَادَةً وَنَقْصاً ، فَهُوَ يَقْبَلُهُمَا [٣]؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ** ﴾[٤] ، ﴿ **لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ** ﴾ بِأَنَّ عِدَةَ مَلَائِكَةِ ٱلنَّارِ تِسْعَةَ عَشَرَ : ﴿ **وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ** ﴾[٥] بِمَا جَاءَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ﴿ **إِيمَٰنٗا** ﴾ بِأَنَّ عِدَّتَهُمْ ذَلِكَ : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا** ﴾[٦] وَعَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ سُئِلَ : ((ٱلْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ؟ قَالَ : نعم ؛ (**إِنَّ ٱلْإِيمَان يَزِيدُ ، حَتَّىٰ يُدْخِلَ صَاحِبَهُ ٱلْجَنَّةَ ، وَيَنْقُصَ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ ٱلنَّارَ**)) [٧]) وَعَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ ، بِإِيمَانِ هَذِهِ ٱلْإِمَّةِ .. لَرَجَحَ بِهِ))[٨][٩].

---

(١) أي : التصديق.

(٢) **البديهيُّ** : هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب ، سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة ، أو غير ذلك ، أو لم يحتج ، **و الضروريُّ** : ما لم يقع عن نظر واستدلال ؛ كالعلم الواقع بإحدى الحواس الخمس الظاهرة . ينظر : « التعريفات » : (ص : ٤٣) .

(٣) أي : الزيادة والنقص .

(٤) سورة الفتح : (٤) .

(٥) سورة المدثر : (٣١) .

(٦) سورة الأنفال : (٢) .

(٧) ذكره الثعلبي في : « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » : (٣ ١١ ٢) عن سيدنا عمر بن عبد العزيز « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » : (٣٥) ، (١ ١٤٣) والإمام احمد في « فضائل الصحابة » : (٦٥٣) ، (١ ٤١٨) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » : (٣٣٦) ، (ص: ٣١٠) كلهم من قول عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » ولم أجده مرويّا عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » .

(٩) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢١٠ -٢١٤) .

(**وَٱلْقَوْلُ بِأَنَّ زِيَادَتَهُ**) ؛ أَي : ٱلْإِيمَانِ ، لَيْسَتْ بِحَسَبِ ذَاتِهِ وَإِنَّمَا (**هِيَ بِثَبَاتِهِ وَدَوَامِهِ مُسْتَمِراً**) بِتَوالِي أَمْثَالِهِ ؛ لِأَنَّهُ عَرَضٌ لَا يَبْقَىٰ[1] (**وَأَعْدَادِهِ**) بِكَثْرَةِ أَزْمَانِهِ وَسَاعَاتِهِ ؛ كَمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ : (**ٱلنَّبِيُّ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ يَفْضُلُ / ب ٢٢٩ /** غَيْرَهُ بِٱسْتِمْرَارِ تَصْدِيقِهِ ، وَعِصْمَةِ ٱللهِ إِيَّاهُ مِنْ مُخَامَرَةِ ٱلشُّكُوكِ ، وَٱلتَّصْدِيقُ عَرَضٌ لَا يَبْقَىٰ ، فَيَقَعُ لَهُ مُتَوَالِياً ، وَلِغَيْرِهِ عَلَى ٱلْفَتَرَاتِ ، فَيَثْبُتُ لَهُ أَعْدَادٌ مِنَ ٱلْإِيمَان ، لَا يَثْبُتُ لِغَيْرِهِ إِلَّا بَعْضُهَا ، فَيَكُونُ إِيمَانُهُ أَكْثَرَ)[2] .

وَٱلزِّيَادَةُ بِهَذَا ٱلْمَعْنَىٰ مِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ ، وَقَوْلُهُمْ : حُصُولُ ٱلْمَثَلِ بَعْدَ ٱنْعِدَامِ ٱلشَّيْءِ ، لَا يَكُونُ زِيَادَةً فِيهِ .. مَدْفُوعٌ بِأَنَّ ٱلْمُرَادَ أَعْدَادُهُ حَصَلَتْ وَعَدَمُ ٱلْبَقَاءِ لَا يُنَافِيهِ[3] .

أَوْ إِنَّ زِيَادَتَهُ إِنَّمَا هِيَ (**بِزِيَادَةِ ٱلْمُؤْمَنِ بِهِ**) كَمَا وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ » فَإِنَّهُمْ آمَنُوا فِي ٱلْجُمْلَةِ ، ثُمَّ كَانُوا كُلَّمَا جَاءَهُمْ فَرْضٌ .. آمَنُوا بِهِ ، فَٱلتَّفَاوُتُ يَحْصُلُ لِلنَّاسِ عِنْدَ مُلَاحَظَةِ ٱلتَّفَاصِيلِ قِلَّةً وَكَثْرَةً ، فَيَتَفَاوَتُ إِيمَانُهُمْ ، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِزَمَانِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

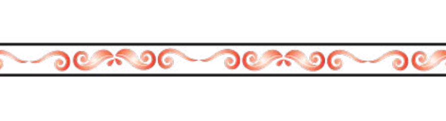
أَوْ إِنَّ زِيَادَتَهُ إِنَّمَا هِيَ بِزِيَادَةِ (**ثَمَرَتِهِ ، وَإِشْرَاقِ نُورِهِ**) وَإِضَاءَتِهِ فِي ٱلْقَلْبِ ؛ إِذْ يَزِيدُ بِٱلطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِٱلْمَعَاصِي ، كُلُّهُ (**جَيِّدٌ لَوْ صَحَّ**) وَثَبَتَ لَهُمْ (**أَنَّهُ**) أَيِ : ٱلْإِيمَانَ (**لَا يَقْبَلُ تَفَاوُتاً**) بِحَسَبِ ذَاتِهِ ، وَٱلْكَلَامُ فِيهِ كَمَا مَرَّ .

---

(١) فالعرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل يقوم به ويكون ممكناً ، ومنه ما لا يبقى زمانين - المقصود بالزمان هنا أصغر زمن مثل اللحظة ؛ كالحركة لأن كل فرد من أفراد الحركات لا يدوم أكثر من زمان واحد و العرض : منه ما يبقى زمانين ومنه ما لا يبقى زمانين ، مثال عن الأول اللون ومثال عن الثانى الحركة قال الإيجي : (ذهب الشيخ الأشعري ومتبعوه من محققي الأشاعرة إلى أن العرض لا يبقى زمانين فالأعراض جملتها غير باقية عندهم بل هي على التقضي والتجدد ينقضي واحد منها ويتجدد آخر مثله) . ينظر : « المواقف » : (١ ٤٩٨) ، و : « التعريفات » : (ص ١٤٨) ، و « شرح المقاصد » : ٥ ٢١٤) .

(٢) ينظر : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٠٨) .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢١٤) .



[الاستثناء في الإيمان]

(**وَجُوِّزَ**) أَيْ : جوَّزَ ؛ كَمَا قَالَ ٱلسُّبُكِيُّ : أَكْثَرُ ٱلسَّلَفِ صَحَابَةً ، وَتَابِعِينَ ، وَغَيْرَهُمْ ، شَافِعِيَّةً ، وَمَالِكِيَّةً ، وَحَنَابِلَةً ، وَأَشْعَرِيَّةً ، وَكُلَابِيَّةً [١] (**فِيهِ**) أَيْ : فِي ٱلْإِيمَانِ (**ٱلْمَشِيئَةُ**) ؛ كَـ : « أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ » (**تَبَرُّكاً**) بِذِكْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ (**وَتَأَدُّباً**) بِإِحَالَةِ ٱلْأُمُورِ إِلَىٰ مَشِيئَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلتَّبَرُّءِ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ وَٱلْإِعْجَابِ بِحَالِهَا ، أَوْ (**تَرَدُّداً فِي ٱلْمُنْجِي**) مِنَ ٱلْإِيمَانِ عَاقِبَةً وَمَآلاً (**أَعْنِي : إِيمَانَ ٱلْمُوَافَاةِ**)[٢] وَعِلْمَ ٱلْفَوْزِ وَٱلنَّجَاةِ ٱلَّذِي يُوَافِي صَاحِبَهُ عَلَيْهِ ؛ أَيْ : يَأْتِي مُتَّصِفاً بِهِ آخِرَ حَيَاتِهِ ، وَأَوَّلَ مَنَازِلَ آخِرَتِهِ مِمَّا ٱعْتَنَىٰ بِهِ ٱلسَّلَفُ وَقَرَنُوهُ بِٱلْمَشِيئَةِ ، لَا تَرَدُّداً (**فِي ٱلنَّاجِزِ**) مِنْهُ ؛ لِثُبُوتِهِ قَطْعاً بِدُونِ تَرَدُّدٍ فَٱلْعِبْرَةُ بِإِيمَانِ ٱلْمُوَافَاةِ وَسَعَادَتِهَا ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ ٱلْمُنْجِي ، لَا بِمَعْنَىٰ أَنَّ إِيمَانَ ٱلْحَالِ لَيْسَ إِيمَاناً ، وَلَا أَنَّ كُفْرَهُ لَيْسَ كُفْراً .

وَ (**إِنْ مُنِعَتْ**) أَيْ : مَنَعَ ٱلْمَشِيئَةَ فِي ٱلْإِيمَانِ كَثِيرُونَ ؛ كَأَبِي حَنِيفَةَ [٣] وَأَتْبَاعِهِ[٤] ؛ بِأَنَّ ٱلتَّصْدِيقَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لَا تَرَدُّدَ فِيهِ عِنْدَ تَحَقُّقِهِ ، فَمَنِ ٱتَّصَفَ بِهِ كَانَ مُؤْمِناً حَقّاً /٢٣٠أ/ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ : (أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ) ؛ كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ : (أَنَا نَاجٍ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ) لِإِيهَامِهِ ٱلشَّكَّ فِي ٱلْإِيمَانِ ٱلنَّاجِزِ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي ٱلْحَالِ مُؤْمِناً حَقّاً .. كَانَ مُؤْمِناً عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَلِيّاً للهِ تَعَالَىٰ سَعِيداً ، وَإِذَا

---

(١) ينظر : « أصول الدين » : (ص: ٢٥٣) ، و « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » : (١ /١٥٠) ، قال السُّبكي في : « فتاويه » : (١ /٥٣) : (وقوله : « أنا مؤمن إن شاء الله » ثم اطلعت على أن ذلك قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، والشافعية ، والمالكية ، والحنابلة ، ومن المتكلمين : الأشعرية والكلابية) .

(٢) عرّف ابن حزم في : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ /٤٨) الموافاة بقوله : (اختلف المتكلمون في معنى عبروا عنه بلفظ : « الموافاة » وهم أنهم قالوا : في إنسان مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتدا كافرا ، وآخر كافر متمردا وفاسق ثم مات مسلما نائبا ، كيف كان حكم كل واحد منهما قبل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند الله تعالى ؟) وعرَّفها التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ /٢١٦) بقوله : (ومعنى الموافاة : الإتيان والوصول إلى آخر الحياة وأول منازل الآخرة) .

(٣) ينظر : « الفقه الأكبر » : (ص : ١٥٥).

(٤) قال الغزنوي في « أصول الدين » : (ص : ٢٦٣) : (اعْلَم : أَن قَوْله : « أَنا مُؤمن إِن شَاءَ الله تَعَالَى » اسْتِثْنَاء وَالِاسْتِثْنَاء شكّ ، وَالشَّكّ فِي أصل الْإِيمَان كفر وضلال) ، و « تأويلات أهل السنة » : (١ /١٦٥) ، و « الكفاية في الهداية » : (ص : ٣٦٢) ، و « المسايرة » : (ص : ١٩٤) .

تَرَدَّدَ فِيهِ كَانَ كَافِراً ، عَدُوّاً لله تَعَالَىٰ شَقِيّاً .

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ ٱلْمُرَادَ بِمَا يَقَعُ فِيهِ ٱلتَّرَدُّدُ إِنَّمَا هُوَ إِيمَانُ ٱلْمُوَافَاةِ ، لَا ٱلْإِيمَانُ فِي ٱلْحَالِ ؛ إِذْ لَا خَفَاءَ فِي أَنَّ ٱلْإِيمَانَ ٱلْمُنْجِي ، وَٱلْكُفْرَ ٱلْمُرْدِي مَا يَكُونُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ ، وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقاً بِضِدِّهِ ، لَا مَا ثَبَتَ أَوَّلاً وَتَغَيَّرَ إِلَىٰ ضِدِّهِ فَمِنْ ثَمَّ تَرَىٰ كَثِيراً مِنْ أَئِمَّتِنَا ٱلْأَشْعَرِيَّةِ يَقُولُونَ : ٱلْعِبْرَةُ بِإِيمَانِ ٱلْمُوَافَاةِ ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ ٱلْمُنْجِي كَمَا مَرَّ [١].

وَٱلْقَوْلُ : بِأَنَّ ٱلسَّعِيدَ لَا يَشْقَىٰ وَعَكْسَهُ ، وَأَنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَعَكْسَهُ ، مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ عَلِمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يُوَافِي آخِرَ حَيَاتِهِ ، أَوَّلَ مَنَازِلَ آخِرَتِهِ ، مُتَّصِفاً بِٱلسَّعَادَةِ فَهُوَ لَا يُغَيَّرُ إِلَىٰ شَقَاوَةِ ٱلْمُوَافَاةِ ، وَعَكْسُهُ ، وَأَنَّ ٱلسَّعِيدَ ٱلَّذِي يَعْتَدُّ بِسَعَادَتِهِ مَنْ عَلِمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَخْتِمُ لَهُ بِهَا ، وَأَنَّ ٱلشَّقِيَّ ٱلَّذِي يَعْتَدُّ بِشَقَاوَتِهِ مَنْ عَلِمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَخْتِمُ لَهُ بِهَا ، وَبِٱلْجُمْلَةِ لَا يَشُكُّ مُؤْمِنٌ فِي ثُبُوتِ إِيمَانِهِ فِي ٱلْحَالِ ، وَلَا فِي ٱلْجَزْمِ بِثُبُوتِهِ فِي بَقَائِهِ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَآلِ ؛ لَكِنْ لِخَوْفِ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ ، وَرَجَاءِ حُسْنِ ٱلْعَاقِبَةِ .. يُرْبَطُ إِيمَانُ ٱلْمُوَافَاةِ ٱلَّذِي هُوَ آيَةُ ٱلْفَوْزِ وَٱلنَّجَاةِ ، وَوَسِيلَةُ نَيْلِ ٱلدَّرَجَاتِ .. بِمَشِيئَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ جَرْياً عَلَىٰ مُوجِبِ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٢] وَلَا وَجْهَ لِوُجُوبِ تَرْكِهِ .

---

(١) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢١٦) .

(٢) سورة الكهف : (٢٣ - ٢٤) .

[إيمان المقلد]

(**وَصَحَّ إِيمَانُ**) مُقَلِّدٍ[1] لِغَيْرِهِ بِلَا دَلِيلٍ (**لِحُصُولِ ٱلتَّصْدِيقِ**) ٱلَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ ٱلْإِيمَانِ .. (**جَزْماً**) مِنْ غَيْرِ تَجْوِيزِ ثُبُوتِ نَقِيضٍ ، وَلَا ٱقْتِرَانٍ بِمُوجِبٍ مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلْكُفْرِ .

فَهُوَ : ٱعْتِقَادٌ جَازِمٌ مُطَابِقٌ ، وَهُوَ : ٱلْيَقِينُ ٱلْمُعْتَبَرُ فِي ٱلتَّصْدِيقِ ، وَرُبَّمَا يَكْتَفِي بِٱلْمُطَابَقَةِ وَيُجْعَلُ ؛ كَمَا فِي « ٱلْمَوَاقِفِ »[2] : (ٱلظَّنُّ ٱلْغَالِبُ ٱلَّذِي لَا يَخْطُرُ بِٱلْبَالِ مَعَهُ نَقِيضٌ فِي حُكْمِ ٱلْيَقِينِ) .

وَقِيَاسُهُ ؛ أَيْ : قِيَاسُ إِيمَانِ ٱلْمُقَلِّدِ (**عَلَىٰ إِيمَانِ ٱلْبَأْسِ .. فَاسِدٌ**[3]؛ **لِأَنَّهُ**[4]) كَمَا قَالَ ٱلْمَاتُرِيدِيُّ[5] وَغَيْرُهُ :(**إِيمَانُ دَفْعِ عَذَابٍ ، وَفِي وَقْتٍ لَمْ يَبْقَ لَهُ**) أَيْ : لِصَاحِبِهِ حِينَ رُؤْيَتِهِ ٱلْبَأْسَ عِنْدَ مَوْتِهِ .. (**قُدْرَةُ تَصَرُّفٍ فِي نَفْسِهِ ، وَٱنْتِفَاعٌ بِهَا**) / ب٢٣٠/ بِخِلَافِ إِيمَانِ ٱلْمُقَلِّدِ ، فَإِنَّهُ إِيمَانُ تَقَرُّبٍ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱبْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ وَقْتَ قُدْرَةِ تَصَرُّفِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَٱنْتِفَاعِهِ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِلْجَاءٍ ، وَلَا قَصْدِ دَفْعِ[6] عَذَابٍ، وَلَا ٱنْتِفَاءِ قُدْرَةِ تَصَرُّفٍ فِي ٱلنَّفْسِ .

(**وَمِمَّنْ مَنَعَ**) صِحَّةَ إِيمَانِ ٱلْمُقَلِّدِ (**قَالَ : لَا بُدَّ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ**) مِنْ مَسَائِلِ ٱلْأُصُولِ مِنَ ٱلتَّمَكُّنِ (**مِنْ إِقَامَةِ حُجَّةٍ ، وَدَفْعِ شُبْهَةٍ**) وَمُجَادَلَةِ ٱلْخُصُومِ ، وَحَلِّ مَا وَرَدَ مِنْ إِشْكَالٍ .. وَعَلَيْهِ ٱلْمُعْتَزِلَةُ ، وَلَمْ

---

(١) عرف الجرجاني في « التعريفات » : (ص : ٦٤) التقليدَ بأنه : عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل ، معتقدًا للحقيقة فيه ، من غير نظر وتأمل في الدليل ، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادةً في عنقه ، أو عبارةٌ عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل وعرفه الآمديُّ في : « الإحكام في أصول الأحكام » : (٤ ٢٢١) فقال : (أَمَّا التقليد .. فعبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة) .

(٢) ينظر : « المواقف » : (٣ ٥٤٣) : (والظاهر : أن الظنَّ الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين) .

(٣) وفَسَّره الجمهورُ بالإيمان عند الدخول في مقدماتِ النَّزْع ، أو الإيمان عند مشاهدةِ عذاب الاستئصال . ينظر : « فيض الباري على صحيح البخاري » : (٥ ٢٨٢) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) ينظر : « تأويلات أهل السنة » : (٦ ٨٠) في تفسير قوله تعالى : ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ثم إيمانه لم يقبل في ذلك الوقت لوجهين : أحدهما : لما يحتمل أن يكون إيمانه عند رؤية البأس وخوف الهلاك ، فهو إيمان دفع البأس لا إيمان حقيقة) .

(٦) في (ب) (سقطت) .

يَحْكُمُوا بِإِيمَانِ مَنْ عَجَزَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ حَكَمَ أَبُو هَاشِمٍ بِكُفْرِهِ [١].

فَإِنْ بَنَوْا ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ تَرْكَ ٱلنَّظَرِ كَبِيرَةٌ تُخْرِجُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ، إِذَا طَرَأَتْ عَلَيْهِ ، وَيُمْنَعُ مِنَ ٱلدُّخُولِ فِيهِ إِذَا قَارَنَتْهُ .. فَهِيَ مَسْأَلَةُ صَاحِبِ ٱلْكَبِيرَةِ ، وَقَدْ عَرَفْتَهَا ، وَإِنْ أَرَادُوا إِنَّ مِثْلَ هَذَا ٱلتَّصْدِيقِ لَا يَكْفِي ؛ أَيْ : لَا يَنْفَعُ فَغَيْرُهَا ، وَبِهَذَا يُشْعِرُ تَمَسُّكُهُمْ بِأَنَّ حَقِيقَةَ ٱلْإِيمَانِ ٱلدُّخُولُ فِي ٱلْأَمَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَكْذُوباً ، أَوْ مَخْدُوعاً [وَمُلَبَّساً عَلَيْهِ ، عَلَىٰ أَنَّهُ إِفْعَالٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ لِلتَّعْدِيَةِ ، أَوِ ٱلصَّيْرُورَةِ .

قُلْنَا : ٱلْأَمْنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَكْذُوباً ، أَوْ مَخْدُوعاً [٢] يَحْصُلُ بِٱلِاعْتِقَادِ ٱلْجَازِمِ وَإِنْ كَانَ عَنْ تَقْلِيدٍ ، وَبِأَنَّ ٱلْوَاجِبَ هُوَ ٱلْعِلْمُ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضَرُورَةٍ ، أَوْ دَلِيلٍ ، وَلَا ضَرُورَةَ .. فَتَعَيَّنَ ٱلدَّلِيلُ .

قُلْنَا : ٱلْمَقْصُودُ مِنَ ٱلدَّلِيلِ هُوَ ٱلتَّوَصُّلُ إِلَى ٱلتَّصْدِيقِ ، فَلَا عِبْرَةَ بِٱنْعِدَامِ ٱلْوَسِيلَةِ إِذَا حَصَلَ ؛ إِذْ لَا مَعْنَىٰ لِاسْتِحْصَالِهِ بِهَا بَعْدَ حُصُولِهِ [٣].

وَمِنْهُمْ ؛ أَيْ : مِمَّنْ مَنَعَ صِحَّةَ (**إِيمَانِ ٱلْمُقَلِّدِ**) مَنْ قَالَ : لَا بُدَّ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا مِنَ ٱلتَّمَكُّنِ (**مِنْ**) إِقَامَةِ (**دَلِيلٍ**) عَقْلِيٍّ (**فِي ٱلْجُمْلَةِ**) فَلَا يُشْتَرَطُ ٱلِاقْتِدَارُ عَلَىٰ تَقْرِيرِ ٱلْحُجَجِ ، وَدَفْعِ ٱلشُّبَهِ ، وَمُجَادَلَةِ ٱلْخُصُومِ ، وَعُزِيَ لِلشَّيْخِ [٤]وَنُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِناً ؛ أَيْ : عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ ٱلْقَاهِرِ ٱلْبَغْدَادِيُّ[٥] ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَافِرٍ لِوُجُودِ ٱلتَّصْدِيقِ ؛ لَكِنَّهُ عَاصٍ بِتَرْكِ ٱلنَّظَرِ وَٱلِاسْتِدْلَالِ .. فَيَغْفِرُ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ ، أَوْ يُعَذِّبُهُ بِقَدرِ ذَنْبِهِ ، وَمَآلُهُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَفِي هَذَا تَلْوِيحٌ بِأَنَّ مُرَادَ ٱلشَّيْخِ أَنَّهُ لَيْسَ

---

(١) وأيضا قال بكفره ابن العربي والسنوسي في « الكبرى » . ينظر : « أصول الدين » : (ص: ٢٥٥) ، و« شرح الأصول الخمسة » : (٦٠ -٦١) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ٢١٨) ، « تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد » : (ص : ٧٧) ، « تحقيق المقام على كفاية العوام » : (ص : ٤١) .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢١٨) .

(٤) هو أبو الحسن الأشعري .

(٥) ينظر : « أصول الدين » : (ص : ٢٥٥) حيث قال : (وهذا اختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركا ولا كافرا ، وإن لم يسمّه عَلى الاطلاق مؤمنا ، وقياس اصله يقتضي جواز المغفرة له لأنه غير مشرك ولا كافر) . الأعلام للزركلي (٤ ٤٨) .

عَبْد القَاهر البَغْدادي : عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني ، أبو منصور ، عالم متفنن ، من أئمة الأصول ، كان صدر الإسلام في عصره ، ولد ونشأ في بغداد ، ومات في اسفرائين سنة (٤٢٩ هـ) له مؤلفات كثيرة من أشهرها : « أصول الدين » و « الفَرق بين الفِرق » . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٧ ٥٧٢) ، « طبقات الشافعية الكبرى » : (٥ ١٣٦) .

مُؤْمِناً كَامِلاً ؛ كَـ (تَارِكِ ٱلْأَعْمَالِ) ، وَإِلَّا فَهُوَ لَا يَقُولُ / أ ٢٣١/بِٱلْمَنْزِلَةِ بَيْنَ ٱلْمَنْزِلَتَيْنِ ، وَلَا بِدُخُولِ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْجَنَّةَ .

وَإِلَيْهِ ؛ أَيْ : إِلَىٰ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ لَابُدَّ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْ إِقَامَةِ دَلِيلٍ فِي ٱلْجُمْلَةِ .. رَجَعَ (**مُتَأَخِّرُوا ٱلْمُعْتَزِلَةِ ، فَخَصُّوا ٱلْخِلَافَ**) كَـ أَئِمَّتِنَا بِمَنْ (**نَشَأَ بَعِيداً**) عَنْ دَارِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي خَلْقِ هَذَا ٱلنِّظَامِ ٱلْبَدِيعِ ، (**فَأُخْبِرَ بِمَا يَجِبُ ٱعْتِقَادُهُ .. فَصَدَّقَ**) بِمُجَرَّدِ ٱلْإِخْبَارِ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ ، وَأَمَّا مَنْ نَشَأَ فِي دِيَارِ ٱلْإِسْلَامِ وَلَوْ بِصَحْرَاءَ ، وَتَوَاتَرَ عِنْدَهُ حَالُ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَمَا أَتَىٰ بِهِ مِنَ ٱلْمُعْجِزَاتِ ، وَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ .. فَمِنْ أَهْلِ ٱلنَّظَرِ وَٱلِاسْتِدْلَالِ[1] .

وَعَنِ ٱلْكَعْبِيِّ وَٱبْنِ عَيَّاشٍ[2] فِي آخَرِينَ مِنْهُمْ : أَنَّ وُجُوبَ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْأَدِلَّةِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا مَنْ عَجَزَ عَنْهُ ؛ كَـكَثِيرِينَ مِنَ ٱلْعَوَامِّ وَٱلنُّسْوَانِ لِعَجْزِهِمْ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْأَدِلَّةِ وَتَمَيُّزِهَا مِنَ ٱلشُّبَهِ .. فَلَا يُكَلَّفُ إِلَّا تَقْلِيداً لِمُحِقٍّ ، أَوْ سَمَاعِ أَوَائِلِ ٱلْأَدِلَّةِ ٱلَّتِي يَتَسَارَعُ إِلَى ٱلْأَفْهَامِ ، فَإِنْ فَهِمُوا .. كَفَاهُمْ .

وَهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجُمَلِ ٱلَّتِي ٱتَّفَقَ عَلَيْهَا أَهْلُ ٱلْمِلَّةِ : مِنْ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ، لَمْ يَزَلْ قَبْلَ مَا خَلَقَ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَعَرْشٍ وَغَيْرِهَا ، قَدِيمٌ وَمَا سِوَاهُ مُحْدَثٌ ، عَدْلٌ فِي قَضَائِهِ ، صَادِقٌ فِي إِخْبَارِهِ ، لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ، وَلَا يُكَلِّفُهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ ، مُصِيبٌ ، حَكِيمٌ ، مُحْسِنٌ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ ، وَفِي كُلِّ مَا خَلَقَ وَقَضَىٰ وَقَدَّرَ .

بَعَثَ رُسُلاً ؛ لِيَتَذَكَّرَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَتَذَكَّرُ وَيَخْشَىٰ ، وَيُلْزِمُ ٱلْحُجَّةَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَيَأْبَىٰ .

وَٱلرِّضَا بِقَضَائِهِ .. وَاجِبٌ ، وَٱلتَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ .. لَازِمٌ ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْعَقَائِدِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ .

وَلَا يُكَلَّفُونَ تَلْخِيصَ ٱلْعِبَارَةِ عَنْهَا ،إِنْ لَمْ يُمْكِنْهُمُ ٱلْوُقُوفُ عَلَيْهَا .. فَلَيْسُوا مُكَلَّفِينَ أَصْلاً ، وَإِنَّمَا

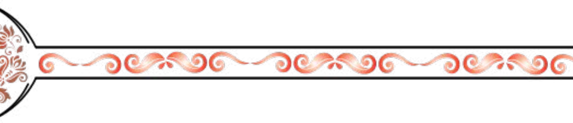
---

(١) ينظر : « أصول الدين » : (ص : ٢٥٥) .

(٢) أبو إسحاق بن عياش إبراهيم بن عياش البصري ، قال عنه القاضي عبد الجبار : وهو الذي درسنا عليه أولا ، وهو من الورع والزهد والعلم على قدرعظيم . ينظر : « المنية والأمل » : (ص : ٦٤) .

خُلِقُوا لِانْتِفَاعِ ٱلْمُكَلَّفِينَ بِهِمْ فِي ٱلدُّنْيَا [1]، وَلَا نِزَاعَ / ب٢٣١/ فِي إِجْرَاءِ أَحْكَامِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ فِي أَنَّهُمْ هَلْ يُعَاقَبُونَ عِقَابَ ٱلْكَافِرِ [2] .

(١) كتب تحتها عبارة : وهم كثير من ٱلعوام وٱلعبيد وٱلنسوان



[مبحث الكفر]

(**وَ ٱلْكُفْرُ** [١]: **عَدِمُ ٱلْإِيمَانِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ**) أَيْ : عَدَمُ تَصْدِيقِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي بَعْضِ مَا عُلِمَ مَجِيئُهُ بِهِ ضَرُورَةً (**وَإِنْ خَلَا عَنْ تَكْذِيبٍ**) وَإِنْكَارٍ ، بِأَنْ لَمْ يُصَدِّقْ وَلَمْ يُكَذِّبْ ، وَمِنْ ثُمَّ كَانَ هَذَا أَعَمَّ مِنْ تَكْذِيبِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي شَيْءٍ مِمَّا عُلِمَ مَجِيئُهُ بِهِ ؛ لِشُمُولِهِ ٱلْخَالِي عَنِ ٱلتَّصْدِيقِ وَٱلتَّكْذِيبِ .

(**وَمَنْ عَرَّفَهُ**) أَيِ : ٱلْكُفْرَ (**بِٱلْجَحْدِ**) وَٱلْجَهْلِ (**بِٱللهِ**) تَعَالَىٰ[٢] .. لَمْ يُرِدْهُ أَعَمَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِوُجُودِهِ ، أَوْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ، وَإِلَّا لَزِمَ تَكْفِيرُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْمُخَالِفِينَ فِي ٱلْأُصُولِ ؛ لِأَنَّ ٱلْحَقَّ وَاحِدٌ وِفَاقاً ، وَلَمْ يَنْعَكِسْ ؛ إِذْ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْكُفَّارِ بِهِ عَارِفُونَ مُصَدِّقِينَ غَيْرُ جَاحِدِينَ[٣] ، بَلْ (**أَرَادَ جَحْدَ شَيْءٍ**) أَوْ جَهْلَ شَيْءٍ (**مِمَّا عُلِمَ قَطْعاً ، أَنَّهُ مِنْ أَحْكَامِهِ إِجْمَالاً أَوْ تَفْصِيلاً**) فَيَطَّرِدُ وَيَنْعَكِسُ ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ أَحْسَنَ مِنْ تَعْرِيفِهِ بِتَكْذِيبِ ٱلنَّبِيِّ ، أَوْ بِعَدَمِ تَصْدِيقِهِ ؛ لِشُمُولِهِ ٱلْكُفْرَ بِٱللهِ تَعَالَىٰ بِدُونِ تَوَسُّطِ نَبِيٍّ ؛ كَكُفْرِ إِبْلِيسَ [٤].

---

(١) قال ابن فارس في : « مقاييس اللغة » : (٥ ١٩١) : (الكاف ، والفاء ، والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الستر والتغطية) وقال ابن الأثير في : « النهاية في غريب الحديث والأثر » : (٤ ١٨٧) : (وأصل الكفر : تغطية الشيء تغطية تستهلكه) ، وعُرِّفَ في الاصطلاح بتعاريف كثيرة منها : كما ذكره الباقلاني في : « التقريب والإرشاد » : (١ ٣٨٩) : (واسم الكفر جارٍ على الجحد والإنكار ، وهو التغطية) ، وقال الراغب الأصفهاني في : « المفردات في غريب القرآن » : (ص : ٧١٥) : (والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانيّة ، أو النبّوّة ، أو الشريعة ، أو ثلاثتها) ، وعرَّفه القرافي في : « أنوار البروق في أنواء الفروق » : (٤ ١١٥) فقال : (وأصل الكفر : إنما هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلى ، ويكون الكفر بفعلٍ ؛ كرمي المصحف في القاذورات ، أو السجود للصنم ، أو التردد للكنائس في أعيادهم بزي النصارى ، ومباشرة أحوالهم ، أو جحد ما علم من الدين بالضرورة) .

(٢) إشارة إلى قول القاضي الباقلاني .

(٣) لعلها : (مصدقون غيرُ جاحدين) .

(٤) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٢٦) .

(**وَٱلتَّكْفِيرُ**) جَوَابُ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ هُوَ أَنَّ مَنْ ٱسْتَخَفَّ بِٱلشَّرْعِ ، أَوِ ٱلشَّارِعِ ، أَوْ أَلْقَىٰ مُصْحَفاً بِقَاذُورَةٍ ، أَوْشَدَّ زُنَّاراً [١] بِٱخْتِيَارِهِ .. كَانَ كَافِراً إِجْمَاعاً ، وَإِنْ صَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَبَطَلَ عَكْسُ تَعْرِيفِهِ بِمَنْ ذُكِرَ ، وَإِنْ جَعَلَ تَرْكَ ٱلْمَأْمُورِ وَٱرْتِكَابَ ٱلْمَنْهِيِّ عَلَامَةً لِلتَّكْذِيبِ وَعَدَمَ ٱلتَّصْدِيقِ .. بَطَلَ طَرْدُهُمَا بِغَيْرِ ٱلْكَفَرَةِ مِنَ ٱلْفُسَّاقِ .

وَأَنَّ مَنْ أَوَّلَ فِي ٱلْأُصُولِ إِمَّا : أَنْ يُجْعَلَ مُكَذِّباً .. فَيَلْزَمُ تَكْفِيرُ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْفِرَقِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ ؛ كَأَهْلِ ٱلْبِدَعِ ، بَلْ مَنِ ٱخْتَلَفَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَقِّ ، أَوْ لَا يُجْعَلَ .. فَيَلْزَمُ عَدَمُ تَكْفِيرِ مُنْكِرِي حَشْرِ ٱلْأَجْسَادِ ، وَحُدُوثِ ٱلْعَالَمِ، وَعِلْمِهِ تَعَالَىٰ بِٱلْجُزْئِيَّاتِ [٢]؛ فَإِنَّ تَأْوِيلَاتِهِمْ لَيْسَتْ بِأَبْعَدَ مِنْ تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ ٱلنُّصُوصَ ٱلظَّاهِرَةَ فِي ٱخْتِلَافِ مَذْهَبِهِمْ ؛ إِذْ مِنْهَا : مَا عُلِمَ قَطْعاً مِنَ ٱلدِّينِ أَنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ .. فَتَأْوِيلُهُ تَكْذِيبٌ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَمِنْهَا مَالَيْسَ كَذَلِكَ [٣].

أُجِيبَ بِأَنَّ ٱلتَّكْفِيرَ (**بِمَحْظُورٍ .. مُكَفِّرٌ ، فِعْلاً**) كَإِلْقَاءِ / **أ٢٣٢**/ مُصْحَفٍ بِقَاذُورَةٍ مِمَّا هُوَ كُفْرٌ وِفَاقاً ، أَوْ تَأْوِيلاً فِي ٱلْأُصُولِ ؛ كَتَأْوِيلِ نَصٍّ عُلِمَ قَطْعاً مِنَ ٱلدِّينِ أَنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ ، مَعَ (**بَقَاءِ ٱلتَّصْدِيقِ**) ٱلْمُعْتَبَرِ فِي ٱلْإِيمَانِ (**لَوْ سُلِّمَ**) بَقَاؤُهُ مَعَ ٱلْمَحْظُورِ ٱلْمُكَفِّرِ .. فَمَبْنِيٌّ (**عَلَىٰ جَعْلِهِ**) أَيْ : جَعْلِ ذَلِكَ ٱلْمَحْظُورِ ٱلْمُكَفِّرِ مِنَ ٱلشَّارِعِ ..(**عَلَامَةً لِلتَّكْذِيبِ**) فَيُحْكَمُ بِكُفْرِ مُرْتَكِبِهِ ، وَبِوُجُودِ ٱلتَّكْذِيبِ فِيهِ وَٱنْتِفَاءِ ٱلتَّصْدِيقِ عَنْهُ ، وَيَتَفَاوَتُ إِلَىٰ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ ، وَمُخْتَلَفٍ فِيهِ ، وَمَنْصُوصٍ عَلَيْهِ ، وَمُسْتَنْبَطٍ مِنْ دَلِيلٍ .

(**فَٱلْكَافِرُ**) عَلَىٰ [٤]مَا مَرَّ مَنْ (**لَا إِيمَانَ لَهُ ، ثُمَّ إِنْ أَظْهَرَهُ**) أَيِ : ٱلْإِيمَانَ ، وَأَبْطَنَ ٱلْكُفْرَ .. (**فَمُنَافِقٌ، أَوْ سَبَقَ كُفْرَهُ إِسْلَامٌ .. فَمُرْتَدٌّ**) لِرُجُوعِهِ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ ، (**أَوْ قَالَ : بِتَعَدُّدِ ٱلْإِلَهِ .. فَمُشْرِكٌ**) لِإِثْبَاتِهِ لَهُ تَعَالَىٰ شَرِيكاً فِي ٱلْإِلَهِيَّةِ ، أَوْ قَالَ : (**بِٱسْتِنَادِ ٱلْحَوَادِثِ إِلَى ٱلزَّمَانِ . . فَدَهْرِيٌّ** [٥]، **أَوْ تَدَيَّنَ بِكِتَابٍ سَمَاوِيٍّ**) مِنَ ٱلْكُتُبِ ٱلْمَنْسُوخَةِ .. (**فَكِتَابِيٌّ**) ؛ كَٱلْيَهُودِيِّ ، (**أَوْ نَفَى ٱلصَّانِعَ .. فَمُعَطِّلٌ** [٦]، **أَوْ أَخْفَىٰ**)

---

(١) **الزُّنَّار** : حزام للنصارى ، أو هو ما على وسط النصارى والمجوس . ينظر : « تاج العروس » : (١١ ٤٥٢) ، و « مختار الصحاح » : (ص: ١٣٨) .

(٢) وهم الفلاسفة . ينظر : « تهافت الفلاسفة » : (ص : ١٧٧– ٢٨٧) .

(٣) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٢٦) .

(٤) في (ب) (كما) .

(٥) ينظر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (١ ٣٠) ، و « الملل والنحل » : (٢ ٦١) .

(٦) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٢٧) ، و « حاشية القونوي على تفسير البيضاوي » : (٤ ١٥٠) .

مَعَ ٱعْتِرَافِهِ بِنُبُوَتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَإِظْهَارِهِ شَعَائِرَ ٱلْإِسْلَامِ (**عَقَائِدَ كُفْرٍ وِفَاقاً .. فَزِنْدِيقٌ**) مِنَ ٱلثَّنَوِيَّةِ مُعَرَّبٌ وَجَمْعُهُ زَنَادِقَةٌ ، وَ(هَاؤُهُ) بَدَلَ (يَائِهِ) ٱلْمَحْذُوفَةِ ؛ إِذْ أَصْلُهُ زَنَادِيقٌ نِسْبَةٌ إِلَىٰ : (زَنْدٍ) : ٱسْمِ كِتَابٍ أَظْهَرَهُ (مَزْدَكُ) فِي أَيَّامِ (قُبَاذَ) ، وَزَعَمَ أَنَّهُ تَأْوِيلُ كِتَابِ ٱلْمَجُوسِ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ زَرَادَشْتُ ٱلَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ [١] .

(**وَلَا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ خَالَفَ ٱلْحَقَّ**) فِيمَا ٱخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ ٱلْمَسَائِلِ ؛ كَكَوْنِهِ تَعَالَىٰ عَالِماً [٢] بِعِلْمٍ ، وَإِرَادَتِهِ عَامَّةً ، وَكَلَامِهِ قَدِيماً ، خَالِقاً لِأَفْعَالِ عِبَادِهِ ، غَيْرَ مُتَحَيِّزٍ وَلَا فِي جِهَةٍ ، مَرْئِيّاً فِي ٱلْآخِرَةِ مِمَّا لَا نِزَاعَ فِي أَنَّ ٱلْحَقَّ فِيهِ وَاحِدٌ ؛ (**لِأَنْ خَطَاهُ**) ٱلْحَقُّ فِيمَا ذُكِرَ غَيْرُ (**قَادِحٍ فِي إِسْلَامِهِ**) فَلَا تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهُ عَلَى ٱعْتِقَادِ ٱلْحَقِّ فِيهِ ؛ إِذْ لَوْ تَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَكَانَ ٱلْخَطَأُ قَادِحاً فِي حَقِيقَةِ ٱلْإِسْلَامِ .. وَجَبَ أَنْ يَبْحَثَ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَمَنْ بَعْدَهُ عَنِ ٱعْتِقَادِ مَنْ حُكِمَ بِإِسْلَامِهِ ،[٣] وَيُثَبِّتُونَهُمْ عَلَىٰ مَا هُوَ ٱلْحَقُّ ، وَٱللَّازِمُ مُنْتَفٍ قَطْعاً ؛ إِذْ لَمْ يَجْرِ حَدِيثٌ مِنْهَا فِي زَمَانِهِمْ ، وَبِهِ قَالَ ٱلشَّيْخُ [٤] ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ [٥] ، وَٱلْفُقَهَاءُ ؛ كَأَبِي حَنِيفَةَ [٦] ، وَبِهِ أَشْعَرَ قَوْلُ ٱلشَّافِعِيِّ : (لَا ، أَرُدُّ شَهَادَةَ أَهْلِ ٱلْأَهْوَاءِ إِلَّا ٱلْخَطَّابِيَّةَ ؛ لِاسْتِحْلَالِهِمُ ٱلْكَذِبَ) [٧] .

---

(١) قال أبو عبد الله الكاتب في : « مفاتيح العلوم » : (ص : ٥٦) : (الزنادقة : هم المانوية ، وكانت المزدكية يسمون بذلك ، ومزدك : هو الذي ظهر في أيام قباذ وكان موبذان موبذ ؛ أي : قاضي القضاة للمجوس ، وزعم أن الأموال والحرم مشتركة ، وأظهر كتاباً سماه زند وزعم أن فيه تأويل الأبستا ، وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت الذي يزعمون أنه نبيهم فنسب أصحاب مزدك إلى زند فقيل : زندي وأعربت الكلمة فقيل للواحد : زنديق وللجماعة زنادقة) . ينظر : « لسان العرب » : (١٠ ١٤٧) ، و « المغرب في ترتيب المعرب » : (ص : ٢١١) .

(٢) في الأصل : (ككونه تعالى عالم) والمثبت هو من (ب) .

(٣) في هامش الاصل : (ويفتشون عن عقائدهم وينبهونهم) .

(٤) أبو الحسن الأشعري حيث قال في : « الإبانة عن أصول الديانة » : (ص : ٢٦) : (وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ما لم يستحله ؛ كالزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج ، وزعمت أنهم كافرون) .

(٥) ينظر : « أصول الدين » : (ص : ٣٠١) ، و « متن الطحاوية » : (ص : ٦٠) .

(٦) قال الإمام الأعظم في : (وَلاَ نكفر مُسلما بذنب من الذُّنُوب ، وَإِن كَانَت كَبِيرَة إِذا لم يستحلها وَلاَ نزيل عَنهُ اسْم الْإِيمَان ونسميه مُؤمنا حَقِيقَة) . ينظر : « الفقه الأكبر » : (ص : ٤٣) .

(٧) ينظر : « روضة الطالبين وعمدة المفتين » : (١ ٣٥٥) ، قال علي القاري في : « شرح الشفا » : (٢ ٤٩١) : (والحق عند الأشعري ، وأكثر أصحابه ، وأكثر الفقهاء ؛ كأبي حنيفة لا يكفر ، وبعدم تكفيره يشعر قول الشافعي : (لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية لاستحلالهم الكذب في الشهادة بناء على غلبة الظن) .

(**مَا لَمْ يُنْكِرْ**) / ب ٢٣٢/ شَيْئاً ضَرُورِيّاً مِنْ ضَرُورِيَّاتِ ٱلدِّينِ ؛ كَحُدُوثِ ٱلْعَالَمِ ، وَحَشْرِ ٱلْأَجْسَادِ، وَعِلْمِهِ تَعَالَىٰ بِٱلْجُزْئِيَّاتِ مِمَّا يَكْفُرُ بِإِنْكَارِهِ بِلَا خِلَافٍ ، وَإِنْ وَاظَبَ طُولَ عُمُرِهِ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ مَعَ ٱعْتِقَادِهِ ، وَكَذَا مَنْ صَدَرَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلْكُفْرِ .

(**وَٱلْفِسْقُ : ٱلْخُرُوجُ عَنِ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِٱرْتِكَابِ كَبِيرَةٍ بِلَا تَأْوِيلٍ**)[1] وَبِهَذَا خَرَجَ ٱلْبَاغِي[2] ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِفَاسِقٍ ٱتِّفَاقاً (**أَوِ إِصْرَارٍ**) أَيْ : إِكْبَارٍ[3] (**مِنْ صَغِيرَةٍ**) سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ نَوْعٍ ، أَوْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ .

وَأَمَّا ٱسْتِحَلَالُ مَعْصِيَةٍ ثَبَتَتْ بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ ؛ بِمَعْنَى : ٱعْتِقَادُ حِلِّهَا .. فَكُفْرٌ ، صَغِيرَةً كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةً ، وَكَذَا ٱلِاسْتِهَانَةُ بِهَا ؛ بِمَعْنَىٰ : عَدِّهَا هَيِّنَةً تُرْتَكَبُ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ ، وَ تَجْرِي مَجْرَى ٱلْمُبَاحَاتِ .

(**وَٱلْبِدْعَةُ : مُخَالَفَةُ عَقِيدَةِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ**) ٱلَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْجَماعَةِ ، مِنْ أَنَّ ٱلْعَالَمَ حَادِثٌ، وَصَانِعَهُ[4] قَدِيمٌ ، مُتَّصِفٌ بِصِفَاتٍ قَدِيمَةٍ لَاهِيَ عَيْنُهُ ، وَلَا غَيْرُهُ ، أَوْ وَاحِدٌ لَا شَبِيهَ لَهُ ، وَلَا ضَدَّ ، وَلَا نِدَّ ، وَلَا نِهَايَةَ ، وَلَا صُورَةَ ، وَلَا يُوصَفُ بِحَرَكَةٍ ، وَٱنْتِقَالٍ ، وَجَهْلٍ ، وَكَذِبٍ ، وَنَقْصٍ ، وَلَا يَحِلُّ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَقُومُ بِهِ حَادِثٌ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَلَا عَنْهُ شَيْءٌ ، يُرَىٰ فِي ٱلآخِرَةِ لَا فِي حَيِّزٍ وَجِهَةٍ ، مَا شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، كُلُّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَمِنْهَا

---

(١) قال ابن فارس : (الفاء ، والسين ، والقاف كلمة واحدة ، وهي الفسق ، وهو الخروج عن الطاعة ، تقول العرب : فسقت الرطبة عن قشرها : إذا خرجت) ينظر : « مقاييس اللغة » : (٤ ٥٠٢) ، و « تاج العروس » : (٢٦ ٣٠٢) . وشرعاً عُرِّف بأكثرَ من تعريفٍ منها : ما عرَّفه البابرتيُّ في : « شرح وصية الإمام أبي حنيفة » : (ص : ٥٧) : بقوله : (الفِسق : بالكسر : الترك لأمر الله عز وجل والعصيان والخروج عن طريق الحق سبحانه) ، و النوويُّ في : « المنهاج » : (٨ ١١٤) : (ولأنَّ الفِسقَ في اللغة الخروجُ ، فمَن خرجَ عن ائتمارِ أمرٍ من أوامر الله تعالى يكون فاسقاً) ، والعينيُّ في : «عمدة القاري » : (١٠ ١٥٨) : (وَهُوَ الْخُرُوج عَن حُدُود الشَّرِيعَة) ، و البيضاويُّ في : « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » : (١ ٦٤) : (والفاسق في الشرع : الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة) .

(٢) **البُغَاة** : هم قوم مسلمون خرجوا على إمام العدل ولم يستبيحوا ما استباحه الخوارج من دماء المسلمين وسبي ذراريهم ، والمراد : خرجوا بتأويلٍ وإلا فهم قطاع) . ينظر : « الاختيار لتعليل المختار » : (٤ ١٥١) ، و « الدر المختار » : (٤ ٢٦٢) ، قال زكريا الأنصاري في : « أسنى المطالب في شرح روض الطالب » : (٤ ١١١) : (وهم الخارجون عن الطاعة لإمام أهل العدل ، ولو جائرا بامتناعهم من أداء حق توجه عليهم ، بتأويلٍ فاسدٍ لا يقطع بفساده) .

(٣) في (ب) (واحد) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

: ٱلْقَبَائِحُ[١] وَلَيْسَتْ بِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ .

وَمَا وَرَدَ بِهِ ٱلسَّمْعُ .. حَقٌّ ؛ كَخُرُوجِ ٱلدَّجَالِ ، وَٱلدَّابَةِ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَٱلْمَعَادِ ٱلْجِسْمَانِيِّ ، وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَٱلصِّرَاطِ ، وَٱلْحِسَابِ ، وَٱلْمِيزَانِ ، وَٱلْعَفْوِ ، وَٱلشَّفَاعَةِ ، وَتَخْلِيدِ ٱلْكُفَّارِ فِي ٱلنَّارِ دُونَ ٱلْفُسَّاقِ .

وَأَوَّلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ آدَمُ ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ « صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ » ، وَأَوَّلُ ٱلْخُلَفَاءِ أَبُو بَكْرٍ ، فَعُمَرُ ، فَعُثْمَانُ ، فَعَلِيٌّ ، وَأَفْضَلِيَّتُهُمْ كَذَلِكَ .[٢]

وَٱلْمَشْهُورُ مِنْ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ فِي أَكْثَرِ ٱلنَّوَاحِي ؛ كَخُرَاسَانَ[٣]، وَٱلْعِرَاقِ[٤]، وَٱلشَّامِ[٥] هُمُ ٱلْأَشَاعِرَةُ : أَصْحَابُ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَالِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَمِيرِ ٱلْعِرَاقِيِّينَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » / **أ ٢٣٣/** ، أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ أَبَا عَلِيٍّ ٱلْجُبَّائِيَّ ٱلْمُعْتَزِلِيَّ ، وَرَجَعَ إِلَىٰ مَذْهَبِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ طَرِيقَةِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَ ٱلْجَمَاعَةِ طَرِيقَةِ[٦] ٱلصَّحَابَةِ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ »[٧] .

---

(١) في هامش الأصل : (ولكن القبائح ليست ، هكذا عبارة السعد) .

(٢) في هامش الأصل : (مَعَ تَرَدُّدٍ فِيهَا بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، هَكَذَا فِي شَرْحِ : ٱلسَّعْدِ).

(٣) **خُراسان** : بلاد واسعة يقع إقليم خراسان بين عدة دول وهي : إيران وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان والواقعة في القارة الآسيوية ومعناه : (خر) : كل ، و (أسان) : سهل ؛ أي : كل بلا تعب ينظر : « معجم البلدان » : (٢ ٣٥٠) .

(٤) **العِراق** : بكسر عينه ، وهو من الموصل إلى عبادان طولًا ، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً يحده من الجنوب الكويت و المملكة العربية السعودية ، ومن الشمال تركيا ، ومن الغرب سوريا والأردن ، ومن الشرق إيران ينظر : « آثار البلاد وأخبار العباد» : (ص : ٤١٩) ، , « معجم البلدان » : (٤ ٩٣) .

(٥) **الشام** : بفتح أوّله، وسكون همزته يمتد على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط إلى حدود بلاد الرافدين ، تشكّل هذه المنطقة اليوم بالمفهوم الحديث كل من : سورية ، ولبنان ، والأردن ، وفلسطين . ينظر : « معجم البلدان » (٣ ٣١١) .

(٦) في (ب) (طريق) .

(٧) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٥ ٨٥) ، « طبقات الشافعية الكبرى » : (٣ ٣٤٧) .

وَفِيمَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ ٱلْمَاتُرِيدِيَّةُ : أَصْحَابُ أَبِي مَنْصُورٍ ٱلْمَاتُرِيدِيِّ[١] ، تِلْمِيذِ أَبِي نَصْرٍ ٱلْعِيَاضِيِّ[٢]، تِلْمِيذِ أَبِي بَكْرٍ ٱلْجُوزَجَانِيِّ[٣]، صَاحِبِ أَبِي سُلَيْمَانَ ٱلْجُوزَجَانِيِّ[٤]، تِلْمِيذِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَسَنِ ٱلشَّيْبَانِيِّ[٥].

وَبَيْنَهُمَا خِلَافٌ فِي بَعْضِ ٱلْأُصُولِ ؛ كَـ : (مَسْأَلَةِ ٱلتَّكْوِينِ[٦] ، وَٱلِاسْتِثْنَاءِ فِي ٱلْإِيمَانِ ، وَإِيمَانِ ٱلْمُقَلِّدِ) وَٱلْمُنْصِفُ مِنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ لَا يَنْسُبُ ٱلْآخَرَ إِلَىٰ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ ، بِخَلَافِ ٱلْمُبْطِلِ ٱلْمُتَّعَصِبِ .

فَٱلْمُبْتَدِعُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ؛ كَٱلْفَاسِقِ ؛ لِأَنَّ ٱلْإِخْلَالَ بِٱلْعَقَائِدِ لَيْسَ بِأَدْوَنَ مِنَ ٱلْإِخْلَالِ بِٱلْأَعْمَالِ .

(**وَحُكْمُهَا**) أَيِ : ٱلْبِدْعَةِ (**ٱلْإِهَانَةُ**) وَٱلْبُغْضُ ، وَٱلْعَدَاوَةُ ، وَٱلْإِعْرَاضُ عَنْهُ ، وَٱلطَّعْنُ فِيهِ ، وَكَرَاهَةُ ٱلصَّلَاةِ خَلْفَهُ .

---

(١) ينظر : « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » : (١ ٥٦٢) ، و « تاج التراجم » : (ص: ٢٤٩) .

(٢) **العِيَاضيُّ** : أَحْمد بن الْعَبَّاس بن الْحُسَيْن ، الأَنْصَارِيّ ، الخزرجي ، الْفَقِيه ، السَّمرقَنْدِي ، أَبُو نصر العياضي . ينظر : « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » : (١ ٧٠) ، « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : (ص : ٢٣) .

(٣) أحمد بن إسحاق ، أبو بكر الجوزجاني ، وكان عالمًا جامعًا بين الفروع والأصول ، وله كتاب « الفرق والتمييز » . ينظر : « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : (ص : ١٤) ، و « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » : (١ ٦٠) .

(٤) موسى بن سليمان ، أبو سليمان الجوزجاني ، فقيه حنفي ، أصله من جوزجان من كور بلخ ، بخراسان ، تفقه واشتهر ببغداد توفي بعد سنة : (٢٠٠ هـ) ينظر : « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » : (٢ ١٨٦) ، و « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : (ص : ٢١٦) .

(٥) **الشَّيباني** : محمد بن الحسن بن فرقد ، أبو عبد الله ، العلامة ، فقيه العراق ، الكوفي ، صاحب أبي حنيفة ، ولد بواسط ، ونشأ بالكوفة توفي سنة (١٨٩ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٩ ١٣٤) ، و « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » : (١ ٥٢٦) .

(٦) قال الكمال بن الهمام في « المسايرة » : (مسألة : اختلف فيها مشايخ الحنفية والأشاعرة في صفات الأفعال ، والمراد صفات تدل على تأثير لها أسماء غير اسم القدرة باعتبار أسماء آثارها ، والكل يجمعها اسم التكوين فإن كان ذلك الأثر مخلوقا فالاسم الخالق والصفة الخلق ، أو رزقا فالاسم الرزاق والصفة الترزيق ، أو حياة فهو المحي ، أو موتا فهو المميت فادعى متأخروا الحنفية من عهد أبي منصور أنها صفات قديمة زائدة على الذات المتقدمة ، وليس في كلام أبي حنيفة و المتقدمين تصريح بذلك سوى ما أخذوه من قوله : (كان تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق) وذكروا له أوجها من الاستدلال ، والأشاعرة يقولون ليست صفة التكوين على فصولها سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بمتعلق خاصّ ، فالتخليق القدرة باعتبار تعلقها بالمخلوق ، والترزيق تعلقها بإيصال الرزق ، وما ذكروه في معناه لا ينفي هذا ولا يوجب كونها صفات أخرى لا ترجع إلى القدرة المتعلقة والإرادة المتعلقة) قال أبو المعين النسفي : (وقول أكثر المعتزلة وجميع النجارية والأشعرية : أن التكوين والمكون واحد قول محال) . ينظر : « المسايرة » : (ص : ٣٨ – ٤٠) ، و « الكفاية في الهداية » : (ص : ٣٦٢) ، و « التمهيد في أصول الدين » : (ص : ٢٩) ، و « تبصرة الأدلة » : (ص : ١٩٣) ، و « شرح المقاصد » : (٤ ١٦٩ – ١٧٦) .

وَحُكْمُ ٱلْمُنَافِقِ وَٱلزِّنْدِيقِ .. إِجْرَاءُ أَحْكَامِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَيْهِ ، وَخُصَّ ٱلْمُنَافِقُ بِٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَحُكْمُ ٱلْفَاسِقِ .. ٱلْحَدُّ فِيمَا يَجِبُ فِيهِ ، وَٱلتَّعْزِيرُ [1] فِي غَيْرِهِ ، وَٱلْأَمْرُ بِٱلتَّوْبَةِ ، وَرَدُّ ٱلشَّهَادَةِ ، وَسَلْبُ ٱلْوِلَايَةِ .

(**زَيَّدَ**) أَيْ : جَعَلَ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ ٱلْبِدْعَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا ، فَقَالَ : وَمِنْهَا : ٱلْمُخَالَفَةُ فِي (**ٱلْفُرُوعِ**) كَٱلْقَوْلِ بِحِلِّ مَتْرُوكِ ٱلتَّسْمِيَةِ عَمْداً [2]، أَوْ عَدَمِ نَقْضِ ٱلْوُضُوءِ بِخَارِجٍ نَجِسٍ مِنْ غَيْرِ ٱلسَّبِيلَيْنِ ، وَجَوَازِ ٱلنِّكَاحِ بِلَا وَلِيٍّ [3]، وَٱلصَّلَاةِ بِغَيْرِ ٱلْفَاتِحَةِ [4].

(**وَكُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ ٱلصَّحَابَةِ**) فَهُوَ بِدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ قُبْحِهِ تَمَسُّكاً بِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ ٱلْأُمُورِ))[5] وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْبِدْعَةَ ٱلْمَذْمُومَةَ مَا حَدَثَ فِي ٱلدِّينِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَاضِدٌ شَرْعِيٌّ ؛ كَٱلْقِيَاسِ[6][7]

---

(١) **الحدُّ** : اسم لعقوبة مقدرة تجب حقا لله تعالى ، و **التَّعزير** : هو تأديبٌ دون الحد ، وأصله من العزر ، أو هو عقوبة غير مقدرة شرعا ، تجب حقا لله ، أو لآدمي ، في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة غالباً . ينظر : « المبسوط » : (٩ ٣٦) ، و « الأحكام السلطانية » : (ص : ٣٤٤) ، و « التعريفات » :(ص : ٦٢) .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ قال ابن كثير : استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها ، وإن كان الذابح مسلما ، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة ، على ثلاثة أقوال : فمنهم من قال : لا تَحِلّ هذه الذبيحة بهذه الصفة ، وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا ، والمذهب الثاني في المسألة : أنه لا يُشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تُركت عمدا أو نسيانا لا يضر ، المذهب الثالث في المسألة : إن تَرك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر ، وإن تَركها عمدا لم تَحِلّ ينظر : « تفسير ابن كثير » : (٣ ٣٢٤) ولمزيد من التوسع تراجع كتب الفروع .

(٣) لقول النَّبِيِّ « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ)) . أخرجه أبو داود في « سننه » : (٢٠٨٥) ، (٢ ٢٢٩) ، و الترمذي في « سننه » : (١١٠١) ، (٢ ٣٩٨) عن سيدنا أبي موسى الأشعري « رضي الله عنه » .

(٤) لقول النَّبِيِّ « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)). أخرجه الترمذي في « سننه » سنن الترمذي : (٢٤٧) ، (١ ٣٣٠) عن سيدنا عبادة بن الصامت « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه أبو داوود في « سننه » : (٤٦٠٧) ، (٤ ٢٠٠) و الترمذي في « سننه » : (٢٦٧٦) ، (٤ ٣٤١) عن سيدنا العرباض بن سارية « رضي الله عنه » وابن ماجه في « سننه » : (٤٦) ، (١ ١٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

(٦) **القياس** : هو الدليل الرابع من الأدلة الشرعية و هو ردُّ واقعةٍ غيرِ منصوصٍ عليها إلى واقعةٍ منصوص عليها؛ لاتفاقهما في العِلّة . ينظر : « غاية الوصول في شرح لب الأصول » (ص : ١١٥) ، و « حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع » : (٢ ٢٤٠) .

(٧) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٣٢) .

[مبحث الإمامة]

(وَمِنْهَا) أَيْ : مِنَ ٱلسَّمْعِيَّاتِ (**ٱلْإِمَامَةُ**)[1] وَهِيَ مَعَ كَوْنِهَا مِنَ ٱلْفُرُوعِ ٱلْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِ ٱلْمُكَلَّفِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ ٱلْقِيَامَ بِهَا ، وَنَصْبَ ٱلْإِمَامِ مِنْ فُرُوضِ ٱلْكِفَايَاتِ ٱلَّتِي هِيَ أُمُورٌ كُلِّيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَصَالِحَ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ ، لَا يَنْتَظِمُ ٱلْأَمْرُ إِلَّا بِحُصُولِهَا ، فَيُقْصَدُ تَحْصِيلُهَا فِي ٱلْجُمْلَةِ مِنَ / **ب ٢٣٣**/ غَيْرِ أَنْ يُقْصَدَ حُصُولُهَا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ ، وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ ٱلْعَمَلِيَّةِ دُونَ ٱلِاعْتِقَادِيَّةِ .

وَإِنَّمَا أُلْحِقَتْ بِهَذَا ٱلْفَنِّ لِمَا شَاعَ فِي بَابِهَا مِنِ ٱعْتِقَادَاتٍ فَاسِدَةٍ ، سِيَّمَا مِنْ فِرَقِ ٱلرَّوَافِضِ ، وَٱلْخَوَارِجِ ، وَمَالَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ إِلَىٰ تَعَصُّبَاتٍ تَكَادُ تُفْضِي إِلَىٰ رَفْضِ كَثِيرٍ مِنْ قَوَاعِدِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَنَقَضِ عَقَائِدِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱلْقَدْحِ فِي ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ .

وَهِيَ : (**رِئَاسَةٌ عَامَّةٌ فِي أُمُورٍ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ**) فَخَرَجَ مِثْلُ : ٱلْقَضَاءِ ، وَرِئَاسَةِ بَعْضِ ٱلنَّوَاحِي ، وَرِئَاسَةِ مَنْ جَعَلَهُ ٱلْإِمَامُ نَائِباً عَنْهُ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ [2].

(**خِلَافَةٌ عَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**) فِي إِقَامَةِ ٱلدِّينِ ، وَحِفْظِ ٱلْمِلَّةِ ، وَبِهِ[3] خَرَجَتِ ٱلنُّبُوَّةُ (**وَلِجَلْبِ مَنَافِعَ**) لَا تَكَادُ تُحْصَىٰ (**وَدَفْعِ مَضَارٍّ**) لَا تَخْفَىٰ ، مِمَّا لَا يَتُمُّ ٱلْإِجْتِمَاعُ ٱلْمُؤَدِي إِلَىٰ صَلَاحِ ٱلْمَعَاشِ وَٱلْمَعَادِ بِدُونِ مَنْ يَحْفَظُ ٱلْمَصَالِحَ ، وَيَدْرَءُ ٱلْمَفَاسِدَ ، وَمَا تَتَسَارَعُ إِلَيْهِ ٱلطِّبَاعُ ، وَتَتَنَازَعُ فِيهِ ٱلْأَطْمَاعُ ، وَكَفَاكَ بِهِ شَاهِداً مَا يُرَىٰ مِنَ ٱلْفِتَنِ وَٱلِابْتِلَاءِ بِٱلْمِحَنِ ، بِمُجَرَّدِ مَوْتِ مَنْ قَامَ

---

(١) **الإمامة** في اللغة : مصدر من الفعل (أمَّ) تقول : (أمَّهم وأمَّ بهم : تقدمهم ، وهي الإمامة ، والإمام : كل ما ائتم به من رئيس أو غيره وهو : كل من اقتدي به وقدم في الأمور غيره . ينظر : « القاموس المحيط » : (ص : ١٠٧٧) ، و « مقاييس اللغة » : (١ ٢٨) .

أما في الاصطلاح .. فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات ، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني ، ومن هذه التعريفات كما عرفها الماورديُّ في : « الأحكام السلطانية » : (ص : ١٥) : (**الإمامة** : موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) ، و إمام الحرمين الجويني في : « غياث الأمم في التياث الظلم » : (ص : ٢٢) : (**الإمامة** : رياسة تامة ، وزعامة عامة ، تتعلق بالخاصة والعامة ، في مهمات الدين والدنيا) ، والإيجي في : « المواقف » : (٣ ٥٧٤) : (هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة) .

(٢) وبقيد العموم خرج القضاء .

(٣) أي : قيد الخلافة .

بِحِمَايَةِ ٱلدِّينِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي مِنَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلسَّدَادِ ، وَلَمْ يَخْلُ عَنْ شَائِبَةِ شَرٍّ وَفَسَادٍ .

وَمِنْ ثُمَّ قَالَ عُثْمَانُ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ » : (مَا يَزَعُ ٱلسُّلْطَانُ أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ ٱلْقُرْآنُ ، وَمَا يَنْتَظِمُ بِٱللِّسَانِ لَا يَنْتَظِمُ بِٱلْبُرْهَانِ)[1].

(وَجَبَ) بَعْدَ ٱنْقِرَاضِ زَمَنِ ٱلنُّبُوَّةِ (**عَلَيْنَا شَرْعاً إِجْمَاعاً**)[2] مِنَ ٱلصَّحَابَةِ .. (**نَصْبُ إِمَامٍ**) لِكَوْنِهِ مُقَدِّمَةً لِمَا وَجَبَ مِنْ : إِقَامَةِ ٱلْحُدُودِ ، وَسَدِّ ٱلثُّغُورِ ، وَتَجْهِيزِ ٱلْجُيُوشِ لِلْجِهَادِ ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِحِفْظِ ٱلنِّظَامِ ، وَحِمَايَةِ بَيْضَةِ ٱلْإِسْلَامِ مِمَّا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِقَامَةِ إِمَامٍ ، وَمَا لَا يَتِمُّ ٱلْوَاجِبُ ٱلْمُطْلَقُ إِلَّا بِهِ .. فَوَاجِبٌ[3] .

حَتَّىٰ أَنَّ ٱلصَّحَابَةَ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ » .. جَعَلُوهُ مِنْ أَهَمِّ ٱلْوَاجِبَاتِ ، فَٱشْتَغَلُوا بِهِ عَنْ دَفْنِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَقَدْ رَوَى ٱلْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ / **أ ٢٣٤**/ قَالَ : يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَإِنَّ ٱللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، لَا بُدَّ لِهَٰذَا ٱلْأَمْرِ مَنْ يَقُومُ بِهِ ، فَٱنْظُرُوا وَهَاتُوا آرَاءَكُمْ ، فَقَالُوا : صَدَقْتَ)[4].

---

(١) ذكره ابن شبة في : « تاريخ المدينة » : (٩٨٨٣) عن سيّدنا عثمان « ضي الله عنه » قال : (لَمَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدُّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ) ، وابن عبد البر في : « التمهيد » : (١١٨١) : (أَنَّ عُثْمَانُ بْنَ عَفَّانَ « رضي الله عنه » كَانَ يَقُولُ : مَا يَزَعُ الْإِمَامُ أَكْثَرَ مِمَّا يَزَعُ القرءان ؛ أَيْ : مِنَ النَّاسِ قَالَ ابن القاسم : قُلْتُ لِمَالِكٍ : مَا يَزَعُ ، قَالَ : يَكُفُّ) .

(٢) قال الرازي : (أَمَّا الذين قالوا إنه يجب نصبه على العباد .. ففريقان : الأول : الذين قالوا : العقل لا يدل على هذا الوجوب ، وإنما الذي يدل عليه السمع ، وهذا قول أهل السنة ، وقول أكثر المعتزلة ، والزيدية ، والثاني : الذين قالوا : إن العقل يدل على أنه يجب علينا نصب الإمام ، وهو قول الجاحظ ، وأبي الحسين البصري ، وأما الذين قالوا : إنه يجب على الله تعالى نصب الإمام .. فهم فريقان الأول : الشيعة الذين قالوا : إنه يجب على الله تعالى نصب الإمام ليعلمنا معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة سائر المطالب ، والثاني : قول الاثنا عشرية الذين قالوا : يجب على الله تعالى نصبه ؛ ليكون لطفا لنا في فعل الواجبات العقلية ، وفي ترك القبائح العقلية ، وليكون أيضا حافظا للشريعة ومبينا لها) ينظر : « الاقتصاد في الاعتقاد » : (ص : ١٢٧) ، و « معالم أصول الدين » : (ص : ١٤١) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ٢٣٥) .

(٣) من القواعد الأصولية المهمة ينظر مزيد شرح لها في : « العدة في أصول الفقه » : (٢ ٤١٩) ، و « المستصفى » : (ص : ٥٧) .

(٤) صحيح البخاري : (٤٤٥٤) ، (٧٥) عن ابن عباس « رضي الله عنهما » .

وَلَوْ كَانَ مَنْ يُنْصبُ لِلإِمَامَةِ (**مَفْضُولاً**)[1] مَعَ وُجُودِ أَفْضَلَ ؛ إِذْ قَدْ يَكُونُ عَلَى ٱلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ ٱلْمُلْكِ وَٱلدِّينِ أَقْدَرُ ، وَلانْتِظَامِ حَالِ ٱلرَّعِيَّةِ أَوْفَقُ ، وَلِانْدِفَاعِ ٱلْفِتْنَةِ أَوْثَقُ ، مَعَ إِجْمَاعِ [2] ٱلْعُلَمَاءِ بَعْدَ [3] ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ عَلَىٰ وِلَايَةِ بَعْضٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، مَعَ وُجُودِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ ، وَقَدْ جَعَلَ عُمَرُ « رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ » ٱلْأَمْرَ شُورَىٰ بَيْنَ سِتَّةٍ مِنْهُمْ : عُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَهُمَا أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِمَا « رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا » وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ .

(**مُسْلِماً**) ؛ إِذْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً .

وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ أَحْوَالٌ وَرَدَتْ مُخْبِرَةً بِمَا يُشْتَرَطُ فِي ٱلْإِمَامِ :

(**ذَكَراً**) ؛ لِنَقْصِ عُقُولِ ٱلنِّسَاءِ وَدِينِهِنَّ ، وَمَنْعِهِنَّ مِنَ ٱلْخُرُوجِ إِلَىٰ مَشَاهِدِ[4] ٱلْحُكْمِ وَمَعَارِكِ ٱلْحُرُوبِ.

(**حُرّاً**) ؛ لِاشْتِغَالِ ٱلْعَبْدِ بِخِدْمَةِ سَيِّدِهِ ، وَٱحْتِقَارِهِ فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ .

(**مُكَلَّفاً**) ؛ لِقُصُورِ غَيْرِهِ ؛ كَٱلصَّبِيِّ وَٱلْمَعْتُوهِ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِٱلْأُمُورِ عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي عَدْلاً ؛ لِعَدَمِ صَلَاحِ ٱلْفَاسِقِ لِأُمُورِ ٱلدِّينِ مَعَ كَوْنِهِ لَا يُوثَقُ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَلِاخْتِلَالِ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ بِٱلظَّالِمِ ، مَعَ عَدَمِ صَلَاحِيَّتِهِ لِلْوِلَايَةِ أَلَيْسَ بِعَجِيبٍ ٱسْتِرْعَاءُ ٱلذِّئْبِ ؟.

(**مُجْتَهِداً**) فِي ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلْقِيَامِ بِٱلْأُمُورِ ، مِنْ إِقَامَةِ ٱلْحُجَجِ ، وَدَفْعِ ٱلشُّبَهِ فِي ٱلْعَقَائِدِ ، وَٱسْتِقْلَالِهِ بِٱلْفُتْوَىٰ فِي ٱلنَّوَازِلِ ، وَأَحْكَامِ ٱلْوَقَائِعِ نَصّاً وَٱسْتِنْبَاطاً ؛ إِذْ أَهَمُّ مَقَاصِدِ ٱلْإِمَامَةِ حِفْظُ ٱلْعَقَائِدِ ، وَفَصْلُ ٱلْحُكُومَاتِ ، وَرَفْعُ ٱلْمُخَاصَمَاتِ .

(**شُجَاعاً**) حَذَراً مِنْ جُبْنِهِ عِنْدَ إِقَامَةِ ٱلْحُدُودِ ، وَمُقَاوَمَةِ ٱلْخُصُومِ .

(**ذَا رَأْيٍ**) فِي تَدْبِيرِ ٱلْأُمُورِ (**سَمِيعاً ، بَصِيراً ، نَاطِقاً**) ؛ لِأَنَّ أَضْدَادَهَا نَقْصٌ يُخِلُّ بِأَمْرِ ٱلدِّينِ .

---

(١) **المفضول** : هو الذي فضله غيره . ينظر : « لسان العرب » : (١١ ٥٢٤) ، و « تاج العروس » : (٣٠ ١٧٩) . ، « تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » : (ص : ٤٧٥) ، و « المواقف » : (٣ ٦٤١) .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) في (ب) (اجماع) .

(٤) في (ب) (مشاهدة) .

(**وَقُرَشِيّاً**)[١] ؛ أَيْ : مِنْ وَلَدِ ٱلنَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ؛ لِرُجُوعِ أَنْسَابِ قُرَيْشٍ وَٱنْتِهَائِهَا إِلَيْهِ[٢] / ب ٢٣٤/ (**إِجْمَاعاً**) .

وَلِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((**ٱلْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**))[٣] ، ((إِنَّ هَذَا ٱلْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ))[٤] ، ((لَا يَزَالُ هَذَا ٱلْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ ٱثْنَانِ))[٥] ، ((**ٱلْوِلَايَةُ فِي قُرَيْشٍ مَا أَطَاعُوا ٱللهُ** وَٱسْتَقَامُوا لِأَمْرِهِ))[٦] ، ((**قَدِّمُوا قُرَيْشاً** ، وَلَا تَقَدَّمُوهَا))[٧] ، ((ٱلنَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ))[٨] .

وَلِأَنَّ لِشَرَفِ ٱلنَّسَبِ أَثَراً فِي جَمْعِ ٱلْأَمْرِ وَٱلِانْقِيَادِ .

---

(١) هذا الشرط من الشروط التي وردت النصوص عليه صريحة ، وانعقد إجماع الصحابة والتابعين عليه ، وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين ، ولم يخالف في ذلك إلا النزر اليسير لكثرة الأدلة في ذلك فمن السنة ما ذكره الشيخ في المتن و أما الإجماع .. فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم : **القاضي عياضٌ** في : « إكمال المعلم بفوائد مسلم » : (٦ ٢١٤) قال : (حجة أن الخلافة لقريش ، وهو مذهب كافة المسلمين وجماعتهم) ، و **النوويُّ** في « المنهاج » : (١٢ ٢٠٠) حيث قال : (أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة) ، والماوردي : في « الأحكام السلطانية » : (ص: ٢٠) ، و **الإيجيُّ** في : « المواقف » : (٣ ٥٨٥) ، و **التفتازانيُّ** في : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٤٤) : قال : (واتفقت الأمة على اشتراط كونه قرشيا ؛ أي : من أولاد نضر بن كنانة) ، وينظر : «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » : (ص : ٤٧١) ، و «أصول الدين » للغزنوي (ص : ٢٧٣) ، و « غاية المرام في علم الكلام » : (ص : ٣٨٣) .

(٢) ينظر : « الأنساب » : (١ ١٧) ، (١٠ ٣٩٩) .

(٣) أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » : (٥٩٠٩) ، (٥ ٤٠٥) و الإمام أحمد في « مسنده » : (١٢٣٠٧) ، (١٩ ٣١٨) والبيهقي في « السنن الكبرى » : (٥٣٦٣) ، (٦ ٨١) و الطبراني في « المعجم الكبير» : (٧٢٥) ، (١ ٢٥٢) سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٥٠٠) ، (٤ ١٧٩) عن سيدنا معاوية « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٥٠١) ، (٤ ١٧٩) ومسلم في « صحيحه » : (١٨٢٠) ، (٣ ١٤٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » .

(٦) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » : (١٦٥٣٧) ، (٨ ٢٤٦) عن سيدنا عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » .

(٧) أخرجه البزار في « مسنده » : (٤٦٥) ، (٢ ١١٢) ، والإمام أحمد في « فضائل الصحابة » : (١٠٦٦) ، (٢ ٦٢٢) والبيهقي في « شعب الإيمان » : (١٤٩٠) ، (٣ ١٥٥) والإمام الشافعي في « مسنده » : (ص ٢٧٨) . والحديث : ضعيف ، ينظر : « التلخيص الحبير» : (٢ ٩٧) .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٤٩٥) ، (٤ ١٧٨) ومسلم في « صحيحه » : (١٨١٨) ، (٣ ١٤٥١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(**وَخُولِفَ**) ؛ أَيْ : خَالَفَ ٱلْخَوَارِجُ ، وَأَكْثَرُ ٱلْمُعْتَزِلَةِ[1] فِي ٱشْتِرَاطِ كَوْنِهِ قُرَشِيّاً ؛ بِنَحْوِ مَا رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : ((**ٱسْمَعْ وَأَطِعْ ، وَلَوْ عَبْداً** حَبَشِيّاً كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ))[2] ، ((أُوصِيكُمْ بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ))[3] .

(**وَرُدَّ : بِحَمْلِهِ عَلَىٰ مَنْ نَصَبَّهُ ٱلْإِمَامُ أَمِيراً**) دَفْعاً لِتَعَارُضِ ٱلْأَدِلَّةِ ؛ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ ٱلْحَاكِمِ : ((ٱلْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ أَبْرَارُهَا أُمَرَاءُ أَبْرَارِهَا ، وَفُجَّارُهَا أُمَرَاءُ فُجَّارِهَا ، وَلِكُلٍّ حَقٌّ فَآتُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَإِنْ أَمَّرَتْ عَلَيْكُمْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا فَٱسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا))[4] .

فَإِنْ فُقِدَ قُرَشِيٌّ بِهَذِهِ ٱلصِّفَاتِ ؛ كَأَنْ كَانَ فَاسِقاً ، أَوْ جَاهِلاً ، أَوْ جَائِراً .. (**فَمِنْ**) وَلَدِ (**كِنَانَةَ**) بن خزيمة بْنِ مُدْرِكَةَ يُقَامُ مَنِ ٱسْتَجْمَعَهَا (**فَإِنْ**) فُقِدَ فَمِنْ وَلَدِ (**إِسْمَاعِيلَ**) بْنِ إِبْرَاهِيمَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، فَإِنْ فُقِدَ (**فَمِنَ ٱلْعَجَمِ ، فَإِنْ عُجِزَ**) عَنْ إِقَامَةِ إِمَامٍ مِمَّنْ ذُكِرَ .. (**فَذُو شَوْكَةٍ**) ظَالِماً ، أَوْ غَيْرُهُ ، تَوَلَّىٰ قَهْراً ، أَوْ بِوُجُوهِ ٱلنَّاسِ ، وَنُفِّذَ حُكْمُهُ لِلضَّرُورَةِ ٱلدِّينِيَّةِ[5] وَلَمْ يَعْبَأْ بِعَدَمِ عِلْمِهِ وَعَدَالَتِهِ مِمَّا شُرِطَ فِيهِ ، وَٱلضَّرُورَاتُ تُبِيحُ ٱلْمَحْظُورَاتُ[6].

(**وَٱنْعَزَلَ**) ذُو شَوْكَةٍ (**بِقَهْرِهِ**) أَيْ : بِمُجَرَّدِ قَهْرِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ ، وَصَارَ مَنْ قَهَرَهُ إِمَاماً .

(**وَشَرَطَ ٱلشِّيعَةُ**) وَهُمُ ٱلَّذِينَ شَايَعُوا عَلِيّاً ؛ أَيْ : تَبِعُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَزَعَمُوا : أَنَّهُ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَ

---

(١) نقل رأي الخوارج الشهرستاني في : « الملل والنحل » : (١ ١١٦) فقال : (إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ، وكل من نصبوه برأيهم ، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إمامًا) ، وعن رأي المعتزلة قال في : « الملل والنحل » : (١ ٩١) : (والمعتزلة ؛ أي : جمهورهم وإن جوزوا الإمامة في غير قرشي ، إلا أنهم لا يجيزون تقديم النبطي على القرشي) ، ومن الأشاعرة إمام الحرمين الجويني حيث مال إلى عدم اشتراطه ، حيث قال في : « غياث الأمم في التياث الظلم » : (ص : ٨٠) : (وهذا مسلك لا أوثره ، فإن نقلة هذا الحديث معدودون لا يبلغون مبلغ عدد التواتر والذي يوضح الحق في ذلك : أنا لا نجد في أنفسنا ثلج الصدور واليقين المثبوت بصدد هذا في رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، كما لا نجد ذلك في سائر أخبار الآحاد ، فإذًا لا يقتضي هذا الحديث العلم باشتراط النسب في الإمامة) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٧١٤٢) ، (٩ ٦٢) . بلفظ : عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشي ، كأن رأسه زبيبة » .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (١٢٩٨) ، (٢ ٩٤٤) عن سيدتنا أم الحصين « رضي الله عنه » بلفظ : « إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا » .

(٤) المستدرك على الصحيحين : (٦٩٦٢) ، (٤ ٨٥) عن سيدنا علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » .

(٥) في (ب) (سقطت) .

(٦) من القواعد الأصولية المهمة ، ينظر : مزيد شرح لها في : « الموافقات » : (٥ ٩٩) ، و« شرح القواعد الفقهية » : (ص : ١٨٥) .

ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَأَنَّ ٱلْإِمَامَةَ لَا تَخْرُجُ عَنْهُ وَعَنْ بَيْتِهِ ، وَهُمْ ٱثْنَانِ وَعُشْرُونَ فِرْقَةً يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، أُصُولُهُمْ ثَلَاثُ فِرَقٍ : غُلَاةٌ [(١)]، وَزَيْدِيَّةٌ [(٢)] ، وَإِمَامِيَّةٌ [(٣)].

(**كَوْنَهُ**) أَيِ : ٱلْإِمَامُ (**أَفْضَلَ**) أَهْلِ زَمَانِهِ ؛ لِقُبْحِ تَقْدِيمِ ٱلْمَفْضُولِ عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْهُ / **أ ٢٣٥**/ فِي إِقَامَةِ قَوَانِينِ ٱلشَّرِيعَةِ ، وَحِفْظِ حَوْزَةِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَعُزِيَ لِلشَّيْخِ[(٤)] ؛ لِأَنَّ ٱلْأَفْضَلَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلِانْقِيَادِ لَهُ ، وَٱجْتِمَاعِ ٱلْأَرَاءِ عَلَىٰ مُتَابَعَتِهِ ؛ وَلِأَنَّ ٱلْإِمَامَةَ خِلَافَةٌ عَنِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. فَيَجِبُ أَنْ يُطْلَبَ لَهَا ذُو رُتْبَةٍ أَعْلَىٰ (**قِيَاساً عَلَى ٱلنُّبُوَّةِ**) بِجَامِعِ إِقَامَةِ ٱلشَّرِيعَةِ ، وَتَنْفِيذِ ٱلْأَحْكَامِ ، وَحِمَايَةِ حَوْزَةِ ٱلدِّينِ.

وَكَوْنَهُ (**هَاشِمِيّاً**) ؛ أَيْ : مِنْ بَنِي هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ شُبْهَةٌ ، فَضْلاً عَنْ حُجَّةٍ ، بَلْ قَصَدُوا بِهِ نَفْيَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، وَكَفَاكَ ٱلْإِجْمَاعُ عَلَىٰ خِلَافَتِهِمْ حُجَّةً .

(**بَلْ**) كَوْنَهُ (**عَلَوِيّاً**) أَيْ : مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ ؛ نَفْياً لِخِلَافَةِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ.

(**وَ**) كَوْنُهُ (**مَعْصُوماً**) بِأَنْ لَا يَخْلُقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ ذَنْباً (**لِحِفْظِهِ ٱلشَّرِيعَةَ**) فَلَوْ جَازَ عَلَيْهِ ٱلْخَطَأُ لَكَانَ نَاقِصاً لَا ، حَافِظاً .

(**وَوُجُوبَ طَاعَتِهِ**) نَصّاً وَإِجْمَاعاً ، وَكُلُّ مَنْ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ .. وَجَبَتْ عِصْمَتُهُ وَإِلَّا جَازَ كَذِبُهُ فِي

---

(١) **الغلاةُ** : هؤلاء غلوا في حق الأئمة حتى أخرجوهم من حدود البشر ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، ومن المبادئ التي ظهرت في فقرقهم هي : التشبيه ، والحلول ، والتناسخ ، والبداء ، والتأويل ، والإلحاد . ينظر : « الفرق بين الفرق » : (ص : ٢٢٧) ، « الملل والنحل » : (١ ١٤٦) .

(٢) **الزيديّة** : هم اتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين قالوا بإمامته وهم فرق منها : الجارودية، و السليمانية ، والبترية . ينظر : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » : (ص : ٣٣) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص : ٢٢) ، و« الملل والنحل » : (١ ١٥٤) .

(٣) **الإماميَّة** : وسموا بذلك لأن جميع فرقهم على أن النبي « صلى الله عليه وسلم » نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه وهم فرق كثيرة منها : الإسماعلية ، والاثنا عشرية . ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (١ ٣٣) ، و « الملل والنحل » : (١ ١٤٦) .

(٤) ذهب إلى اشتراط أن يكون الإمام أفضلَ أهل عصره طوائف من الأشاعرة ، وبعض المعتزلة وبعض الخوارج وجميع الشيعة إلا بعض الزيدية ، فمن الأشاعرة أبو الحسن الأشعري « رحمه الله » نقَلَ عَنْه ذلك عبد القاهر البغدادي في : « أصول الدين » : (ص : ٢٩٣) : (فقال أبو الحسن الأشعري : يجب ان يكون الإمام أفضل أهل زمانه فى شروط الإمامة ، ولا ينعقد الإمامة لأحد مع وجود من هو أفضل منه فيها) ومن المعتزلة النظّام والجاحظ حيث نقل عنهما قولهما البغدادي : (أن الإمامة لا يستحقها إلاّ الأفضل ، ولا يجوز صرفها الى المفضول) ينظر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤ ١٢٦) ، « الأحكام السلطانية » : (ص : ٢٧) ، و « شرح المقاصد » : (٥ ٢٤٦) ، « كشف المراد شرح تجريد الإعتقاد » : (ص : ٣٩٢) .

تَقْرِيرِ ٱلْأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي فَيَنْتَهِي عَنِ ٱلطَّاعَةِ فَيَلْزَمُ ٱجْتِنَابُهَا ، وَيَأْمُرُ بِٱلْمَعْصِيَةِ فَيَلْزَمُ ٱرْتِكَابُهَا .

(**وَغَيْرُهُ**) ؛ أَيْ : غَيْرُ ٱلْإِمَامِ ٱلْمَعْصُومِ .. (**ظَالِمٌ**) ، وَكُلُّ ظَالِمٍ لَا (**يَنَالُ عَهْدَهَا**) أَيِ : ٱلْإِمَامَةَ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إِذْ هِيَ : ٱلْمُرَادُ بِقَرِينَةِ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .[1][2]

(**قُلْنَا**) : جَوَاباً عَنِ ٱلْأَوَّلِ :

(**ٱلْقِيَاسُ .. مَمْنُوعٌ**) لِفَقْدِ ٱلْجَامِعِ ؛ إِذِ ٱلنَّبِيُّ مَبْعُوثٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مَقْرُونٌ دَعْوَاهُ بِمُعْجِزَاتٍ دَالَّةٍ عَلَىٰ عِصْمَتِهِ مِمَّا يُخِلُّ بِمَرْتَبَةِ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمَنْصِبِ ٱلرِّسَالَةِ ؛ كَٱلْكَذِبِ ، وَلَا كَذَٰلِكَ ٱلْإِمَامُ ؛ فَإِنَّ نَصْبَهُ مُفَوَّضٌ إِلَىٰ عِبَادٍ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ عِصْمَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةِ سَرِيرَتِهِ ، مَعَ أَنَّهُ يَجِيءُ بِشَرِيعَةٍ لَا عِلْمَ لَنَا بِهَا إِلَّا مِنْهُ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُوماً فِي تَبْلِيغِهَا ، وَقَدْ لَزِمَنَا ٱمْتِثَالُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ؛ لَكَانَتْ مُعْجِزَتُهُ ٱلَّتِي أَقَامَهَا ٱللهُ لِصِحَّةِ رِسَالَتِهِ وَهُدَاهُ ، وَٱنْتِظَامِ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .. مُفْضِيَةً إِلَى ٱلضَّلَالَةِ وَٱلرَّدَىٰ ، وَٱخْتِلَالِ أَمْرِ ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلْعُقْبَىٰ .

(**وَ**) عَنِ ٱلثَّانِي : (**حِفْظُهُ لَهَا**) أَيِ : ٱلشَّرِيعَةِ لَيْسَ بِذَاتِهِ بَلْ (**بِٱلْأَدِلَّةِ**) مِنَ ٱلْكِتَابِ ، وَٱلسُّنَّةِ ، وَإِجْمَاعِ ٱلْأُمَّةِ ، وَٱجْتِهَادِهِ ٱلصَّحِيحِ ؛ فَإِنْ أَخْطَأَ / **ب ٢٣٥**/ وَٱرْتَكَبَ مَعْصِيَةً .. رَدَّهُ ٱلْمُجْتَهِدُونَ ، وَٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَإِلَّا فَلَا نَقْضَ لِلشَّرِيعَةِ ، وَلَا نَقْصَ عَلَيْهَا .

وَعَنِ ٱلثَّالِثِ : (**إِنَّمَا يُطَاعُ فِيمَا لَا يُخَالِفُهَا**) أَيِ : ٱلشَّرِيعَةَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهَا ، وَعِنْدَ ٱلْمُخَالَفَةِ يُرْجَعُ إِلَى ٱلْأَدِلَّةِ وَٱلِاجْتِهَادِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[3] وَيَكْفِي فِي عَدَمِ كَذِبِهِ فِي بَيَانِ ٱلْأَحْكَامِ ٱلْعِلْمُ وَٱلْعَدَالَةُ ، وَهَٰذَا مَا يُقَالُ إِنَّمَا تَجِبُ عِصْمَتُهُ لَوْ كَانَ وُجُوبُ طَاعَتِهِ بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ لِكَوْنِهِ حُكْمَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ .. فَيَكْفِي ٱلْعِلْمُ وَٱلْعَدَالَةُ ؛ كَٱلْقَاضِي وَٱلْوَالِي بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْخَلْقِ ، وَٱلشَّاهِدِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْحَاكِمِ ، وَٱلْمُفْتِي بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْمُقَلِّدِ .

---

(١) سورة البقرة : (١٢٤) .

(٢) ينظر : « مقالات الإسلاميين » : (٢ ٣٤٤) ، و« المواقف » : (٣ ٥٨٥) ، و« شرح المقاصد » : (٥ ٢٤٦) .

(٣) سورة النساء : (٥٩) .

(وَ) عَنِ ٱلرَّابِعِ : أَنَّ غَيْرَ ٱلْمَعْصُومِ ؛ أَيْ : مَنْ لَيْسَ لَه مَلَكَةُ ٱلْعِصْمَةِ ، لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَاصِياً بِٱلْفِعْلِ (**إِذْ عَدَمُ ٱلْعِصْمَةِ .. لَا يُوجِبُ ٱلْمَعْصِيَةَ**) فَضْلاً عَنِ ٱلظُّلْمِ(١) ؛ لِأَنَّ ٱلْمَعْصِيَةَ أَعَمُّ مِنَ ٱلظُّلْمِ ، وَلَيْسَ كُلُّ عَاصٍ ظَالِماً عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَدَلَالَةُ ٱلْآيَةِ عَلَىٰ صِدْقِ ٱلْكُبْرَىٰ(٢) .. لَا يَتِمُّ ؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ عَهْدَ ٱلنُّبُوَّةِ ؛ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ ٱلْمُفَسِّرِينَ (٣) .

(**وَتَثْبُتُ**) ؛ أَيِ : ٱلْإِمَامَةُ (**بِأَهْلِ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ**) مِمَّنْ يَتَيَسَّرُ حُضُورُهُ ؛ كَٱلْعُلَمَاءِ ، وَوُجُوهِ ٱلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ ٱشْتِرَاطِ عَدَدٍ مَحْدُودٍ ، وَٱتِّفَاقٍ فِي سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ، وَلَوْ كَانَ ٱلْقَائِمُ بِعَقْدِهَا (**وَاحِداً**) مِنْهُمْ مُطَاعاً ، وَوَجَبَتْ طَاعَةُ مَنْ بَايَعَ لَهُ (**لِاكْتِفَائِهِمْ**) ؛ أَيِ : ٱلصَّحَابَةِ (**بِعُمَرَ**) فِي بَيْعَتِهِ (**لِأَبِي بَكْرٍ**) بَعْدَ أَنْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدَةَ : ٱبْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ ، فَقَالَ : لَا ، تَقُولُ هٰذَا وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرٌ .. فَبَايَعَ أَبَا بَكْرٍ (٤) .

وَبِعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لِعُثْمَانَ(٥) ، وَلَمْ يَرَوْا فِي عَقْدِهَا إِجْتِمَاعُ مَنْ فِي ٱلْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ.

(**وَلَمْ يُنْكَرْ**) عَقْدُ عُمَرَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ لِعُثْمَانَ .. فَكَانَ إِجْمَاعاً مِنْهُمْ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ٱلشَّيْخُ (٦) ، إِلَّا أَنَّهُ ٱشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ عَقْدُهَا بِمَشْهَدٍ مِنَ ٱلشُّهُودِ ؛ حَذَراً مِنْ أَنْ يَدَّعِيَ آخَرُ أَنَّهُ عَقَدَ عَقْداً سِرّاً مُتَقَدِّماً عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَدَدُ مَنْ يَحْضُرُ خَمْسَةٌ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ أَخْذاً مِنْ أَمْرِ ٱلشُّورَىٰ .

---

(١) في (ب) (الظالم) والمثبت هو الصواب .

(٢) قال التفتازانيُّ في : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٥١) : (و الجواب أن غير المعصوم ؛ أي : من ليس له ملكة العصمة لا يلزم أن يكون عاصيا بالفعل ، فضلا أن يكون ظالما ، فإن المعصية أعمُّ من الظلم ، وليس كل عاص ظالما على الإطلاق ، ولو سلم فدلالة الآية على صدق الكبرى) ، أي : في القياس .

(٣) ينظر : « جامع البيان » : (٢ ٠٢) ، و « مفاتيح الغيب » : (٣ ٧٥٤) ، و « التفسير الوسيط » : (١ ٢٠٣) وغيرها .

(٤) ينظر : « صحيح البخاري » : (٦٨٣٠) ، (٨ ١٦٨) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » .

(٥) فقد روى البخاري في : « صحيحه » : (٧٢٠٧) ، (٩ ٧٨) عن سيدنا المسور بن مخرمة « رضي الله عنه » في قصة بيعة عثمان « رضي الله عنه » من حديث طويل وفيه أن عبد الرحمن بن عوف قال : (أما بعد ، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلا ، فقال : أبايعك على سنة الله ورسوله ، والخليفتين من بعده ، فبايعه عبد الرحمن ، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار ، وأمراء الأجناد والمسلمون) .

(٦) وقد عزا هذا القول إلى أبي الحسن الأشعري البغداديُّ في : « أصول الدين » : (ص :٢٨٠) ، والغزاليُّ في : « فضائح الباطنية» :(ص : ١٧٦) حيث قال : (وَالَّذِي نختاره انه يَكْتَفِي بشخص وَاحِد يعْقد الْبيعَة للامام) ، وبهذا القول قال إمام الحرمين في : « غياث الأمم في التياث الظلم » : (ص : ٦٩) حيث قال : (وأقرب المذاهب ما ارتضاه القاضي أبو بكر ، وهو المنقول عن شيخنا أبي الحسن « رضي الله عنهما » وهو أن الإمامة تثبت بمبايعة رجل واحد من أهل العقد).

أَوْ (**بِعَهْدٍ**) مِنَ ٱلإِمَامِ ٱلآخَرِ ؛ لِأَنَّهُ حَالَ عَهْدِهِ لَهُ / **أ ٢٣٦**/ . نَافِذُ ٱلتَّصَرُّفِ ، وَلَوْ كَانَ ٱلْعَهْدُ مِنْهُ شُورَىٰ وَاقِعاً عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْمَشُورَةِ بَيْنَهُمْ ، وَٱلْمَعْهُودُ إِلَيْهِ غَيْرُ مُعَيَّنٍ فَيَتَشَاوَرُونَ وَيَتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَحَدِهِمْ ؛ كَمَا وَقَعَ لِعُثْمَانَ فِي جَعْلِ عُمَرَ ٱلْأَمْرَ (**شُورَىٰ**) بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَطَلْحَةَ ، وَٱلزُّبَيْرِ ، وَسَعْدٍ وَعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ . . فَٱخْتَارَهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ [1].

(**وَقَهْرٍ**) أَيْ : وَتَثْبُتُ ٱلْإِمَامَةُ [2] لِمَنْ تَصَدَّىٰ لَهَا بِلَا بَيْعَةٍ وَٱسْتِخْلَافٍ ، بِقَهْرِهِ ٱلنَّاسَ بِشَوْكَتِهِ ، وَلَوْ كَانَ (**فَاسِقاً ، أَوْ جَاهِلاً**) .

(**وَإِثْمٍ**) ؛ لِعِصْيَانِهِ بِفِعْلِهِ هَذَا ، وَتَجِبُ طَاعَتُهُ مَا لَمْ يُخَالِفْ حُكْمَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، سَوَاءٌ كَانَ عَادِلاً ، أَوْ جَائِراً .

وَلَا يَجُوزُ نَصْبُ إِمَامَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَلَا يَصِيرُ بِمُجَرَّدِ ٱجْتِمَاعِ شُرُوطِهَا فِيهِ إِمَاماً [3] .

---

(١) روى البخاري في : « صحيحه » : (١٣٩٢) ، (٣٠٢ ١) عن سيدنا عمرو بن ميمون حديثًا طويلًا ذكر فيه تفاصيل طعن عمر « رضي الله عنه » ، ثم حمله إلى بيته ثم دخولهم عليه وفيه : (فقالوا : أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلف ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو عنهم راض ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا ، فسمى عثمان ، وعليا ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص) .

(٢) في (ب) (بقهر) .

(٣) مذهب جماهير المسلمين من أهل السنة والجماعة وغيرهم ، قديمًا وحديثًا وهو أنه : لا يجوز تعدد الأئمة في زمن واحد وفي مكان واحد ، قال الماوردي في : « الأحكام السلطانية » :(ص : ٢٩) : (إذا عقدت الإمامة لإمامين في بلدين لم تنعقد إمامتهما ، لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد ، وإن شذ قوم فجوزوه) ، وقال النووي في : « المنهاج » : (١٢ ٢٣٢) : (اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد) ، وهناك من قال بالمنع إلا أن يكون هناك سبب مانع من الإتحاد على إمام واحد ، ويقتضي هذا السبب التعدد ، ففي هذه الحالة يجوز التعدد وذكر إمام الحرمين الجويني في : « غياث الأمم في التياث الظلم » : (ص : ١٧٥) أهم هذه الأسباب في قوله : (منها اتساع الخطة ، وانسحاب الإسلام على أقطار متباينة ، وجزائر في الحج متقاذفة ، وقد يقع قوم من الناس نبذة من الدنيا لا ينتهي إليهم نظر الإمام ، وقد يتولج خط من ديار الكفر بين خطة الإسلام ، وينقطع بسبب ذلك نظر الإمام عن الذين وراءه من المسلمين) ، وعزا هذا القول إلى شيخه أبي الحسن الأشعري ، والأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني ورجحه أبو منصور البغدادي في : « أصول الدين » : (ص: ٢٧٤) ، وإلى ذلك ذهب القرطبي في : « تفسيره » : (١ ٢٧٣) ، قال: (لكن إذا تباعدت الأقطار ، وتباينت كالأندلس وخراسان ، جاز ذلك) ، وقال البعض الاخر بجواز التعدد قال البغدادي في : « أصول الدين » : (ص: ٢٧٤) : (وزعم قوم من الكرّامية أنه يجوز ان يكون في وقت واحد إمامان وأكثر) .

(وَيَنْعَزِلُ) ٱلْإِمَامُ (بِرِدَّةٍ [١]، وَجُنُونٍ ، وَأَسْرٍ لَا يُرْجَىٰ خَلَاصُهُ) مِنْهُ (وَمَرَضٍ يُنْسِيهِ ٱلْعُلُومَ ، وَعَمًى، وَصَمَمٍ ، وَخَرَسٍ) لِزَوَالِ مَقْصُودِهَا بِذَلِكَ كُلِّهِ (وَخَلْعِهِ نَفْسَهُ) لِعَجْزٍ مِنْهُ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِراً بَلِ ٱسْتَشْعَرَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَعَلَيْهِ حُمِلَ خَلْعُ ٱلْحَسَنِ [٢] نَفْسَهُ [٣] (لَا) أَنْ عَزَلَ نَفْسَهُ (بِلَا سَبَبٍ ، وَإِغْمَاءٍ وَفِسْقٍ) [٤]لِمَا فِي عَزْلِهِ مِنَ خَوْفِ ٱلْفِتْنَةِ ، فَإِنْ أَمْكَنَ عَزْلُهُ بِٱلْفِسْقِ بِلَا فِتْنَةٍ عُزِلَ .

(وَيُرْدَعُ) كَمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ : (بِظُلْمٍ وَغُشْمٍ) ظَهَرَ مِنْهُ (فَلَوْ) كَانَ رَدْعُهُ (بِسِلَاحٍ) وَنَصْبِ حَرْبٍ إِنْ لَمْ يَرْتَدِعْ [٥].

(ثُمَّ ٱلْأَكْثَرُ) مِنْ أَصْحَابِنَا ، وَٱلْمُعْتَزِلَةِ ، وَٱلْخَوَارِجِ علَىٰ (أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لَمْ يَنُصَّ عَلَىٰ إِمَامٍ بَعْدَهُ [٦]، وَزَعَمَ « ٱلْحَسَنُ » ٱلْبَصْرِيُّ » أَنَّهُ نَصَّ عَلَىٰ (أَبِي بَكْرٍ) نَصّاً (خَفِيّاً [٧]) أَيْ : غَيْرَ ظَاهِرِ ٱلْمُرَادِ مِنْهُ ، وَهُوَ : تَقْدِيمُهُ إِيَّاهُ فِي ٱلصَّلَاةِ بِٱلنَّاسِ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ[٨] ، وَلَمْ يَعْزِلْهُ فَبَقِيَ بَعْدَهُ

---

(١) **الرِّدة** : هي قطع الإسلام بنية ، أو قول كفر ، أو فعل ، سواء قاله : استهزاء ، أو عنادا ، أو اعتقادا .ينظر : « منهاج الطالبين وعمدة المفتين » : (ص : ٢٩٣) .

(٢) هو سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، ولد في المدينة المنورة ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله « صلّى الله عليه وسلم » وهو أكبر أولادها وأولهم ، توفي سنة : (٥٠ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ١٣) ، و « سير أعلام النبلاء » : (٣ ٢٤٥) .

(٣) **ينظر** : « صحيح البخاري » : (٧٠٤) ، (٣ ١٨٦) ، و « البداية والنهاية » : (٨ ٢٣) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) ينظر : « غياث الأمم في التياث الظلم » : (ص : ١٢٤) .

(٦) قال البغدادي في : « أصول الدين » : (ص : ٢٧٩) : (واختلفوا فى طريق ثبوت الإمامة من نص أو اختيار : فقال الجمهور الاعظم من أصحابنا ، ومن المعتزلة ، والخوارج ، والنجارية أن طريق ثبوتها الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيارهم من يصلح لها) ، و قال الشهرستاني ناقلا رأي الأشاعرة : (الإمامة تثبت بالاتفاق والأختيار دون النص والتعيين) ، « الملل والنحل » : (١ ١٠٣) : (الملل والنحل (١ ١٠٣) : ، قال التفتازاني في : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٥٩) : (ذهب جمهور أصحابنا والمعتزلة والخوارج إلى أن النبي « صلى الله عليه وسلم » لم ينص على إمام بعده) .

(٧) ينظر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤١٠٧) ، و « منهاج السنة » : (١١٣٤– ١٣٥)، « تفسير القرآن العظيم » : (١١٢٥) .

(٨) أخرج البخاري في : « صحيحه » : (٦٦٤) ، (١ ١٣٣) ، و مسلم في : « صحيحه » (٤١٨) ، (١ ٣١٣) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » قالت : (لمَّا مرض رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مرضه الذي مات فيه ، فحضرت الصلاة ، فأذن فقال : ((مروا أبا بكر فليصل بالناس)) ، فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، وأعاد .. فأعادوا له ، فأعاد الثالثة ، فقال : ((إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس)) .

إِمَاماً فِيهَا فَكَذَا فِي غَيْرِهَا ؛ إِذْ لَا قَائِلَ فِي ٱلْفَصْلِ ، وَمِنْ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ « رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ » : (قَدَّمَكَ رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي أَمْرِ دِينِنَا ، أَفَلَا نُقَدِّمُكَ فِي أَمْرِ دُنْيَانَا)[1] .

وَتَأْمِيرُهُ إِيَّاهُ عَلَى ٱلْحُجَّاجِ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ ، وَلَمْ يَعْزِلْهُ[2].

وَكَذَبَ ٱلشِّيعَةُ ؛ بِقَوْلِهِمْ : عَزَلَهُ عَنِ ٱلصَّلَاةِ ؛ بِشَهَادَةِ رِوَايَةِ « ٱلبخاري » : (أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي ٱلنَّاسِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ « صَلَّى ٱللهُ / ب ٢٣٦/ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي ٱلصَّلَاةِ .. فَكَشَفَ سِتْرَ حُجْرَتِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مِصْحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِيبَيْهِ وَظَنَّ أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ، وَأَرْخَى ٱلسِّتْرَ ، وَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ)[3].

وَفِي رِوَايَةٍ : (وَأَرْخَى ٱلْحِجَابَ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ مَاتَ)[4]، وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ : (لَمْ يُصَلِّ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » خَلْفَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَّةِ ، إِلَّا خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَذَا خَلْفَ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي سَفَرٍ رَكْعَةً)[5].

وَفِي رِوَايَةٍ : (لَمَّا ثَقُلَ ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَنِ ٱلْخُرُوجِ .. أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَكَانَ يُصَلِّي بِٱلنَّاسِ ، وَرُبَّمَا خَرَجَ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فِي ٱلصَّلَاةِ .. فَصَلَّىٰ خَلْفَهُ ، وَلَمْ يُصَلِّ خَلْفَ غَيْرِهِ ، إِلَّا خَلْفَ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ فِي سَفَرٍ رَكْعَةً وَاحِدَةً)[6] .

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ مِنْ : (أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. أَمَرَهُ فِي مَرَضِهِ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَجَدَ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ ، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَٱلنَّاسُ يُصَلُّونَ

---

(١) ذكره الإمام أحمد في : « فضائل الصحابة » : (١ ١٣١) ، والآجري في : « الشريعة » : (٤ ١٧١٢) : (فقال : فيقوم علي في أوائل الناس فيقول : والله لا نقيلك ، ولا نستقيلك أبدا ، قدَّمك رسول « الله صلى الله عليه وسلم » تصلي بالناس ، فمن ذا يؤخرك ؟) .

(٢) اخرج مسلم في : « صحيحه » : (١٣٤٧) ، (٢ ٩٨٢) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » ، قال : (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، قبل حجة الوداع) ثم ذكر بقية الحديث .

(٣) صحيح البخاري : (٦٨٠) ، (١ ١٣٦) عن سدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٤) صحيح البخاري : (٦٨١) ، (١ ١٣٧) عن سدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٥) ينظر : « السيرة الحلبية » : (٣ ١٩٢) .

(٦) ذكره المقريزي في « إمتاع الأسماع » : (١٤ ٤٥٨) .

بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ)[١] .. فَكَانَ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، وَتَأَخُّرُهُ لَيسَ عَزْلاً لَهُ ؛ بِشَهَادَةِ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لَهُ بَعْدُ : ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »))[٢] .

وَقِيلَ : عَنْ بَعْضِ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ نَصَّ عَلَيْهِ نَصّاً (**جَلِيّاً**) ؛ بِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((ٱئْتُونِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ .. أَكْتُبُ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَاباً لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ ٱثْنَانِ ، ثُمَّ قَالَ : يَأْبَى ٱللهُ وَٱلْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ))[٣][٤] .

(**وَقَوْلُ ٱلشِّيعَةِ**) أَنَّهُ نَصَّ (**عَلَىٰ عَلِيٍّ**)[٥] .. بِمُفْتَرَيَاتٍ مِنْهُمْ على ٱلنبي « صلى ٱلله عليه وسلم » ؛ كـ ((سَلِّمُوا عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ[٦] ٱلْمُؤْمِنِينَ)) مِمَّا سَيَأْتِي .. (**قَدْحٌ فِي أَكَابِرِ ٱلصَّحَابَةِ ، جَهْلاً**) مِنْهُمْ بِعَظِيمِ قَدْرِهِمْ وَشَرِيفِ مَنْصِبِهِمْ (**أَوْ عِنَاداً**) وَنِسْبَتَهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ مُخَالَفَةِ ٱلْحَقِّ وَكِتْمَانِهِ ، بَلْ قَدْحٌ (**فِي عَلِيٍّ ؛ إِذْ لَمْ يَقُمْ بِٱلْأَمْرِ**) وَلَمْ يَحْتَجَّ بِٱلنَّصِ مُرْتَكِباً / **أ ٢٣٧**/ ٱلْبَاطِلَ بِٱنْقِيَادِهِ وَإِذْعَانِهِ .

(**بَلْ**) قَدْحٌ (**فِي ٱللهِ**) تَعَالَىٰ (**وَرَسُولِهِ ؛ لِثَنَائِهِمَا عَلَيْهِمْ**) إِذْ قَدْ وَصَفَهُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُمْ : ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾[٧] ، وَبِأَنَّهُمْ : ﴿ **تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا** ﴾[٨] وَٱتَّخَذَهُمْ رَسُولُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أَصْحَاباً ، وَأَحْبَاباً ، وَأَعْوَاناً ، وَأَنْصَاراً ، وَأَخْتَاناً ، وَأَصْهَاراً[٩] مَعَ عِلْمِهِ بِحَالِهِمُ ٱبْتِدَاءً وَٱنْتِهَاءً .

---

(١) صحيح البخاري : (٦٦٤) ، (١ ١٣٣) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (١٢٣٤) ، (٢ ٧٠) عن سيدنا سهل بن سعد « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه البزار في « مسنده » : (٢٣٤) ، (١٨ ٢٢٥) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنه » .

(٤) ينظر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : (٤١٠٧) ، و « منهاج السنة » : (١١٣٤– ١٣٥)، « تفسير القرآن العظيم » : (١١٢٥) .

(٥) ينظر : « الإبانة عن أصول الديانة » : (ص : ٢٥٦) ، و « مقالات الإسلاميين » : (١ ٣٣) ، و « الفرق بين الفرق » : (ص : ٣٤٠) .

(٦) الإمرة بالكسر الإمارة من أمر الرجل صار أميرا. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢ ٥٨١)

(٧) سورة ال عمران : (١١٠) .

(٨) سورة الفتح : (٢٩) .

(٩) قال ابن الأعرابي : الصهر : زوج بنت الرجل ، وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ينظر : « مختار الصحاح » : (ص : ٨٨) ، و « تاج العروس » : (١٢ ٣٦٧) .

وَمِنْ مُفْتَرَيَاتِهِمْ : ٱدِعَاؤُهُمْ تَوَاتُرَهُ قُرْآناً ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشْتَهِرْ ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ مَعَ شِدَّةِ مَيْلِهِمْ إِلَىٰ عَلِيٍّ وَنَقْلِهِمْ مَا وَرَدَ كَثِيراً فِي مَنَاقِبِهِ وَكَمَالَاتِهِ ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي خُطَبِهِ وَرَسَائِلِهِ وَمُفَاخَرَاتِهِ .. إِشَارَةٌ إِلَيْهِ ، وَ ٱبْنُ جَرِير مَعَ ٱتِّهَامِهِ بِٱلتَّشَيُّعِ لَمْ يَذْكُرْ فِي رِوَايَتِهِ قِصَّةَ ٱلدَّارِ [١] .. مَا رَوَوْهُ وَزَعَمُوهُ نَصّاً جَلِيّاً عَلَىٰ إِمَامَتِهِ ، وَأَنَّهُ ٱلْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مِمَّا ٱفْتَرَاهُ هِشَامُ بْنُ ٱلْحَكَمِ [٢] وَنَصَرَهُ ٱبْنُ ٱلرَّاوَنْدِيِّ ، وَأَبُو عِيسَى ٱلْوَرَّاقُ [٣] وَغَيْرُهُمَا ، ثُمَّ رَوَاهُ أَسْلَافُ ٱلرَّافِضَةِ شَغَفاً بِتَقْرِيرِ مَذْهَبِهِمْ .

(**وَلَوْ نَصَّ عَلَيْهِ**) أَيْ : عَلَىٰ عَلِيٍّ (**لَتَوَاتَرَ**) بَيْنَ ٱلصَّحَابَةِ (**وَلَمْ يُنْكَرْ**) وَٱللَّازِمُ أَعْنِي ٱلتَّوَاتُرَ .. مُنْتَفٍ ؛ إِذْ لَوْ تَوَاتَرَ لَأَظْهَرُوهُ قَطْعاً ، وَلَمْ يُنَازِعُوهُ جَزْماً ، وَلَمَنَعُوا غَيْرَهُ ؛ كَمَا مَنَعَ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَنْصَارَ حِينَ قَالُوا : (مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) بِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((ٱلْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ)) [٤] .. فَأَطَاعُوهُ ، فَكَيْفَ يُوجَدُ نَصٌّ عَلَيْهِ وَهُوَ بَيْنَ أَئِمَّةٍ لِلْحَقِّ مُذْعِنِينَ ، وَشَأْنُهُمُ ٱلصَّلَابَةُ فِي ٱلدِّينِ ؛ بِشَهَادَةِ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَهَجْرِهِمْ أَهْلَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ ، وَقَتْلِهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَآبَاءَهُمْ فِي نُصْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ .

وَأَيْضاً لَوْ نُصَّ عَلَيْهِ (**لَاحْتُجَّ بِهِ**) عَلَيْهِمْ ، وَنَازَعَهُمْ كَمَا نَازَعَ حِينَ أَفْضَىٰ إِلَيْهِ ٱلْأَمْرُ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِ ، حَتَّىٰ فَنِيَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مُؤثِراً لِلْحَمِيَّةِ عَلَى ٱلتُّقْيَةِ مَعَ أَنَّ ٱلْخَطْبَ ؛ إِذْ ذَاكَ أَشَدُّ ، وَٱلْخَصْمُ أَلَدُّ ، بِخِلَافِهِ فِي أَوَائِلِ ٱلْأَمْرِ ، فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ [٥] أَرْأَفُ / **ب ٢٣٧** / ، وَجَانِبَهُمْ أَسْهَلُ ، وَأَرَاءَهُمْ إِلَى ٱتِّبَاعِ ٱلْحَقِّ وَٱجْتِنَابِ ٱلْبَاطِلِ .. أَمْيَلُ ، وَهَمَّهُمْ فِي تَنْفِيذِ ٱلْأَحْكَامِ أَرْغَبُ .

---

(١) وهي قوله في : « تهذيب الآثار » : (٣ ٦٢) ، و « تاريخ الرسل والملوك » : (٢ ٣٢١) عن سيدنا عبد الله بن عباس ، عن سيدنا أبي طالب « رضي الله عنهم » ، قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : يا بني عبد المطلب ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت : أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، وقال : ((هذا أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا)) .

(٢) **هشام بن الحَكَم** : الشيبانيُّ بالولاء ، الكوفي ، أبو محمد ، متكلم مناظر ، كان شيخ الإمامية في وقته ، ولد بالكوفة ، ونشأ بواسط ، وسكن بغداد ، وصنف كتبا ، منها: « الإمامة » ، و « القدر » ، و « الشيخ والغلام » ، توفي : (١٩٠ هـ). ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٥٤٣) ، و « الأعلام » : (٨ ٨٥) .

(٣) **الوَرَّاق** : محمد بن هارون الوراق ، أبو عيسى ، باحث معتزلي ، من أهل بغداد ، ووفاته فيها ، له تصانيف ، منها : « المقالات في الإمامة » ، و « المجالس » . ينظر :« الأعلام » : (٧ ١٢٨) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) في (ب) (سقطت) .

وَكَيْفَ يُظَنُّ بِمَنْ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ » ، وَخَصَّهُمْ بِصُحْبَةِ رَسُولِهِ ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ : ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1] .

وَتَوَاتَرَ عَنْهُمُ ٱلْإِعْرَاضُ عَنْ زَهْرَةِ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلْإِقْبَالُ عَلَىٰ نُصْرَةِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ شَرِيعَتِهِ ، مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ وَٱتِّبَاعِ هَدْيِهِ ، أَنَّهُمْ كَمَا زَعَمَ ٱلشِّيعَةُ كَتَمُوا نَصَّهُ عَلَيْهِ ، وَخَالَفُوا قَبْلَ دَفْنِهِ ، تَارِكِينَ هُدَاهُمْ ، تَابِعِينَ هَوَاهُمْ ، نَاكِبِينَ[2] عَنِ ٱلْحَقِّ ، خَاذِلِينَ مُسْتَحِقّاً مِنْ خَاصِّ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ[3] ، أَوْ عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ[4] ، أَوْ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ[5] .

وَكَيْفَ يُقَالُ : إِنَّ عَلِيّاً مَعَ صَلَابَةِ دِينِهِ ، وَبَسَالَتِهِ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ[6] ، وَقُوَّةِ عَزِيمَتِهِ ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِ ، وَكَثْرَةِ أَعْوَانِهِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ .. قَدْ تَرَكَ حَقَّهُ ، وَلَمْ يَقُمْ بِهِ .

(**وَهُوَ**) أَيْ : مَا لَزِمَ مِنْ زَعْمِهِمُ ٱلنَّصَّ عَلَيْهِ .. (**مُنْتَفٍ**) وَإِلَّا لَجَرَؤُا عَلَىٰ مُوجَبِهِ ، وَعَمِلُوا بِهِ مُنْقَادِينَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا حِينَ ٱجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةٍ[7] ؛ لِإِقَامَةِ إِمَامٍ وَلَمْ يَقُلِ ٱلْأَنْصَارُ : (مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) فَٱنْتِفَاؤُهُ (**لِقَبُولِهِ**) أَيْ : عَلِيٍّ (**ٱلشُّورَىٰ**) فَإِنَّهُ رِضَىً مِنْهُ بِإِمَامَةِ أَيِّهِمْ كَانَ .

(**وَقَوْلُهُ لِطَلْحَةَ**) بْنِ عُبَيْدِ ٱللهِ (**إِنْ أَرَدْتَ بَايَعْتُكَ**)[8] فَإِنَّهُ رِضَىً مِنْهُ بِإِمَامَتِهِ .

(**وَمُعَاضَدَتُهُ لَهُمَا**) أَيْ : لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ (**وَإِشَارَتُهُ عَلَيْهِمَا بِٱلْأَصْلَحِ**) فِي قِتَالِ أَبِي بَكْرٍ أَهْلَ ٱلرِّدَّةِ وَغَيْرَهُمْ ، وَقِتَالِ عُمَرَ فَارِسَ وَٱلرُّومَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

---

(١) سورة ال عمران : (١١٠) .

(٢) قال ابن فارس في : « مقاييس اللغة » : (٥ ٤٧٤) : (نكب : النون والكاف والباء : أصل صحيح يدل على ميل ، أو ميل في الشيء ، ونكب عن الشيء ينكب) .

(٣) هو ابو بكر الصديق « رضي الله عنه » .

(٤) هو عمر بن الخطَّاب « رضي الله عنه ».

(٥) هو عثمان بن عفَّان « رضي الله عنه » .

(٦) الشكيمة هي : شدة النفس . ينظر : « مقاييس اللغة » : (٣ ٢٠٦) .

(٧) تقع سقيفة بني ساعدة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي بين مساكن قبيلة بني ساعدة الخزرجية، وكانت السقيفة داخل مزرعة تتخللها بيوت متفرقة حيث تسكن قبيلة بني ساعدة داخل البساتين المتجاورة ، وقد كانت سقيفة بني ساعدة كبيرة بحيث اجتمع فيها عدد كبير من الأنصار، وأمامها رحبة واسعة تتسع لهذا العدد إن ضاقت عنهم السقيفة نفسها . ينظر : « معجم البلدان » : (٣ ٢٢٨) ، و « وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى » : (٤ ٩٢) .

(٨) في (ب) (سقطت) .

(**وَصَلاتُهُ مَعَهُمَا**) ٱلْجُمَعَ وَٱلْأَعْيَادَ وَغَيْرَهَا (**وَإِنْكَارُ كَثِيرٍ مِنْ**) سَادَاتِ (**أَهْلِ ٱلْبَيْتِ لَهُ**) أَيْ : لِلنَّصِ؛ كَـ زَيْنِ ٱلعَابِدِينَ [١] ، (**وَقَوْلِ ٱلْعَبَّاسِ**) لَهُ ، أَيْ : لِـعَلِيٍّ : (**ٱمْدُدْ يَدَكَ .. أُبَايِعْكَ**) ، حَتَّى يَقُولَ ٱلنَّاسُ : بَايِعَ عَمُّ رَسُولِ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ٱبْنَ عَمِّهِ ، فَلَا يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ اثْنَانِ) [٢] .

وَقَوْلُ عُمَرَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ : (ٱمْدُدْ / **أ ٢٣٨/** يَدَكَ .. أُبَايِعْكَ) وَ أَبِي بَكْرٍ : بَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أَفَادَ ٱجْتِمَاعُهُ ٱلْقَطْعَ بِعَدَمِ ٱلنّصِّ [٣].

(**ثُمَّ أَجْمَعُوا**) بَعْدَ ذَلِكَ (**عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ**) وَلَمْ يُجْمِعُوا عَلَىٰ غَيْرِهِ ٱتِّفَاقاً ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ ، فَإِجْمَاعُهُمْ عَلَىٰ إِمَامَتِهِ .. إِجْمَاعٌ عَلَىٰ أَهْلِيَّتِهِ لَهَا (**فَكَانَ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**) عِنْدَنَا ، وَعِنْدَ ٱلْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَكْثَرُ ٱلْفِرَقِ .

(**وَٱنْقَادَ لَهُ مَنْ تَخَلَّفَ**) عَنْ مُبَايَعَتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ (**كَعَلِيٍّ**) وَ ٱلزُّبَيْرِ ، وَ ٱلْمِقْدَادِ [٤] ، وَ سَلْمَانَ [٥]، وَأَبِي ٱلدَّرْدَاءِ [٦] ثُمَّ بَايَعُوهُ (**وَٱعْتَذَرَ لَهُ**) عَلِيٌّ عَنْ تَخَلُّفِهِ عَنْ مُبَايَعَتِهِ حِينَ قَالَ لَهُ : (مَا خَلَّفَكَ يَا عَلِيُّ عَنْ أَمْرِ ٱلنَّاسِ) بِقَوْلِهِ : (عِظَمُ ٱلْمُصِيبَةِ) .. فَأَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ، فَقَالَ : (هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا بَيْعَةَ لِي فِي عُنُقِهِ ، وَهُوَ بِٱلْخِيَارِ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَأَنْتُمْ بِٱلْخِيَارِ جَمِيعاً فِي بَيْعَتِكُمْ إِيَّايَ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ لَهَا غَيْرِي .. فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا نَرَىٰ لَهَا غَيْرَكَ .. فَبَايَعَهُ) [٧] .

---

(١) **زَيْن العابدين** : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بـ « زين العابدين » ، رابع الائمة الاثني عشر عند الإمامية ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع .، توفي سنة (٩٤ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٣٨٦) ، و « الوافي بالوفيات » : (٢٠ ٢٣٠) .

(٢) ذكره ابن قتيبة في كتابه : « الإمامة والسياسة » : (١ ٨) .والرواية مشكوك فيها ؛ للحاجة إلى إثبات نسبة هذا القول إلى العباس « رضي الله تعالى عنه » وهذا متعذر ؛ لأن القائل لم يذكر السند ، ولا حتى المصدر ولم أعثر أنا على سند له .

(٣) ينظر : « صحيح البخاري » : (٦٨٣٠) ، (٨ ١٦٨) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » .

(٤) **المقداد** : بْن عَمْرو بْن ثعلبة بْن مالك بْن ربيعة ، ويعرف بابن الأسود ، الكندي البهراني الحضرميّ ، أبو معبد ، أو أبو عمرو ، صحابي ، من الأبطال ، هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام توفي سنة : (٣٣ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٥ ٢٤٢) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٦ ١٥٩) .

(٥) **سلمان الفارسيّ** ، ابو عبد الله صحابي: من مقدميهم ، كان يسمي نفسه سلمان ابن الإسلام ، أصله من مجوس أصبهان. عاش عمرا طويلا توفي سنة : (٣٦ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ٥١٠) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٣ ١١٨) .

(٦) **أبو الدرداء** : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، صحابي ، من الحكماء الفرسان القضاة ، كان قبل البعثة تاجرا في المدينة ، ثم انقطع للعبادة مات بالشام . ينظر : « أسد الغابة » : (٤ ٣٠٦) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ٦٢١) .

(٧) ينظر : « السيرة الحلبية » : (٣ ٥٠٩) .

هَذَا مَعَ ٱتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْإِمَامَةَ لَا تَعْدُوا أَبَا بَكْرٍ ، وَعَلِيّاً ، وَ ٱلْعَبَّاسَ ثُمَّ إِنَّهُمَا بَايَعَا أَبَا بَكْرٍ وَسَلَّمَا لَهُ ٱلْأَمْرَ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ .. لَنَازَعَاهُ ؛ كَمَا نَازَعَ عَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ [1]؛ إِذْ لَا يَلِيقُ بِهِمَا ٱلسُّكُوتُ عَنِ ٱلْحَقِّ .

(**وَسَمَّوْهُ خَلِيفَةً**) فَكَانُوا يَقُولُونَ لَهُ : يَا خَلِيفَةَ (**رَسُولِ ٱللهِ ؛ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ حَيّاً وَمَيِّتاً**) ، وَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ : ﴿ **أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ** ﴾[2] وَقَدْ يُحْتَجُّ لِكَوْنِهِ ٱلْإِمَامَ ٱلْحَقَّ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (بِنَحْوِ) : ﴿ **قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [3].

(**وَٱلدَّاعِي**) ٱلَّذِي أَوْجَبَ ٱللهُ تَعَالَىٰ طَاعَتَهُ ، وَبِٱتِّبَاعِهِ ٱلْأَجْرَ ٱلْحَسَنَ ، وَبِتَرْكِهِ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (**إِمَّا**) إِلَىٰ قِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ قَوْمِ مُسَيْلِمَةَ ٱلْكَذَّابِ وَٱلْمُرْتَدِينَ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَهُوَ (**أَبُو بَكْرٍ**) قَطْعاً ؛ إِذْ لَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِغَيْرِهِ .

(**أَوْ**) إِلَىٰ قِتَالِ فَارِسَ[4] وَ ٱلرُّومِ [5] فَهُوَ (**عُمَرُ**) وَفِي ثُبُوتِ خِلَافَتِهِ .. ثُبُوتٌ لِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ (**أَوْ**) إِلَىٰ قِتَالِ غَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ فَهُوَ (**عُثْمَانُ**) وَلَيْسَ هُوَ قَطْعاً ٱتِّفَاقاً عَلِيّاً ؛ إِذْ لَمْ يَتَّفِقْ لَهُ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ قِتَالٌ ؛ لِطَلَبِ ٱلْإِسْلَامِ مِنَ ٱلْكُفَّارِ ، بَلْ لِطَلَبِ ٱلْإِمَامَةِ رِعَايَةً / **ب ٢٣٨/** لِحُقُوقِهَا .

وَبِنَحْوِ : ((ٱقْتَدُوا بِٱللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ))[6]؛ إِذْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ خِلَافَتِهِمَا بَعْدَهُ ، وَلَوْ

---

(١) معاوية بن صخر بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ، الصحابي ، مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار ، كان فصيحا حليما وقورا ، ولد بمكة ، وأسلم يوم فتحها توفي سنة : (٦٠ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٥ ٢٠١) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٦ ١٢٠) .

(٢) سورة الحجرات : (١٥) .

(٣) سورة الفتح : (١٦) .

(٤) **فارس** : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق وفي وقتنا الحالي هي : إيران ، وهي اسم البلد وليس باسم الرجل ولا ينصرف ؛ لأنه غلب عليه التأنيث . ينظر : « معجم البلدان » : (٤ ٢٢٦) .

(٥) **الروم** : جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال : بلاد الروم وهي الان في روما إيطاليا : « معجم البلدان » : (٣ ٩٧) .

(٦) أخرجه الترمذي في : « سننه » : (٣٦٦٢) ، (٦ ٥٠) ، وابن ماجه في : « سننه » : (٩٧) ، (١ ٧٣) عن سيدنا حذيفة بن اليمان « رضي الله عنه » . وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن .

بَعْدَ عَلِيٍّ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُنَازِعْهُمَا .. فَهُمَا بِتَرْكِهِ مُنَازَعَتَهُمَا ، وَقَدْ[1] نَازَعَ مُعَاوِيَةُ إِمَامَا[2] ٱلْحَقِّ قَبْلَهُ مَعَ أَنَّ عَلِيّاً دَخَلَ فِي ٱلْخِطَابِ فَيَكُونُ مَأْمُوراً بِٱلِاقْتِدَاءِ بِهِمَا ، وَلَا يُؤْمَرُ ٱلْأَفْضَلُ ، وَلَا ٱلْمُسَاوِىٰ بِهِ سِيَّمَا عِنْدَ ٱلشِّيعَةِ .

وَبِنَحْوِ : ((**ٱلْإِمَامَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً** ، ثُمَّ تكون مُلْكاً عَضُوضاً)) [3] لِقَضَائِهِ بِأَنَّ ٱلْقَائِمِينَ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِأَمْرِ ٱلدِّينِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ ٱلْمُدَّةِ هُمُ ٱلْمَوْصُوفُونَ بِٱلْخِلَافَةِ عَنْهُ ، وَأَنَّ ٱلْقَائِمِينَ بِهِ بَعْدَهَا هُمُ ٱلْمَوْصُوفُونَ بِكَوْنِهِمْ مُلُوكاً يَنَالُ ٱلرَّعِيَّةَ ظُلْمُهُمْ ؛ كَأَنَّهُمْ يَعَضُّونَ عَضّاً، وَقَدْ تَمَّتْ بِمُدَّةِ خِلَافَةِ ٱلْحَسَنِ .

(**وَبِنَحْوِ : ٱسْتِخْلَافِهِ**) فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ إِيَّاهُ (**فِي ٱلصَّلَاةِ**) ٱلَّتِي هِيَ : أَسَاسُ ٱلشَّرِيعَةِ ، (**وَلَمْ يَعْزِلْهُ**) وَرِوَايَةُ عَزْلِهِ عَنْهَا ٱفْتِرَاءٌ مِنَ ٱلرَّافِضَةِ .

(**وَمِنْ**) ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ حِينَ قَالَ : (أَقِيلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَٱللهُ لَا نُقِيلُكَ ، وَلَا نَسْتَقِيلُكَ قَدَّمَكَ رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَلَا نُؤَخِّرُكَ ، وَرَضِيكَ لِدِينِنَا .. فَرَضِينَا لِدُنْيَانَا) إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَهِدَ بِأَنَّهُ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ ، وَإِنْ كَانَتْ ظَنِّيَّةً ؛ إِذْ نَصْبُ ٱلْإِمَامِ مِنَ ٱلْعَمَلِيَّاتِ ، فَيَكْفِي فِيهِ ٱلظَّنُّ عَلَىٰ أَنَّهَا بِٱجْتِمَاعِهَا رُبَّمَا أَفَادَتْ لِكُلِّ مُنْصِفٍ ٱلْقَطْعَ بِذَلِكَ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَلَا أَقَلَّ مِنْ صُلُوحِهَا سَنَداً لِلْإِجْمَاعِ وَتَأْيِيداً .

(**وَزَعَمَ ٱلشِّيعَةُ : أَنَّهُ**) أَيْ : ٱلْإِمَامَ ٱلْحَقَّ بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**عَلِيٌّ**) تَمَسُّكاً فِي ذَلِكَ (**بِمُفْتَرَيَاتٍ**) عَلَىٰ مَنْ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ » ، وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَبِهِمْ قَامَ ٱلدِّينُ ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُ، مُدَّعِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ ٱلْوَارِدَةِ فِي هَذَا ٱلْبَابِ مِمَّا يُوَافِقُ غَرَضَهُمُ ٱلتَّوَاتُرَ ، وَفِيمَا يُخَالِفُهُ ٱلْآحَادَ ؛ تَحَكُّماً .

وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَىٰ أَنَّهُ كَيْفَ خَفِيَ عَلَىٰ أَكَابِرِ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَثِقَاةِ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ ؟ وَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ ٱنْقِضَاءِ زَمَنِ ٱلْإِمَامَةِ ، وَطُولِ ٱلْعَهْدِ بِأَمْرِ ٱلرِّسَالَةِ ، وَظُهُورِ ٱلْبِدْعَةِ ، وَإِفْضَاءِ أَمْرِ ٱلدِّينِ إِلَىٰ أُمَرَاءِ ٱلْجَوْرِ ، وَعُلَمَاءِ ٱلسُّوءِ مِمَّنْ لَمْ يَرَوْا أَحَداً مِنْ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ ، وَلَا رَوَوْا حَدِيثاً فِي ٱلدِّينِ ؛ كَبَعْضِ

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) هما سيدنا علي وسيدنا الحسن « رضي الله عنهما »

(٣) سبق تخريجه .

مُتَأَخِرِي ٱلشِّيعَةِ /أ ٢٣٩/ مِمَّنْ مَلَأوُا كُتُبَهُمْ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَخْبَارِ ، وَٱلْمَطَاعِنِ فِي ٱلصَّحَابَةِ ٱلْأَخْيَارِ ؛ كَـ ٱلنَّصِيرِ ٱلطُّوسِي [(١)] فِي « تَجْرِيدِهِ »[(٢)] فَإِنَّهُ فِيهِ .. نَصَرَ أَبَاطِيلَ مُلَفَّقَةً ، وَكَرَرَ أَكَاذِيبَ مُنَمَّقَةً ، وَقَوَادِحَ فِي إِمَامَةِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلثَّلَاثَةِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : (غَيْرُ عَلِيٍّ لَا يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ) [(٣)].

أَمَّا إِجْمَالاً .. فَلَظُلْمِهِمْ بِسَبْقِ كُفْرِهِمْ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [(٤)] ، وَٱلظَّالِمُ لَا يَكُونُ إِمَاماً ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(٥)] .

وَرُدَّ : بِمَنْعِ ٱلْمُقَدِّمَتَيْنِ ، وَمَنْعِ دَلَالَةِ ٱلآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ كَافِراً ، ثُمَّ أَسْلَمَ .. ظَالِمٌ ، وَمَنْعِ كَوْنِ ٱلْمُرَادِ بِٱلْعَهْدِ : ٱلْإِمَامَةَ .

وَأَمَّا تَفْصِيلاً .. فَمِمَّا قَدْ مَرَّ جَوَابُهُ فِي إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ مُخَالَفَتُهُ كِتَابَ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي مَنْعِ إِرْثِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِخَيْبَرَ [(٦)] رَوَاهُ هُوَ : ((نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، لَا نُورَثُ مَاتَرَكْنَا صَدَقَةٌ)) [(٧)] وَتَخْصِيصُ ٱلْكِتَابِ إِنَّمَا يَجُوزُ بِخَبَرٍ مُتَوَاتِرٍ دُونَ ٱلآحَادِ .

قُلْنَا : خَبَرُ ٱلْوَاحِدِ ٱلَّذِي دَلَالَتُهُ قَطْعِيَّةٌ ؛ كَهَذَا ٱلْخَبَرِ يُخَصُّ بِهِ عَامُّ ٱلْكِتَابِ ؛ لِأَنَّ دَلَالَتَهُ ظَنِيَّةٌ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُ قَطْعِيّاً مَعَ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ، وَٱلْخَبَرُ ٱلْمَسْمُوعُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ ٱلْمُتَوَاتِرِ فَهُوَ

---

(١) **النَّصِير الطُّوسي** : محمد بن محمد بن الحسن ، أبو جعفر ، نصير الدين الطوسي ، فيلسوف ، كان رأسا في العلوم العقلية ، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات توفي سنة : (٦٧٢ هـ). ينظر : « الوافي بالوفيات » : (١ ١٤٧) ، و « الأعلام » : (٧ ٣٠) .

(٢) كتابه اسمه : تجريد الاعتقاد ، أو تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام هو كتاب من الكتب الكلامية عند الشيعة الإمامية .

(٣) ينظر : « كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد » (ص : ١٩٨).

(٤) سورة البقرة : (٢٥٤) .

(٥) سورة البقرة : (١٢٤) .

(٦) **خَيبرُ** : الموضع المذكور في غزاة النبي « صلى الله عليه وسلم » وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، أما في وقتنا الحاضر فإنها تبعد (١٥٣ كم) يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ،. ينظر : « معجم البلدان » : (٢ ٤٠٩) .

(٧) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٧٢٦) ، (٨ ١٤٩) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٧٥٩) ، (٣ ١٣٨٠) عن سيدنا أبي بكر « رضي الله عنه : أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » .

بِمَنْزِلَتِهِ ، فَيَخْتَصُّ بِهِ .

وَمِنْهُ : مَنْعُهُ فَاطِمَةَ فَدَكَ : قَرْيَةٌ بِخَيْبَرَ[1] ، ذَكَرَتْ أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَهَبَهَا لَهَا بِشَهَادَةِ عَلِيٍّ وَ أَمِّ أَيْمَنَ [2][3] فَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ ، وَصَدَّقَ زَوْجَاتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي ٱدِّعَاءِ حَجْرِهَا لَهُنَّ بِلَا شَاهِدٍ ، وَمِثْلُهُ جَوْرٌ لَا يَلِيقُ بِٱلْإِمَامِ ، وَلِهَذَا رَدَّهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ [4] مِنْ بَنِي مَرْوَانَ إِلَىٰ فَاطِمَةَ .

قُلْنَا : لَوْ سُلِّمَ صِحَّةُ مَا ذُكِرَ ، فَلَيْسَ لِلْحَاكِمْ أَنْ يَحْكُمَ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ وَٱمْرَأَةٍ ، وَإِنْ فُرِضَ عِصْمَةُ ٱلْمُدَّعِي وَٱلشَّاهِدِ بَلْ يحكم[5] بِمَا عَلِمَهُ يَقِيناً ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ بِهِ شَاهِدٌ ، وَمَا رَوَاهُ ٱلرَّافِضَةُ مِنْ قِصَّةِ فَدَكَ شَاهِدُ صِدْقٍ بِٱنْهِمَاكِهِمْ فِي ٱلضَّلَالَةِ ، وَٱفْتِرَائِهِمْ عَلَى ٱلصَّحَابَةِ .

حَيْثُ ظَنُّوا بِأَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ أَنَّهُمَا أَخَذَا حَقَّهَا ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهِ غَيْرُهَا لَا هُمَا وَلَا مَنْ يَنْتَمِي إِلَيْهِمَا ، وَبِعَلِيٍّ أَنَّهُ مَعَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ .. لَمْ يُزِلْ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ تِلْكَ ٱلظُّلَامَةُ ، وَبِسَائِرِ ٱلصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ سَكَتُوا عَنْ ذَلِكَ .

وَٱلْمَرْوِيُّ : إِنَّ فَدَكَ / **ب ٢٣٩**/كَانَتْ عَلَىٰ مَا قَرَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ أَقْطَعَهَا مَرْوَانُ بْنُ

---

(١) **فدك** : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وهي موقع زراعي تاريخي ، يقع جنوب مدينة الحائط في منطقة حائل ، وتبعد عن من مدينة حائل بحوالي (٢٥٠ كم) . ينظر : « معجم البلدان » : (٤ ٢٣٨) .

(٢) **أم أيمن** : مولاة رسول « الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وحاضنته ، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك ، وهي حبشية ، أعتقها عبد الله أبو رسول الله « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قديما ثم اسلمت . انظلر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٨ ٣٥٨) ، و « أسد الغابة » : (٧ ٢٩٠) .

(٣) ذكره ابن شبة في : « تاريخ المدينة » : (١ ١٩٩) فقال : (فأتته فاطمة « رضي الله عنها » فقالت : إن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أعطاني فدك فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلي « رضي الله عنه » فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن فقالت : أليس تشهد أني من أهل الجنة ؟ قال : بلى ، قال أبو أحمد : يعني أنها قالت ذاك لأبي بكر وعمر « رضي الله عنهما » ، قالت : فأشهد أن النبي « صلى الله عليه وسلم » أعطاها فدك) .

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، وربما قيل له : خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم ، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام ، ولد ونشأ بالمدينة ، توفي سنة : (١٠١ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٥ ١١٤) ، و « الأعلام » : (٥ ٥٠) .

(٥) في (١) (سقطت) المثبت من ب .

ٱلْحَكَمِ [١] فَوَهَبَهَا لِوَلَدَيْهِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ [٢] وَعَبْدِ ٱلْعَزِيزِ [٣] ، فَلَمَّا وَلِيَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ [٤] ، وَهَبَهُ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ [٥] وَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ نَصِيبَيْهِمَا .. فَصَارَتْ كُلُّهَا لَهُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِلَىٰ أَنْ رَدَّهَا قُثَمُ بْنُ جَعْفَرٍ [٦] عَامِلُ ٱلْمَأْمُونِ [٧] عَلَى ٱلْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ ، وَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ ؛ لِيَقُومَا بِهَا لِأَهْلِهَا ، وَعُدَّ ذَلِكَ مِنْ تَشَيُّعِ ٱلْمَأْمُونِ ثُمَّ رَدَّهَا ٱلْمُتَوَكِّلُ [٨] إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

وَمِنْهُ : مُخَالَفَتُهُ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَداً مَعَ وُفُورِ عِلْمِهِ بِمَصَالِحِ ٱلْأُمَّةِ ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَٱسْتَخْلَفَ عُمَرَ فَتَوْلِيَتُهُ لَهُ جَمِيعَ أُمُورِ ٱلْأُمَّةِ مَعَ عَزْلِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لَهُ عَنْ إِمْرَةِ ٱلصَّدَقَاتِ .. مُخَالَفَةٌ لَهُ ، وَتَرْكٌ لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ ٱتِّبَاعُهُ .

قُلْنَا : لَا ، نُسَلِّمُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَخْلِفْ بَلِ ٱسْتَخْلَفَ إِجْمَاعاً ؛ أَمَّا عِنْدَنَا .. فَأَبَا بَكْرٍ ، وَأَمَّا عِنْدَكُمْ .. فَعَلِيّاً وَلَا ، نُسَلِّمُ أَنَّهُ عَزَلَ عُمَرَ بَلِ ٱنْقَضَتْ وَلَايَتُهُ بِٱنْقِضَاءِ عَمَلِهِ ؛ إِذْ إِتْمَامُ مَنْ وَلِيَ عَمَلاً فَأَتَمَّهُ ، فَلَمْ يَبْقَ عَامِلاً ، لَيْسَ مِنَ ٱلْعَزْلِ فِي شَيْءٍ .

---

(١) مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو عبد الملك ، خليفة أموي ، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص ، وإليه ينسب بنو مروان ، ودولتهم المروانية توفي سنة (٦٥ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٣ ٤٧٦) ، « الأعلام » : (٧ ٢٠٧) .

(٢) عَبْد الملك بن مَرْوان : بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد ، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة ، فقيها واسع العلم ، متعبدا ، ناسكا توفي سنة : (٨٦ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٢٤٦) ، و « الأعلام » : (٤ ١٦٥) .

(٣) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أبو الأصبغ ، أمير مصر ، ولد في المدينة ، وولي مصر لأبيه استقلالا توفي سنة : (٨٥ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٢٤٩) ، و « الأعلام » : (٤ ٢٨) .

(٤) الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولي بعد وفاة أبيه توفي سنة : (٩٦ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٣٤٧) ، و « الأعلام » : (٨ ١٢١) .

(٥) سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب ، الخليفة الأموي ، ولد في دمشق ، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد توفي سنة : (٩٩ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٥ ١١١) ، و « الأعلام » : (٣ ١٣٠) .

(٦) ينظر : « فتوح البلدان » : (ص : ٤٢) .

(٧) **المأْمُون العَبَّاسي** : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ابو العباس ، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعاظم الملوك ، في سيرته وعلمه وسعة ملكه توفي سنة : (٢١٨ هـ) ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٠ ٢٧٢) ، و « الأعلام » : (٤ ١٤٢) .

(٨) **المُتَوَكِّل العَبَّاسي** : جعفر بن محمد بن هارون الرشيد ، أبو الفضل ، خليفة ، ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق توفي سنة : (٢٤٧ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٢ ٣٠) ، و « الأعلام » : (٢ ١٢٧) .

وَ لَا ، نُسَلِّمُ أَنَّ مُجَرَّدَ فِعْلِهِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مُخَالَفَةٌ لَهُ ، وَتَرْكٌ لِاتِّبَاعِهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا فَعَلَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ ، أَوْ تَرَكَ مَا أُمِرَ بِهِ .

وَلَا ، نُسَلِّمُ أَنَّهُ قَادِحٌ فِي ٱسْتِحْقَاقِهِ ٱلْإِمَامَةِ .

وَمِنْهُ : عَدَمُ مَعْرِفَتِهِ جَمِيعَ ٱلْإِحْكَامِ ، فَقَدْ قَطَعَ يَسَارَ سَارِقٍ لَا يَمِينَهُ ، وَقَالَ لِجَدَّةٍ سَأَلَتْهُ عَنْ مِيرَاثِهَا : لَا ، أَجِدُ لَكِ فِي كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ شَيْئاً ، فَأَخْبَرُهُ ٱلْمُغِيرَةُ [١] ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ [٢] : أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أَعْطَاهَا ٱلسُّدُسَ ، وَقَالَ : ((أُعْطُوا ٱلْجَدَّاتِ ٱلسُّدُسَ)) [٣] ، وَلَمْ يَعْرِفِ ٱلْكَلَالَةَ ، وَهِيَ : مَنْ لَا وَالِدَ لَهُ ، وَلَا وَلَدَ [٤].

قُلْنَا : لَوْ سُلِّمَ فَلَيْسَ قَادِحاً فِي ٱلْإِجْتِهَادِ ، فَكَمْ مِثْلُهُ لِذَوِيهِ ، وَلَيْسَ شَرْطاً أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِجَمِيعِ ٱلْأَحْكَامِ ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ .

وَمِنْهُ : شَكُّهُ / أ ٢٤٠/ فِي ٱسْتِحْقَاقِ ٱلْإِمَامَةِ ؛ إِذْ قَالَ : (وَدِدْتُ أَنِّي سَأَلْتُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عَنْ هَذَا ٱلْأَمْرِ ، فِيمَنْ هُوَ ؟ ثُمَّ لَا نُنَازِعُهُ) [٥].

قُلْنَا : لَوْ سُلِّمَ ، إِنَّمَا حَكَمَ بِعَدَمِ ٱلنَّصِّ ، لَا ، بِشَكِّهِ فِيهَا ، وَأَنَّهَا كَانَتْ بِٱلْبَيْعَةِ وَٱلِاخْتِيَارِ ، وَأَنَّهُ كَانَ بِحَيْثُ يُحَاوِلُ أَنْ لَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ بَلْ يُرِيدُ ٱتِّبَاعَ ٱلنَّصِّ خَاصَّةً .

---

(١) أخرجه أبو داوود في « سننه » : (٢٨٩٤) ، (٣ ١٢١٣) ، والترمذي في « سننه » : (٢١٠١) ، (٣ ٤٩١٣) ، وابن ماجه في « سننه» : (٢٧٢٤) ، (٢ ٩٠٩) عن قبيصة بن ذؤيب « رحمه الله » بلفظ : « حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهَا السُّدُسَ» .قال عنه الترمذي : (وهذا حديث حسن صحيح) .

(٢) **المغيرة بن شعبة** بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب الثقفيّ ، أبو عيسى ، أو أبو محمد. ، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، صحابي ، يقال له : مغيرة الرأي ، ولد في الطائف بالحجاز توفي سنة : (٥٠ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٦ ١٥٦) ، و « أسد الغابة » : (٥ ٢٣٨) .

(٣) **محمَّد بن مَسْلَمَة** بن سلمة بن خالد بن عدي الأوسي الأنصاري الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك ، واستخلفه النبي « صلى الله عليه وسلم » في بعض غزواته توفي سنة : (٤٣ هـ). ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٦ ٢٨) ، و « أسد الغابة » : (٥ ١٠٦) .

(٤) ينظر : « غريب الحديث » : (١ ٢٢٦) ، و « النهاية في غريب الحديث والأثر » : (٤ ١٩٧) .

(٥) ذكرها الطبري في : « تاريخ الرسل والملوك » : (٣ ٤٣١) .

وَمِنْهُ : قَوْلُ عُمَرَ مَعَ كَوْنِهِ وَلِيَّهُ وَنَاصِرَهُ : (كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَقَى ٱللهُ تَعَالَىٰ شَرَّهَا ، فَمَنْ عَادَ لِمِثْلِهَا .. فَٱقْتُلُوهُ)[1] يَعْنِي كَانَتْ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ ، وَٱبْتِنَاءٍ عَلَىٰ أَصْلٍ .

قُلْنَا : بَلْ مَعْنَاهُ كَانَتْ فَجْأَةً ، أَقْدَمْتُ عَلَيْهَا خَائِفاً مِنْ إِثَارَةِ ٱلْفِتْنَةِ ، فَتَيَسَّرَتْ وَسَلِمَتْ][2] وَبِهِمَا وَقَى ٱللهُ تَعَالَىٰ شَرّاً ، بِخِلَافِ ٱلَّذِي كَادَ يَظْهَرُ عِنْدَهَا فَمَنْ عَادَ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْمُخَالَفَةِ ٱلْمُوجِبَةِ لِتَفْرِيقِ ٱلْكَلِمَةِ .. فَٱقْتُلُوهُ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَقْدَحُ فِي إِمَامَتِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِٱسْتِحْقَاقِهِ ٱلْإِمَامَةَ وَٱنْعِقَادِ بَيْعَتِهِ ، بَلْ قَدْحُهُ فِيهَا .. قَدْحٌ فِي إِمَامَتِهِ ؛ لِصَيْرُورَتِهِ خَلِيفَةً بِٱسْتِخْلَافِهِ لَهُ .

هَذَا ، وَمَا أَقْبَحَ مَذْهَباً ! بُنِيَ عَلَى ٱلْمُهْمَلَاتِ ، وَٱلْأَخْبَارِ ٱلْمُفْتَرَيَاتِ .

(**وَبِأَنَّهُ**) لَا يَصْلُحُ إِمَاماً بَعْدَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » غَيْرُ عَلِيٍّ ؛ إِذْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْإِمَامُ مَعْصُوماً ، أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، مَنْصُوصاً عَلَيْهِ ، وَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ (**لِٱنْتِفَاءِ ٱلْعِصْمَةِ وَٱلْأَفْضَلِيَّةِ وَٱلنَّصِّ فِي غَيْرِهِ ، وَهُوَ**) أَيِ : ٱنْتِفَاءُ مَا ذُكِرَ مِنَ ٱلشَّرَائِطِ فِي أَبِي بَكْرٍ .. (**مَمْنُوعٌ**) مَعَ مَنْعِ ٱشْتِرَاطِهَا فِي ٱلْإِمَامِ كَمَا مَرَّ .

(**وَبِـ** : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾[3] (**أَيْ : مَا وَلِيُّكُم إِلَّا هُمَا**) أَيْ : ٱللهُ وَرَسُولُهُ (**وَعَلِيٌّ ؛ إِذْ هُوَ ٱلَّذِي**) نَزَلَتْ فِيهِ حِينَ (**تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ رَاكِعاً**) فِي صَلَاتِهِ[4] (**وَ ٱلْمُرَادُ**) بِٱلْوَلِيِّ هُنَا (**وَلِيُّ ٱلتَّصَرُّفِ**) فِي أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ (**لَا وَلِيُّ**) ٱلنُّصْرَةِ (**لِتَنَاوُلِهِ ٱلْكُلَّ**) أَيْ : جَمِيعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾[5] فَلَا يَصِحُّ حَصْرُهَا فِي مَنْ وُصِفَ بِإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ حَالَ ٱلرُّكُوعِ .

وَٱلْمُتَصَرِّفُ وَ ٱلْأَوْلَىٰ / **ب ٢٤٠**/ وَ ٱلْأَحَقُّ بِأَمْرِ ٱلْأُمَّةِ هُوَ ٱلْإِمَامُ فَتَعَيَّنَ عَلِيٌّ لِذَلِكَ ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ ٱلصِّفَاتِ فِي غَيْرِهِ .

---

(١) أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٦٨٣٠) ، (٦٨٨ ١) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) سورة المائدة : (٥٥) .

(٤) ينظر : « جامع البيان » : (١٠ ٤٢٥) ، و « مفاتيح الغيب » : (١٢ ٣٧٨) .

(٥) سورة التوبة : (٧١) .

(**قُلْنَا : بَلْ وَلِيُّهَا لَا وَلِيُّهُ**) أَيْ : بَلِ ٱلْمُرَادُ بِٱلْوَلِيِّ هُنَا : وَلِيُّ ٱلنُّصْرَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ ، لَا وَلِيُّ ٱلتَّصَرُّفِ فِي أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ ، وَٱلْأَحَقُّ بِهِ ٱلنَّاصِرُ وَٱلْمُحِبُّ عَلَىٰ مَا هُوَ مُنَاسِبٌ (**لِمَا قَبْلَ ٱلآيَةِ**) وَهُوَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1] فَإِنَّ ٱلْحَصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِثْبَاتِ مَا نَفَىٰ عَنِ ٱلْغَيْرِ ، وَوِلَايَةُ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَى ٱلْمَنْهِيُّ عَنْهَا ، لَيْسَتْ هِيَ ٱلتَّصَرُّفُ وَٱلْإِمَامَةُ بَلْ هِيَ ٱلنُّصْرَةُ وَٱلْمَحَبَّةُ ، وَعَلَىٰ مَا هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَا (**بَعْدَهَا**) وَهُوَ : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2] مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ ٱلْمُرَادَ تَوَلِّي نُصْرَةٍ وَمَحَبَّةٍ .

(**وَوَصْفُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) بِمَا ذُكِرَ ؛ كَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ .. (**مَدْحٌ لَهُمْ ، وَزِيَادَةُ شَرَفٍ**) وَٱسْتِحْقَاقٍ ، أَنْ يُتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ ، وَأَوْلَوِيَّتُهُمْ بِذَلِكَ ، وَقُوَتُهُمْ ، وَشَفَقَتُهُمُ ٱلْحَامِلَةُ عَلَى ٱلنُّصْرَةِ .. (**لَا تَقْيِيدٌ**) وَتَخْصِيصٌ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ﴿ **وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾) كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَالِ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ (**لِلْعَطْفِ ؛ أَيْ : وَيَرْكَعُونَ فِي صَلَاتِهِمْ**) لَا ؛ كَصَلَاةٍ خَالِيَةٍ عَنِ ٱلرُّكُوعِ ؛ كَصَلَاةِ ٱلْيَهُودِ .

وَٱلْحَصْرُ إِنَّمَا يَرِدُ نَفْياً لِمَا وَقَعَ (**فِيهِ**) تَرَدُّدٌ (**وَنِزَاعٌ**) وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّهُ (**إِذْ ذَاكَ**) أَيْ : عِنْدَ نُزُولِ ٱلآيَةِ .. (**لَمْ يَكُنْ إِمَامَةٌ**) لِوَاحِدٍ مِنَ ٱلْإِئِمَّةِ ٱلثَّلَاثَةِ .

وَٱلَّذِينَ آمَنُوا صِيغَةُ جَمْعٍ (**وَحَمْلُ صِيغَةِ ٱلْجَمْعِ عَلَى ٱلْوَاحِدِ بِلَا دَلِيلٍ .. بَعِيدٌ**) وَٱلآيَةُ دَالَّةٌ عَلَىٰ ثُبُوتِ ٱلْوِلَايَةِ بِٱلْفِعْلِ فِي ٱلْحَالِ (**وَوِلَايَةُ ٱلتَّصَرُّفِ حِينَئِذٍ**) فِي حَيَاتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**لَمْ تَكُنْ ، وَصَرْفُهَا إِلَى ٱلْمَآلِ**) دُونَ ٱلْحَالِ (**لَا يَصِحُّ**) وَلَا يَسْتَقِيمُ (**فِي حَقِّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ**) .

(**وَبِـ** : ((**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ .. فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**)) [3]، ((ٱللَّهُمَّ ؛ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَٱنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَٱخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ)) [4] أَوْرَدَهُ عَلِيٌّ يَوْمَ ٱلشُّورَىٰ حِينَ ذَكَرَ فَضَائِلَهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ / أ ٢٤١/ ، وَٱلْمَوْلَىٰ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُرَادُ بِهِ ٱلْمُعْتِقُ ، وَٱلْمُعْتَقُ ، وَٱلْحَلِيفُ ، وَٱلْجَارُ ، وَٱبْنُ ٱلْعَمِّ ، وَٱلنَّاصِرُ

---

(١) سورة المائدة : (٥١) .

(٢) سورة المائدة : (٥٦) .

(٣) أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » : (٨٠٨٩) ، (٣٠٩٧) عن سيدنا بريدة « رضي الله عنه » والترمذي في « سننه » : (٣٧١٣) ، (٦ ٧٤) عن سيدنا زيد بن أرقم « رضي الله عنه » وابن ماجه في « سننه » : (١٢١) ، (١ ٤٥) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص « رضي الله عنه » وغيرهم . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤) أخرجه البزار في « مسنده » : (٧٨٦) ، (٣ ٤٣) عن سيدنا علي « رضي الله عنه » .

، وَٱلْأَوْلَىٰ .[1]

فَٱلْمُرَادُ بِهِ هُنَا .. ٱلْأَوْلَىٰ بِٱلتَّصَرُّفِ ، وَٱلْمُتَوَلِّي ، وَٱلْمَالِكُ لِلإِمْرِ لِيُطَابِقَ صَدْرَ ٱلْحَدِيثِ ، وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ ٱلْأَوْلَوِيَّةَ بِٱلنَّاسِ وَٱلْمَالِكِيَّةَ لِتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَٱلتَّصَرُّفِ فِيهِمْ ، بِمَنْزِلَةِ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » هُوَ مَعْنَى ٱلْإِمَامِ : ((**أَنْتَ مِنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**))[2] فَإِنَّ ٱلْمَنْزِلَةَ ٱسْمُ جِنْسٍ[3] أُضِيفَ .. فَعَمَّ ؛ بِشَهَادَةِ ٱسْتِثْنَاءِ مَنْزِلَةِ ٱلنُّبُوَّةِ فَبَقِيَ عَامّاً فِي بَاقِي ٱلْمَنَازِلِ ٱلَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا : كَوْنُهُ خَلِيفَةً لَهُ ، مُتَوَلِّياً تَدْبِيرَ ٱلْأَمْرِ ، مُتَصَرِّفاً فِي مَصَالِحِ ٱلْأُمَّةِ ، مُفْتَرَضَ ٱلطَّاعَةِ ، وَإِذْ قَدْ صَرَّحَ بِنَفْيِ ٱلنُّبُوَّةِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِطَرِيقِ ٱلْإِمَامَةِ .

(**قُلْنَا : لَا عِبْرَةَ**) بِٱلْأَخْبَارِ (**ٱلْآحَادِ فِي مُقَابَلَةِ ٱلْإِجْمَاعِ ، وَدَعْوَى ٱلتَّوَاتُرِ .. مُكَابَرَةٌ**) وَوَقَاحَةٌ مِنْهُمْ ، وَقَدْ قَدَحَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ فِي صِحَّةِ ٱلْحَدِيثِ [ٱلْأَوَّلِ][4] وَلَوْ سُلِّمَ فَقَوْلُهُ : ((ٱللَّهُمَّ ؛ وَالِ مَنْ وَالَاهُ)) مُؤْذِنٌ بِأَنَّ ٱلْمُرَادَ بِٱلْمَوْلَىٰ هُوَ : ٱلنَّاصِرُ وَٱلْمُحِبُّ ، بَلْ مُجَرَّدُ ٱحْتِمَالِهِ كَافٍ فِي دَفْعِ ٱلِاسْتِدْلَالِ .

وَعُمُومُ ٱلْمَنَازِلِ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلثَّانِي . . مَمْنُوعٌ ؛ إِذْ غَايَةُ ٱلِاسْمِ ٱلْمُفْرَدِ ٱلْمُضَافِ إِلَىٰ عَلَمٍ .. ٱلْإِطْلَاقُ ، وَلَيْسَ ٱلِاسْتِثْنَاءُ ٱلْمَذْكُورُ ؛ إِخْرَاجاً لِبَعْضِ أَفْرَادِ ٱلْمَنْزِلَةِ ، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ : إِلَّا ٱلنُّبُوَّةَ ، بَلْ مُنْقَطِعٌ ؛ بِمَعْنَىٰ : لَكِنْ ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى ٱلْعُمُومِ ، كَيْفَ وَمِنْهَا مَنْزِلَةُ أُخُوَّةِ ٱلنَّسَبِ ، وَلَمْ تَثْبُتْ لِعَلِيٍّ ، وَلَوْ سُلِّمَ ٱلْعُمُومُ .. فَلَيْسَ مِنْ مَنَازِلِ هَارُونَ« عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ » ٱلْخِلَافَةُ وَٱلتَّصَرُّفُ بِطَرِيقَةِ[5] ٱلنِّيَابَةِ ، عَلَىٰ مَا هُوَ مُقْتَضَى ٱلْإِمَامَةِ ؛ لِأَنَّهُ شَرِيكُهُ فِي ٱلنُّبُوَّةِ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[6] وَقَوْلُهُ : ﴿ ٱخْلُفْنِى ﴾[7] لَيْسَ ٱسْتِخْلَافاً بَلْ مُبَالَغَةً وَتَأْكِيداً فِي ٱلْقِيَامِ بِأَمْرِ ٱلْقَوْمِ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَلَا دَلَالَةَ عَلَىٰ بَقَائِهَا بَعْدَ مُوسَىٰ

---

(١) في : « الصحاح » : (٦ ٢٥٢٩) ، و « مختار الصحاح » (ص : ٣٤٥) : الوليُّ : ضدُّ العدوّ ، يقال منه : تَوَلّاهُ ، والمَوْلى : المُعْتِقُ ، والمُعْتَقُ ، وابنُ العمّ ، والناصرُ ، والجارُ .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٤١٦) ، (٣ ٦) و مسلم في « صحيحه » : (٢٤٠٤) ، (٤ ١٨٧٠) واللفظ له ، عن سيدنا سعد بن أبي وقاص « رضي الله عنه » .

(٣) اسم الجنس : ما وضع لأن يقع على شيء ، وعلى ما أشبهه ؛ كالرجل ؛ فإنه موضوع لكل فرد خارجي على سبيل البدل من غير اعتبار تعينه . ينظر : « التعريفات » : (ص : ٢٥) .

(٤) في (ب) (سقطت) .

(٥) في (ب) (بطريق) .

(٦) سورة طه : (٣٢) .

(٧) سورة الأعراف : (١٤٢) .

« عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ » ، وَلَوْ سُلِّمَ فَتَصَرُّفُهُ وَنَفَاذُ أَمْرِهِ لَوْ عَاشَ بَعْدَهُ ، إِنَّمَا يَكُونُ لِنُبُوَّتِهِ ، وَقَدِ ٱنْتَفَتِ ٱلنُّبُوَّةُ فِي حَقِّ عَلِيٍّ فَيَنْتَفِي مَا يَنْبَنِي عَلَيْهَا ، وَيَتَسَبَبُ عَنْهَا ، وَكَفَاكَ فِي مَنْعِ دَعْوَاهُمْ .. تَوَاتُرُ ٱلْأَحَادِيثِ ٱلَّتِي زَعَمُوا دَلَالَتَهَا عَلَىٰ إِمَامَتِهِ ، عَدَمُ ٱلِاحْتِجَاجِ بِهَا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِ ، عَلَىٰ أَنَّ مَا زَعَمُوهُ مِنْ تَوَاتُرِهَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ ، لَا لَهُمْ ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ مَسُوقَةً لِنُبُوَّةِ / **ب ٢٤١**/ إِمَامَتِهِ دَالَّةً عَلَيْهِ ؛ لَمَا خَفِيَ عَلَىٰ عُظَمَاءِ ٱلصَّحَابَةِ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا فِي أَمْرِ ٱلْإِمَامَةِ .

وَقَوْلُهُمْ : بِأَنَّهُمْ تَرَكُوا أمر ٱلِانْقِيَادَ إِلَيْهِ عِناداً ، وَهُوَ تَرَكَ ٱلِاحْتِجَاجَ تَقِيَّةً ، آيَةُ ٱلْغِوَايَةِ ، وَغَايَةُ ٱلْوَقَاحَةِ.

(**وَبِهِ**) أَيْ : وَبِعَدَمِ ٱلِاحْتِجَاجِ بِهَا .. (**دَفْعُ**) مَا ٱفْتَرَوْهُ نُصُوصاً جَلِيَّةً عَلَىٰ إِمَامَتِهِ مِثْلُ : ((**سَلِّمُوا عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**)) أَيْ : بِإِمَارَتِهِمْ بِٱلْكَسْرِ فِيهِمَا مِنْ : « أَمِرَ ٱلرَّجُلُ » صَارَ أَمِيراً .

(**أَنَّهُ إِمَامُ ٱلْمُتَقِينَ**) وَقَائِدُ ٱلْغُرِّ ٱلْمُحَجَلِّينَ : ((**هَذَا خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ**)) ، ((**أَنْتَ ٱلْخَلِيفَةُ بَعْدِي**))، ((**أَنْتَ أَخِي وَوَصِيَّتِي ، وَخَلِيفَتِي بَعْدِي ، وَقَاضِي دِينِي**)) [1] **بِٱلْكَسْرِ**] [2] فَإِنَّهَا لَوْ صَحَّتْ لَمَا خَفِيَتْ عَلَىٰ ٱلصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ ، وَأَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ سِيَّمَا عَلِيٌّ [3] وَأَوْلَادُهُ .

(**وَلَوْ سُلِّمَ**) صِحَّةُ مَا ذُكِرَ (**فَغَايَتُهُ**) ٱلدَّلَالَةُ عَلَىٰ ٱسْتِحْقَاقِهِ ٱلْإِمَامَةَ (**وَثُبُوتِهَا لَهُ مَآلاً**) .. لَا ، حَالاً .

(**وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ**) أَيْ : مِنْ ثُبُوتِهَا لَهُ فِي ٱلْمَآلِ (**نَفْيُ إِمَامَتِهِمْ**) أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَلَا وِلَايَتُهُمْ (**قَبْلَهُ**) أَيْ : قَبْلَ عَلِيٍّ .

(**فَعُمَرُ**) هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ (**لِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ لَهُ**) فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فِي جُمَادَىٰ ٱلْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ بَعْدَ أَنْ شَاوَرَ ٱلصَّحَابَةَ [4] ، مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَاراً .

---

(١) ذكره الطبري في : « تهذيب الآثار » : (١٢٧) ، (ص : ٦٢) بلفظ : ((هذا أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا)) والطبراني في : « المعجم الكبير » : (٦٠٦٣) ، (٦ ٢٢١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : ((فإن وصي وموضع سري ، وخير من أترك بعدي ، وينجز عدتي ، ويقضي ديني علي بن أبي طالب)) .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) في (ب) (على علي واولاده) .

(٤) ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٣ ٤٢٩) .

ثُمَّ قَالَ لِعُثْمَانَ : (ٱكْتُبْ : بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ هَذَا مَا عَهِدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِٱلدُّنْيَا ، خَارِجاً مِنْهَا ، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِٱلآخِرَةِ دَاخِلاً فِيهَا حِينَ يُؤْمِنُ ٱلْكَافِرُ ، وَيُوقِنُ ٱلْفَاجِرُ ، أَنِّي ٱسْتَخْلِفُ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ جَارَ .. فَلِكُلِّ ٱمْرِيءٍ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْأَثْمِ ، وَ ٱلْخَيْرَ أَرَدْتُ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ بَايِعُوا لِمَنْ فِيهِ فَلَمَّا مَرَّ لِعَلِيٍّ قَالَ : (بَايَعْنَا لِمَنْ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عُمَرَ)[2] .. فَٱنْعَقَدَتْ خِلَافَتُهُ بِعَهْدِ ٱلْإِمَامِ ٱلْحَقِّ إِلَيْهِ .

(**وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ**) فَقَامَ بِأُمُورِ ٱلْأُمَّةِ ، وَٱجْتِمَاعِ ٱلْكَلِمَةِ بِٱلْعَدْلِ وَ ٱلسِّيَاسَةِ ، وَنَظْمِ قَوَانِينَ ٱلرِّئَاسَةِ ، وَتَقْوِيَةِ ٱلضُّعَفَاءِ ، وَقَهْرِ ٱلْأَعْدَاءِ ، وَإِعْلَاءِ لِوَاءِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ .. فَفَتَحَ ٱلْبِلَادَ ، وَعَمَّ بِٱلْخَيْرِ ٱلْعِبَادُ بِحَيْثُ شَاعَ خَبَرُهُ فِي ٱلْأَمْصَارِ ، وَذَاعَ نَبَأُهُ فِي ٱلْأَقْطَارِ ، وَلَا عِبْرَةَ بِقَدْحِ ٱلشِّيعَةِ فِي إِمَامَتِهِ بِأَكَاذِيبَ :

مِنْهَا : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَارِفاً/ أ ٢٤٢/ بِٱلْأَحْكَامِ ؛ لِرَجْمِهِ ٱمْرَأَةً حَامِلاً أَقَرَّتْ بِٱلزِّنَا ، وَمَجْنُونَةً زَنَتْ فَنَهَاهُ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : (لَوَلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ)[3].

وَنَهَىٰ عَنِ ٱلْمُغَالَاةِ فِي ٱلصَّدَاقِ ، فَقَالَتِ ٱمْرَأَةٌ : أَلَمْ يَقُلِ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾[4] فَقَالَ : (كُلُّ ٱلنَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ)[5].

قُلْنَا : وَلَوْ سُلِّمَ فَٱلْخَطَأُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لَيْسَ قَادِحاً ؛ لِعَدَمِ مُنَافَاتِهِ لِلاجْتِهَادِ ، وَ ٱلِاعْتِرَافُ بِٱلنَّقْصِ

---

(١) سورة الشعراء : (٢٢٧) .

(٢) ينظر : « تاريخ المدينة » : (٢ ٦٦٨) ، و « تاريخ الرسل والملوك » : (٣ ٤٢٩) ، و« السيرة الحلبية » : (٣ ٥١٤) ، و « الكامل في التاريخ » : (٢ ٢٦٧) .

(٣) أخرجه أبو داود في : « سننه » : (٤٣٩٩) ، (٤ ١٤٠) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » قال : أتي عمر « رضي الله عنه » بمجنونة قد زنت ، فاستشار فيها أناسا ، فأمر بها عمر أن ترجم ، مر بها على علي بن أبي طالب « رضوان الله عليه » ، فقال : ما شأن هذه ؟ قالوا : مجنونة بني فلان زنت ، فأمر بها عمر أن ترجم ، قال : فقال : ارجعوا بها ، ثم أتاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما علمت : (أن القلم قد رفع عن ثلاثة : عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يعقل ؟ قال : بلى ، قال : فما بال هذه ترجم ؟ قال : لا شيء ، قال : فأَرْسِلْهَا ، قال : فأَرْسَلَها، قال : فجعل يكبر) وقوله : (لولا عليّ لهلك عمر) ذكره ابن عبد البر في : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » : (٣ ١١٠٣) .

(٤) سورة النساء : (٢٠) .

(٥) أخرجه البيهقي في : « السنن الكبرى » : (١٤٣٣٦) ، (٧ ٣٨٠) .

هَضْمٌ لِلنَّفْسِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى ٱلْكَمَالِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي بَيْتِ ٱلْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَأَعْطَىٰ أَزْوَاجَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مالاً كَثِيراً، وَأَعْطَىٰ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَفَرَضَ لِنَفْسِهِ مِنْهُ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَفِي ٱلْغَنَائِمِ فَضَّلَ ٱلْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ ٱلْأَنْصَارِ ، وَٱلْعَرَبَ عَلَىٰ ٱلْعَجَمِ ، وَمَنَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَٱلْمُطَّلِبِ خُمْسَهُمْ[1].

قُلْنَا : مَحْضُ ٱفْتِرَاءٍ ؛ بِشَهَادَةِ مَا تَوَاتَرَ مِنْ أَحْوَالِهِ ٱلرَّضِيَّةِ ، وَسِيرَتِهِ ٱلْمَرْضِيَّةِ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَتَفْضِيلُهُ مَنْ ذُكِرَ .. جَائِزٌ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ مَصْلَحَةً ؛ لِأَنَّهُ مِنَ ٱلِاجْتِهَادِيَّاتِ ٱلَّتِي لَا قَاطِعَ فِيهَا ، وَكَذَا ٱلْخُمْسُ كَانَ لَهُمْ نَصّاً وَإِجْمَاعاً ، إِلَّا أَنَّ ٱجْتِهَادَهُ أَدَّاهُ إِلَىٰ أَنَّ مَنَاطَ ٱسْتِحْقَاقِهِ .. هُوَ ٱلْفُقَرَاءُ فَخَصَّهُ بِفُقَرَائِهِمْ، وَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي إِمَامَتِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُفْتَرَيَاتِهِمُ ٱلَّتِي لَا تَسْمَحُ نَفْسُ أَحَدِهِمْ أَنْ يَقْدَحَ بِهَا فِي وِلَايَةِ مُكَاسٍ[2] .

(**فَعُثْمَانُ**) هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَهُمَا (**لِجَعْلِ عُمَرَ**) لَمَّا طَعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوزُ[3] غُلَامُ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ .. (**ٱلْأَمْرَ شُورَىٰ**) بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَطَلْحَةَ ، وَٱلزُّبَيْرِ ، وَسَعْدٍ ، وَعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ، فَجَعَلَ ٱلزُّبَيْرُ أَمْرَهُ إِلَىٰ عَلِيٍّ ، وَطَلْحَةُ إِلَىٰ عُثْمَانَ ، وَسَعْدٌ إِلَىٰ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ، ثُمَّ جَعَلُوا ٱلِاخْتِيَارَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : بَايِعْنِي عَلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَسِيرَةِ ٱلشَّيْخَيْنِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : كِتَابُ ٱللهِ ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ، وَٱجْتَهِدُ رَأْيِي ، فَأَخَذَ بِيَدِ عُثْمَانَ ، وَقَالَ : لَهُ ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيْهِمَا ثَلَاثاً فَأَجَابَا بِمَا قَالَا .. فَبَايَعَ عُثْمَانَ .

(**ثُمَّ أُجْمِعَ عَلَيْهِ**) وَبَايَعَهُ ٱلنَّاسُ / **ب ٢٤٢**/ وَرَضُوا بِإِمَامَتِهِ ، وَقَوْلُ عَلِيٍّ : (ٱجْتَهِدُ رَأْيِي) لَيْسَ خِلَافاً مِنْهُ فِي إِمَامَتِهِمَا ، بَلْ ذَهَاباً إِلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ لِمُجْتَهِدٍ أَنْ يُقَلِّدَ مُجْتَهِداً آخَرَ ، بَلْ يَتَّبِعُ ٱجْتِهَادَهُ .

(**وَكَانَ**) مِنْ مَذْهَبِ عُثْمَانَ وَعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ .. جَوَازُهُ إِذَا كَانَ ٱلآخِرُ أَعْلَمُ وَأَبْصَرُ بِوُجُوهِ ٱلْقِيَاسِ .

---

(١) ينظر : « الكامل في التاريخ » : (٢ ٣٣٢) ، وذكره ابن الجوزي في : « جامع المسانيد » : (١ ٣٧) .

(٢) المكاس : الظلم . ينظر : « تاج العروس » : (١٦ ٥١٤) .

(٣) **أَبُو لُؤْلُؤَةَ** : فيروز الديلمي النهاوندي اسمه فيروز ، وكُنْيَتُه أبو لؤلؤة المجوسي نسبة إلى ابنته ، وكان يسمى في قومه بابا شجاع الدين . ينظر : « الوافي بالوفيات : (٢٤ ٧٢) ، و « محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : (٣ ٨٤٢) .

(وَقَدْ) قَدَحَ فِيهِ ٱلشِّيعَةُ بِقَوَادِحَ :

بَعْضُهَا : ٱفْتِرَاءٌ مَحْضٌ ؛ كَقَوْلِهِمْ : أَنَّهُ صَرَفَ بَيْتَ ٱلْمَالِ إِلَىٰ أَقَارِبِهِ ، وَحَمَىٰ نَفْسَهُ ، وَضَرَبَ ٱبْنَ مَسْعُودٍ [1] حَتَّىٰ كَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ ، وَعَمَّاراً [2] فَأَصَابَهُ فَتْقٌ ، وَأَبَا ذَرٍّ [3] ، وَنَفَاهُ إِلَى ٱلرَّبَذَةِ [4][5] .

وَبَعْضُهَا : غَيْرُ قَادِحٍ فِي إِمَامَتِهِ ؛ كَظُهُورِ فِسْقِ مَنْ وَلَّاهُ وَفَسَادِهِ بِزَعْمِهِمْ ؛ إِذْ لَا ٱطِّلَاعَ لَهُ عَلَىٰ ٱلسَّرَائِرِ بَلْ لَهُ ٱلْأَخْذُ بِٱلظَّاهِرِ ، وَ ٱلْعَزْلُ عِنْدَ تَحَقُّقِهِ .

وَبَعْضُهَا : بَعْدَ تَسْلِيمِهِ ٱجْتِهَادِيٌّ مُفَوَّضٌ إِلَىٰ رَأْيِ ٱلْإِمَامِ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ مَصْلَحَةً ؛ كَٱلتَّعْزِيرِ ، وَ ٱلتَّأْدِيبِ ، وَ ٱلْقَوَدِ ، وَ ٱلْحَدِّ مِمَّا يُدْرَءُ بِٱلشُّبُهَاتِ وَ ٱلتَّأْوِيلَاتِ عَلَىٰ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ مُوجِبُ ذَلِكَ ؛

---

(١) **عبد الله بن مسعود** بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من أكابرهم ، فضلا وعقلا ، وقربا من رسول الله « صلّى الله عليه وسلم » وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة توفي سنة : (٣٢ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٣ ٣٨١) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ١٩٨) .

(٢) **عمار بن ياسر** بن عامر الكناني العنسيّ القحطاني ، أبو اليقظان ، صحابي ، من الولاة الشجعان ذوي الرأي ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان مات مقتولا سنة : (٣٧ هـ) ينظر : « أسد الغابة » : (٤ ١٢٢) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ٤٧٣) .

(٣) **أبو ذر الغفاريُّ** : اختلف في اسمه والمشهور هو : جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد ، من بني غِفار ، من كنانة بن خزيمة ، صحابي ، من كبارهم ، قديم الإسلام ، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا ، يضرب به المثل في الصدق ، وهو أول من حيا رسول الله « صلّى الله عليه وسلم » بتحية الإسلام توفي سنة : (٣٢ هـ) ينظر : « أسد الغابة » : (٦ ٩٦) ، و الإصابة في تمييز الصحابة » : (٧ ١٠٥) .

(٤) **الرَّبَذَةُ** : بفتح أوّله وثانيه ، وذال معجمة مفتوحة أيضا ، من قرى المدينة على ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز وتبعد عنها ١٧٠ كم . ينظر : « معجم البلدان » : (٣ ٢٤) .

(٥) ينظر : « تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » : (ص : ٥٣٠) ، و « الشافي » للمرتضى : (ص :٢٧٦) ، و « تلخيص الشافي » للطوسي : (ص : ٤٥٥) ، و « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : (١ ٢٣٢) ، و « فصل الخطاب » للنوري الطبرسي : (ص : ١١٧) ، و « عقائد الإمامية » للزنجاني : (٣ ٨٤) .

كَقَتْلِ[1] عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ [2] ٱلْهُرْمُزَانَ[3] وَشُرْبِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ٱلْخَمْرَ بِزَعْمِهِمْ[4] .

وَبَعْضُهَا[5] : كَانَ بِإِذْنٍ مِنَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » كَـ : رَدِّ ٱلْحَكَمِ بْنِ أَبِي ٱلْعَاصِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ [6]، وَقَدْ ذَكَرَهُ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقَالَا لَهُ : أَنْتَ شَاهِدٌ وَاحِدٌ فَلَمَّا تَوَلَّىٰ . . حَكَمَ بِعِلْمِه .

وَبَعْضُهَا : قَدْحٌ فِي ٱلصَّحَابَةِ ، لَا فِيهِ ، وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ خَذَلُوهُ حَتَّىٰ قُتِلَ ، وَلَمْ يَدْفِنُوهُ بِلَا عُذْرٍ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَمَّا أَنَا .. فَلَا أَظُنُّ بِمَنْ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ » أَنْ يَرْضَوْا بِقَتْلِ مَظْلُومٍ بِفِنَائِهِمْ ، وَتَرْكِ دَفْنِ مَيِّتٍ بِجِوَارِهِمْ ، سِيَّمَا مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً طُولَ ٱلنَّهَارِ ، تَالِياً وَصَائِماً ، شَرَّفَهُ ٱبْنُ عَمِّهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِزَوَاجِ ٱبْنَتَيْهِ رُقَيَّةَ ثُمَّ أَمِّ كَلْثُومٍ ، وَبَشَّرَهُ بِٱلْجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ [7]، وَكَيْفَ يَخْذُلُونَهُ ؟ وَقَدْ عَلِمُوا سَابِقَتَهُ فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَخَاتِمَتَهُ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ ، بَلْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي ٱلْمُحَارَبَةِ وَ ٱلدَّفْعِ عَنْهُ / **أ ٢٤٣**/؛ تَحَامِياً عَنْ إِرَاقَةِ ٱلدِّمَاءِ ، وَرِضىً بِسَابِقِ ٱلْقَضَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ

---

(١) في الهامش : يعني انه اسقط القود عن عبدالله بن عمر وقد قتل الهرمزان .

(٢) الذي قتل الهرمزان هو عبيد الله بن عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » ، أمه أم كلثوم بنت جرول الخزاعية ، وهو أخو حارثة بن وهب الصحابي المشهور لأمه . ويعتبر من شجعان قريش وأبطالها وليس عبد الله بن عمر « رضي الله عنه » نقل ذلك ابن عبد البر في : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » : (٣ ١٠١٢) ، وابن الأثير في : « أسد الغابة » : (٣ ٥٢٢)، وابن عساكر في : « تاريخ دمشق » : (٣٨ ٦٤) وغيرهم .

(٣) **الهرمزان الفارسيّ** : كان من ملوك فارس ، وأسر في فتوح العراق ، وأسلم على يد عمر « رضي الله عنه » ، ثم كان مقيما عنده بالمدينة ، واستشاره في قتال الفرس . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٦ ٤٨) .

(٤) **الوليد بن عقبة** : ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، الأمير ، أبو وهب الأموي ، له صحبة قليلة ، ورواية يسيرة ، وهو أخو أمير المؤمنين عثمان « رضي الله عنه » لأمه ، من مسلمة الفتح .

ذكر قصة شربه للخمر سعيد بن منصور في « سننه » : (٢٥٠١) ، (٢ ٢٣٥) ، وابن أبي شيبة في : « مصنفه » : (٢٨٨٦٣) ، (٥ ٥٤٩) ، و الذهبي في : « تاريخ الإسلام » : (٣ ٦٦٦) و « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٤٢٧) عن علقمة قال : كنا في جيش بالروم ، ومعنا حذيفة ، وعلينا الوليد ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم ، فبلغه فقال : لأشربن وإن كانت محرمة ... وأشربن على رغم أنف من رغما .

(٥) في (ب) (وكان) .

(٦) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي ، عم عثمان بن عفان « رضي الله عنه » وأبو مروان بن الحكم ، أسلم يوم الفتح . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ٤٨)، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٢ ٩١) ، ذكر قصة نفي الحكم الطبراني في : « المعجم الكبير » : (١٢٧٢٤) ، (١٢ ١٤٨) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » ، وأما خبر رد أبي بكر وعمر « رضي الله عنهما » لعثمان فلم أجده إلا في كتب الأصول كـ : « الفصول في الأصول » : (٣ ١٠٣) ، و« المحصول » : (٤ ٣٧٩) ، و « المستصفى » : (ص : ١٢٢) .

(٧) أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٣٦٧٤) ، (٥ ٨) ، و مسلم في : « صحيحه » : (٢٤٠٣) ، (٤ ١٨٦٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري « رضي الله عنه » .

يَدْعُ ٱلْحَسَنَانِ فِي ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مَقْدُوراً ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1] إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِ هَمَجٌ[2] رِعَاعٌ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَأَرَاذِلُ أَوْبَاشٌ[3] مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، مِمَّنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي ٱلْعِلْمِ بِأُمُورِ ٱلدِّينِ ، وَلَا سَابِقَةَ فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَلَا صُحْبَةَ .. فَقَتَلُوهُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، فَٱلْتَمَسُوا مِنْ عَلِيٍّ ٱلْقِيَامَ بِٱلْأَمْرِ ؛ لِكَوْنِهِ بَعْدَهُ أَوْلَىٰ بِهِ ، وَأَحَقُّ .. فَقَبِلَ بَعْدَ ٱمْتِنَاعٍ كَثِيرٍ ، وَبَايَعُوهُ وَكَذَا طَلْحَةُ ، وَ ٱلزُّبَيْرُ وَٱعْتَذَرَا عَنْ تَخَلُّفِهِمَا ، وَكَذَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ مَعَهُ لِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ لِمَا رَوَوَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَحَادِيثِ[4].

(**فَعَلِيٌّ**) هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَهُمْ (**إِجْمَاعاً**) إِذْ قَدِ ٱنْعَقَدَ فِي زَمَنِ ٱلشُّورَىٰ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْإِمَامَةَ لِعُثْمَانَ أَوْ عَلِيٍّ .. فَهُوَ إِجْمَاعٌ عَلَىٰ أَنَّهَا لِعَلِيٍّ لَوْلَا عُثْمَانُ فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ ثَبَتَتْ لَهُ بِهِ.

(**وَلَا عِبْرَةَ**) كَمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ بِمَنْ (**نَفَاهُ**) أَيْ : نَفَى ٱلْإِجْمَاعَ عَلَىٰ إِمَامَتِهِ بَعْدَهُمْ[5]؛ إِذْ لَمْ تُجْحَدِ ٱلْإِمَامَةُ لَهُ ، وَإِنَّمَا هَاجَتِ ٱلْفِتْنَةُ لِأُمُورٍ أُخَرَ .

وَ ٱلتَّعَجُّبُ مِنَ ٱلْإِمَامِيَّةِ مِنَ ٱلشِّيعَةِ : فَقَدْ زَعَمُوا أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ ، فَقَالُوا : ٱلْإِمَامُ ٱلْحَقُّ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. عَلِيٌّ ، فَٱبْنُهُ ٱلْحَسَنُ ، فَأَخُوهُ ٱلْحُسَيْنُ[6]، فَٱبْنُهُ زَيْنُ ٱلْعَابِدِينَ ، فَٱبْنُهُ

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٨) .

(٢) هَمَجُ النّاس : رُذالَتُهُمْ . ينظر : « العين » : (٣٩٦ ٣) .

(٣) أوباش الناس : الضروب المتفرقون . ينظر : « تاج العروس : (١٧ ٤٣٧) .

(٤) ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٤ ٣٦٥) ، و « الكامل في التاريخ » : (٢ ٥٣٦) .

(٥) قال في : « الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الإعتقاد » : (ص : ٣٣٠) : (قال ولا اكتراث بقول من يقول : لم يحصل إجماع على إمامة علي « رضي الله عنه ») .

(٦) **الحسين بْن عَلِيّ** بْنِ أَبِي طالب بْن عبد المطلب بْن هاشم بْن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أَبُو عَبْد اللَّه ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وخامس أهل الكساء توفي سنة (٦١ هـ) . ينظر : « أسد الغابة » : (٢ ٤٢) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٢ ٦٧) .

مُحَمَّدٌ ٱلْبَاقِرُ [1]، فَٱبْنُهُ جَعْفَرٌ ٱلصَّادِقُ [2]، فَٱبْنُهُ مُوسَى ٱلْكَاظِمُ [3]، فَٱبْنُهُ عَلِيٌّ ٱلرِّضَا [4]، فَٱبْنُهُ مُحَمَّدٌ ٱلْجَوَادُ [5]، فَٱبْنُهُ عَلِيٌّ ٱلزَّكِيُّ [6]، فَٱبْنُهُ ٱلْحَسَنُ ٱلْعَسْكَرِيُّ [7]، فَٱبْنُهُ مُحَمَّدٌ ٱلْمَهْدِيُّ [8].

(**وَزَعَمُوا**) أَنَّهُ ثَبَتَ بِٱلتَّوَاتُرِ نَصُّ كُلِّ سَابِقٍ عَلَىٰ لَاحِقِهِ، وَرَوَوْا : أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قَالَ لِلْحَسَنِ : ((ٱبْنِي هَذَا إِمَامٌ ، أَخُو إِمَامٍ ، أَبُو أَئِمَّةٍ تِسْعَةٍ)) [9] مَعَ مَا تَمَسَّكُوا بِهِ مِنْ وُجُوبِ عِصْمَةِ ٱلْإِمَامِ وَأَفْضَلِيَّتِهِ ، وَلَا يُوجَدَانِ فِي غَيْرِهِمْ .

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ٱفْتَرَوْا مُتَوَاتِراً ، وَلَمْ يَبْلُغْ أَحَداً مِنَ ٱلصَّحَابَةِ ، وَلَا من بَعْدَهُمْ ، وَلَا مِنْ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ مَعَ قُرْبِهِمْ ، وَبَلَغَ آحَادَ ٱلرَّافِضَةِ بَعْدَ سَبْعَ مِائَةِ سَنَةٍ . / **ب ٢٤٣**/

ثُمَّ آلَ ٱلْأَمْرُ لِلْحَسَنِ .. فَسَلَّمَهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ ، بَعْدَ أَنْ ثَارَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ تَسْكِيناً لِلْفِتْنَةِ فَٱسْتَقَلَّ بِهِ بَعْدَهُ .

---

(١) **الباقر** : محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان ناسكا عابداً توفي سنة : (١١٤ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ٤٠١) ، و « الأعلام » : (٦ ٢٧٠) .

(٢) **الصادق** : جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ، الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، الملقب بالصادق ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية توفي سنة : (١٤٨ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٦ ٢٥٥) ، و « الأعلام » : (٢ ١٢٦) .

(٣) **الكاظم** : موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أبو الحسن ، سابع الأئمة الاثني عشر ، عند الإمامية توفي سنة : (١٨٣ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٦ ٢٧٠) ، و« الأعلام » : (٧ ٣٢١) .

(٤) **الرضا** : علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية توفي سنة : (٢٠٣ هـ) . ينظر : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » : (٢١ ١٤٨) ، و« سير أعلام النبلاء » : (٤ ٣٩٤) .

(٥) **الجواد** : محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي ، أبو جعفر ، الملقب بالجواد تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. ينظر : « وفيات الأعيان » : (٤ ١٧٥) ، و « الأعلام » : (٦ ٢٧١) .

(٦) **الهادي** : ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية توفي سنة : (٢٥٤ هـ) ينظر : « الأعلام » : (٤ ٣٢٣) .

(٧) **الحسن الخالص** : الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي ، أبو محمد ، الإمام الحادي عشر عند الإمامية ، وسمي بالعسكري نسبة إلى مدينة في سامراء سكن فيها توفي سنة : (٢٦٠ هـ) . ينظر : « الأعلام » : (٢ ٢٠٠) .

(٨) **المهدي** : محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي ، أبو القاسم ، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، وهو المعروف عندهم بالمهديّ توفي سنة : (٢٧٥ هـ) .ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (١٣ ١١٩) ، و « الأعلام » : (٦ ٨٠) .

(٩) ينظر : « بحار الأنوار » : (٣٦ ٣٧٢) .

(**وَأَفْضَلِيَّتُهُمْ كَذَلِكَ**) أَيْ : كَـ : تَرْتِيبِهِمْ فِي ٱلْخِلَافَةِ فَأَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، فَعُمَرُ ، فَعُثْمَانُ ، فَعَلِيٌّ (**بِٱتِّفَاقِ ٱلْأَكْثَرِ**) مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْأُمَّةِ ، وَعُظَمَاءِ ٱلْمِلَّةِ (**إِيذَاناً بِأَنَّ لَهُمْ دَلِيلاً**) إِذْ حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِهِمْ قَاضٍ بِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا ذَلِكَ بِدَلِيلٍ وَأَمَارَاتٍ لِمَا أَطْبَقُوا عَلَيْهِ ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[1] .

(**وَهُوَ**) أَيِ : ٱلْأَتْقَىٰ (**أَبُو بَكْرٍ**) لِنُزُولِهَا كَمَا قَالَ أَكْثَرُ ٱلْمُفَسِرِينَ[2] ، وَٱعْتَمَدَهُ ٱلْعُلَمَاءُ فِيهِ ، فَهُوَ ٱتْقَىٰ ، وَمَنْ هُوَ ٱتْقَىٰ ، فَهُوَ أَكْرَمُ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ بِشَهَادَةِ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3] وَلَا نَعْنِي بِٱلْأَفْضَلِ سِوَى ٱلْأَكْرَمِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَأَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ ، وَأَكْرَمُ مِمَّنْ عَدَاهُ مِنَ ٱلْأُمَّةِ ، وَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ بِهِ عَلِيّاً قَطْعاً ؛ إِذْ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » عِنْدَهُ نِعْمَةٌ تُجْزَىٰ ، وَهِيَ : نِعْمَةُ ٱلتَّرْبِيَةِ ، وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِأَبِي ٱلدَّرْدَاءِ ، وَكَانَ يَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ : ((أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ **وَٱللهِ مَا طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَحَدٍ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ**))[4] فَإِنَّ ظَاهِرَهُ مُؤْذِنٌ بِنَفْيِ أَفْضَلِيَّةِ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ مُطْلَقاً .

قَالَ فِي « شَرْحِ ٱلْمَقَاصِدِ » : (لَكِنْ مِثْلُ هَذَا إِنَّمَا يَنْسَاقُ ؛ لِإِثْبَاتِ أَفْضَلِيَّةِ مَنْ ذُكِرَ ، وَمِنْ ثُمَّ أَفَادَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ ؛ لِأَنَّ ٱلْغَالِبَ مِنْ حَالِ كُلِّ ٱثْنَيْنِ هُوَ ٱلتَّفَاضُلُ دُونَ ٱلتَّسَاوِي ، فَإِذَا نُفِيَتْ أَفْضَلِيَّةُ أَحَدِهِمَا .. ثَبَتَتْ أَفْضَلِيَّةُ ٱلْآخَرِ ، وَبِمِثْلِهِ يَنْحَلُّ ٱلْإِشْكَالُ عَلَىٰ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ : سُبْحَانَ ٱللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَهُ ، أَوْ زَادَ))[5] لِأَنَّهُ فِي مَعْنَىٰ : أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ .. فَقَدْ أَتَىٰ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَهُ أَوْ زَادَ ، فَٱلِاسْتِثْنَاءُ بِظَاهِرِهِ مِنَ ٱلنَّفْيِ وَبِٱلتَّحْقِيقِ مِنَ ٱلْإِثْبَاتِ)[6] .

---

(١) سورة الليل : (١٧ - ١٩) .

(٢) ينظر : « المحرر الوجيز » : (٥ ٤٩٢) ، و « زاد المسير في علم التفسير » : (٤ ٤٥٥) ، و : « مفاتيح الغيب » : (٣١ ١٨٨) ، و « الجامع لأحكام القرآن » : (٢٠ ٨٨) .

(٣) سورة الحجرات : (١٣) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في : « فضائل الصحابة » : (١٣٥) ، (١ ١٥٢) ، وأبو نعيم في : « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » : (٣ ٣٢٥) عن سيدنا أبي الدرداء « رضي الله عنه » . وقال عنه أبو نعيم : غريب .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٦٩٢) ، (٤ ٢٠٧١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٦) ينظر : « شرح المقاصد » : (٥ ٢٩٣) .

وَبِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((**مَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ**))[1] قَالَهُ فِي مَرَضِهِ ، وَقَدْ أَذَّنَ / **أ ٢٤٤** / بِلَالٌ[2] بِٱلصَّلَاةِ ، فَأَمَرَ عَبْدَ ٱلرَّحْمَنِ بْنَ رَبِيعَةَ[3] أَنْ يَقُولَ لِأَبِي بَكْرٍ : يُصَلِّي بِٱلنَّاسِ .. فَخَرَجَ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ لِعُمَرَ : (يَا عُمَرُ ؛ صَلِّ بِٱلنَّاسِ) [4]فَلَمَّا كَبَّرَ سَمِعَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » تَكْبِيرَةً ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثاً .

وَقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي .. لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ ٱلْإِسْلَامِ وَخُلَّتُهُ ، لَا يَبْقَيَنَّ خَوْخَةٌ فِي ٱلْمَسْجِدِ إِلَّا سُدَتْ ، إِلَّا خَوْخَةُ[5] أَبِي بَكْرٍ)) .[6]

وَقَوْلِهِ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ : ((أَيْنَ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ ، صَدَّقَنِي حِينَ كَذَّبَنِي ٱلنَّاسُ ، وَزَوَّجَنِي ٱبْنَتَهُ ، وَجَهَّزَنِي بِمَالِهِ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ ، وَجَاهَدَ مَعِي سَاعَةَ ٱلْخَوْفِ))[7] .

وَقَوْلِهِ : ((**خَيْرُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ**))[8] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم « تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة » : (٤٥) ، (ص: ٢٥٢) عن سيدنا جبير بن مطعم « رضي الله عنه » وأخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٦٧٣) ، (٦ ٥٥) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها »قالت : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره » . وقال عنه : هذا حديث غريب ..

(٢) **بلال بن رباح** الحبشي ، يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عَبْد اللَّه ،مؤذن رسول الله« صلّى الله عليه وسلم » وخازنه على بيت ماله ، وأحد السابقين للإسلام ينظر : « أسد الغابة » : (١ ٤١٥) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » : (١ ٤٥٥) .

(٣) **عبد الرحمن بن ربيعة** بْن يَزِيدَ بْن سهم بْن عَمْرو بْن ثعلبة الباهلي: وال ، من الصحابة ، كان يلقب ذا النور توفي سنة : (٣٢هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ٢٥٧) ، و » أسد الغابة » : (٣ ٤٤١) .

(٤) ذكرها البخاري في : « صحيحه » : (٦٨٧) ، (١ ١٣٨) ، و مسلم في : « صحيحه » (٤١٨) ، (١ ٣١١) عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » .

(٥) الخوخة : كَوَّةٌ في الجدار تؤدي الضوءَ . ينظر : « الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية » : (١ ٤٢٠ ، و « تاج العروس » : (٧ ٢٤٧) وفسرها الدلجي في الهامش فقال : الخوخة : كوة توؤس الضوء الى البيت .

(٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٩٠٤) ، (٥ ٥٧)، ومسلم في « صحيحه » : (٢٣٨٢) ، (٤ ١٨٥٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٧) ذكره ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : (٣٠ ١٥٥) وابن بطة في « الإبانة الكبرى » : (٢٣٨) ، (٩ ٨٠٤) ، وذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » : (١ ٣١٧) .

(٨) أخرجه الإمام أحمد في « فضائل الصحابة» : (٤١٣) ، (١ ٣٠٦) بلفظ : « خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ » وذكره الطبراني في « المعجم الأوسط » : (٩٩٢) ، (١ ٢٩٧) من قول سيدنا علي « رضي الله عنه » .

وَقَوْلِهِ : ((هُمَا سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ مَا خَلَا ٱلنَّبِيِّينَ وَ ٱلْمُرْسَلِينَ))[1] .

وَقَوْلِهِ وَقَدْ رَأَهُمَا : ((هَذَانِ ٱلسَّمْعُ وَ ٱلْبَصَرُ))[2] .

وَقَوْلِهِ : ((لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ))[3] .

وَقَوْلِهِ : ((عُثْمَانُ أَخِي وَرَفِيقِي فِي ٱلْجَنَّةِ))[4] .

وَقَوْلِهِ : ((مَا لِي لَا أَسْتَحِي مِمَّنِ ٱسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَنِ))[5] وَقَوْلِهِ ((يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) .

وَقَوْلِ ٱبْنِ عُمَرَ : (كُنَّا نَقُولُ وَ ٱلنَّبِيُّ حَيٌّ : أَفْضَلُ ٱلْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ)[6].

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْحَنَفِيَّةِ[7]: (قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ ٱلنَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : عُمَرُ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانَ ، فَقُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٦٦٤) ، (٦ ٥١) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » وابن ماجه في « سننه» : (١٠٠) ، (١ ٣٨) وابن حبان في « صحيحه » : (٦٩٠٤) ، (١٥ ٣٣٠) ، والطبراني في « المعجم الكبير » : (٢٥٧) ، (٢٢ ١٠٤) عن سيدنا أبي جحيفة « رضي الله عنه » قال عنه الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٦٧١) ، (٦ ٥٤) عن عبد الله بن حنطب « رضي الله عنه » وقال عنه : وهذا حديث مرسل ، وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي « صلى الله عليه وسلم » .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٦٨٦) ، (٦ ٦٠) والحاكم في « المستدرك » : (٤٤٩٥) ، (٣ ٩٢) والطبراني في « المعجم الكبير » : (٨٢٢) ، (١٧ ٢٩٨) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٧٤٠٥) ، (٢٨ ٦٢٤) عن سيدنا عقبة بن عامر « رضي الله عنه» قال عنه الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤) أخرجه ابن ماجه « سننه » : (١٠٩) ، (١ ٤٠) بلفظ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ » عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٤٠١) ، (٤ ١٨٦٦) بلفظ : « أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ » عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنه » .

(٦) أخرجه أبو داود في : « سننه » : (٤٦٢٨) ، (٤ ٢٠٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما » . ، و أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٣٦٥٥) ، (٥ ٤) بلفظ : عن ابن عمر « رضي الله عنهما » ، قال : (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم) .

(٧) **ابن الحنفية** : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية ، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، يُنسب إليها تمييزا له عنهما توفي سنة : (٨١ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٤ ١١٠) ، و « الأعلام » : (٦ ٢٧٠) .

ٱلْمُسْلِمِينَ)[1] ، وَقَالَ عَلِيٌّ : (خَيْرُ ٱلنَّاسِ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّينَ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ ٱللهُ أَعْلَمُ)[2] ، وَعَنْهُ وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا تُوصِي ؟ فَقَالَ : (مَا أَوْصَىٰ رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » حَتَّىٰ أُوحِيَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِٱلنَّاسِ خَيْراً .. جَمَعَهُمْ عَلَىٰ خَيْرِهِمْ ، كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ عَلَىٰ خَيْرِهِمْ)[3] .

(**وَقَالَ ٱلشِّيعَةُ**) أَفْضَلُهُمْ (**عَلِيٌّ ؛ بِنَحْوِ**) قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[4] أَرَادَ بِأَنْفُسِنَا عَلِيّاً ، وَإِنْ كَانَ صِيغَةُ جَمْعٍ ؛ لِإِنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لَمَّا دَعَا وَفْدَ نَجْرَانٍ إِلَى ٱلْمُبَاهَلَةِ ، وَهُوَ ٱلدُّعَاءُ عَلَى ٱلظَّالِمِ مِنْ أَيِّ ٱلْفَرِيقَيْنِ .. خَرَجَ وَمَعَهُ ٱلْحَسَنَانِ وَفَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ ، وَهُوَ يَقُولُ إِذَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَنِي عَمِّهِ غَيْرُ عَلِيٍّ ، وَلَاشَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ / ب ٢٤٤/ نَفْسُ ٱلنَّبِيِّ كَانَ أَفْضَلَ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[5] قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ ٱلْآيَةُ ، قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَنْ هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ نَوُدُهُمْ ؟ قَالَ : ((عَلِيٌّ ، وَفَاطِمَةُ ، وَوَلَدِهِمَا))[6] وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ مَنْ وَجَبَتْ مَحَبَتُهُ بِنَصِّ ٱلْكِتَابِ .. كَانَ أَفْضَلَ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[7] إِذْ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ مَنْ ثَبَتَتْ نُصْرَتُهُ لِلرَّسُولِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بِٱلْعَطْفِ فِي كَلَامِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ٱسْمِهِ ، وَجِبْرِيلَ مَعَ ٱلتَّعْبِيرِ عَنْهُ بِـ : ﴿ صَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَ ٱلْمُرَادُ بِهِ ؛ كَمَا قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : (عَلِيٌّ كَانَ أَفْضَلَ) .

وَقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي (**حَدِيثِ آدَمَ**) : ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَ إِلَىٰ نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ ، وَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَ إِلَىٰ مُوسَىٰ فِي هَيْبَتِهِ ، وَ إِلَىٰ عِيسَىٰ فِي عِبَادَتِهِ .. فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٣٦٧١) ، (٧٥) عن محمد بن الحنفية « رحمه الله » .

(٢) أخرج الإمام أحمد في : « مسنده » : (٩٢٢) ، (٢٤٥٢) عن سيدنا علي « رضي الله عنه » ، قال : (ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ؟ أبو بكر ، وخيرها بعد أبي بكر ، عمر ، ثم يجعل الله الخير حيث أحب) .

(٣) أخرجه الإمام في : « فضائل الصحابة » : (٦٢٢) ، (١٠٤١) والحاكم في : « المستدرك » : (٤٤٦٧) ، (٨٤٣) ، البيهقي في : « السنن الكبرى » : (١٦٥٧٣) ، (٢٥٦٨) .

(٤) سورة ال عمران : (٦١) .

(٥) سورة الشورى : (٢٣) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير» : (٢٦٤١) ، (٤٧٣) والإمام أحمد في « فضائل الصحابة » : (١١٤١) ، (٢٦٩٢) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » .

(٧) سورة التحريم : (٤) .

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ))[1] وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ مَنْ سَاوَاهُمْ فِيمَا ذُكِرَ مِنَ ٱلْكَمَالَاتِ .. كَانَ أَفْضَلَ .

وَحَدِيثِ (**ٱلطَّيْرِ**) : ((ٱللَّهُمَّ ؛ ٱيتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ .. يَأْكُلُ مَعِي هَذَا الطير[2] ، فَأَتَىٰ عَلِيٌّ فَأَكَلَ مَعَهُ))[3] وَ ٱلْأَحَبُّ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَكْثَرُ ثَوَاباً ، وَهُوَ مَعْنَى ٱلْأَفْضَلِ هَذَا .

(**مَعَ أَنَّهُ**) ؛ أَيْ : عَلِيّاً (**أَعْلَمُ**) ٱلصَّحَابَةِ ؛ لِحِدَّةِ ذَكَائِهِ ، وَكَثْرَةِ مُلَازَمَتِهِ لِلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَٱسْتِفَادَتِهِ مِنْهُ ، وَقَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ نَزَلَ : ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴾[4]: ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْهَا أُذُنَ عَلِيٍّ ، قَالَ عَلِيٌّ : (فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئاً ، وَقَدْ عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ .. فَٱنْفَتَحَ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ)[5].

(**وَأَزْهَدُ**) لِمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ ٱعْرَاضُهُ عَنِ لِذَّاتِ ٱلدُّنْيَا مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهَا .

(**وَأَشْجَعُ**) بِشَهَادَةِ كَثْرَةِ جِهَادِهِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ فِي ٱلْغَزَوَاتِ .

(**وَأَفْصَحُ**) لِسَاناً ؛ بِشَهَادَةِ كِتَابِهِ « نَهْجِ ٱلْبَلَاغَةِ » .

(**وَأَجْوَدُ**) إِذْ قَدْ نَزَلَ فِيهِ ، وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ : ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾[6].

(**وَأَسْبَقُ إِسْلَاماً**) إِذْ قَدْ رُوِيَ : أَنَّهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » بُعِثَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ ، وَأَسْلَمَ عَلِيٌّ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ .

(**وَأَكْثَرُ عِبَادَةً**) فَقَدْ رُوِيَ : أَنَّ جَبْهَتَهُ صَارَتْ كَرُكْبَةِ ٱلْبَعِيرِ ؛ لِطُولِ سُجُودِهِ .

---

(١) ذكره ابن شاهين في « شرح مذاهب أهل السنة » : (١٠٧) ، (ص: ١٥١) والرازي في تفسيره « مفاتيح الغيب » : (٨ ٢٤٨) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » : (٤٢ ٣١٣) وابن كثير في « البداية والنهاية » : (١١ ٨٩)كلهم بهذا اللفظ : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى في بطشه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب » . وقال عنه ابن كثير : وهذا حديث منكر جدا .

(٢) في (ا) (سقطت) المثبت من ب .

(٣) أخرجه الترمذي في : « سننه » : (٣٧٢١) ، (٦ ٨١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » : (٧٣٠) ، (١ ٢٥٣) ، و « المعجم الأوسط » : (١٧٤٤) ، (٢ ٢٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » ، قال عنه الترمذي : هذا حديث غريب .

(٤) سورة الحاقة : (١٢) .

(٥) ذكره الثعلبي في : « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » : (٢٧ ٢٨٨) .

(٦) سورة الإنسان : (٨) .

(وَأَحْسَنُ خُلُقاً) وَطَلَاقَةُ وَجْهٍ ، حَتَّىٰ نُسِبَ إِلَىٰ ٱلدُّعَابَةِ .

قُلْنَا : لَا نِزَاعَ فِي وُفُودِ مَنَاقِبِهِ وَكَمَالَاتِهِ ، وَكَثْرَةِ فَضَائِلِهِ ، وَكَرَامَاتِهِ / **أ ٢٤٥**/ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَىٰ ٱلْفَضِيلَةِ ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ ٱلتَّرْجِيحِ بِكَثْرَةِ ٱلْفَضَائِلِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فَضِيلَةٌ وَاحِدَةٌ أَرْجَحَ مِنْ فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ ، أَمَّا ٱلزِّيَادَةُ شَرَفُهَا فِي نَفْسِهَا ، أَوْ لِزِيَادَةِ كَمِيَّتِهَا .

(**وَ ٱلْكَلَامُ**) إِنَّمَا هُوَ فِي (**ٱلْأَكْرَمِ**) بِمَعْنَىٰ : زِيَادَةِ ٱلثَّوَابِ ، وَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، بَعْدَ مَا ثَبَتَ مِنَ ٱلِاتِّفَاقِ ٱلْجَارِي مَجْرَى ٱلْإِجْمَاعِ عَلَىٰ أَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ ، وَ ٱلِاعْتِرَافِ مِنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ كَمَا مَرَّ .

عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِـ : ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ نَفْسُ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » كَمَا يُقَالُ دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَىٰ كَذَا ، أَوَ جَمِيعُ قَرَابَاتِهِ وَخَدَمِهِ ٱلنَّازِلِينَ عُرْفاً مَنْزِلَةَ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ وُجُوبَ ٱلْمَحَبَّةِ ، وَثُبُوتَ ٱلنُّصْرَةِ عَلَىٰ تَقْدِيرِ تَحَقُّقِهِ فِي حَقِّ عَلِيٍّ لَا يُوجِبُ ٱخْتِصَاصَهُ بِذَلِكَ ، وَكَذَا ٱلْكَمَالَاتُ ٱلثَّابِتَةُ لِمَنْ ذُكِرَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ تَقْدِيرِ صِحَّةِ ٱلْحَدِيثِ ٱلْأَوَّلِ مَعَ مَا شَهِدَ مِنْ مَا [1]مَخَايِلِ ٱلوضع عَلَىٰ وَضْعِهِ .

((وَأَنَّ أَحَبَّ خَلْقِكَ)) عَلَىٰ تَقْدِيرِ صِحَّةِ ٱلثَّانِي يُحْتَمَلُ تَخْصِيصُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُ ، عَمَلاً بِأَدِلَّةِ أَفْضَلِيَّتِهِمَا يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ أَحَبُّ ٱلْخَلْقِ إِلَيْكَ مَنْ يَأْكُلُ ، وَأَنَّ حُكْمَ ٱلْأُخُوَّةِ ثَابِتٌ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ ؛ بِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((لَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي ، وَوَزِيرِي))[2] ((عُثْمَانُ أَخِي وَرَفِيقِي فِي ٱلْجَنَّةِ))[3] وَأَمَّا حَدِيثُ ٱلْعِلْمِ وَ ٱلشَّجَاعَةِ .. فَلَمْ تَقَعْ حَادِثَةٌ إِلَّا وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيهَا رَأْيٌ ، وعند ٱلِاخْتِلَافِ لَمْ يُرْجَعْ إِلَىٰ قَوْلِ عَلِيٍّ إِلَّا وَقَدْ وَقَدْ .

وَلَمْ تَكُنْ شَجَاعَةُ ٱلْقَلْبِ ، وَقُوَتُهُ ، وَتَرْكُ ٱلِاكْتِرَاثِ بِٱلْمَهَالِكِ فِي أَبِي بَكْرٍ .. أَقَلَّ مِنْ أَحَدٍ سِيَّمَا فِيمَا وَقَعَ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مِنْ حَوَادِثَ كَادَتْ تُؤَثِّرُ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَهْناً .

---

(١) في (ب) (سقطت) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٦٥٦) ، (٥ ٤) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » : بلفظ : « لو كنت متخذا من أمتي خليلا، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي » ، ومسلم في « صحيحه» : (٢٣٨٣) ، (٤ ١٨٥٥) عن سيدنا ابن مسعود « رضي الله عنه » : بلفظ : « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا » .

(٣) سبق تخريجه .

وَلَيْسَ ٱلْخَيْرُ فِي هِدَايَةِ مَنِ ٱهْتَدَىٰ بِبَرَكَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وبِمَنْ دَعْوَتُهُ حَسْنُ تَدْبِيرِهِ .. أَقَلَّ مِنَ ٱلْخَيْرِ فِي قَتْلِ مَنْ قَتَلَهُ عَلِيٌّ مِنَ ٱلْكُفَّارِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَدْخَلُ فِي نُصْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ .

وَأَمَّا زُهْدُهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا .. فَشُهْرَتُهُ أَغْنَتْ عَنْ بَيَانِهِ .

وَأَمَّا ٱلسَّابِقُ إِسْلَاماً .. فَٱلْأَكْثَرُ أَنَّهُ أَبُو بَكْرٍ ؛ كَمَا صَرَّحَ بِهِ حَسَّانُ[1] فِي شِعْرٍ أَنْشَدَهُ بِحَضْرَةِ ٱلْأَشْهَادِ فَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ ، وَقِيلَ : زَيْدٌ ، وَقِيلَ : خَدِيجَةٌ ، وَفَصَّلَ بَعْضُهُمْ / **ب ٢٤٥**/ فَقَالَ : أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ ، وَمِنَ ٱلْمَوَالِي زَيْدٌ ، وَمِنَ ٱلصِّبْيَانِ عَلِيٌّ ، وَمِنَ ٱلنِّسَاءِ خَدِيجَةُ .

وَبِهِ ٱهْتَدَىٰ عُثْمَانُ ، وَ ٱلزُّبَيْرُ ، وَطَلْحَةُ ، وَعَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ ، وَسَعْدٌ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِنْصَافٌ لَا يُنْكِرُ مَسَاعِيهِمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، وَرَفْعِ أَلْوِيَتِهِ .

(**فَٱلسِّتَّةُ**) بَعْدَهُمْ ؛ أَيْ : طَلْحَةُ ، وَ ٱلزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَسَعِيدٌ ، وَعَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ .. أَفْضَلُ مِمَّنْ عَدَاهُمْ .

(**فَأَهْلُ بَدْرٍ**) بَعْدَهُمْ أَفْضَلُ ؛ أَي : ٱلَّذِينَ شَهِدُوهَا ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً ٱلْمُهَاجِرُونَ نَيِّفٌ عَلَىٰ سِتِينَ ، وَ ٱلْأَنْصَارُ نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ وَمِائَتَانِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي حَقِّ مَنْ شَهِدَهَا : ((أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱللهَ ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : ((ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، أَوْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ ٱلْجَنَّةُ))[2] وَ ٱلتَّرَجِّي فِي كَلَامِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ لِلْوُقُوعِ ، وَيَنْصُرُهُ ٱلْجَزْمُ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِهِ : ((إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ))[3] بِدُونِ (لَعَلَّ) .

---

(١) **حَسَّان بن ثابت** بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، أبو الوليد ، الصحابي ، شاعر النبي « صلى الله عليه وسلم » وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ، ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٢ ٥٥) ، و « أسد الغابة » : (٢ ٦) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٩٨٣) ، (٥ ٧٧) ومسلم في « صحيحه » : (٢٤٩٤) ، (٤ ١٩٤١) عن سيدنا علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » : (٧٩٤٠) ، (١٣ ٣٢٢) ، والحاكم في « المستدرك » : (٦٩٦٨) ، (٤ ٨٨) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

وَحَدِيثُ : ((لَنْ يَدْخُلَ ٱلنَّارَ مَنْ شَهِدَهَا))[1] .

فَأَهْلُ (**أُحُدٍ**) ٱلَّذِينَ شَهِدُوهَا أَفْضَلُ بَعْدَهُمْ ، وَكَانُوا حِينَ خَرَجُوا أَلْفاً فَرَجَعَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيٍّ[2] بِثَلَاثِمِائَةٍ .

(**فَبَيْعَةُ ٱلرِّضْوَنِ**) أَيْ : أَهْلُهَا ٱلَّذِينَ حَضَرُوهَا بِٱلْحُدَيْبِيَةِ[3] - مُخَفَّفَةٌ - ٱلَّتِي نَزَلَ فِيهَا : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ** ﴾[4] .

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِ : (وَلَيْسَ فِي غَزَوَاتِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مَا يَعْدِلُ وَيَقْرُبُ مِنْهَا إِلَّا غَزْوَةُ ٱلْحُدَيْبِيَةِ حَيْثُ كَانَتْ بَيْعَةُ ٱلرِّضْوَانِ ، وَكَانُوا أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةٍ عَلَىٰ ٱلْمُعْتَمَدِ ، وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ)) .[5][6]

(وَ) قَدْ (**جَاءَ**) عَنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**إِنَّ ٱلْحَسَنَيْنِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ**))[7] وَقَالَ فِي ٱلْحَسَنِ : ((إِنَّ ٱبْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَسَيُصْلِحُ ٱللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ))[8] .

(**ثُمَّ فُضْلَى ٱلنِّسَاءِ مَرْيَمُ**) بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ مَاثَانَ مِنْ وَلَدِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهُرَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في « سننه » : (٤٢٨١) ، (٢ ١٤٣١) بلفظ : « إني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا، والحديبية » والطبراني في « المعجم الكبير » : (٣٦٣) ، (٢٣ ٢٠٨) والإمام أحمد في « مسنده » : (٢٧٠٤٢) ، (٤٤ ٥٩٠) : بلفظ : « لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية » عن سيدتنا حفصة « رضي الله عنها » . والحديث صحيح رجاله رجال مسلم .

(٢) **ابن سَلُول** : عبد الله بن أبي من مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب ، وسلول جدته لأبيه ، من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام ، من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية توفي سنة : (٩ هـ) . ينظر : « سير أعلام النبلاء » : (٢ ٢٥٧) ، و « الأعلام » : (٤ ٦٥) .

(٣) **الحديبية** : وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » تُسمى اليوم الشميسي تبعد عن مكة ١٨ كم . ينظر : « معجم البلدان » : (٢ ٢٢٩) .

(٤) سورة الفتح : (١٨) .

(٥) في (ب) (سقطت) .

(٦) ينظر : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » : (١ ٤٣) .

(٧) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٧٦٨) ، (٦ ١١٧) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٠٩٩٩) ، (١٧ ٣١) والحاكم في « المستدرك » : (٤٧٧٨) ، (٣ ١٨٢) والطبراني في « المعجم الكبير » : (٢٦١٠) ، (٣ ٣٨) بلفظ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » . وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٦٢٩) ، (٤ ٢٠٤) عن سيدنا أبي بكرة « رضي الله عنه » .

أَبِي مُوسَىٰ ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ أَلْفٌ وَثَمَانُمَائَةِ سَنَةٍ[1] ، وَذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[2] : ((خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ / أ ٢٤٦/ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، [3]خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ آسِيَةُ ٱمْرَاةُ فِرْعَوْنَ))[4].

وَقَوْلِهِ : ((أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ))[5].

(**فَفَاطِمَةُ**) فُضْلَاهُنَّ بَعْدَهَا ؛ لِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا))[6] وَلَا يَعْدِلُ بِبَعْضَةٍ مِنْهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أَحَدٌ ، مَعَ قَوْلِهِ لَهَا : ((أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ))[7] .

(**فَخَدِيجَةُ ، أَوْ عَائِشَةُ**) فُضْلَاهُنَّ بَعْدُ ؛ لِتَعَارُضِ أَدِلَّتِهِمَا ، فَمِمَّا شَهِدَ بِكَوْنِ خَدِيجَةَ أَفْضَلَ حَدِيثُ : ((أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ خَدِيجَةُ[8] بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ))[9] ، وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِعَائِشَةَ ، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ : قَدْ رَزَقَكَ ٱللهُ خَيْراً مِنْهَا : ((لَا وَ ٱللهِ مَا رَزَقَنِي ٱللهُ خَيْراً مِنْهَا ، آمَنَتْ

---

(١) ينظر : « إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » : (٥ ٤٠٦) ، و « الكشاف » : (١ ٣٥٤) ، و « مفاتيح الغيب » : (٨ ٢٠١) .

(٢) (ب) ٤٤ (فيما رواه الطبراني) .

(٣) في (ب) (ثم) .

(٤) المعجم الكبير : (٤ ١٠٠) ، (٢٢ ٤٠٢) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٢٨٥) ، (٨ ٦٤) بلفظ : « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة » عن سيدتنا عائشة « رضي الله عنها » والترمذي في « سننه » : (٣٨٩٣) ، (٦ ١٩٢) بلفظ : « أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران » عن سيدتنا أم سلمة « رضي الله عنها » .

(٦) أخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٥٢٣٠) ، (٧ ٣٧) ، ومسلم في : « صحيحه » : (٢٤٤٩) ، (٤ ١٩٠٢) عن سيدنا المسور بن مخرمة « رضي الله عنه » .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) (ب) ٤٥ (سقطت) .

(٩) أخرجه الإمام أحمد في : « مسنده » : (٢٩٠١) ، (٥ ٧٧) ، وابن حبان في : « صحيحه » : (٧٠١٠) ، (١٥ ٤٧٠) والحاكم في : « المستدرك » : (٤٨٥٢) ، (٣ ٢٠٤) ، والطبراني في : « المعجم الكبير » : (١١٩٢٨) ، (١١ ٣٣٦) عن سيدنا ابن عباس « رضي الله عنهما » . قال عنه الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وقال عن ابن حجر الهيتمي في « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ». (٩ ١٦٤) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح .

بِي حِينَ كَذَّبَنِي ٱلنَّاسُ ، وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي ٱلنَّاسُ))[١] مَعَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهَا أَقْرَأَهَا جِبْرِيلُ مِنْ رَبِّهَا ٱلسَّلَامَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٢]، وَعَائِشَةُ أَقْرَأَهَا ٱلنَّبِيُّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ٱلسَّلَامَ مِنْ جِبْرِيلَ[٣].

وَأَمَّا مَا شَهِدَ بِفَضْلِهَا عَلَىٰ بِنْتِهَا فَاطِمَةَ .. فَحَدِيثُ ٱلطَّبَرَانِيِّ ٱلْمُتَقَدِّمُ : ((خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، ثُمَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ آسِيَةُ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ))[٤] فَقَدْ حُمِلَ عَلَىٰ فَضْلِهَا عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ ٱلْأُمُومَةُ ، لَا مِنْ حَيْثُ ٱلسِّيَادَةُ ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِظَاهِرِ سِيَاقِ ٱلْحَدِيثِ .

وَمِمَّا شَهِدَ بِكَوْنِ عَائِشَةَ أَفْضَلَ مِنْ خَدِيجَةَ حَدِيثُ : ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ ؛ كَفَضْلِ ٱلثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلطَّعَامِ))[٥] وَحَدِيثُ : ((إِنِّي لَأُحِبُّ[٦] عَائِشَةَ مَحَبَّةً كَثِيرَةً ؛ لِفَضْلِهَا وَفِقْهِهَا)) ، وَقَوْلُهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » لِفَاطِمَةَ : ((أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ قَالَتْ : بَلَىٰ ، قَالَ : فَأَحِبِّي عَائِشَةَ))[٧] .

(**فَآسِيَةُ**) بِنْتُ مُزَاحِمٍ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ فُضْلَاهُنَّ بَعْدَهُنَّ ؛ لِقَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » آخِرَ ٱلْحَدِيثِ ٱلْمُتَقَدِّمِ : ((ثُمَّ آسِيَةُ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)) . وَقَدْ نَظَمْتُهُنَّ فِي بَيْتَيْنِ وَزِدْتُ فِيهِمَا أَنَّ مَرْيَمَ ، وَأُخْتُ مُوسَىٰ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَآسِيَةُ زَوْجَاتٌ لِنَبِيِّنَا « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي ٱلْجَنَّةِ ؛ لِإِخْبَارِهِ بِذَلِكَ فَقُلْتُ :

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الهروي في « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » : (٩ ٣٦٥٩) ، و أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » : (٢٤٨٦٤) ، (٤١ ٣٥٦) والطبراني في « المعجم الكبير » : (٢٢) ، (٢٣ ١٣) بلفظ : « ما أبدلني الله بها خيرا منها ، صدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها » قال في « مجمع الزوائد » : (٩ ٢٢٤) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

(٢) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٣٨٢٠) ، (٥ ٣٩) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » ، قال : (أتى جبريل النبي « صلى الله عليه وسلم » ، فقال : يا رسول الله : هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ، ولا نصب) .

(٣) أخرج البخاري في « صحيحه » : (٦٢٥٣) ، (٨ ٥٦) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة « رضي الله عنها » ، حدثته : أن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال لها : ((إن جبريل يقرئك السلام)) قالت : (وعليه السلام ورحمة الله) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٥٤١٩) ، (٧ ٧٥) وصحيح مسلم (٢٤٤٦) ، (٤ ١٨٩٥) عن سيدنا انس بن مالك « رضي الله عنها » .

(٦) في (ب) (احب) .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٤٤٢) ، (٤ ١٨٩١) عن سيدنا عائشة «رضي الله عنها » .

فُضْلَى ٱلنِّسَاءِ بِنْتُ عِمْرَانَ فَفَاطِمَهْ	فَأُمُّهَا ، أَوْ فَمَنْ بَرَّأَ ٱللهُ
فَزَوْجُ فِرْعَوْنَ مَعَ أُخْتِ ٱلْكَلِيمِ وَمَرْ	يَمَ لِأَحْمَدَ زَوْجَاتٌ بِآخِرَهْ

/ ب ٢٤٦ / ثُمَّ (**ٱلْفَضْلُ لِلْعِلْمِ وَ ٱلتَّقْوَىٰ**) نَصّاً ، وَإِجْمَاعاً : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(١)] ، ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [(٢)] ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [(٣)] ، ((ٱلنَّاسُ سَوَاءٌ ؛ كَأَسْنَانِ ٱلْمِشْطِ ، لَا يَفْضُلُ عَرَبِيٌّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ ، إِنَّمَا ٱلْفَضْلُ لِلتَّقْوَىٰ)) [(٤)] ، ((إِنَّ فَضْلَ ٱلْعَالِمِ عَلَىٰ ٱلْعَابِدِ ؛ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ ، وَأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ)) [(٥)] ، ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً . . سَهَّلَ لَهُ طَرِيقاً إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ)) [(٦)] .

(**وَبِهِمَا**) أَيْ : بِٱلْعِلْمِ وَ ٱلتَّقْوَىٰ (**فَضْلُ ذَوِيهِ**) لَا بِشَرَفِ ٱلنَّسَبِ وَحْدَهُ ؛ إِذْ لَا يَفْضُلُ آحَادُ قُرَيْشٍ ، أَوْ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ عَلَىٰ عُلَمَاءِ ٱلدِّينِ ، وَعُظَاءِ ٱلْمُجْتَهِدِينَ ، بَلْ لَا بُدَّ فِي ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْإِنْصَافِ بِهِمَا ؛ بِشَهَادَةِ قَرْنِهِمْ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي حَدِيثِ : ((إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ ٱللهِ وَعِتْرَتِي)) [(٧)] ، ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مُنْقِذِينَ : كِتَابُ ٱللهِ فِيهِ ٱلْهُدَىٰ وَ ٱلنُّورُ ، فَخُذُوا بِهِ وَٱسْتَمْسِكُوا

---

(١) سورة الزمر : (٩) .

(٢) سورة المجادلة : (١١) .

(٣) سورة الحجرات : (١٣) .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، ومقدمة الحديث ذكرها ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣ ٨٠) وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » : (٤ ٢٢٥) ، ولكن ذكر الإمام أحمد في « مسنده » حديثا قريبا منه : (٢٣٤٨٩) ، (٣٨ ٤٧٤) « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى أبلغت » .

(٥) أخرجه أبو داوود في « سننه » : (٣٦٤١) ، (٣ ٣١٧) والترمذي في « سننه » : (٢٦٨٢) ، (٤ ٣٤٥) وابن ماجه في « سننه » : (٢٢٣) ، (١ ١٥٠) وغيرهم ، عن سيدنا أبي الدرداء « رضي الله عنه » قال عنه الترمذي : ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل .

(٦) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٦٩٩) ، (٤ ٢٠٧٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٧) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٧٨٦) ، (٦ ١٣١) عن سيدنا جابر بن عبد الله « رضي الله عنهما » .وقال عنه : وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

بِهِ وَأَهْلُ بَيْتِي ، وَأُذَكِّرُكُمُ ٱللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))[1] إِذْ قَرَنَهُمْ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي كَوْنِ ٱلتَّمَسُّكِ بِهِمَا مُنْقِذاً مِنَ ٱلضَّلَالَةِ ، وَلَا مَعْنَىٰ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ ٱللهِ إِلَّا ٱلْأَخْذُ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْهِدَايَةِ ، فَكَذَا فِي ذَوِي قُرْبَاهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَلَا يَكْفِي شَرَفُ ٱلنَّسَبِ ؛ بِشَهَادَةِ : ((مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[2] .

(**وَتَعْظِيمُ ٱلصَّحَابَةِ وَاجِبٌ ، وَٱلْكَفُّ عَنِ ٱلْقَدْحِ فِيهِمْ ؛ لِثَنَاءِ ٱللهِ**) تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[3] ، ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾[5] ، ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[6] إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا شَهِدَ بِعَظِيمِ قَدْرِهِمْ ، وَكَرِيمِ شَرَفِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

(وَ) ثَنَاءِ (**رَسُولِهِ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (**عَلَيْهِمْ**) بِقَوْلِهِ : ((خَيْرُ ٱلْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ / **أ ٢٤٧** / ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[7] ، ((لَاتَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ))[8] ، ((ٱللهَ ٱللهَ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى ٱللهَ ، وَمَنْ آذَى ٱللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ))[9] إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا أَفَادَ عُلُوَّ شَأْنِهِمْ ، وَسُمُوَّ مَحَلِّهِمْ .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٤٠٨) ، (٤ ١٨٧٣) بلفظ : « وأنا تارك فيكم ثقلين » عن سيدنا زيد بن أرقم « رضي الله عنه » .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٦٩٩) ، (٤ ٢٠٧٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٣) سورة التوبة : (١٠٠) .

(٤) سورة التحريم : (٨) .

(٥) سورة الفتح : (٢٩) .

(٦) سورة الفتح : (١٨) .

(٧) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٤٢٨) ، (٨ ٩١) ومسلم في « صحيحه » : (٢٥٣٥) ، (٤ ١٩٦٤) بلفظ : « خيركم قرني » عن سيدنا عمران بن الحصين « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٦٧٣) ، (٥ ٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » ومسلم في « صحيحه » : (٢٥٤٠) ، (٤ ١٩٦٧) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٩) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٣٨٦٢) ، (٦ ١٧٩) والإمام أحمد في « مسنده » : (٢٠٥٧٨) ، (٣٤ ١٨٥) وابن حبان في « صحيحه » : (٧٢٥٦) ، (١٦ ٢٤٤) عن سيدنا عبد الله بن المغفل « رضي الله عنه » . وقال عنه الترمذي : هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وَمَنْ (**تَأَمَّلَ مَنَاقِبَهُمُ**) ٱلشَّرِيفَةَ ٱلَّتِي لَا تُعَدُّ ، (**وَمَآثِرَهُمُ**)[1] ٱلَّتِي لَا تُحَدُّ ، (**وَبَذْلَ مُهَجِهِمْ**) وَأَمْوَالِهِمْ (**فِي نُصْرَتِهِمَا**) أَيْ : نُصْرَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ .. (**عَلِمَ بَرَاءَتَهُمْ مِمَّا عُزِيَ إِلَيْهِمْ**) مِنْ مُفْتَرَيَاتٍ طَعَنَ بِهَا ٱلْمُبْطِلُونَ فِيهِمْ ، مِمَّا لَمْ يُؤْثَرْ عَمَّنْ لَهُ ٱسْتِقَامَةٌ ، وَكَفَاكَ شَاهِداً بِذَلِكَ كَوْنُهَا لَمْ تَكُنْ فِي سَالِفِ ٱلْقُرُونِ ، وَلَا بَيْنَ ٱلْعِتْرَةِ ٱلطَّاهِرَةِ (**مِمَّا نُنَزِّهُ كِتَابَنَا عَنْهُ**) .

وَأَمَّا مَا أَوْجَبَ ظَاهِرُهُ ٱلْقَدْحَ فِيهِمْ مِمَّا جَرَىٰ بَيْنَهُمْ ؛ كَحَرْبِ ٱلْجَمَلِ[2]، وَصِفِّينَ[3] .. فَمَحْمُولٌ عَلَىٰ تَأْوِيلَاتٍ لَائِقَةٍ بِكَرِيمِ جَنَابِهِمْ ، وَرَفِيعِ مَحَلِّهِمْ ؛ إِذْ هُمْ مَحْفُوظُونَ عَمَّا يُوجِبُ تَفْسِيقاً وَتَضْلِيلاً ، صَوْناً لِعَقَائِدِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَنِ ٱلزَّيْغِ وَٱلضَّلَالَةِ فِي حَقِّهِمْ سِيَّمَا ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنْ عَقَائِدِ ٱلدِّينِ ، وَرُبَّمَا ضَرَّ بِٱلْيَقِينِ ؛ حِفْظاً لِلْأَذْهَانِ عَنِ ٱلتَّدْنِيسِ بِٱلْعَقَائِدِ ٱلرَّدِيَّةِ ، وَٱبْتِنَاءً لِبَعْضِ ٱلْأَحْكَامِ ٱلْفِقْهِيَّةِ فِي بَابِ ٱلْبُغَاةِ عَلَيْهَا لِعَدَمِ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلنُّصُوصِ .

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : (لَوْلَا عَلِيٌّ لَمْ تُعْرَفِ ٱلسِّيرَةُ فِي ٱلْخَوَارِجِ ، وَكَأَنَّ ٱلنَّبِيَّ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » خَصَّهُ بِمَعْرِفَةِ تِلْكَ ٱلْأَحْكَامِ ؛ لِمَا عَلِمَ مِنَ ٱخْتِصَاصِهِ بِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا)[4] .

(**وَتَوَقُّفُ عَلِيٍّ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ**) إِنَّمَا كَانَ (**لِحُزْنِهِ**) وَكَآبَتِهِ بِفَقْدِ رَسُولِ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » مِمَّا شَغَلَهُ عَنِ ٱلنَّظَرِ وَٱلِاجْتِهَادِ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا نَظَرَ وَظَهَرَ لَهُ ٱلْحَقُّ .. دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ ٱلنَّاسُ .

(**وَ**) تَوَقُّفُهُ (**عَنْ نُصْرَةِ عُثْمَانَ**) وَدَفْعِ ٱلْأَوْبَاشِ ٱلرِّعَاعِ عَنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ (**لِعَدَمِ رِضَاهُ**) / **ب ٢٤٧**/؛ أَيْ : عُثْمَانَ نُصْرَةَ عَلِيٍّ لَهُ ، وَعَدَمَ إِذْنِهِ لَهُ ، وَلَا لِغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ تَحَامِياً وَتَبَاعُداً عَنْ إِرَاقَةِ ٱلدِّمَاءِ بِسَبَبِهِ ؛ إِذْ قَدْ وَرَدَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ وَضَعَ ٱلسِّلَاحَ مِنْ غِلْمَانِي فَهُوَ حُرٌّ) وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِرِضَىً مِنْ عَلِيٍّ وَإِعَانَتِهِ

---

(١) في (ب) (المنيعة) .

(٢) **موقعة الجمل** : هي معركة وقعت في البصرة عام (٣٦ هـ) بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام « رضي الله عنهما » بالإضافة إلى أم المؤمنين عائشة « رضي الله عنها » التي قيل أنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمل ، وسميت المعركة بالجمل نسبة إلى ذلك الجمل . ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٤ ٤٤٤) وما بعدها ، و « البداية والنهاية » : (٧ ٢٣٠) وما بعدها .

(٣) **موقعة صفين** : هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » وجيش معاوية بن أبي سفيان « رضي الله عنهما » في شهر صفر سنة (٣٧ هـ) ، بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا ، على الحدود السورية العراقية والتي انتهت بعملية التحكيم . ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٥ ٥) وما بعدها ، و « البداية والنهاية » : (٧ ٢٥٧) وما بعدها .

(٤) ذكره التفتازاني في « شرح المقاصد » : (٥ ٣٠٥) ، وذكرها في « البناية شرح الهداية » : (٧ ٢٩٨) بقوله : (قال بعض المشايخ : لولا علي « رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ » ما درينا القتال مع أهل القبلة) .

عَلَيْهِ ، وَمِنْ ثُمَّ قَالَ : (مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، وَلَا مَالَاءْتُ عَلَىٰ قَتْلِهِ) [1].

وَتَوَقُّفُهُ (**عَنْ قِصَاصِ قَتَلَتِهِ**) إِنَّمَا كَانَ (**لِشَوْكَتِهِمْ**) وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ ، وَكَثْرَتِهِمْ ، وَقُوَّتِهِمْ ، وَجَزْمِهِمْ بِٱلْخُرُوجِ عَلَىٰ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِدَمِهِ فَأَدَّىٰ نَظَرُهُ ٱلصَّائِبُ إِلَىٰ تَأْخِيرِ ٱلْأَمْرِ حَذَرَ ٱلْفِتْنَةِ ، وَ لَمَّا رَأَىٰ مِنْ أَنَّهُمْ بُغَاةٌ لِمَا لَهُمْ مِنْ مَنَعَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَتَأْوِيلٍ فَاسِدٍ ، حَيْثُ ٱسْتَحَلُّوا دَمَهُ بِمَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ ، وَأَنَّ ٱلْبَاغِيَ إِذَا ٱنْقَادَ لِإِمَامِ أَهْلِ ٱلْعَدْلِ لَا يُؤَاخَذُ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ إِتْلَافٍ ، وَسَفْكِ دَمٍ .

(**وَ**) تَوَقُّفُهُ عَنْ (**بَيْعَتِهِ**) إِنَّمَا كَانَ مِنْهُ (**لِعِظَمِ ٱلْمُصِيبَةِ**) بِقَتْلِهِ ، وَلِلإِنْكَارِ عَلَىٰ قَتْلِهِ ، وَكَذَا تَوَقَّفَ طَلْحَةُ ، وَ ٱلزُّبَيْرُ وَغَيْرُهُمَا فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ بَعْضُ وجوه ٱلْمُهَاجِرِينَ وَنَاشَدُوهُ ٱللهَ فِي حِفْظِ بَقِيَّةِ ٱلْأمة ، وَصِيَانَةِ دَارِ ٱلْهِجْرَةِ ؛ لِعَزْمِ قَتَلَتِهِ عَلَىٰ ٱلاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، وَ ٱلْفَتْكِ بِأَهْلِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَهَلَةً لَا سَابِقَةَ لَهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَلَا حَظَّ مِنَ ٱلدِّينِ ، وَلَا صُحْبَةَ .. فَقَبِلَهَا .

(**وَتَوَقُّفُ بَعْضِهِمْ**) كَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ [2] ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ نُصْرَتِهِ وَ ٱلْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَىٰ (**مُحَارَبَةِ مَنْ بَغَىٰ عَلَيْهِ**) لَمْ يَكُنْ نِزَاعاً مِنْهُمْ فِي إِمَامَتِهِ وَلَا إِبَاءً لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ ، بَلْ (**لِتَخْيِيرِهِ لَهُمْ**) فِي ٱلْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَىٰ ٱلْمُحَارَبَةِ وَعَدَمِهِ فَٱخْتَارُوا عَدَمَهُ ؛ لِأَخْبَارٍ رَوَوْهَا ؛ كَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ : (عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » إِذَا وَقَعَتِ ٱلْفِتْنَةُ أَنْ أَكْسِرَ سَيْفِي ، وَٱتَّخِذَ مَكَانَهُ سَيْفاً مِنْ خَشَبٍ) [3]، وَسَعْدٍ : (سَتَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ ، ٱلْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ ٱلْقَائِمِ ، وَ ٱلْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَاشِي ، وَ ٱلْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ ٱلسَّاعِي) [4] / **أ ٢٤٨**/ .

وَقَالَ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((سِبَابُ ٱلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [5] ، ((وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ

---

(١) ذكره الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » : (٧٣٩) ، (١ ٤٥٨) عن سيدنا علي « رضي الله عنه » .

(٢) **عَبْد الله بن عُمَر** بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، توفي سنة (٧٣ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة» : (٤ ١٥٥) ، و « أسد الغابة » : (٣ ٣٣٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » : (١٦٠٢٩) ، (٢٥ ٤١٣) عن سيدنا محمد بن مسلمة « رضي الله عنه » .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٦٠١) ، (٤ ١٩٨) ، ومسلم في « صحيحه » : (٢٨٨٦) ، (٤ ٢٢١١) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٨) ، (١ ١٩) ومسلم في « صحيحه » : (٦٤) ، (١ ٨١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » .

يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)) [١] فَلَمْ يَأْثَمُوا بِقُعُودِهِمْ عَنْ نُصْرَتِهِ عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيْهِ .

(**وَهُوَ**) أَيْ : عَلِيٌّ « رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ » (**ٱلْمُصِيبُ فِي حَرْبِ ٱلْجَمَلِ**) إِذْ خَرَجَ جِمَاعٌ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ ، تَقْدُمُهُمْ عَائِشَةُ فِي هَوْدَجٍ عَلَىٰ جَمَلٍ آخِذاً بِخِطَامِهِ كَعْبُ بْنُ مِسْوَرٍ [٢] ؛ لِلصُّلْحِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ ، وَتَسْكِيناً لِلْفِتْنَةِ .. فَوَقَعَتِ ٱلْحَرْبُ فَلْتَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ [٣].

(**وَ**) فِي حَرْبِ مُعَاوِيَةَ ؛ إِذْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ ، فَٱجْتَمَعَا فِي صِفِينَ قَرْيَةِ خَرَابٍ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّومِ عَلَىٰ غَلْوَةِ سَهْمٍ مِنَ ٱلْفُرَاتِ ، وَدَامَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُمْ شُهُوراً [٤].

وَفِي حَرْبِ (**ٱلْخَوَارِجِ**) ٱلَّذِينَ نَزَعُوا أَيْدِيهِمْ عَنْ طَاعَتِهِ بَعْدَ مَا بَايَعُوهُ وَتَابَعُوهُ وَقَاتَلُوا مَعَهُ مُعَاوِيَةَ وَأَتْبَاعَهُ ، زَعْماً مِنْهُمْ أَنَّهُ كَفَرَ بِرِضَاهُ بِٱلتَّحْكِيمِ ، حَيْثُ ٱتَّفَقَا لَمَّا طَالَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عَلَىٰ تَحْكِيمِ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيّ ، وَعَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ [٥] ، وَ ٱلرِّضَا بِمَا يَرَيَانِهِ فِي أَمْرِ ٱلْخِلَافَةِ ، فَٱجْتَمَعَ ٱلْخَوَارِجُ عَلَىٰ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ وَهْبِ ٱلرَّاسِبِيِّ [٦] ، وَسَارُوا إِلَىٰ ٱلنَّهْرَوَانِ .. فَسَارَ إِلَيْهِمْ فَكَسَرَهُمْ ، وَقَتَلَ كَثِيراً مِنْهُمْ، وَقَدْ أَصَابَ فِي ذَٰلِكَ كُلِّهِ لِمَا ثَبَتَ مِنْ إِمَامَتِهِ ؛ بِبَيْعَةِ أَهْلِ ٱلْحَلِّ وَ ٱلْعَقْدِ لَهُ ، بَلْ بِٱلْإِجْمَاعِ وَمَا تَكَاثَرَ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ فِي كَوْنِ ٱلْحَقِّ مَعَهُ ، وَوَقَعَ مِنَ ٱلِاتِّفَاقِ عَلَىٰ أَنَّهُ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَأَحَقُّ بِٱلْإِمَامَةِ .

(**وَمُخَالِفُوهُ بُغَاةٌ**) لِخُرُوجِهِمْ عَلَى ٱلْإِمَامِ ٱلْحَقِّ بِشُبْهَةٍ هِيَ تَرْكُهُ ٱلْقِصَاصَ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ ، وَٱتِّخَاذُهُ لَهُمْ خَوَاصَّهُ وَبِطَانَتَهُ ، وَطَالَبُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ لَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ لِمَا مَرَّ ، وَلِحَدِيثِ : ((عَمَّارٌ تَقْتُلُهُ ٱلْفِئَةُ

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٠٦٥) ، (٨ ١٩) ومسلم في « صحيحه » : (٢٥٥٨) ، (٤ ١٩٨٣) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٢) هو كعب بن سور بن بكر الأزدي ، تابعي ، من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام . بعثه عمر قاضيا لأهل البصرة، وعاملا له عليها. وأقره عثمان. فأقام إلى أن كانت وقعة الجمل (بين علي وعائشة) فاعتزل الفتنة .توفي سنة : (٣٦ هـ) . ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٥ ٤٨٠) و « أسد الغابة » : (٤ ٤٥٣) .

(٣) ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٤ ٤٤٤) وما بعدها ، و « البداية والنهاية » : (٧ ٢٣٠) وما بعدها .

(٤) ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (٥ ٥) وما بعدها ، و « البداية والنهاية » : (٧ ٢٥٧) وما بعدها.

(٥) **عمرو بن العاص** بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبد الله ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم ، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام ، وأسلم في هدنة الحديبيّة توفي سنة (٤٣ هـ). ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٤ ٥٣٨) ، و « أسد الغابة » : (٤ ٢٣٢) .

(٦) **الرَّاسبيّ** : عبد الله بن وهب ، من الأزد ، من أئمة الإباضية ، كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة وكان عجبا في العبادة ، أدرك النبي « صلّى الله عليه وسلم » وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ، ثم كان مع عليّ في حروبه. ينظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » : (٥ ٧٨) .

ٱلْبَاغِيَةُ))[1] وَقَدْ قَتَلَهُ أَهْلُ ٱلشَّامِ بِصِفِينَ ، وَلِقَوْلِ عَلِيٍّ : (إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا)[2] .

(**لَا فَسَقَةٌ**) لِمَا لَهُمْ مِنَ ٱلتَّأْوِيلِ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فِي ٱجْتِهَادِهِمْ ، أَنَّهُ يَعْرِفُهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَيَقْدِرُ عَلَىٰ ٱلِاقْتِصَاصِ مِنْهُمْ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ قَادِحاً فِيهِمْ ، وَلَا يُوجِبُ / **ب ٢٤٨** / تَفْسِيقاً فَضْلاً عَنِ ٱلتَّكْفِيرِ ، وَمِنْ ثُمَّ مَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنَ لَعْنِ أَهْلِ ٱلشَّامِ ، وَقَالَ : (إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا) .

وَمَا زَعَمَهُ ٱلشِّيعَةُ مِنْ أَنْ مُحَارِبِيهِ كَفَرَةٌ ، وَمُخَالِفِيهِ فَسَقَةٌ ؛ بِحَدِيثِ : ((حَرْبُكَ يَا عَلِيُّ حَرْبِي))[3] وَبِأَنَّ ٱلطَّاعَةَ وَاجِبَةٌ ، وَتَرْكُهَا فِسْقٌ .. فَٱفْتِرَاءٌ مِنْهُمْ ، وَجَهَالَةٌ ، وَٱجْتِرَاءٌ ، وَوَقَاحَةٌ ؛ لِعَدَمِ فَرْقِهِمْ بَيْنَ مَا يَكُونُ بِٱجْتِهَادٍ وَتَأْوِيلٍ ، وَمَا لَا يَكُونُ .

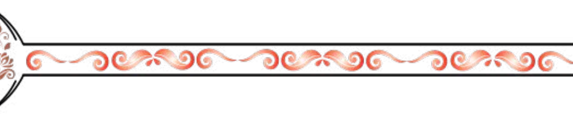
نَعَمْ ؛ إِنْ صَحَّ تَكْفِيرُ ٱلْخَوَارِجِ عَلِيّاً فَقَدْ كَفَرُوا بِهِ .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ذكر قول علي ابن أبي شيبة في « مصنفه » : (٣٧٧٦٣) ، (٧ ٥٣٥) ، و البيهقي في « السنن الكبرى » : (٨ ٣٠٠) عن أبي البختري ، قال : سئل علي « رضي الله عنه » عن أهل الجمل : أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا ، قيل : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، قيل : فما هم ؟ قال : (إخواننا بغوا علينا) .

(٣) ذكره ابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : (١ ٢١٢) ، والمجلسي في « بحار الأنوار » : (٣٢ ٣٢١) .



[خَاتِمَةٌ]

كَثِيراً مَا يَلْحَقُ بِبَحْثِ ٱلْإِمَامَةِ .. خُرُوجُ ٱلْمَهْدِيِّ ، وَنُزُولُ عِيسَىٰ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَشْرَاطِ ٱلسَّاعَةِ مِمَّا أُودِعَ هَذِهِ ٱلْخَاتِمَةُ .

(قَدْ وَرَدَ) فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ آحَاداً مُخْبِرَةً **(بِظُهُورِ إِمَامٍ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ ، يَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ عِلْماً)** كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً ؛ كَحَدِيثِ : ((لَا تَذْهَبُ ٱلدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ ٱلْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُوَاطِيءُ ٱسْمُهُ ٱسْمِي))(1) ، وَحَدِيثِ : ((ٱلْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي ، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ))(2) ، وَحَدِيثِ : ((ٱلْمَهْدِيُّ مِنِّي ، أَعْلَى ٱلْجَبْهَةِ ، أَقْنَى ٱلْأَنْفِ ، يَمْلأُ ٱلدُّنْيَا(3) قِسْطاً وَعَدْلاً ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً ، يَمْلِكُ ٱلْأَرْضَ سَبْعَ سِنِينَ))(4) ، وَحَدِيثِ : ((بَلَاءٌ يُصِيبُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةَ ، حَتَّىٰ لَا يَجِدَ ٱلرَّجُلُ مَلْجأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ ، فَيَبْعَثُ ٱللهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي .. فَيَمْلأُ بِهِ ٱلْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً))(5) فَذَهَبَ ٱلْعُلَمَاءُ إِلَىٰ أَنَّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ مِنْ وَلَدِهَا ، يَخْلُقُهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَتَىٰ شَاءَ ، وَيَبْعَثُهُ نُصْرَةً لِدِينِهِ .

وَٱلْإِمَامِيَّةُ مِنَ ٱلشِّيعَةِ زَعَمُوا : أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلْعَسْكَرِيُّ ، وَقَدِ ٱخْتَفَىٰ ؛ حَذَراً مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ ، وَأَنْكَرَهُ جَمِيعُ ٱلْفِرَقِ ؛ لِاسْتِبْعَادِهِ جِدّاً ، وَإِنْ كَانَ مُمْكِناً ؛ إِذْ لَمْ يُعْهَدْ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ طُولُ ٱلْعُمُرِ بِلَا دَلِيلٍ ، وَلَا إِمَارَةٍ ، وَلَا إِشَارَةٍ ، وَلِكَوْنِ تَوْلِيَتِهِ مَعَ هَذَا ٱلِاخْتِفَاءِ عَبَثاً ؛ إِذِ ٱلْمَقْصُودُ مِنَ ٱلْإِمَامِ .. إِقَامَةُ ٱلشَّرِيعَةِ ، وَحِفْظُ ٱلنِّظَامِ ، وَرَفْعُ ٱلْجَوْرِ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَلَوْ سُلِّمَ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ مُخْتَفِياً ؛ لِيُظْهِرَ دَعْوَةَ ٱلْإِمَامَةِ فَيَسْتَظْهِرُ بِهِ ٱلْأَوْلِيَاءُ ، وَيَنْتَفِعَ بِهِ ٱلنَّاسُ / **أ ٢٤٩**/ سِيَّمَا

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٢٣٠) ، (٤ ٧٥) والإمام احمد في « مسنده » : (٣٥٧٣) ، (٦ ٤٥) والطبراني في « المعجم الكبير » وغيرهم عن سيدنا عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » . وقال عنه الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أبو داوود في « سننه » : (٤٢٨٤) ، (٤ ١٠٧) عن سيدنا أم سلمة « رضي الله عنها» . قال عنه البخاري في « التاريخ الكبير » : (٣٤٦٣) : في إسناده نظر .

(٣)في (ب) (الارض) .

(٤) أخرجه أبو داوود في : « سننه » : (٤٢٨٥) ، (٤ ١٠٧) والإمام أحمد في : « مسنده » : (١١١٣٠) ، (١٧ ٢٠٩) وابن حبان في : « صحيحه » : (٦٨٢٦) ، (١٥ ٢٣٨) عن سيدنا ابي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه معمر بن راشد في : « جامعه » (٢٠٧٧٠) ، (١١ ٣٧١) بهذا اللفظ ، واخرجه الحاكم في : « المستدرك » : (٨٤٣٨) ، (٤ ٥١٢) بلفظ : « ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه ، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة ، وحتى يملأ الأرض جورا وظلما ، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم ، فيبعث الله عز وجل رجلا من عترتي ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا... » وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، لكن قال عنه الذهبي في « التعليق » : سنده مظلم .

هَذَا ٱلزَّمَانُ لِلْقَطْعِ بِٱنْقِيَادِهِمْ إِلَيْهِ وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ .

(**وَنُزُولِ عِيسَىٰ**) « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَرَدَ فِيهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ؛ كَخَبَرِ : ((وَ ٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَ أَنْ يَنْزِلَ ٱبْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ ٱلصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ ٱلْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ ٱلْجِزْيَةَ)) [1]، وَخَبَرِ : ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ٱبْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)) [2] .

وَلَمْ يَرِدْ فِي حَالِهِ مَعَ إِمَامِ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ .. خَبَرٌ صَحِيحٌ سِوَىٰ خَبَرِ : ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ ٱلْحَقّ ، ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ - فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ فَصَلِّ لَنَا ، فَيَقُولُ : إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ)) [3] تَكْرِمَةً لِهَذِهِ ٱلْأُمَّةِ .

فَمَا قِيلَ : أَنَّهُ يَقْتَدِي بِٱلْمَهْدِيّ ، لَا سَنَدَ لَهُ فَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ؛ لِلْقَطْعِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْإِمَامِ ؛ إِذْ غَايَةُ عُلَمَاءِ ٱلْأُمَّةِ ٱلشَّبَهُ بِأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَمَّا خَبَرُ : (لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَىٰ) .. فَلَا يَبْعُدُ حَمْلُهُ عَلَىٰ ٱلْهِدَايَةِ إِلَىٰ طَرِيقِ هَلَاكِ ٱلدَّجَّالِ ، وَدَفْعِ شَرِّهِ .

(**وَخُرُوجِ ٱلدَّجَّالِ**) وَرَدَ فِيهِ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ رُبَّما بَلَغَتْ حَدَّ ٱلتَّوَاتُرِ ؛ كَخَبَرِ : ((يَخْرُجُ ٱلدَّجَّالُ بِٱلشَّامِ ، فَبَيْنَا ٱلْمُسْلِمُونَ يَعْتَذِرُونَ لِلْقِتَالِ ، يُسَوُّونَ ٱلصُّفُوفَ إِذَا أُقِيمَتِ ٱلصَّلَاةُ .. فَيَنْزِلُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ ٱللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ ، ثُمَّ يَقْتُلُهُ بِيَدِهِ ، وَيَأْتِي وَدَمُهُ فِي حَرْبَتِهِ)) وَهَذَا شَاهِدُ صِدْقٍ بِأَنَّهُ يَؤُمُّهُمْ فِي تِلْكَ ٱلصَّلَاةِ ، وَخَبَرِ : ((مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ ٱلسَّاعَةِ .. أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ ٱلدَّجَّالِ)) [4] وَخَبَرِ : ((مَا مِنْ نَبِيّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ ٱلدَّجَّالَ)) [5] ، وَفِي رِوَايَةٍ : ((ٱلْأَعْوَرَ ٱلْكَذَّابَ)) [6] ، وَخَبَرِ : ((يَنْزِلُ ٱبْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ ٱلْمَنَارَةِ ٱلْبَيْضَاءِ شَرْقِيّ دِمَشْقَ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ .. فَيَقْتُلُهُ)) [7] وَخَبَرِ : ((يَخْرُجُ ٱلدَّجَّالُ مِنْ أَرْضٍ بِٱلْمَشْرِقِ، يُقَالُ

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٢٢٢٢) ، (٣ ٨٢) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٥٥) ، (١ ١٣٥) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣٤٤٩) ، (٤ ١٦٨) ، ومسلم في « صحيحه » : (١٥٥) ، (١ ١٣٦) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (١٥٦) ، (١ ١٣٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله « رضي الله عنهما » .

(٤) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٤٦) ، (٤ ٢٢٦٦) عن سيدنا عمران بن الحصين « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (١٦٩) ، (٤ ٢٢٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر « رضي الله عنهما ».

(٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٧١٣١) ، (٩ ٦٠) ومسلم في « صحيحه » : (٢٩٣٣) ، (٤ ٢٢٤٨) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٣٧) ، (٤ ٢٢٥٠) عن سيدنا النواس بن سمعان « رضي الله عنه ».

لَهَا خُرَاسَانُ ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمِجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ))[١] وَخَبَر : ((يَتْبَعُ ٱلدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً ، عَلَيْهِمْ ٱلتِّيجَانُ))[٢] أَيِ : ٱلطَّيَالِسَةُ ٱلْخُضْرُ ، وَ ٱلظَّاهِرُ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ ٱلدَّعْوَةِ ، لَا أُمَّةِ ٱلْإِجَابَةِ ؛ بِشَهَادَةِ : ((يَتْبَعُ ٱلدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً / ب ٢٤٩/ ، عَلَيْهِمُ ٱلطَّيَالِسَةُ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ .. فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ ٱلْكَهْفِ ، فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ))[٣] .

(وَ) خُرُوجِ (**يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**) بَعْدَ خُرُوجِ ٱلدَّجَّالِ ، وَقَتْلِ عِيسَىٰ إِيَّاهُ (**وَ ٱلدَّابَّةِ ، وَطُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُسُوفَاتٍ ثَلَاثَةٍ**) وَنَارٍ تَخْرُجُ مِنَ ٱلْيَمَنِ .

لِحَدِيثِ : ((لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ ٱلدَّجَّالَ ، وَ ٱلدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَ خُسُوفَاتٍ : خَسْفٍ بِٱلْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٍ بِٱلْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٍ بِجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَٰلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ ٱلْيَمَنِ تَطْرُدُ ٱلنَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ))[٤].

وَحَدِيثِ : ((إِنَّ أَوَّلَ ٱلآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ ٱلدَّابَّةِ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ ضُحًى))[٥] .

وَحَدِيثِ : ((إِنَّهَا ؛ أَيِ : ٱلشَّمْسُ تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا ، فَيُقَالُ : ٱرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ . فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾[٦] فَمُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ ٱلْعَرْشِ))[٧].

وَحَدِيثِ : ((أَوَّلُ أَشْرَاطِ ٱلسَّاعَةِ .. نَارٌ تَحْشُرُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ إِلَىٰ ٱلْمَغْرِبِ))[٨] .

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٢٣٧) ، (٤ ٧٩) والإمام أحمد في « مسنده » : (١٢) ، (١ ١٩٠) وابن ماجه في « سننه» : (٤٠٧٢) ، (٢ ١٣٥٣) والحاكم في « المستدرك » : (٨٦٠٨) ، (٤ ٥٧٣) عن سيدنا أبي بكر الصديق « رضي الله عنه » . قال عنه الترمذي : وهذا حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه معمر بن راشد في « الجامع » : (٢٠٨٢٦) ، (١١ ٣٩٣) بلفظ : « يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم السيجان » عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٤٤) ، (٤ ٢٢٦٦) بلفظ: « يتبع الدجال من يهود أصبهان، سبعون ألفا عليهم الطيالسة » عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » بدون التكملة ولكن ورد عند مسلم له شاهد : (٨٠٩) ، (١ ٥٥٥) : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » .

(٤) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٠١) ، (٤ ٢٢٢٥) عن سيدنا حذيفة بن أسيد « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٤١) ، (٤ ٢٢٦٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه »

(٦) سورة يس : (٣٨) .

(٧) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٣١٩٩) ، (٤ ١٠٧) عن سيدنا أبي ذرٍّ « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه البخاري في « صحيحه » تعليقا : (٩ ٥٨) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

وَحَدِيثِ : ((لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ ٱلْحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ ٱلْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ))[١].

(**وَقِلَّةِ ٱلْعِلْمِ وَ ٱلْأَمَانَةِ ، وَكَثْرَةِ ٱلْجَهْلِ وَ ٱلْخِيَانَةِ**) لِحَدِيثِ : ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ ٱلسَّاعَةِ[٢] أَنْ يُرْفَعَ ٱلْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ ٱلْجَهْلُ ، وَيُشْرَبَ ٱلْخَمْرُ ، وَتَقِلَّ ٱلرِّجَالُ ، وَتَكْثُرَ ٱلنِّسَاءُ حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ ٱمْرَأَةً ٱلْقَيِّمُ ٱلْوَاحِدُ))[٣] .

وَحَدِيثِ : ((إِذَا ضُيِّعَتِ ٱلْأَمَانَةُ .. فَٱنْتَظِرِ ٱلسَّاعَةَ))[٤] .

(**وَرِئَاسَةِ ٱلْفَسَقَةِ وَ ٱلْأَرَاذِلِ**) لِخَبَرِ : ((مِنْ عَلَامَاتِ ٱلسَّاعَةِ : أَنْ تَظْهَرَ ٱلْأَصْوَاتُ فِي ٱلْمَسَاجِدِ ، وَأَنْ تَسُوِّدَ ٱلْقَبِيلَةُ فَاسِقَهُمْ ، وَأَنْ يَكُونَ زَعِيمُ ٱلْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَأَنْ يُكْرَمَ ٱلرَّجُلُ ؛ مَخَافَةَ شَرِّهِ))[٥] .

(**وَإِشْفَاءِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَىٰ ٱلزَّوَالِ**) لِخَبَرِ : ((لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ ٱلْخَلْقِ))[٦] وَفِي رِوَايَةٍ : ((لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ : ٱللهَ ٱللهَ))[٧] .

(**وَتَقَارُبِ ٱلزَّمَانِ**) لِحَدِيثِ : ((لَا تَقُومُ / أ ٢٥٠/ ٱلسَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ ٱلزَّمَانُ ، فَتَكُونُ ٱلسَّنَةُ ؛ كَٱلشَّهْرِ ، وَ ٱلشَّهْرُ ؛ كَٱلْجُمُعَةِ ، وَ ٱلْجُمُعَةُ ؛ كَٱلْيَوْمِ ، وَ ٱلْيَوْمُ ؛ كَٱلسَّاعَةِ))[٨] .

(**وَ ٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ**) مَا ذُكِرَ مِنْ إِشْفَاءِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَىٰ ٱلزَّوَالِ ، وَإِفْضَاءِ ٱلنِّظَامِ إِلَىٰ ٱلْإِنْحِلَالِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْأُمَّةَ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ .. شَرُّ ٱلْخَلْقِ يَكُونُ (**عِنْدَ**) غَايَةِ (**قُرْبِ ٱلسَّاعَةِ فَلَا يُنَافِي فِي خَيْرِيَّةِ آخِرِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْوَارِدُ بِهَا** : ((**مَثَلُ أُمَّتِي .. مَثَلُ ٱلْمَطَرِ ، لَا يُدْرَىٰ أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**))[٩] ؛ إِذْ قَدْ تَكُونُ ٱلْخَيْرِيَّةُ فِي آخِرِهِ عِنْدَ كَوْنِ ٱلْأُمَّةِ عَلَىٰ ٱلطَّاعَةِ وَ ٱلْإِيمَانِ ؛ إِذْ لَا رَيْبَ فِي كَوْنِهِمْ خَيْراً عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ حَيْثُ ٱنْقِيَادِهِمْ ، وَإِيمَانِهِمْ مَعَ غَيْبَتِهِمْ

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٧١١٨) ، (٩ ٥٨) ومسلم في « صحيحه » : (٢٩٠٢) ، (٤ ٢٢٢٧) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٢) (ب) (نار تحشر الناس) .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٨١) ، (١ ٢٧) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » : (٦٤٩٦) ، (٨ ١٠٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

(٥) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٢١٠) ، (٤ ٦٤) والطبراني في « المعجم الأوسط » عن سيدنا علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » . قال عنه الترمذي : هذا حديث غريب .

(٦) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (٢٩٤٩) ، (٤ ٢٢٦٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو « رضي الله عنه » .

(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » : (١٤٨) ، (١ ١٣١) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

(٨) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٣٣٢) ، (٤ ١٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » . وقال عنه : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٩) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٨٦٩) ، (٤ ٤٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » .

عَنْ مُشَاهَدَةِ ٱلْوَحْيِ ، وَظُهُورِ ٱلعَجَائِبِ ، وَهُبُوطِ ٱلْخَيْرَاتِ وَ ٱلبَرَكَاتِ ، وَمِنْ حَيْثُ ثَبَاتُهُمْ عَلَىٰ ٱلْإِيمَانِ ، وَ ٱلطَّاعَاتِ ، وَ ٱلْعُلُومِ ، وَ ٱلْمَعَارِفِ ، وَإِرْشَادِ ٱلطَّوَائِفِ مَعَ فَسَادِ ٱلزَّمَانِ ، وَإِشَاعَةِ ٱلْمُنْكَرَاتِ ، وَكَسَادِ ٱلْفَضَائِلِ ، وَرَوَاجِ ٱلرَّذَائِلِ ، وَٱسْتِيَلاءِ ٱلْجَهْلِ وَ ٱلْعِنَادِ ، وَ ٱلشَّرِّ وَ ٱلْفَسَادِ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ : ((ٱلْقَابِضُ عَلَىٰ دِينِهِ كَٱلْقَابِضِ عَلَىٰ ٱلْجَمْرِ))[١] .

وَهَذَا لَا يُنَافِي فِي خَيْرِيَّةِ ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ فَهُمُ ٱلْأَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ ٱلطَّاعَاتِ ، وَ ٱلْعِبَادَاتِ ، وَصَفَاءِ ٱلْعَقَائِدِ ، وَخُلُوصِ ٱلنِّيَّاتِ ، وَقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَبِأَصْحَابِهِ عَلَىٰ مَا قَالَهُ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : ((خَيْرُ ٱلْقُرُونِ ٱلَّذِي أَنَا فِيهِ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَفْشُوا ٱلْكَذِبُ))[٢] .

(**وَ ٱلْحَاصِلُ**) : أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِٱلْخَيْرِ فِي حَدِيثِ : ((خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[٣] هُوَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلْأَكْثَرُ ثَوَاباً عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ لِخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ ، وَصَفَاءِ عَقَائِدِهِمْ ، وَكَثْرَةِ طَاعَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَفِي حَدِيثِ : ((مَثَلُ أُمَّتِي)) هُوَ ٱلْخَيْرِيَّةُ فِي ٱلنَّفْعِ وَ ٱلذَّبِّ عَنِ ٱلشَّرِيعَةِ عِنْدَ فَسَادِ ٱلزَّمَانِ ، فَتَشْبِيهُ ٱلْأُمَّةِ بِٱلْمَطَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ ٱلْهُدَىٰ وَ ٱلْعِلْمُ ، بِجَامِعِ ٱلنَّفْعِ ؛ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ / ب ٢٥٠/ : ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَ ٱلْعِلْمِ .. مِثْلُ ٱلْغَيْثِ الكثير))[٤] لَا مِنْ حَيْثُ ذَوَاتُهُمْ ، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ نَوْبَةٍ مِنَ ٱلْمَطَرِ لَهَا نَفْعٌ فِي نُشُوءِ ٱلْكَلَأِ و هوَ ٱلْعُشْبِ ، كَذَلِكَ كُلُّ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَّةِ ٱخْتَصَتْ بِفَضِيلَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا ، فَرُبَّمَا شَكَّ ٱلرَّأْيُ عِنْدَ فَسَادِ ٱلزَّمَانِ فِي أَيِّهِمَا خَيْرٌ .

قَالَ ٱلتُّورْبِشْتِيُّ[٥]: (وَلَا يُحْمَلُ حَدِيثُ : ((مَثَلُ أُمَّتِي)) عَلَىٰ ٱلتَّرَدُّدِ فِي فَضْلِ ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ عَلَىٰ ٱلآخِرِ ؛ إِذِ ٱلْأَوَّلُ هُمُ ٱلْخَيْرُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْقُرُونِ بِلَا شَكٍّ ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ)[٦] .

وَبِٱلْجُمْلَةِ فَٱلْأَحَادِيثُ فِي أَشْرَاطِ ٱلسَّاعَةِ كَثِيرَةٌ ، وَلَا يَمْتَنِعُ حَمْلُهَا عَلَىٰ ظَوَاهِرِهَا عِنْدَ أَهْلِ ٱلشَّرِيعَةِ لِإِمْكَانِ

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٢٢٦٠) ، (٤ ٩٦) عن سيدنا أنس بن مالك « رضي الله عنه » بلفظ : « يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر » .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤)(). اخرجه البخاري في : « صحيحه » : (٧٩) ، (١ ٢٧) عن سيدنا أبي موسى « رضي الله عنه » .

(٥) **التُّورِبِشْتِيُّ** : فضل الله بن حسن ، أبو عبد الله ، شهاب الدين فقيه حنفي ، لو كتب منها : « مطلب الناسك في علم المناسك » ، و « الميسر في شرح مصابيح السنة للبغوي » ، « المعتمد في المعتقد » توفي سنة (٦٦١ هـ) . ينظر : « طبقات الشافعية الكبرى » : (٨ ٣٤٩) .

(٦) ينظر : « الميسر في شرح مصابيح السنة » : (٤ ١٣٦١) .



مَعَانِيهَا عَقْلاً .

وَزَعَمَ ٱلْفَلَاسِفَةُ :

أَنَّ طُلُوعَ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِمَّا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ بِٱنْعِكَاسِ ٱلْأُمُورِ وَجَرَيَانِهَا عَلَىٰ غَيْرِ مَا يَنْبَغِي .

وَبَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ أَوَّلَ ٱلنَّارَ ٱلْخَارِجَةَ مِنَ ٱلْحِجَازِ بِٱلْعِلْمِ وَ ٱلْهِدَايَةِ سِيَّمَا ٱلْفِقْهُ ٱلْحِجَازِيُّ ، وَ ٱلنَّارَ ٱلْحَاشِرَةَ لِلنَّاسِ بِفِتْنَةِ ٱلْأَتْرَاكِ ، وَخُرُوجَ ٱلدَّجَّالِ بِظُهُورِ ٱلشَّرِّ وَ ٱلْفَسَادِ ، وَنُزُولَ ٱبْنِ مَرْيَمَ بِٱنْدِفَاعِ ذَلِكَ ، وَبُدُوَّ ٱلْخَيْرِ وَ ٱلصَّلَاحِ ، وَتَقَارُبَ ٱلزَّمَانِ بِقِلَّةِ ٱلْخَيْرِ وَ ٱلْبَرَكَةِ ، وَذَهَابِ فَائِدَةِ ٱلْأَيَّامِ وَ ٱلْأَوْقَاتِ ، أَوْ بِكَثْرَةِ ٱلْغَفْلَةِ وَ ٱلِاشْتِغَالِ بِأَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ، أَوْ بِحُدُوثِ ٱلْفِتَنِ ٱلْعِظَامِ ٱلشَّاغِلَةِ لِقُلُوبِ ٱلْأَنَامِ عَمَّا يَمْضِي عَلَيْهِمْ مِنَ ٱللَّيَالِي وَ ٱلْأَيَّامِ .

وَأَمَّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ .. فَمِنْ وَلَدِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ[1] ، أَوْ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ وَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَضْعَافُ أَوْلَادِ [2] بَنِي آدَمَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمُوتُ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَرَىٰ مِنْ صُلْبِهِ أَلْفَ وَلَدٍ يَحْمِلُونَ ٱلسِّلَاحَ .

بِشَهَادَةِ قَوْلِهِ « صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فِي حَدِيثِ بَعْثِ ٱلنَّارِ : ((فَإِنَّ مِنْ [3]يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ))[4] ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ ٱلطُّولِ خَمْسُونَ ذِرَاعاً ، وَقِيلَ : مِائَةٌ وَعِشْرُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ طُولُهُ وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ ٱلْقِصَرِ .

كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ صَالِحِينَ بِقُرْبِهِمْ فَيُهْلِكُونَ زُرُوعَهُمْ وَضُرُوعَهُمْ ، وَيَقْتُلُونَهُمْ ، فَجَعَلَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ سَدّاً دُونَهُمْ / أ ٢٥١/ فَيَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ٱلسَّدَّ حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ ، قَالَ كَبِيرُهُمْ : ٱرْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً ، فَيُعِيدُهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ كَمَا كَانَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ حَفَرُوا حَتَّىٰ كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَهَا ، قَالَ كَبِيرُهُمْ : ٱرْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً « إِنْ شَاءَ ٱللهُ » فَيَعُودُونَ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ فَيَحْفِرُونَهُ [5]، وَيَخْرُجُونَ مُقَدِّمَتُهُم بِٱلشَّامِ ، وَسَاقَتُهُمْ بِخُرَاسَانَ ، فَيَشْرَبُونَ ٱلْمِيَاهَ ، وَتَتَحَصَّنُ ٱلنَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِتْيَانِ مَكَّةَ ، وَ ٱلْمَدِينَةِ ، وَبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ ، فَيُرْسِلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ نَغَفاً فِي أَقْفَائِهِمْ .. فَيَهْلِكُونَ جَمِيعاً ، فَيُرْسِلُ طَيْراً تُلْقِيهِمْ فِي ٱلْبَحْرِ

---

(١) ينظر : « تاريخ الرسل والملوك » : (١ ١٢٥) ، و « النهاية في الفتن والملاحم » : (١ ٢٠١) .

(٢) في (ب) (سقطت) .

(٣) في (ب) (ولد) .

(٤)(). اخرجه البخاري في « صحيحه » : (٤٧٤١) ، (٦ ٩٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري « رضي الله عنه » .

(٥) ذكره ابن ماجه في « سننه » : (٤٠٨٠) ، (٢ ١٣٦٤) عن سيدنا أبي هريرة « رضي الله عنه » .

، وَيُرْسِلُ مَطَراً يَغْسِلُ ٱلْأَرْضَ ، وَفِي ٱلْحَدِيثِ : ((إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يُسَلِّطُ ٱللهُ عَلَيْهِمُ ٱلنَّغَفَ . . فَيَأْخُذُ فِي رِقَابِهِمْ))[1] .

هذا وعَلَىٰ لفظ ٱلخير ختمنا ٱلمتن ختم ٱلله لنا بخير وعصمنا من اتباع ٱلهوى ووفقنا لسلوك طريق ٱلهدى انه ولي ٱلتوفيق و ٱلهادي إِلَىٰ سواء ٱلطريق .[2]

وقد اتفق يوم ٱلاثنين تاسع ٱلمحرم مفتتح سنة سبع عشرة وتسعمائة ختم ٱلله تعالَىٰ بالبركات خاتمتها كما فتح بالخيرات فاتحتها فراغ ما نظمته ٱلبنان من ٱلكلام ورقمته اسنان ٱلاقلام مما يسفر عن معان تهلك وجوهها ٱلصِّباح وتلألات ثغورها ولا تلألو ٱلصباح وركبت له مطايا ٱلعزم واقتحمت له موارد ٱلحزم وتركت في بغيته لذيذ ٱلكرى وعند ٱلصباح يحمد ٱلقوم ٱلسرى فلله تعالَى ٱلحمد عَلَىٰ ما اولى من نعمه ٱلجسام و ٱلصلاة و ٱلسلام عَلَىٰ نبيه محمد و ٱله وصحبه ٱلكرام .[3]

---

(١) أخرج مسلم في « صحيحه » : (٢٩٣٧) ، (٤ ٢٢٥٠) عن سيدنا النواس بن سمعان « رضي الله عنه » حديثا طويلا في احداث الساعة وذكر فيه قوله « صلى الله عليه وسلم » : ((فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة)) .

(٢) (ب) ٤٩ (قال المؤلف) .

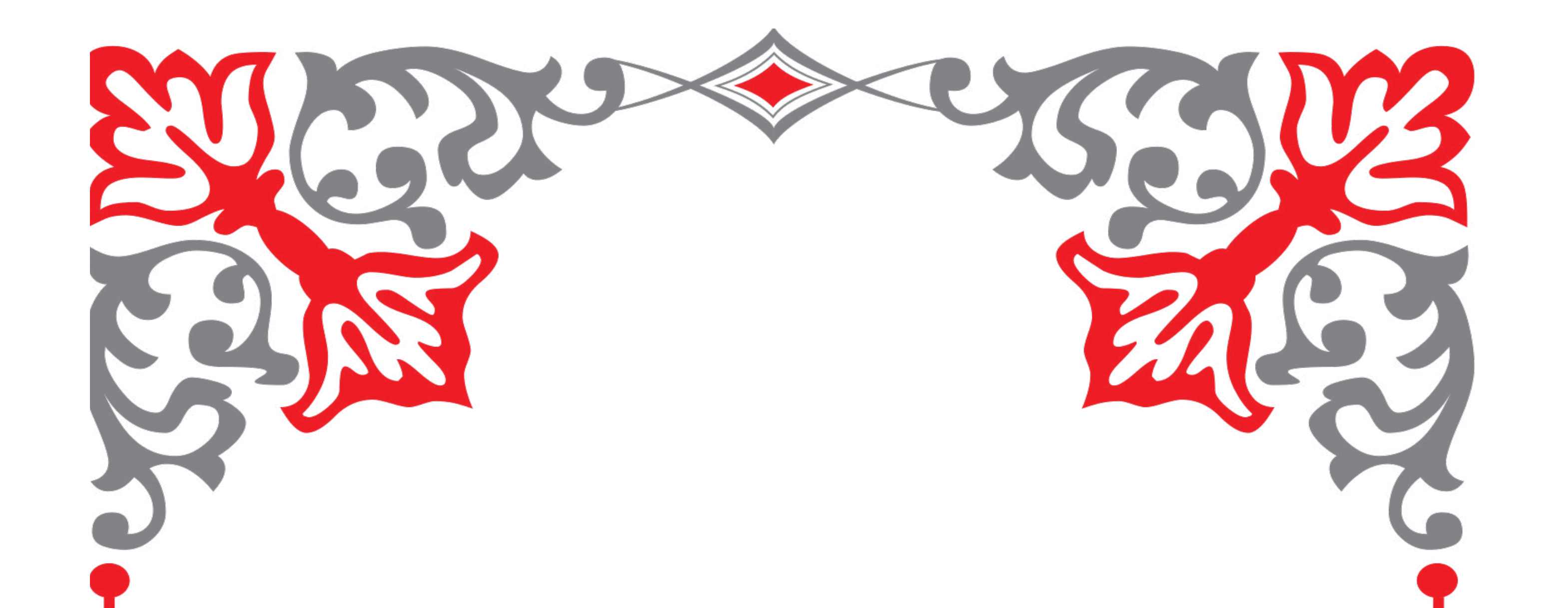
(٣) (ب) ٤٩ (وكان الفراغ من كتابة هذا الشرح البديع النظام المسفر عن معني الكلام بأعظم خطاب للافهام والى الالباب واعوذه بالم ذلك الكتاب فلقد اجاد فيه مؤلفه بخلوص نيته بلغه الله ووالدينا بالفوز بجنته ولمن مضى من علمك الاسلام والحمد لله عند كل مبدأ وختام وذلك في اليوم المبارك وهو السبت الموافق سابع عشر شوال المبارك سنة ثمان وستين والف من هجرته الشريفة عليه افضل الصلاة وازكى السلام وعلى اله وصحبه الكرام مدا الليالي والايام انتهى وكمل كما وجد بحمد الله تعالى على اكماله وتوفيقه لختامه واسال الله الهادي لكتابته النفع به على تطاول سنيه واعوامه وذلك في الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام خمسة واربعين ومائة والف والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه على يد عبدالله تعالى .... احمد بن عبد العزيزالرواسي السمبلاسي) .



فهرس الآيات القرآنية

البقرة :

آل عمران :



الفهارس العامة

النساء :

المائدة :

الرعد :

- ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾..١٦٢

إبراهيم :

- ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾.. ......١٧٥

الحجر :

- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾..١٥٢

النحل :

- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾...١٠٥
- ﴿ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾... ...١٦٧
- ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾..١٩٨

الإسراء :

- ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ ﴾...................................٨٠
- ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾...١١٠
- ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾...١١٠
- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾................................. ....١٢٨
- ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾..........................١٥٢
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾...١٦٢
- ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾.......................................٢٠٦

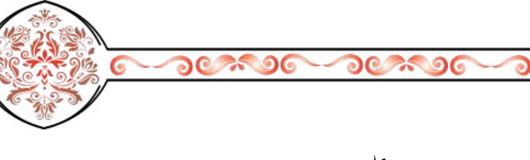
الكهف :

- ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾...٩٩
- ﴿ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾... ....١٠٦
- ﴿أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾...١٣٩-١٦٧
- ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾..٢٢٢

مريم :

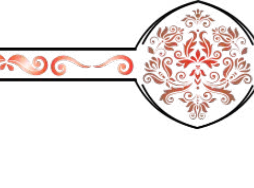
- ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾......................... ......١٢٨
- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾..١٥٧





فهرس الأحاديث النبوية

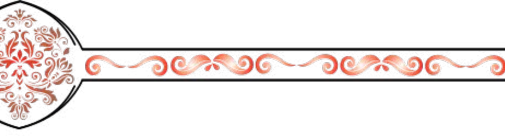
فهرس الأعلام





فهرس البلدان

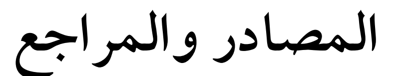




فهرس الفرق



المصادر والمراجع



- القران الكريم .
- **الإبانة الكبرى** ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت : ٣٨٧هـ) ت : رضا معطي ، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجر ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض .
- **الإبانة عن أصول الديانة** ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) ، ت : د. فوقية حسين محمود ، دار الأنصار – القاهرة ، الأولى : (١٣٩٧ هـ) .
- **ابكار الافكار في اصول الدين** ، سيف الدين الامدي ، ت : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية .
- **الإبهاج في شرح المنهاج** ، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٥٦ هـ) وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: ٧٧١ هـ) ت : د . أحمد جمال الزمزمي - د . نور الدين عبد الجبار صغيري ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث .
- **آثار البلاد وأخبار العباد** ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت : ٦٨٢هـ) ، دار صادر – بيروت .
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الأولى : (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- **الأحكام السلطانية** ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (ت : ٤٥٠هـ) ، دار الحديث – القاهرة .
- **الإحكام في أصول الأحكام** ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت : ٦٣١هـ) ، ت : عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان .
- **إحياء علوم الدين** ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥هـ) دار المنهاج .
- **الاختيار لتعليل المختار** ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (ت : ٦٨٣هـ) ، مطبعة الحلبي - القاهرة : (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) .
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الأعتقاد** ، امام الحرمين الجويني (٤٧٨ هـ) ، ت : أحمد عبدالرحيم السائح ، وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية .
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ) ، ت : علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت ، الأولى : (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب** ، محمد بن محمد درويش ، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت : ١٢٧٧هـ) ، ت : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤١٨ هـ -١٩٩٧م) .
- **أسنى المطالب في شرح روض الطالب** ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت : ٩٢٦هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- **الإصابة في تمييز الصحابة** ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ت : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤١٥ هـ) .
- **أصول الدين** ، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت : ٥٩٣هـ) ، ت : د. عمر وفيق الداعوق ، دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤١٩ هـ) .

- **الأعلام** ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الخامسة عشر : (٢٠٠٢ م) .

- **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم** ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت : ٥٤٤هـ) ، ت : د . يحْيَى إِسْمَاعِيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، الأولى : (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .

- **الألفاظ** ، ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت : ٢٤٤هـ) ، ت : د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون ، الأولى : (١٩٩٨م) .

- **الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، الأولى : (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

- **الإمامة والسياسة** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ،ت : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية : (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .

- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع** ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي (ت : ٨٤٥هـ) ، ت : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية – بيرو ت ، الأولى : (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

- **الأنساب** ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت : ٥٦٢هـ) ، ت : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره .

- **أنوار البروق في أنواء الفروق** ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت : ٦٨٤هـ) ، عالم الكتب ، بدون طبعة وبدون تاريخ .

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت : ٦٨٥هـ)ت : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الأولى : (١٤١٨ هـ) .

- **البحر المحيط في أصول الفقه** ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤هـ) ، دار الكتبي ، الأولى : (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

- **البحر المحيط في التفسير** ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ) ، ت: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت

- **البداية والنهاية** ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ت : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الأولى : (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

- **البعث والنشور** ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري ، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الأولى : (١٤٣٦ هـ) .

- **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل** ، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت : ٨٩٣هـ) ، دار صادر – بيروت .

- **تاج التراجم** ، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت : ٨٧٩هـ) ، ت : محمد خير رمضان يوسف ، دار القلم – دمشق ، الأولى : (١٤١٣ هـ -١٩٩٢م) .

- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) ، دار الهداية .

- **تاريخ الرسل والملوك** ، وصلة تاريخ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، دار التراث – بيروت ، الثانية : (١٣٨٧ هـ) .

- **تاريخ الفكر الديني الجاهلي** ، محمد إبراهيم الفيومي (ت : ١٤٢٧هـ) ، دار الفكر العربي ، الرابعة : (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

- **التاريخ الكبير** ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت : ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد – الدكن .

- **تاريخ المدينة** ، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت : ٢٦٢هـ) ، ت : فهيم محمد شلتوت : (

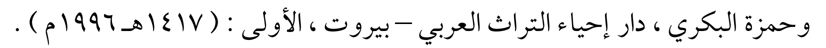
١٣٩٩ هـ)

- **تاريخ بغداد** ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ) ت : د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الأولى : (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م) .
- **تاريخ دمشق** ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ، ت : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : (١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .
- **التبصرة في أصول الفقه** ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت : ٤٧٦هـ) ت : د. محمد حسن هيتو ، دار الفكر – دمشق ، الأولى : (١٤٠٣هـ) .
- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت : ٧٤٣ هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية ، القاهرة ، الأولى : (١٣١٣ هـ) .
- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت : ٥٧١هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الثالثة : (١٤٠٤ هـ) .
- **تحفة المودود بأحكام المولود** ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ت : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق ، الأولى : (١٣٩١هـ – ١٩٧١م) .
- **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل** ، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (ت : ٦٦٨هـ) ، ت : محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان الرياض ، الأولى : (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .
- **التعريفات الفقهية** ، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلمية ، الأولى : (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) .
- **تعظيم قدر الصلاة** ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت : ٢٩٤هـ)
- **التفسير الكبير أو المحيط** ، القاضي عبد الجبار بن أحمد ، ت : د . خضر محمد، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية الاولى : (٢٠٠٩م) .
- **تفسير الماوردي = النكت والعيون** ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (ت : ٤٥٠هـ) ، ت : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
- **التقريب والإرشاد (الصغير)** ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت : ٤٠٣ هـ) ، ت : د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد ، مؤسسة الرسالة ، الثانية : (١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م) .
- **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل** ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت : ٤٠٣هـ) ، ت : عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، الأولى : (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .
- **التمهيد في اصول الدين** ، ابو المعين النسفي ، المكتبة الازهرية للتراث .
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ) ، ت : مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب : (١٣٨٧ هـ) .
- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (ت : ٣٧٧هـ) ، ت : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر .
- **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار** ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، ت : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني – القاهرة .
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت : ٧٤٢هـ) ت : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الأولى : (١٤٠٠ – ١٩٨٠) .
- **تهذيب اللغة** ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) ، ت : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الأولى : (٢٠٠١م) .
- **الجامع** ، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، نزيل اليمن (ت : ١٥٣هـ) ت : حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس

العلمي بباكستان ، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت ، الثانية : (١٤٠٣ هـ) .

- **جامع البيان في تأويل القرآن** ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ) ت : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- **الجامع الكبير - سنن الترمذي** ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت : (١٩٩٨ م) .
- **جامع المسانيد** ، ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت : ٥٩٧ هـ) ، ت : الدكتور علي حسين البواب ، مكتبة الرشد – الرياض ، الأولى : (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م) .
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الأولى : (١٤٢٢هـ) .
- **الجامع لأحكام القرآن** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ) ت : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الثانية : (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م) .
- **جمع الجوامع المعروف بـ « الجامع الكبير »** ، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، ت : مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر ، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، الثانية : (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت : ٧٧٥هـ) ، مير محمد كتب خانه – كراتشي .
- **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع** ، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت : ١٢٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية .
- **الحاوي للفتاوي** ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان : (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م) .
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ) ، السعادة - بجوار محافظة مصر : (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) .
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار (ت : ٤٧١هـ) ت: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الثالثة : (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- **دلائل النبوة** ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث ، الأولى : (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- **دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ) ، الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت ، الثانية : (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب** الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤٠٥ هـ) .
- **رد المحتار على الدر المختار** ، ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت : ١٢٥٢هـ) ، دار الفكر- بيروت ، الثانية : (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- **الرسالة** ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت : ٢٠٤هـ) ، ت : أحمد شاكر ، مكتبه الحلبي ، مصر ، الأولى : (١٣٥٨هـ-١٩٤٠م) .
- **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب** ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) ، ت : عبد الله شاكر محمد الجنيدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية : (١٤١٣هـ)
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) ت : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤١٥ هـ) .

- **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة** ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت .
- **الروض الأنف** ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت : ٥٨١هـ) ، ت : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الأولى : (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) .
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين** ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ،ت : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت- دمشق- عمان ، الثالثة : (١٤١٢هـ – ١٩٩١م) .
- **زاد المسير في علم التفسير** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الأولى : (١٤٢٢ هـ) .
- **الزواجر عن اقتراف الكبائر** ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس (ت : ٩٧٤هـ) ، دار الفكر ، الأولى : (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .
- **سنن ابن ماجه** ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
- **سنن أبي داود** ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
- **السنن الكبير** ، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور عبد السند حسن يمامة) ، الأولى : (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م) .
- **سنن سعيد بن منصور** ، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت : ٢٢٧هـ) ، ت : حبيب الرحمن الأعظمي ، الدار السلفية – الهند ، الأولى : (١٤٠٣هـ -١٩٨٢م) .
- **سير أعلام النبلاء** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ت : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الثالثة : (١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م) .
- **السيرة الحلبية** : (**إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**) ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، أبو الفرج ، نور الدين ابن برهان الدين (ت : ١٠٤٤هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الثانية : (١٤٢٧هـ) .
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة** ، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة - الرياض : (١٤٠٢هـ)
- **شرح السنة** ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، الثانية ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- **شرح الشفا** ، علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤٢١ هـ) .
- **شرح القواعد الفقهية** ، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ] ، صححه وعلق عليه : مصطفى أحمد الزرقا ، دار القلم - دمشق سوريا ، الثانية : (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .
- **شرح تنقيح الفصول** ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت : ٦٨٤هـ) ، ت : طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، الأولى : (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .
- **شرح صحيح البخارى** ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت : ٤٤٩هـ) ، ت : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، الثانية : (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .
- **شرح مختصر خليل** ، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت : ١١٠١هـ) ، دار الفكر للطباعة – بيروت .
- **شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن** ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت : ٣٨٥هـ) ت : عادل بن محمد ، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ، الأولى : (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .
- **شرح وصية الإمام أبي حنيفة** ، أكملُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البَابِرْتيُّ الرُّوميُّ الحنفيُّ ، ت : محمد العايدي



وحمزة البكري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الأولى : (١٤١٧هـ ١٩٩٦م) .

- **الشريعة** ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت : ٣٦٠هـ) ، ت : د . عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن - الرياض السعودية ، الثانية : (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
- **شعب الإيمان** ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الأولى : (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء** ، ت : أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ) ت : أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت : ٨٧٣هـ) ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع : (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) .
- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت : ٥٧٣هـ) ، ت : د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، الأولى : (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
- **صفة الصفوة** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ت : أحمد بن علي ، دار الحديث، القاهرة، مصر : (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م) .
- **طبقات الشافعية** ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، عالم الكتب - بيروت : (١٤٠٧ هـ) .
- **طبقات الشافعية الكبرى** ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت : ٧٧١هـ) ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الثانية : (١٤١٣هـ) .
- **العدة في أصول الفقه** ، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت : ٤٥٨هـ) ، ت : د أحمد بن علي بن سير المباركي ، الثانية : (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- **العُدّة في إعراب العُمدَة** ، بدر الدين أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني رحمةُ الله عليه ، دار الإمام البخاري – الدوحة ، الأولى .
- **عصمة الأنبياء** ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، مكتبة الثقافة الاسلامية .
- **غاية المرام في علم الكلام** ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت : ٦٣١هـ) ، ت : حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .
- **غاية الوصول في شرح لب الأصول** ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت : ٩٢٦هـ) ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر .
- **غريب الحديث** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦هـ) ، ت : د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد ، الأولى : (١٣٩٧ هـ) .
- **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل** ، عبد القادر بن موسى بن عبد الله محيي الدين الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي (ت : ٥٦١ هـ) ، ت : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع** ، ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت : ٨٢٦هـ) ،ت : محمد تامر حجازي ، دار الكتب العلمية ، الأولى : (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) .
- **فتاوى السبكي** ، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٥٦هـ) ، دار المعارف .
- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية** ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني ، أبو منصور (ت : ٤٢٩هـ) ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الثانية : (١٩٧٧م) .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت : ٤٥٦هـ) ، مكتبة الخانجي – القاهرة .
- **الفصول في الأصول** ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت : ٣٧٠هـ) ، وزارة الأوقاف الكويتية ، الثانية : (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

- **فضائل الصحابة** ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ت : د . وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الأولى : (١٤٠٣ – ١٩٨٣م) .
- **الفقه الأكبر** ، لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (ت: ١٥٠هـ) ، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية ، الأولى : (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م)
- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** ، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، ت : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني ، دار السعادة ، الأولى : (١٣٢٤ هـ) .
- **فيض الباري على صحيح البخاري** ، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت : ١٣٥٣هـ) ، ت : محمد بدر عالم الميرتهي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م) .
- **القاموس المحيط** ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت : ٨١٧هـ) ت : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الثامنة : (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م) .
- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (ت : ٦٦٠هـ)، ت : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة .
- **الكامل في التاريخ** ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) ، ت : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م) .
- **الكامل في ضعفاء الرجال** ، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت : ٣٦٥هـ) ، ت : عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض ، الكتب العلمية – بيروت-لبنان ، الأولى ، (١٤١٨هـ١٩٩٧م) .
- **التعريفات** ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الأولى : (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .
- **العين** ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠هـ) ت : د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** ، أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت : ٢٣٥هـ) ت : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ، الأولى : (١٤٠٩ هـ) .
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت : ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الثالثة : (١٤٠٧ هـ) .
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت : ١٠٦٧هـ) ، مكتبة المثنى – بغداد .
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت : ٤٢٧ هـ) ، ت : عدد من الباحثين ، دار التفسير ، جدة – المملكة العربية السعودية ، الأولى : (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م) .
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤هـ) ت : عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت .
- **لسان العرب** ، محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت : ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، الثالثة : (١٤١٤ هـ) .
- **المبسوط** ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت : ٤٨٣هـ) ، دار المعرفة – بيروت : (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) .
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ، ت : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، سنة : (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) .
- **المجموع شرح المهذب** ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ، دار الفكر .
- **محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين** ، فخر الدين الرازي ، المكتبة الازهرية .

- **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي ، جمال الدين ، ابن المبرد الحنبلي (ت : ٩٠٩هـ) ، ت : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، الأولى : (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م) .

- **المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه** ، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (ت : ٦١٦هـ) ، ت : عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م)

- **مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم** ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) ، تحقيق وَدراسة: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان ، سَعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميَّد ، دَارُ العَاصِمَة، الرياض - المملكة العربية السعودية .

- **المخصص** ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت : ٤٥٨هـ) ، ت : خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الأولى : (١٤١٧هـ ١٩٩٦م) .

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت : ٧١٠هـ) ، ت : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، الأولى : (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م) .

- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م) .

- **المستدرك على الصحيحين** ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ .

- **المستصفى** ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥هـ) ، ت : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، الأولى : (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

- **مسند أبي يعلى** ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت : ٣٠٧هـ) ، ت : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق ، الأولى : (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م) .

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة .

- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار** ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الأولى .

- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- **المصنف** ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت : ٢١١هـ) ت : حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي- الهند .

- **المعجم الأوسط** ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت : ٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة .

- **معجم البلدان** ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت : ٦٢٦هـ) ، دار صادر ، بيروت، الثانية : (١٩٩٥ م) .

- **المعجم الكبير** ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة .

- **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت : ٤٨٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، الثالثة : (١٤٠٣ هـ) .

- **معجم مقاييس اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت : ٣٩٥هـ) ، ت : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر

: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

- **معرفة أنواع علوم الحديث** ، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو ، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت : ٦٤٣هـ) ، ت : عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل ، دار الكتب العلمية ، الأولى .
- **المُعْلم بفوائد مسلم** ، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت : ٥٣٦هـ) ، ت : فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، الدار التونسية للنشر ، الثانية : (١٩٨٨ م) .
- **المغرب** ، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم أبو الفتح ، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت : ٦١٠هـ) ، دار الكتاب العربي ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار** ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت : ٨٠٦هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، الأولى : (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير** ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة : (١٤٢٠ هـ) .
- **مفتاح العلوم** ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت : ٦٢٦هـ) ت : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الثانية : (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- **المفردات في غريب القرآن** ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت : ٥٠٢هـ) ت : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الأولى : (١٤١٢ هـ) .
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت : ٩٠٢هـ) ، ت : محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الأولى : (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .
- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) ت: نعيم زرزور ، المكتبة العصرية ، الأولى : (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .
- **الملل والنحل** ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) ، مؤسسة الحلبي .
- **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ت : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الأولى : (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .
- **منح الجليل شرح مختصر خليل** ، محمد بن أحمد بن محمد عليش أبو عبد الله المالكي (ت : ١٢٩٩هـ) ، دار الفكر – بيروت : (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .
- **منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه** ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ، ت : عوض قاسم أحمد عوض ، دار الفكر ، الأولى : (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م) .
- **الموافقات** ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت : ٧٩٠هـ): أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، الأولى : (١٤١٧هـ ١٩٩٧م) .
- **المواقف** ، الإمام الأجل القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، دار الكتب العلمية .
- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** ، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (ت : ٩٢٣هـ) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر .
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت : بعد ١١٥٨هـ) ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت: (١٩٩٦م) .
- **الموضوعات** ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)
- **الموطأ** ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت : ١٧٩هـ) ، ت : عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية ، الثانية .
- **الميسر في شرح مصابيح السنة** ، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت : ٦٦١ هـ) ، ت : د. عبد الحميد هنداوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الثانية : (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ) .



- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر** ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ت : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير بالرياض ، الأولى : (١٤٢٢هـ)

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت : ١٠٤١هـ) ت : إحسان عباس ، دار صادر- بيروت - لبنان .

- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، شهاب الدين النويري (ت : ٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الأولى : (١٤٢٣ هـ) .

- **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) ، ت : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت : (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

- **الوافي بالوفيات** ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ت : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت : (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) .

- **الورقات** ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت : ٤٧٨هـ) ، ت : د. عبد اللطيف محمد العبد .

- **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت : ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى : (١٤١٩هـ) .

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت : ٦٨١هـ) ، ت : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .



Thesis summary



Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, his family, his companions, and those who .follow him

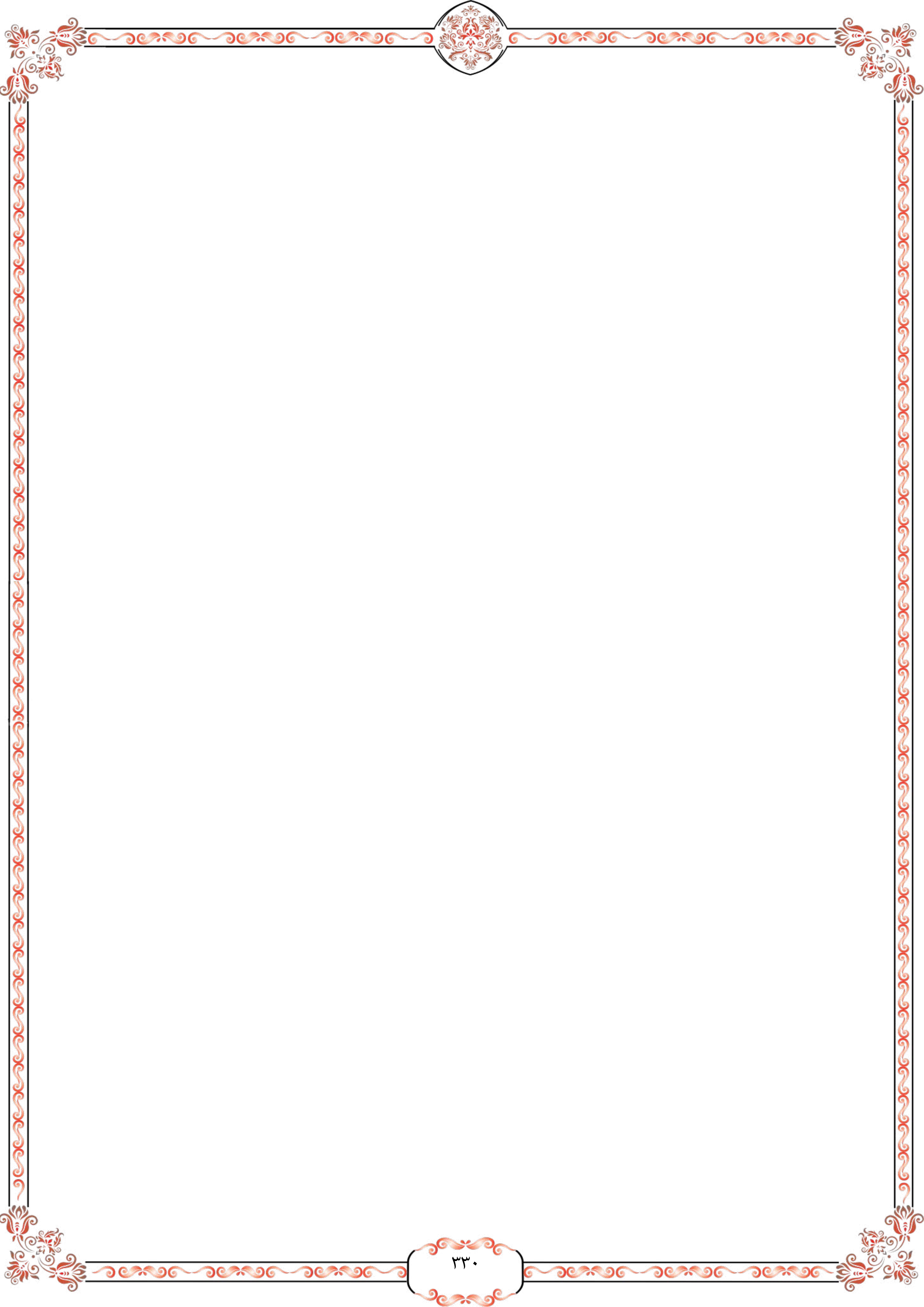
The title of the thesis is: “Explanation of the Objectives of the Objectives” by Imam Shams al-Din al-Dalji (d .: 947 AH) from the study of audiology to the end of the manuscript, study and .investigation

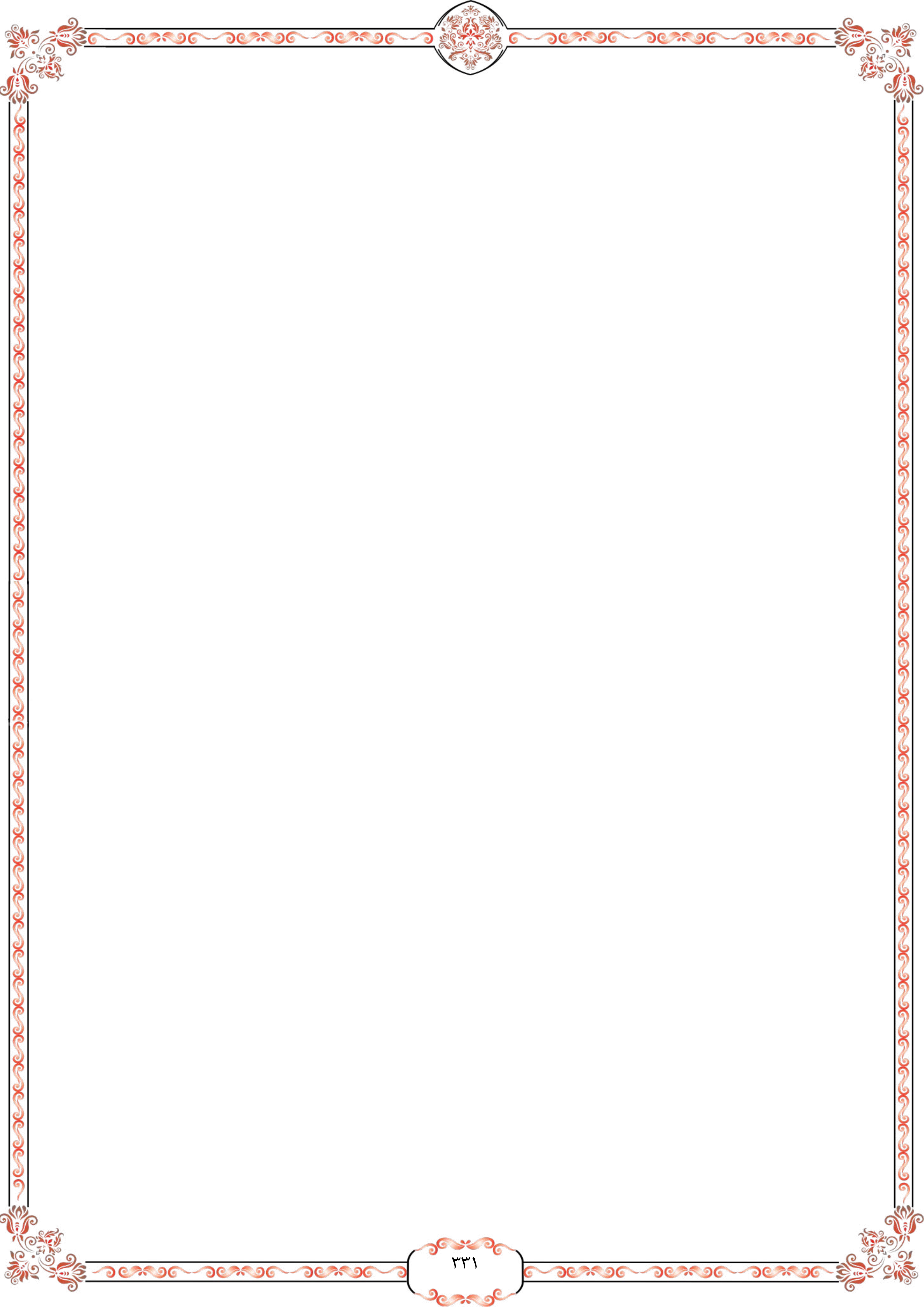
As for the first section, which is the study section, it included two chapters, the first chapter included two studies that I mentioned in the first section a complete study of the life of Imam al-Taftazani from his birth until his death, and in the second section I talked about the translation of Imam al-Dalji from his .inception until his death

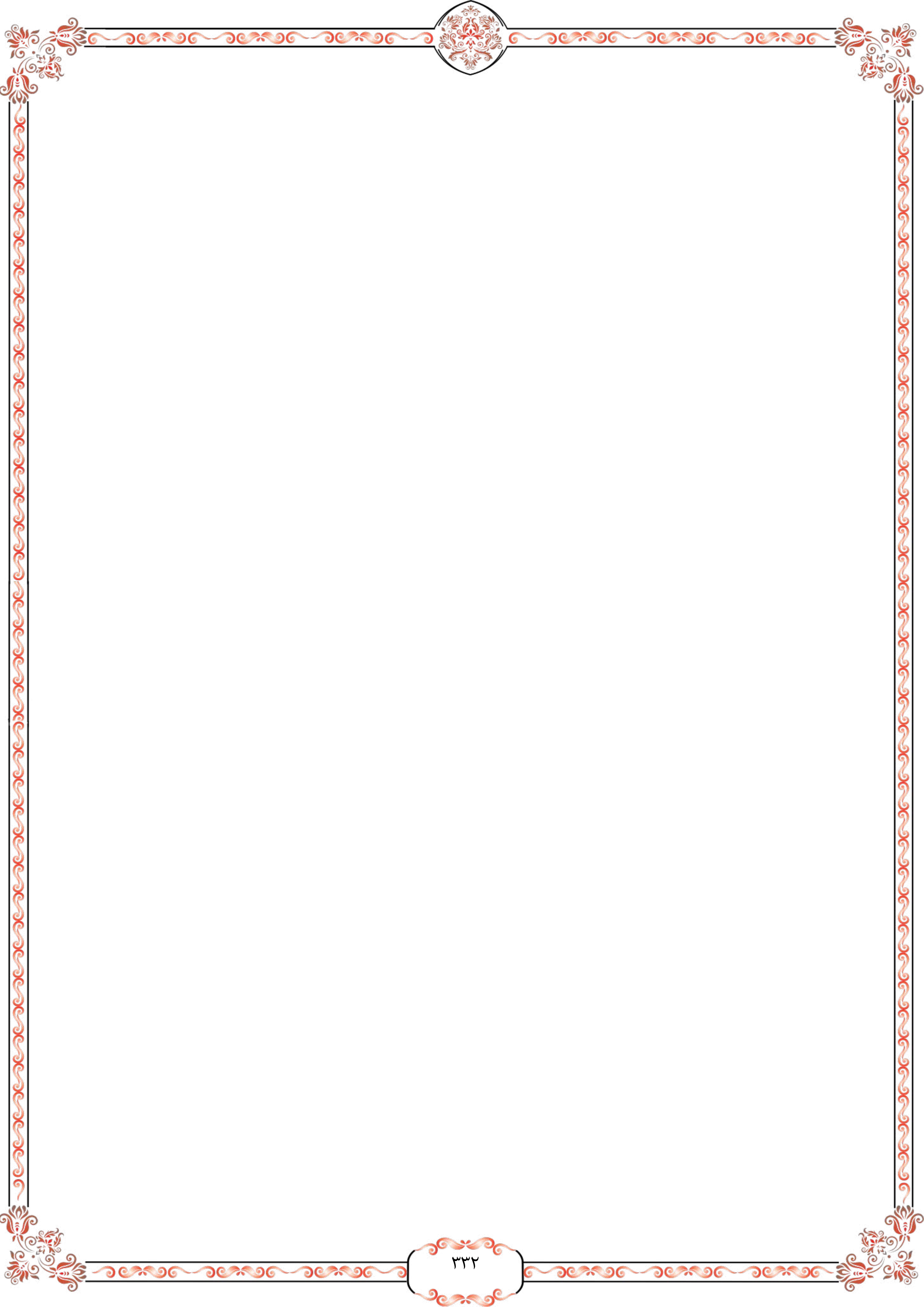
And in the second chapter, which may be of two topics - also -, I devoted the hadith in the first section on studying the book in terms of its name and its lineage to its author, the author’s methodology in it, and its sources that he included in his book, and in the second topic, in it I showed my methodology in the investigation, and mentioned what is related to the description

Copying and comparison, and what is related to the general .curriculum

As for the second section, it included the verified text, then I finished the thesis after it with a conclusion that included the most important results, and then I followed it up with general indexes of the verses, hadiths, flags, sects, doctrines, poems, .sources and references









The Republic of Iraq
Sunni Endowment
Faculty of the Great Imam God's mercy / university
Department of Theology / Graduate

Explained
Makassed - EL Makassed

Imam Shams al-Din Muhammad ibn Muhammad Al-Dalji

From audiology to the end of the manuscript
Study and investigation

Thesis submitted by the student
Hareth abdullah muhammed

To the Council of the College of the greatest Imam, may God have mercy on him / university
It is part of the requirements for obtaining a doctorate in Islamic sciences
Department of the fundamentals of religion specialization (doctrine)
Department of Theology Industry (ideology)

Supervised by
O.M.D. Moshtaq emad abdulaziz

2021 1442

